دبلوم أكاديمية التأصيل العلمي

مقرر المستوى الأول

الفصل الدراسي الثاني

جمع وإعداد

أكاديمية التأصيل العلمي

مقدمة:

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على معلم البشرية أجمعين، وبعد:

انطلاقاً من قوله تعالى:{اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ❁ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ❁عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق:١ -٤] وقوله تعالى:{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ [يوسف:١٠٨] وقوله سبحانه:{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر:٢٨].

وقوله صلى الله عليه وسلم:" من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ". أخرجه الترمذي وحسنه. وحديث "طلب العلم فريضة على كل مسلم". رواه ابن ماجة وصححه الألباني. وحديث" إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له". رواه مسلم.

ورغبةً من (**أكاديمية التأصيل العلمي**) في تعليم العلم الشرعي ونشره، قامت بإعداد مقررات)دبلوم العلوم الشرعية) و تشتمل (القرآن الكريم والتفسير وعلومه، والعقيدة الإسلامية، والسيرة النبوية، والفقه وأصوله وقواعده، الحديث وعلومه، والنحو) في أساسيات العلوم الشرعية لطلاب وطالبات العلم بصورة منهجية منظمة وميسرة، وفق معايير علمية؛ بهدف إيجاد شخصية المسلم المتكاملة، التي ترتكز على إيمان عميق، وخلق كريم، وتوجه صادق إلى الله سبحانه وتعالى؛ المحركات الحقيقة للسلوك والموجهات الفاعله له، و التي لا بد أن تكون محكومةً بمعايير الشرع الذي ارتضاه الله تعالى للبشر، وأرسل به محمداً صلى الله عليه وسلم هدى ورحمةً للعالمين، يتمكن المسلم من خلالها أداء الأمانة الكبرى التي أوجده الله من أجلها في هذه الحياة وهي عبادته سبحانه وتعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون). وفق منهجه تباك وتعالى ووحيه المنزل.

وبين أيدكم مقررات منهج الفصل الثاني من المستوى الأول لطلاب أكاديمية التأصيل العلمي..

ونسأل الله تعالى أن يبارك بالجهود ويتحقق التعلم المنشود

المجلس العلمي للأكاديمية

فهرس الوضوعات

مقرر مادة القرآن والتفسير(٢)

جزء تبارك

مقدمة :

مما لا شك فيه أن حفظ وفهم القرآن الكريم وتدبره هو أفضل ما يُتعلم، وأفضل ما يُعلَّم، قال عليه الصلاة والسلام(خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه)رواه البخاري، وقال عليه الصلاةُ والسلام:(اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه) رواه مسلم.

ومن أجل فنون العلم وأشرفها علم التفسير الذي هو تبيين معاني كلام الله عز وجل، يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وإن وحاجة الأمّة إليه ماسّة في كلّ زمان ومكان؛ وذلك لافتقارهم إلى معرفة كلام ربهم و بيان ما أنزل الله في كتابه من الهدى، وجواب ما أشكل عليهم فهمه، وخفي عليهم علمه، بصورة مبسطة وميسرة.. وقد قال العلماء: إنما شرف العلم بشرف المعلوم؛ فلما كان المعلوم متعلقا بكتاب الله كان هذا العلم شريف رفيع..

وبين أيدكم مقرر القرآن الكريم والتفسير للفصل الثاني من المستوى الأول...

سورة الملك [مكية وآياتها ثلاثون]

نزلت بعد سورة الطور

●قال تعالى:(**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۞ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ۞ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ ۞ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ**) [تبارك: ١ –٥].

روى الإمام أحمد بسنده إلى أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت لصاحبها حتى غفر له:(**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**)". ورواه أهل السنن الأربعة، وقال الترمذي هذا حديث حسن. وروى الطبراني والحافظ الضياء المقدسي عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة:(**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**)". وروى الترمذي عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ:" ألم. التنزيل، وتبارك الذي بيده الملك". فيه إثبات صفة اليد لله تعالى، فلله يد، بلا كيف، لا تشبه أيدي المخلوقين في شيء، يتصرف في ملكه بما يشاء، يمجد الله تعالى نفسه ويخبر أنه بيده الملك، وهو المتصرف في جميع مخلوقاته بما يشاء، لا معقب لحكمه ولا يُسأل عما يفعل، لقهره وحكمته وعدله. ولهذا قال تعالى:(**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)، ثم قال تعالى:(**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ**)، واستدل بهذه الآية مَن قال: إن الموت أمر وجودي لأنه مخلوق، ومعنى الآية: أنه أوجد الخلائق من العدم ليبلوهم أي يختبرهم أيهم أحسن عملاً. كما قال تعالى:(**كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم**) فسمَّى الحال الأول وهو العدم، موتًا. وسمى هذه النشأة، حياة. ولهذا قال تعالى:(**ثم يميتكم ثم يحييكم**) وقوله تعالى: (**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**) أي خير عملًا، ولم يقل أكثر عملًا. ثم قال تعالى:(**وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**) أي هو العزيز العظيم المنيع الجناب وهو مع ذلك غفور لمن تاب إليه وأناب بعدما عصاه وخالف أمره. ثم قال تعالى:(**الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا**) أي طبقة بعد طبقة وهل هن متواصلات بمعنى أنهن علويات بعضهن على بعض، أو متفاصلات بينهن خلاء؟ فيه قولان وأصحهما الثاني كما دلَّ على ذلك حديث الإسراء، وقوله تعالى:(**مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ**) أي ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا مخالفة ولا نقص ولا عيب ولا خلل. ولهذا قال تعالى:(**فَارْجِعِ الْبَصَرَ**

﴿هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾ أي انظر إلى السماء فتأملها هل ترى فيها عيبًا أو نقصًا أو خللًا أو شقوقًا. وقوله تعالى:(**ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ**) أي مرتين (**يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً**) أي أنك لو كررت البصر ومهما كررت لانقلب إليك، أي: لرجع إليك البصر (**خَاسِئاً**) عن أن يرى عيبًا أو خللًا (**وَهُوَ حَسِيرٌ**) أي كليل قد انقطع من الإعياء من كثرة التكرار ولا يرى نقصًا، ولما نفى عنها في خلقها النقص، بيّن كمالها وزينتها. فقال:(**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ**) وهي الكواكب التي وضعت فيها من السيارات والثوابت. وقوله تعالى:(**وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ**) عاد الضمير في قوله:(**وَجَعَلْنَاهَا**) على جنس المصابيح لا على عينها لأنه لا يرمي بالكواكب التي في السماء بل بشهب من دونها وقد تكون مستمدة منها، والله أعلم. وقوله تعالى:(**وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ**) أي جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا وأعتدنا لهم عذاب السعير في الأخرى. قال قتادة: إنما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها الله زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها. فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ * وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ**) [تبارك: ٦ -١١].

يقول تعالى:(و) أعتدنا (**لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**) أي بئس المال والمنقلب (**إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا**) يعني صياحاً(**وَهِيَ تَفُورُ**) تغلي بهم وقوله تعالى:(**تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ**) أي يكاد ينفصل بعضها من بعض من شدة غيظها عليهم. (**كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ**) يذكر تعالى عدله في خلقه وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه. كما قال تعالى:(**وما كنّا معذّبين حتى نبعث رسولا**) وهكذا عادوا على أنفسهم بالملامة وندموا حيث لا تنفعهم الندامة فقالوا:(**لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ**

السَّعِيرِ) روى الإمام أحمد بسنده إلى من سمعه من رسول اللهﷺ:" لا يدخل أحد النار إلا وهو يعلم أنّ النار أولى به من الجنة"، (**فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ)** .

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۞ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۞ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۞ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)** [تبارك: ١٢ -١٥].

يخبر تعالى عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائباً عن الناس فينكفّ عن المعاصي ويقوم بالطاعات حيث لا يراه أحد إلا الله تعالى، بأنه له مغفرة وأجر كبير، أي تكفَّرُ عنه ذنوبه ويجازى بالثواب الجزيل، كما ثبت في الصحيحَين:" سبعة يظلُّهم الله تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله" فذكر منهم رجلاً دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال:" إني أخاف الله، ورجلًا تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه"، ثم قال تعالى منبهًا على أنه مطلع على الضمائر والسرائر:(**وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)** أي بما يخطر في القلوب **(أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ)** أي ألا يعلم الخالقُ:(**وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)**؟ ثم ذكر نعمته على خلقه في تسخيره لهم الأرض وتذليله إياها لهم، بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب، بما جعل فيها من الجبال وأنبع فيها من العيون، وسلك فيها من السبل، وهيأ فيها المنافع ومواضع الزروع والثمار. فقال تعالى:(**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا)** أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها وارتياد أنواع المكاسب، واعلموا أن سعيكم لا يجدي لكم شيئاً إلاَّ إن يسَّره الله لكم. ولهذا قال تعالى:(**وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ)** فالسعي في السبب لا ينافي التوكل. وعن عمر بن الخطاب ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:" لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطانًا" رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن صحيح. فأثبت لها رواحاً وغدُوّاً لطلب الرزق مع توكلها على الله عزّ وجل، وهو المسخّر المسيّر المسبّب، **(وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)** أي المرجع يوم القيامة.

الفوائد:

....

....

●قال تعالى: (**أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ❖ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ❖ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ❖ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ**) [تبارك: ١٦ -١٩].

ومن لطفه تعالى ورحمته بخلقه أنه يحلم ويصفح ويؤجل، مع أنه قادر على تعذيبهم بسبب كفر بعضهم به وعبادتهم معه غيره. فقال: (**أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ**) أي تذهب وتجيء وتضطرب، (**أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا**) أي ريحاً فيها حصباء تدفعكم. كما قال تعالى: (**أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً ثم لا تجدوا لكم وكيلاً**) وهكذا توعَّدهم هنا بقوله: (**فستعلمون كيف نذير**) أي كيف يكون إنذاري. ثم قال: (**وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**) أي من الأمم السالفة (**فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ**) أي فكيف كان إنكاري عليهم وعقابي لهم. ثم قال تعالى: (**أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ**) أي تارة يصفقن أجنحتهن في الهواء، وتارة تجمع جناحاً وتنشر آخر، (**مَا يُمْسِكُهُنَّ**) أي في الجو (**إِلاَّ الرَّحْمَنُ**) أي بما سخر لهنَّ من الهواء من رحمته ولطفه (**إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ**) أي بما يصلح كل شيء من مخلوقاته. وهذه كقوله تعالى: (**ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون**).

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى: (**أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ ❖ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ❖ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ❖ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلا مَّا تَشْكُرُونَ ❖ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ❖ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ❖ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ❖ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ**) [تبارك: ٢٠ -٢٧].

يقول تعالى للمشركين الذين عبدوا معه غيره يبتغون عندهم نصراً ورزقاً، منكراً عليهم فيما اعتقدوه، ومخبراً لهم أنه لا يحصل لهم ما أمَّلوه، فقال تعالى: (**أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ**

يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ) أي ليس لكم من دونه من ولي، ولا واقٍ ولا ناصر لكم غيره. ولهذا قال تعالى:(**إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ**) ثم قال تعالى:(**أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ**) أي مَن هذا الذي -إذا قطع الله عنكم رزقه - يرزقكم بعده؟ أي لا أحد يعطي ويمنع، ويخلق ويرزق وينصر إلا الله عز وجل وحده لا شريك له، أي وهم يعلمون ذلك، ومع هذا يعبدون غيره. ولهذا قال تعالى:(**بَل لَّجُّوا**) أي استمروا في طغيانهم وإفكهم وضلالهم (**فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ**) أي في معاندتهم، ونفور على أدبارهم عن الحق لا يسمعون ولا يتبعون. ثم قال تعالى:(**أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**) أي على طريق واضح مستقيم في الدنيا والآخرة. فالمؤمن يمشي يوم القيامة سوياً على صراط مستقيم مفضٍ به إلى الجنة، وأما الكافر يحشر، وهو يمشي على وجهه إلى نار جهنم.

روى الإمام أحمد رحمه الله بسنده إلى أنس بن مالك قال:" يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم؟ فقال: أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادراً أن يمشيهم على وجوههم"، وهذا الحديث مخرّج في الصحيحين. وقوله تعالى:(**هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ**) أي ابتدأ خلقكم من العدم، (**وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ**) أي العقول والإدراك (**قَلِيلا مَّا تَشْكُرُونَ**) أي قلّ ما تستعملونها في طاعته، وامتثاله أوامره وترك زواجره (**قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ**) أي بثّكم و نشركم مع اختلاف ألسنتكم وصوركم. (**وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**) أي يجمعكم كما فرّقكم. ويقول الكفار:(**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**) أي متى يقع يوم الحشر؟ (**قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ**) أي لا يعلم وقته إلا الله، إنما أمرني أن أخبركم بحتميّة وقوعه، (**وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ**) أي إنما عليَّ البلاغ وقد أدّيته إليكم. وقال تعالى:(**فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا**) أي لما شاهد الكفار يوم القيامة ووقع ما كذبوا به ساءهم ذلك، وقد جاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال ولا حساب. (**وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون**) ولهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ:(**هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ**) أي تستعجلون.

●قال تعالى:(**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ❖ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ❖ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ**) [تبارك: ٢٨ -٣٠].

يقول تعالى:(**قُلْ**) يا محمد لهؤلاء المشركين بالله، الجاحدين لنعمه، (**أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**) أي سواء عذبنا الله أو رحمنا فلا مناص لكم من

نكاله وعذابه الأليم؛ فخلصوا أنفسكم بالتوبة إلى الله والرجوع إلى دينه، فلا ينفعكم تمنّي العذاب لنا. ثم قال تعالى:(**قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا**) أي توكلنا على الرحمن في كل أمورنا. ولهذا قال تعالى:(**فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**) أي منّا ومنكم ولمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة. ثم قال تعالى إظهاراً لرحمته:(**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا**) أي غائراً في الأرض (**فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ**) أي نابع سائح جار على وجه الأرض، أي لا يقدر على ذلك إلا الله عزّ وجلّ من فضله وكرمه.

الفوائد:

....

....

....

....

سورة القلم [مكية وآياتها ثنتان وخمسون]

مكية إلاّ (من الآية ١٧ -٢٢ومن الآية ٤٨ -٥٠) فمدنية نزلت بعد سورة العلق

●قال تعالى:(**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ❁ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ❁ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ❁ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ❁ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ❁ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ❁ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**) [القلم: ١ -٧].

قد تقدم الكلام على حروف الهجاء في أول سورة البقرة، وإن قوله تعالى:(ن) كقوله:(ص، ق) ونحو ذلك من الحروف المقطعة في أوائل السور. وقيل المراد بقوله:(ن) حوت عظيم على تيار الماء العظيم المحيط وهو حامل للأرضين السبع! وقيل هو الدواة، وأيد هذا التفسير ابن عباس وقتادة والحسن (وَالْقَلَمِ) الظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به. كقوله:(**اقرأ بسم ربك الذي خلق -إلى قوله - اقرأ وربك الأكرم ❁ الذي علم بالقلم ❁ علم الإنسان ما لم يعلم**) فهو قَسَم منه تعالى وتنبيه لخلقه على ما أنعم عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم. ولهذا قال:(**وَمَا يَسْطُرُونَ**) وقيل القلم الذي هو أول الخلق لقوله ﷺ:" أول ما خلق الله القلم..."، وقوله:(**وَمَا يَسْطُرُونَ**) قال ابن عباس وغيره يعني وما يكتبون أو ما يعلمون. وقال السدي:(**وَمَا يَسْطُرُونَ**) يعني الملائكة وما تكتب من أعمال العباد. والأصح أي يكتبون. وقوله تعالى:(**مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ**) أي لست ولله الحمد بمجنون كما يقوله الجهلة من قومك، المكذبون بما جئتهم به من الهدى والحقّ المبين، فنسبوك إلى الجنون. (**وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ**) أي بل إنّ لك الأجر العظيم والثواب الجزيل

الذي لا ينقطع ولا يبيد، على إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق، وصبرك على أذاهم. ومعنى غير ممنون أي غير مقطوع. كقوله:(**عطاء غير مجذوذ**) . وقوله تعالى:(**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**) روى معمر عن قتادة:" سئلت عائشة -رضي الله عنها - عن خلق رسول الله ﷺ فقالت:" كان خلقه القرآن"، كما هو في القرآن. وعن رجل من بني سواد قال:" سألت عائشة فقلت: أخبريني يا أم المؤمنين عن خلق رسول الله ﷺ. فقالت: أما تقرأ القرآن:(**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**) . قال: قلت حدثيني عن ذاك، فقالت: صنعت له طعاماً، وصنعت له حفصة طعاماً، فقلت لجاريتي: اذهبي فإن جاءت هي بالطعام فوضعته قبلُ فاطرحي الطعام. قالت: فجاءت بالطعام فألقت الجارية، فوقعت القصعة فانكسرت، وكان نَطَع(شبع)، قالت فجمعه رسول الله ﷺ وقال:" اقتصوا -أو اقتصي شك أسود - ظرفاً مكان ظرفك، قالت فما قال شيئاً". ومعنى قول عائشة: كان خلقه القرآن: أي أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له. وخلقاً تطبعه، فمهما أمره القرآن فعله. ومهما نهاه عنه تركه. هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم، والشجاعة والصفح والحلم، وكل خلق جميل. كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال:" خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي: أف قط. ولا قال لشيء فعلته لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته؟ وكان ﷺ أحسن الناس خلقاً ولا مسست خزّاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممُت مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ"، وروى أحمد عن عائشة قالت:" ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً له قط، ولا ضرب امرأة ولا ضرب بيده شيئاً قط؛ إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما. حتى يكون إثماً فإذا كان إثماً كان أبعدَ الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه، إلا أن تنتهك حرمات الله فيكون هو ينتقم لله عز وجل".

والأحاديث في هذا كثيرة، ولأبي عيسى الترمذي في هذا كتاب الشمائل. وقوله تعالى:(**فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۞ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ**) أي فستعلم يا محمّد وسيعلم مخالفوك ومكذبوك من المفتون الضالّ منكم ومنهم. وهذا كقوله تعالى:(**سيعلمون غداً من الكذاب الأشر**) وكقوله تعالى:(**وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**) ومعنى المفتون ظاهر أي الذي قد افتتن عن الحق وضل عنه. وإنما دخلت الباء في قوله (**بِأَييِّكُمُ**) لتدلَّ على تضمين الفعل في قوله:(**فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ**) وتقديره فستخبر ويخبرون بأيكم المفتون والله أعلم. ثم قال:(**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**) أي هو يعلم تعالى أي الفريقين منكم ومنهم هو المهتدي، ويعلم الحزب الضال عن الحقّ.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۞ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۞ وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلافٍ مَّهِينٍ ۞ هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ ۞ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۞ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ۞ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۞ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ۞ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ**) [القلم: ٨ -١٦].

يقول تعالى: كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم والخلق العظيم (**فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ**). (**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**) قال ابن عباس: لو ترخص لهم فيرخصون ثم قال تعالى:(**وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلافٍ مَّهِينٍ**) وذلك إنّ الكاذب لضعفه ومهانته إنما يتقي بأيمانه الكاذبة التي يجترئ بها على أسماء الله تعالى واستعمالها في كل وقت في غير محلها. قال الحسن: كل حلافٍ، مكابرٍ مهين ضعيف. وقوله تعالى:(**هَمَّازٍ**) أي مغتاب (**مَّشَّاء بِنَمِيمٍ**) يعني الذي يمشي بين الناس تحريشاً وفساداً، ومشياً بالنميمة وهي الحالقة، وعن ابن عباس قال: مر رسول الله ﷺ بقبرين فقال:" إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدُهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة" متفق عليه، وروى الإمام أحمد بسنده إلى حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" لا يدخل الجنة قتات" رواه الجماعة إلا ابن ماجه، ومعنى القتات: النمام. وعن أحمد عن حذيفة مرفوعاً:" لا يدخل الجنة نمام" وقوله تعالى:(**مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ**) أي يمنع ما عليه وما لديه من الخير (**مُعْتَدٍ**) في تناول ما أحل الله له يتجاوز فيها الحد المشروع (**أَثِيمٍ**) أي يتناول المحرّمات. وقوله تعالى:(**عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ**) أما العتلُّ فهو لفظ الغليظ الصحيح الجموع المنوع. وروى الإمام أحمد عن حارثة بن وهب قال: قال رسول الله ﷺ:" ألا أنبئكم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أنبئكم بأهل النار؟ كل عتلٍّ جواظ مستكبر" وقال وكيع: كل جواظ جعظري مستكبر. أخرجاه في الصحيحين وبقية الجماعة إلا أبا داود. والزنيم في لغة العرب: هو الدعي في القوم، ومنه قول حسان بن ثابت يذم بعض كفار قريش:

وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وعن عكرمة قال: يعرف المؤمن من الكافر مثل الشاة الزنماء. والزنماء من الشياه: التي في عنقها هنتان معلقتان في حلقها. قال البخاري: رجل من قريش له زنمة مثل زنمة الشاة ومعنى هذا أنه كان مشهوراً بالسوء كشهرة الشاة ذات الزنمة من بين أخواتها. وقوله تعالى:(**أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۞ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**) يقول تعالى: هذا مقابلة ما أنعم الله عليه من المال

والبنين كفر بآيات الله عزّ وجل وأعرض عنها، وزعم أنها كذب مأخوذ من أساطير الأولين . كقوله تعالى:(**ذرني ومن خلقت وحيدا ❖ وجعلت له مالا ممدوداً ❖ وبنين شهوداً**) إلى قوله: (**فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ❖ إن هذا إلا قول البشر ❖ سأصليه سقر**).

وقال تعالى:(**سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ**) قال ابن جرير: سنبين أمره بياناً واضحاً حتى يعرفوه ولا يخفى عليهم كما لا تخفى عليهم السمة على الخراطيم. وعن ابن عباس: أي يقاتل يوم بدر فيخطم بالسيف في القتال وقال آخرون يعني سنسمه سمة أهل النار. ولا مانع من اجتماع الجميع في الدنيا والآخرة. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من بعض حديث له مرفوعاً:"... ومن مات همازاً لمازاً ملقّباً للناس كان علامته يوم القيامة أن يسمه الله على الخرطوم من كلا الشفتين".

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ❖ وَلا يَسْتَثْنُونَ ❖ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ❖ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ❖ فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ ❖ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ❖ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ❖ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ❖ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ❖ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ❖ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ❖ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ ❖ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ❖ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ ❖ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ❖ عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ❖ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**) [القلم: ١٧ -٣٣].

هذا مثل ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة، وأعطاهم من النعمة الجسيمة، وهو بعثه محمد ﷺ إليهم. فقابلوه بالتكذيب، والرد والمحاربة. ولهذا قال تعالى:(**إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ**) أي اختبرناهم (**كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ**) وهي البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه (**إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ**) أي حلفوا فيما بينهم ليجذُنَّ ثمرها لئلا يعلم بهم فقير، ليتوفّر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء (**وَلا يَسْتَثْنُونَ**) أي فيما حلفوا به، ولهذا حنثهم الله في أيمانهم. فقال تعالى:(**فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ**) أي أصابتها آفة سماوية (**فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ**) أي كالهشيم. وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:" إياكم والمعاصي إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقاً قد كان هُيِّئَ له" ثم تلا رسول الله ﷺ:(**فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن**

رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ❁ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ) فحرموا خير جنتهم بذنبهم. **(فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ)** أي نادى بعضهم بعضاً ليقطعوا ثمرهم **(أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ)** أي تريدون القطع. قال مجاهد: كان حرثهم عنباً **(فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ)** أي بحيث لا يسمع كلامهم، وفسّر الله ما كان يتخافتون به فقال تعال:(**أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ)** أي لا تمكنوا اليوم فقيراً أن يدخلها عليكم. قال الله تعالى:(**وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ)** أي على قوّة وشدة وجد وغيظ. **(قَادِرِينَ)** أي عليها فيما يزعمون ويرومون (**فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ)** أي وصلوها وجدوا أنها استحالت مدلهمّة سوداء لا ينتفع بشيء منها وأدركوا خطأهم. ولهذا قالوا:**(إِنَّا لَضَالُّونَ)** أي تهنا عن طريقها ثم تيقنوا أنها هي، فقالوا:(**بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ)** لا حظ لنا فيها ولا نصيب **(قَالَ أَوْسَطُهُمْ)** أي أعدلهم وخيرهم **(أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ)** أي تقولون: إن شاء الله، وقيل: هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أنعم عليكم (قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) أي ندموا حيث لا ينفع الندم ولهذا قالوا:(**إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ)** **(فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ)** أي يلوم بعضهم بعضاً على ما فرطوا من جانب الفقراء واعترفوا بخطيئتهم **(قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ)** أي معتدين باغين فأصابنا ما أصابنا **(عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ)** قيل احتسبوا ثوابها في الآخرة وذكر بعض السلف أن هؤلاء من أهل اليمن من قرية اسمها (ضروان) على ستة أميال من صنعاء. وقيل كانوا من أهل الحبشة. فلما عزموا على فعلهم ومنع الفقراء عنها، عوقبوا بنقيض قصدهم فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية: رأس المال والربح والصدقة، فلم يبق لهم شيء قال الله تعالى:**(كَذَلِكَ الْعَذَابُ)** أي هكذا عذاب من خالف أمر الله و بخل ما آتاه الله وأنعم به عليه، ومنع حق المسكين والفقير وذوي الحاجات، وبدل نعمة الله كفراً. **(وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)** أي عذاب الآخرة أشق وقد ورد عن علي بن أبي طالب ﷺ أن رسول الله ﷺ:" نهى عن الجذاذ بالليل والحصاد بالليل".

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ❁ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ❁ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ❁ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ❁ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ❁ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ❁ سَلْهُم أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ ❁ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ)** [القلم: ٣٤ -٤١].

لما ذكر تعالى أهل الجنة الدنيوية التي أفناها الله بما خالفوا أمره، ناسب أن يبيّن أن لمن اتقاه وأطاعه جنات النعيم في الآخرة، لا تبيد ولا تفرغ، ولا ينقص نعيمها. ثم قال تعالى:(**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ**) أي أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء؟ كلا، ولهذا قال:(**مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**) أي كيف تظنون ذلك؟

ثم قال تعالى:(**لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ**) أي أفبأيديكم كتاب منزل من السماء يتضمن حكم ما تدَّعونه؟ (**أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ**) أي أَمَعكم عهود منا ومواثيق مؤكدة، وسيحصل لكم ما تريدون وتشتهون. (**سَلْهُم أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ**) أي من هو الكفيل بهذا؟ (**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء**) أي من الأصنام والأنداد (**فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ**).

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ * فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ * أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ**) [القلم: ٤٢ -٤٧].

لما ذكر تعالى أن للمتقين عند ربهم جنات النعيم، بيّن متى ذلك كائن وواقع فقال تعالى:(**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ**) يعني يوم القيامة وما يكون فيه من الزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام. وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله يقول:" يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً". ورواه غيره من طرق وقوله تعالى:(**خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ**) أي في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه. ولما دعوا إلى السجود في الدنيا، فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم، كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة. إذا تجلى الرب عز وجل فيسجد له المؤمنون ولا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد، كما كانوا في الدنيا، بخلاف ما عليه المؤمنون. ثم قال تعالى:(**فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ**) يعني القرآن. وهذا تهديد شديد. أي دعني وإياه أنا

أعلم به منه كيف أستدرجه وأمده في غيه، وأنظره ثم آخذه أخذ عزيز مقتدر. ولهذا قال سبحانه:(**سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ**) أي وهم لا يشعرون. بل يعتقدون أن ذلك كرامة من الله، وهو في حقيقة الأمر إهانة. كما قال تعالى:(**فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون**) ولهذا قال ها هنا (**وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ**) أي وأؤخرهم وأمدهم وذلك من كيدي ومكري بهم. ولهذا قال تعالى:(**إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ**) أي عظيم لمن خالف أمري وكذَّب رسلي واجترأ على معصيتي. وفي الصحيحين: عن رسول الله ﷺ أنه قال:" إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته" ثم قرأ:(**وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد**) وقوله تعالى:(**أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ * أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ**) أي إنك يا محمد تدعوهم إلى الله عز وجل بلا أجر تأخذه منهم، بل ترجو ثواب ذلك عند الله، وهم يكذبون بما جئتهم به، بمجرد الجهل والكفر والعناد.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ * لَوْلا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاء وَهُوَ مَذْمُومٌ * فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ * وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ**)

[القلم: ٤٨ -٥٢].

يقول تعالى:(**فَاصْبِرْ**) يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم، فإن الله سيحكم لك عليهم، ويجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة (**وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ**) يعني ذا النون وهو يونس بن متى عليه السلام، حين ذهب مغاضباً على قومه، فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر، والتقام الحوت له، وشرود الحوت به في البحار، وظلمات غمرات اليمّ، وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلي القدير الذي لا يردّ ما أنفذه من التقدير، حينئذ نادى في الظلمات:(**أن لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**) قال الله تعالى:(**فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين**) وقال تعالى:(**فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون**) وقال ههنا:(**إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ**) أي هو مغموم مكروب، وفي الحديث:" أنه لما قال:(**لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**) خرجت الكلمة تحنّ حول العرش فقالت الملائكة: يا ربّ هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال تبارك وتعالى: أما تعرفون هذا؟ قالوا: لا. قال: هذا يونس، قالوا يا رب

عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة؟ قال نعم. قالوا: أفلا ترحم ما كان يعمله في الرخاء فتنجيه من البلاء. فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء"، ولهذا قال تعالى:(**فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ**) وروى أحمد عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ:" لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى" ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة.

وقوله تعالى:(**وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ**) أي يحسدونك لبغضهم إياك لولا وقايته لك وحمايته إياك منهم. وفي هذه الآية: دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل كما وردت بذلك الأخبار والأحاديث المروية من طرق كثيرة.

روى أبو داود في سننه عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ:" لا رقية إلا من عين أو حمة أو دم لا يرقأ". روى ابن ماجه عن بريدة بن الحصيب قال: قال رسول ﷺ:" لا رقية إلا من عين أو حُمى" وقد أخرجه مسلم في صحيحه. وعن حابس التميمي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:" لا شيء في الهام، والعين حقٌّ، وأصدق الطيرة الفألُ" ورواه الترمذي وقال غريب. وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:" العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقت العين وإذا استغسلتم فاغسلوا". وعن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين يقول:" أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة، ويقول: هكذا كان إبراهيم عليه السلام يعوذ إسحاق وإسماعيل عليهما السلام".

وقوله تعالى:(**وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ**) أي يزدرونه بأعينهم -لعنهم الله - ويؤذونه بألسنتهم ويقولون إنه لمجنون، أي لمجيئه بالقرآن قال الله تعالى:(**وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ**).

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

....

سورة الحاقة [مكية وآياتها ثنتان وخمسون]

نزلت بعد سورة الملك

●قال تعالى:(**الْحَاقَّةُ ❖ مَا الْحَاقَّةُ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ❖ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ❖ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ❖ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ❖ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ❖ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ❖ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ❖ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ❖ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ❖ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**) [الحاقة: ١ -١٢].

الحاقة من أسماء يوم القيامة؛ لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد. ولهذا عظم الله أمرها فقال:(**وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ**) ثم ذكر تعالى إهلاكه الأمم المكذبين بها. فقال تعالى:(**فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ**) وهي الصيحة التي أسكتتهم، والزلزلة التي أسكنتهم. (**وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ**) أي باردة (**عَاتِيَةٍ**) شديدة الهبوب حتى نقبت أفئدتهم بغير رحمة (**سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ**) أي سلطها عليهم (**سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا**) أي كوامل متتابعات مشائيم عليهم. كقوله تعالى:(**في أيام نحسات**) ويقال إنها التي تسميها الناس (الأعجاز) في آخر الشتاء. وكأنهم أخذوا ذلك من قوله تعالى:(**فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ**) قال ابن عباس:(**خَاوِيَةٍ**) خربة أي جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخر ميتاً على أم رأسه، فينشدخ رأسه وتبقى جثته هامدة كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان. وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ قال:" نصرت بالصَّبا وأهلكت عاد بالدَّبور"، (**فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ**) أي هل تحِس منهم من أحد من بقاياهم أو ممن ينتسب إليهم، بل بادوا عن آخرهم، ولم يجعل الله لهم خلفاً. ثم قال تعالى:(**وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ**) أي ومن قَبْلَه من الأمم المشبهين له. وقوله تعالى:(**وَالْمُؤْتَفِكَاتُ**) وهم الأمم المكذبون بالرسل (**بِالْخَاطِئَةِ**) وهي التكذيب بما أنزل الله وقال مجاهد بالخطايا: ولهذا قال تعالى:(**فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ**) وهذا جنس. أي كلٌّ كذَّب رسول الله إليهم كما قال تعالى:(**إن كل إلا كذب الرسل فحق وعيد**) ومن كذب برسول فقد كذب بالجميع. كما قال تعالى:(**كذبت قوم نوح المرسلين**) (**كذبت عاد المرسلين**) (**كذبت ثمود المرسلين**) وإنما جاء إلى كل أمة رسول واحد. ولهذا قال:(**فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً**) أي عظيمة شديدة أليمة. ثم قال تعالى:(**إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء**) أي زاد على الحد بإذن الله بسبب دعوة نوح عليه السلام على قومه حين كذبوه وخالفوه فعبدوا غير الله، فاستجاب الله له وعم أهل الأرض بالطوفان، إلا من كان مع نوح في السفينة.

فالناس كلهم من سلالة نوح وذريته. (**حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ**) وهي السفينة الجارية على وجه الماء (**لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً**) أي وأبقينا لكم من جنسها. ما تركبون على تيار الماء في البحار. (**وَتَعِيَهَا أُذُنٌ**

وَاعِيَةٌ) أي وتفهم هذه النعمة وتذكرها أذن حافظة سامعة عقلت عن الله فانتفعت بما سمعت من كتاب الله.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ❖ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ❖ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ❖ وَانشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ❖ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ❖ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ)** [الحاقة: ١٣ –١٨].

يخبر تعالى عن أهوال يوم القيامة، وأول ذلك نفخة الفَزَع. ثم يعقبها نفخة الصَّعق، حين يصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله. ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور وهي هذه النفخة، وقد أكدها هنا بأنها واحدة لأن أمر الله لا يخالف ولا يمانع ولا يحتاج إلى تكرار ولا تأكيد. وقال الربيع هي النفخة الأخيرة والظاهر ما قلناه ولهذا قال ههنا:(**وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً)** أي فمدّت مدّ الأديم وتبدلت الأرض غير الأرض **(فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ)** أي قامت القيامة **(وَانشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ)** كقوله تعالى:(**وفتحت السماء فكانت أبواباً)**. **(وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا)** الملك اسم جنس أي الملائكة على أرجاء السماء أي أطرافها وقوله تعالى:(**وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ)** ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش العظيم أو العرش الذي يوضع في الأرض يوم القيامة لفصل القضاء، والله أعلم. وروى ابن أبي حاتم بسنده إلى جابر قال: قال رسول الله ﷺ:" أذن لي أن أحدثكم عن ملك من حملة العرش بُعد ما بين شحمة أذنه وعنقه مخفق الطير سبعمائة عام" وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات وقد رواه أبو داود في كتاب السنَّة من سننه. وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، في ذكر حملة العرش أنّهم ثمانية أو عالٍ. وعن سعيد بن جبير أنها ثمانية صفوف من الملائكة وكذا عن ابن عباس. وقوله تعالى:(**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ)**، أي تعرضون على عالم السر والنجوى الذي لا يخفى عليه شيء من أموركم، بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر، ولهذا قال تعالى:(**لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ)**. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:" حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وازنوا أنفسكم قبل أن توزّنوا، فإنه أخف عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتزينوا للعرض الأكبر **(يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ)**. وروى الإمام أحمد بسنده إلى أبي موسى قال: قال ﷺ:" يعرض الناس يوم القيامة

ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله".

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى: (**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ ❖ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ❖ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ❖ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ❖ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ❖ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**) [الحاقة: ١٩ -٢٤].

يخبر تعالى عن سعادة من يؤتى كتابه يوم القيامة بيمينه وفرحه بذلك، وأنه من شدة فرحه يقول لمن لقيه (**هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ**) أي خذوا اقرؤوا كتابيه لأنه يعلم أن فيه خيراً وحسنات محضةً، لأنه ممَّن بدل الله سيئاته حسنات ومعنى هاؤم، أي هاكم.

وفي الصحيح حديث ابن عمر حين سئل عن النجوى فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" يدني الله العبد يوم القيامة فيقرره بذنوبه كلها حتى إذا رأى أنه قد هلك قال الله تعالى: إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه. وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين"، وقوله تعالى:(**إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ**) أي قد كنت موقناً في الدنيا أن هذا كائن لا محالة. كما قال تعالى:(**الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم**) وقال الله تعالى:(**فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ**) أي مرضية (**فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ**) أي رفيعة قصورها، حسان حولها، نعيمة دورها، دائم حبورُها.

وعن أبي حاتم بسنده إلى أبي أمامة قال:" سأل رجل رسول الله ﷺ هل يتزاور أهل لجنة؟ قال: نعم، إنه ليهبط أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى، فيحيونهم ويسلمون عليهم، ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون إلى العليا تقصر بهم أعمالهم"، وقد ثبت في الصحيح:" أن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض"، وقوله تعالى:(**قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ**) قال البراء بن عازب: أي قريبة يتناولها أحدهم وهو نائم على سريره، وكذا قال غير واحد.

وروى الضياء بسنده إلى سلمان عن رسول الله ﷺ قال:" يعطى المؤمن جوازاً على الصراط: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية". وقوله تعالى:(**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**) أي يقال لهم ذلك تفضلاً عليهم

وامتناناً وإنعاماً وإحساناً. وإلا فقد ثبت في الصحيح: عن رسول الله ﷺ أنه قال:" اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا أن أحداً منكم لن يدخله عمله الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل".

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ❖ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ❖ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ❖ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ❖ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ❖ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ❖ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ❖ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ❖ إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ❖ وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ❖ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ ❖ وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ❖ لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِؤُونَ**) [الحاقة: ٢٥ –٣٧].

وهذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أعطي أحدُهم كتابه في العرصات بشماله، فحينئذ يندم غاية الندم (**فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ❖ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ❖ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ**) قال الضحاك: أي موتة لا حياة بعدها (**مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ❖ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ**) أي لم يدفع عني لا مالي ولا جاهي، العذاب عذاب الله وبأسه بل خلص الأمر إلي وحدي فلا معين ولا مجير. فعندها يقول الله عز وجل:(**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ❖ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ**) أي يأمر الزبانية أن تأخذه عنفاً من المحشر فتغله، أي تضع الأغلال في عنقه ثم توردِه إلى جهم فتغمره فيها. وقوله تعالى:(**ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ**) قال كعب الأحبار: كل حلقة منها قدر حديد الدنيا. قال ابن عباس (فَاسْلُكُوهُ) تدخل في إسته ثم تخرج من فيه، ثم ينظمون كما ينظم الجراد في العود حين يشوى.

وقوله تعالى:(**إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ❖ وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**) أي لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته ولا ينفع خلقَه، ويؤدي حقهم، فإن لله على العباد أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئاً، وللعباد بعضهم على بعضهم حق الإحسان، والمعاونة على البر والتقوى. ولهذا أمر الله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة. وقُبض النبي ﷺ وهو يقول:" الصلاة، وما ملكت أيمانكم"، وقوله تعالى:(**فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ❖ وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ❖ لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِؤُونَ**) أي ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله تعالى لا حميم وهو القريب، ولا شفيع يطاع، ولا طعام له ههنا إلا من غسلين، وهو صديد أهل النار.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ**) [الحاقة: ٣٨ -٤٣].

يقول تعالى مقسماً لخلقه بما يشاهدونه من آياته في مخلوقاته الدالة على كماله في أسمائه وصفاته، وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من المغيبات عنهم: إن القرآن كلامُه ووحيُه وتنزيله على عبده ورسوله الذي اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة. فقال تعالى:(**فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ**) يعني محمداً ﷺ أضافه إليه على معنى التبليغ، لأن الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل. (**وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ**).

روى الإمام أحمد بسنده إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:" خرجت أتعرَّضُ رسول الله ﷺ قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقَني إلى المسجد، فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن قال: فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال: فقرأ:(**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلا مَا تُؤْمِنُونَ**) قال: فقلت: كاهن، قال: فقرأ:(**وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ**) إلى آخر السورة، قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع".

فهذه من جملة الأسباب التي جعلها الله تعالى مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما أوردنا كيفية إسلامه في سيرته المفردة.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ * وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ * وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ * وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ**) [الحاقة: ٤٤ -٥٢].

يقول تعالى: (**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا**) أي محمد ﷺ لو كان كما يزعمون مفترياً علينا فزاد في الرسالة أو أنقص منها، أو قال شيئاً من عنده فنسبه إلينا وليس كذلك لعاجلناه بالعقوبة. ولهذا قال تعالى: (**لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ**) لانتقمنا منه باليمين لأنها أشد في البطش (**ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ**) وهو نياط القلب، أي العِرق المعلق فيه القلب وقوله تعالى: (**فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ**) أي فما يستطيع أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه، والمعنى: بل هو صادق بار راشد؛ لأن الله عز وجل مقرر له ما يبلغه عنه ومؤيد له بالمعجزات الباهرات. ثم قال تعالى: (**وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ**) يعني القرآن كما قال تعالى: (**قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى**) ثم قال: (**وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ**) أي مع هذا البيان والوضوح سيوجد منكم من يكذب بالقرآن ثم قال تعالى: (**وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ**) أي إن القرآن والإيمان به لحسرة في نفس الأمر على الكافرين (وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ) أي أنه الخبر الصدق الحق الذي لا شك فيه، ثم قال: (**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ**) أي الذي أنزل هذا القرآن العظيم.

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

سورة المعارج [مكية وآياتها أربع وأربعون]

نزلت بعد سورة الحاقة

●قال تعالى: (**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۞ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۞ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۞ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۞ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلا ۞ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۞ وَنَرَاهُ قَرِيبًا**) [المعارج: ١ -٧].

(**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**) تقديره استعجل سائل بعذاب واقع، كقوله تعالى: (**ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده**) أي عذابه واقع لا محالة وهو سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع بهم. وقوله تعالى: (**وَاقِعٍ ۞ لِّلْكَافِرِينَ**) أي مرصد معدٌّ الكافرين (**لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ**) أي لا دافع له إذا أراد الله كونه. ولهذا قال تعالى: (**مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ**) أي العلو والدرجات، وقال مجاهد: معارج السماء، وقوله تعالى: (**تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ**) قال قتادة: تعرج تصعد (**وَالرُّوحُ**) يحتمل أن يكون المراد به جبريل ويكون من باب عطف الخاص على العام. وقوله تعالى: (**فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**) قيل أنها المسافة ما بين سابع سماء إلى سابع أرض، فقد روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قال: منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات خمسين ألف عام وقيل: إن المراد بذلك يوم القيامة. وذلك مروي عن ابن عباس في قوله تعالى: (**تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**) قال هو يوم القيامة، وإسناده صحيح.

وقد وردت أحاديث في معنى ذلك، ومنها:

ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" من كانت له إبل لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها، قلنا: يا رسول الله ما نجدتها ورسلها؟ قال:" في عسرها ويسرها، فإنها تأتي يوم القيامة كأغذِّ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره حتى يبطح لها بقاع قرقر، فتطؤه بأخفافها فإذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله"، ثم ذكر البقر والغنم إذا لم يعطَ حقّها تطأه كلُّ ذات ظلف. وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح يحمى عليها في نار جهنم فتكوى به جبهته وجنبه وظهره حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدّون. ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار"، -وذكر بقية الحديث في الغنم والإبل - وفيه:" الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر...".

ورواه مسلم في صحيحه بتمامه منفرداً دون البخاريّ من حديث سهيل عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ، والغرض من إيراده ههنا قوله ﷺ:" حتى يحكمَ الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة". أي تأييداً لمن قال: أنه يوم القيامة.

وقوله تعالى:(**فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلا**) أي اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك، واستعجالهم العذاب استبعاداً لوقوعه. كقوله:(**يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق**) ولهذا قال:(**إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا**) أي وقوع العذاب، وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع بمعنى مستحيل الوقوع (**وَنَرَاهُ قَرِيبًا**) أي يعتقده المؤمنون قريباً وإن كان أمده لا يعلمه إلا الله، إنما هو قريب واقع لا محالة.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ❖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ❖ وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ❖ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ❖ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ❖ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ❖ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ❖ كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى ❖ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى ❖ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ❖ وَجَمَعَ فَأَوْعَى**) [المعارج: ٨ –١٨].

يقول تعالى العذاب واقع بالكافرين:(**يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ**) أي كدرد الزيت (**وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ**) أي كالصوف المنفوش. وقوله تعالى:(**وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ❖ يُبَصَّرُونَهُمْ**) أي لا يسأل القريب قريبه عن حاله وهو يراه في أسوأ الأحوال فتشغله نفسه عن غيره، ويفر بعضهم من بعض. كقوله تعالى:(**يوم يفر المرء من أخيه ❖ وأمه وأبيه ❖ وصاحبته وبنيه ❖ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه**) وقوله تعالى:(**يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ❖ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ❖ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ❖ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ**) أي لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض وملئها ذهباً، أو من ولده وماله يود إذا رأى أهوال القيامة أن يفتدي نفسه ولا يقبل منه. (**وَفَصِيلَتِهِ**) قبيلته وعشيرته وقوله تعالى:(**كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى**) شدة حر النار (**نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى**) أي تنزع جلدة الرأس وما دون العظم من اللحم وأطراف اليدين والرجلين ومكارم الوجه وتبري اللحم والجلد عن العظم. اللهمَّ نعوذ بمعافاتك من عقوبتك.

وقوله تعالى:(**تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ❖ وَجَمَعَ فَأَوْعَى**) أي تدعو النارُ من عمل لها في الدنيا يوم القيامة بلسان طلق ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب، وذلك أنهم كما قال تعالى كانوا ممن أدبر وتولى، أي كذب بقلبه وترك العمل بجوارحه (**وَجَمَعَ فَأَوْعَى**) أي جمع

المال وربط عليه ومنع حق الله منه في الزكاة والصدقات و قد ورد الحديث:" ولا توعي فيوعي الله عليك"، وكان عبدالله بن عكيم لا يربط له كيساً ويقول: سمعت الله يقول:(**وَجَمَعَ فَأَوْعَى**).

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ❖ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ❖ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ❖ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ ❖ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ❖ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ❖ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ❖ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ❖ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ❖ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ❖ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ❖ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ❖ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ❖ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ❖ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ❖ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ❖ أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ**) [المعارج: ١٩ –٣٥].

يخبر تعالى عن الإنسان وما هو مجبولٌ عليه من الأخلاق الدنيئة (**إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا**) ثم فسره بقوله:(**إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا**) أن ينخلع قلبه من شدة الرعب وأيسَ من الخير، (**وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا**) إذا غني بخل ومنع حق الله الذي لعباده. وروى أحمد عن أبي هريرة ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ:" شر ما في رجل شح هالع وجبن خالع" ورواه أبو داود، ثم قال تعالى:(**إِلاَّ الْمُصَلِّينَ ❖ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ**) أي الذين يحافظون على أوقاتها وواجباتها والسكون والخشوع فيها، ومنه الماء الدائم الساكن الراكد. وهذا يدل على وجوب الطمأنينة في الصلاة؛ فالذي لا يطمئن في ركوعه وسجوده واعتداله وجلوسه فليس بدائم على صلاته. وقوله تعالى:(**وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ❖ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**) أي في أموالهم نصيبٌ مقر لذوي الحاجات. (**وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ**) أي يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب. ولهذا قال تعالى:(**وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ**) أي خائفون وجلون (**إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ**) أي لا يأمنه إلاّ الذين نفذوا أمر الله. وقوله تعالى:(**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ**) أي يكفونها عن الحرام (**إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ**) أي من الإماء (**فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ❖ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**) وقد تقدم تفسير هذا في أول سورة (**قد أفلح المؤمنون**) وقوله تعالى:(**وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**) أي إذا أتمنوا لم يخونوا، وإذا عاهدوا لم يغدروا، وهذه صفات المؤمنين وضدّها صفات المنافقين. كما ورد في الحديث الصحيح:" آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب،

وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان". وفي رواية:" إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"، وقوله تعالى:(**وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ**) أي: محافظون عليها لا يزيدون فيها ولا ينقصون منها ولا يكتمونها (**ومن يكتمها فإنه آثم قلبه**) ثم قال تعالى:(**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**) أي على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها، فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها؛ فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها (**أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ**) بأنواع الملاذ والمسار.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ❖ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ❖ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ❖ كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ❖ فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ❖ عَلَى أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ❖ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ❖ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ❖ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ**) [المعارج: ٣٦ -٤٤].

ينكر الله على الكفار الذين تفرقوا عن رسول الله ﷺ فرقاً فرقاً مع أنهم كانوا في زمانه وشاهدوه وما أيدهُ الله بالمعجزات الباهرات. فيقول الله:(**فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ**) أي: نافرين منك منطلقين بسرعة (**عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ**) معرضين متفرقين يميناً وشمالاً يقولون: ما قال هذا الرجل...؟ وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم حِلَقٌ فقال:" مالي أراكم عزين"، أي: متفرّقين حلقاً حلقاً. رواه أحمد ومسلم وأبو داود وغيرهم.

وقوله تعالى:(**أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ❖ كَلاَّ**) أي أيطمع هؤلاء، والحالة هذه من فِرارهم عن رسول الله ﷺ، ونفارهم عن الحق إن يدخلوا جنات النعيم؟! كلا بل مأواهم جهنم. ثم قال تعالى مقرراً وقوع المعاد والعذاب بهم الذي أنكروه واستبعدوا وجوده، مستدلاً عليهم بالبداءة التي الإعادة أهون منها، وهم معترفون بها. فقال تعالى:(**إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ**) أي من المني الضعيف كما قال تعالى:(**ألم نخلقكم من ماء مهين**) ثم قال:(**فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ**) أي بخالق السمواتِ والأرض، والنجوم التي تبدو من مشارقها وتغيب عن مغاربها، وتقرير الكلام أن البعث والنشور والحساب كل ذلك واقع لا محالة ولا يمنعه إنكاركم، ولهذا أتى: بـ(لا) في ابتداء القسم ليدل على أن المقسم عليه نفي أي: لا ... ليس الأمر كما تزعمون:(**أُقْسِمُ**) وقد شاهدوا من عظيم قدرة الله تعالى ما هو أبلغ من إقامة القيامة، ولهذا قال:(**لخلق السموات والأرض أكبر من**

خلق الناس ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون). وقال تعالى:(**أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ❖ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)**. وقال ههنا:(**لَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ❖ عَلَى أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ)** أي يوم القيامة نعيدهم بأبدان خير من هذه (**وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ)** أي بعاجزين. كما قال تعالى:(**أيحسب الإنسان أن لن يجمع عظامه ❖ بلى قادرين على ان نُسوي بانه)** ثم قال تعالى:(**فَذَرْهُمْ)** أي يا محمد (**يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا)** أي دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم (**حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ)** أي فسيعلمون نتائج ذلك ويذوقون الوبال (**يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ)** أي يقومون من القبور إذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب، ينهضون سراعاً كأنهم إلى أصنامهم يسرعون، أي كأنهم في إسراعهم إلى الموقف كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى أصنامهم يبتدرون أيهم يستلمه أول. وهذا مروي عن مجاهد وغيره. وقوله تعالى:(**خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ)** أي خاضعة (**تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ)** في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة (**ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ)**.

الفوائد:

....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....

سورة نوح [مكية وآياتها ثمانٍ وعشرون]

نزلت بعد سورة النحل

●قال تعالى:(**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ◆ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ◆ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ◆ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**) [نوح: ١ -٤].

يخبر تعالى عن نوح عليه السلام أنه أرسله إلى قومه، آمراً له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم؛ فإن تابوا وأنابوا رفع عنهم، ولهذا قال تعالى:(**أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ◆ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ**) أي بين النذارة ظاهرٌ واضح (**أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ**) أي اتركوا محارمه (**وَأَطِيعُونِ**) فيما آمركم وأنهاكم (**يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ**) أي إذا فعلتم ما آمركم به وصدقتم رسالتي التي أرسلت بها إليكم، غفر لكم ذنوبكم (**وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى**) أي يمد في أعماركم ويدرأ عنكم العذاب، وقوله تعالى:(**إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**) أي بادروا بالطاعة قبل حلول النقمة الذي لا رادَّ له ولا مانع؛ لأن الله هو العظيم قاهر كلّ شيء، والعزيز الذي تدين له المخلوقات.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ◆ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ◆ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ◆ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ◆ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ◆ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ◆ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ◆ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ◆ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ◆ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ◆ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ◆ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ◆ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ◆ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ◆ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ◆ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا**) [نوح: ٥ -٢٠].

يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام أنه اشتكى إلى ربه عز وجل ما لقي من قومه وما صبر عليهم في تلك المدة الطويلة التي هي ألف سنة إلا خمسين عاماً، وما بين لقومه ووضح لهم، ودعاهم إلى الرشد والسبيل الأقوم فقال:(**رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلا وَنَهَارًا**) أي: لم أترك دعاءهم في ليل أو نهار، امتثالا لأمرك وابتغاء لطاعتك (**فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا**) أي كلما دعوتهم ليقتربوا من الحق فروا منه (**وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ**) أي سدوا آذانهم لئلا يسمعوا ما أدعوهم إليه، كما أخبر تعالى: عن كفار قريش:(**وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون**) (**وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ**) أي غطوا رؤوسهم بها لئلا يسمعوا ما يقول (**وَأَصَرُّوا**) أي استمروا على شركهم (**وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا**) أي استنكفوا عن الانقياد للحق (**ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا**) أي جهرة (**ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ**) أي بصوت عال (**وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا**) أي فيما بينهم وبيني فنوعت عليهم الدعوة لتكون أنجح فيهم.

(**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا**) أي توبوا من الشرك ووحدوه تعالى، فمن تاب تاب الله عليه مهما عظمت آثامه (**يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا**) أي متواصلة الأمطار ولهذا تستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء، وهكذا روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه صعد المنبر ليستسقي فلم يزد على الاستغفار وقراءة الآيات في الاستغفار، ومنها هذه الآية (**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا**) ثم قال: لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر. وقوله تعالى:(**وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا**) هذا وقام الترغيب إذا أتيتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه مدّكم بالمال والبنين وأنبت لكم الزرع، وأدرّ لكم الضرع، ورزقكم الأنهار والجنات. ثم عدل إلى الرهيب فقال:(**مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**) أي عظمة ولا تخافون نقمة (**وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا**) أي تطوّر بكم في خلقكم من نطفة إلى علقة، إلى مضغة، وقوله تعالى:(**أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا**) أي واحدة فوق واحدة (**وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا**) أي فاوت بينهما في الاستنارة فجعل كلا منهما على حدة، فعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها، وقدر القمر منازل وبروجاً وفاوت نوره فتارة يزداد حتى يتناهى ثم يشرع في النقص حتى يستسر ليدل على مضي الشهور والأعوام، كما قال تعالى:(**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ**) وقوله تعالى:(**وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا**) أي هو الذي خلقكم منها ثم يعيدكم فيها حين موتكم ثم يخرجكم حين البعث والنشور، كما بدأكم أول مرة (**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا**) أي بسطها ومهّدها وقرّرها وثبتها بالحبال الراسيات (**لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلا**

فِجَاجًا) أي خلقها لكم لتستقرّوا عليها وتسلكوا فيها أن شئتم من نواحيها. وكل هذا مما ينبههم به نوح عليه السلام على قدرة الله وعظمته في خلق السموات والأرض، ونعمه عليهم، فهو الذي يجب أن يعبد ويوحد ولا يشرك به أحد، لأنه لا ندّ له ولا كفء ولا صاحبة ولا ولد ولا وزير أو مشير، بل هو العليّ الكبير سبحانه وتعالى.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا ❖ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ❖ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ❖ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالا)** [نوح: ٢١ -٢٤].

يخبر تعالى عن نوح عليه السلام أنه أنهى إليه، وهو العليم الذي لا يعزب عنه شيء، إنه مع البيان المتقدم ذكره والدعوة المتنوعة ترغيباً وترهيباً، عصوه وكذبوه، واتبعوا الذين غفلوا عن أمر الله ومتعوا بمال وولد، وما ذلك إلا استدراجٌ وإنظارٌ لا إكرام. ولهذا قال:**(وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا)**. وقوله تعالى:**(وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا)** أي باتباعهم لأولئك، لأنهم سوّلوا لهم أنهم على الحق والهدى، كما يقولون لهم يوم القيامة:(**بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا)** ولذا قال ههنا:**(وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ❖ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا)** وهذه أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله. روى البخاري بسنده عن ابن عباس:" صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد: أما ودّ فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي كلاع. وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت". وقوله تعالى:**(وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا)** يعني الأصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقاً كثيراً، فإنه استمرت عبادتها في القرون إلى زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم، وقد قال الخليل ﷺ في دعائه:**(واجنبي وبني أن نعبد الأصنام، رب إنهن أضلن كثيراً من الناس)** وقوله تعالى:**(وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالا)** دعاء منه على قومه لتمرّدهم وكفرهم و عنادهم كما دعا موسى على فرعون

ومثله في قوله:(**ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم**) وقد استجاب الله لكل من النبيين في قومه وأغرق أمته بتكذيبهم لما جاءهم به.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ❖ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ❖ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا ❖ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا**)

[نوح: ٢٥ –٢٨].

يقول تعالى:(**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا**) أي من إصرارهم على الكفر ومخالفة رسولهم (**أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا**) أي نقلوا من تيار البحار إلى حرارة النار (**فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا**) أي لم يكن لهم مجير من عذاب الله، كقوله تعالى:(**لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم**) أي رحمه الله (**وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا**) أي لا تترك على وجه الأرض منهم أحداً، ولا دياراً يسكن داراً. فاستجاب الله له فأهلك من على وجه الأرض حتى ولد نوح لصلبه الذي اعتزل عن أبيه، وقال:(**سآوي إلى جبل يعصمني من الماء، قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين**) ونجى الله أصحاب السفينة الذين آمنوا مع نوح عليه السلام وهم الذين أمره الله أن يحملهم معه، وقوله تعالى:(**إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ**) أي إنك إن أبقيت منهم أحداً أضلوا عبادك بعدهم (**وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا**) أي فاجر العمل كافر القلب، وذلك لخبرته بهم، ومكثه بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاما، ثم قال:(**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا**) أي من دخل بيته مؤمناً، روى الإمام أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول:" لا تصحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي" ورواه أبو داود والترمذي. وقوله تعالى:(**وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا**) هذا دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات وذلك يعم الأحياء منهم والأموات، أما الظالمون فلا تزدهم إلا خساراً في الدنيا والآخرة.

الفوائد:

....

....

....

سورة الجن [مكية وآياتها ثمانٍ وعشرون]

نزلت بعد سورة الأعراف

●قال تعالى:(**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۞ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۞ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا ۞ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۞ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۞ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۞ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا**) [الجن: ١ -٧].

يقول تعالى آمراً رسول الله ﷺ أن يخبر قومه أنّ الجن استمعوا القرآن، فآمنوا به وصدقوه وانقادوا له، فقال تعالى:(**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۞ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ**) أي إلى السداد والنجاح (**فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا**) وهذا المقام شبيه بقوله تعالى:(**وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن**) وقد قدمنا الأحاديث الواردة في ذلك بما أغنى عن إعادته ههنا.

وقوله تعالى:(**وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا**) عن ابن عباس رضي الله عنه:"جد الله: آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه" قوله تعالى:(**رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا**) أي تعالى عن اتخاذ الصاحبة والأولاد، أي قالت الجن: تنزه الربّ جلّ جلاله حين أسلموا وآمنوا بالقرآن من اتخاذ الصاحبة والولد، ثم قالوا:(**وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا**) سفيهنا: يعنون إبليس. وشططاً: أي ظلماً كبيراً وباطلا وزوراً. ولذا قالوا:(**وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**) أي: ما حسبنا أن الإنس والجن يتمالؤون على الكذب على الله تعالى في نسبة الصاحبة والولد إليه، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله في ذلك، وقوله تعالى:(**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا**) أي كنا نرى أن لنا فضلًا على الإنس، لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا وادياً أو مكاناً موحشاً من البراري وغيرها، كما كانت عادة العرب في جاهليتها، يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجن، أن يصيبهم بشيء يسوؤهم. ولما رأت الجن أن الإنس يخافون منهم، فازدادوا جرأة عليهم، وزادوهم أذى وخوفاً. وقوله تعالى:(**وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا**) أي لن يبعث الله بعد هذه المدّة رسولًا.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ❁ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ❁ وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا**) [الجن: ٨ –١٠].

يخبر تعالى عن الجن حين بعث رسوله محمداً ﷺ وأنزل عليه القرآن، وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرساً شديداً وحفظت من سائر أرجائها وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك؛ لئلا يسترقوا شيئاً من القرآن، فيلقوه على ألسنة الكهنة فيلتبس الأمر ويختلط ولا يُدرى من الصادق، وهذا من لطف الله تعالى بخلقه، ورحمته بعباده وحفظه لكتابه العزيز، ولهذا قالت الجن:(**وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ❁ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا**) أي من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهاباً يمحقه ويهلكه (**وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا**) أي لا ندري أشر أريد بأهل الأرض أم رشد، وهذا من أدبهم في العبارة حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل والخير أضافوه إلى الله عز وجل.

وقد ورد في الصحيح:" والشر ليس إليك"، وقد كانت الكواكب يُرمى بها قبل ذلك، ولكن ليس بكثير بل في الأحيان بعد الأحيان؛ كما في حديث العباس رضي الله عنه: بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ رمي بنجم فاستنار فقال:" ما كنتم تقولون في هذا؟ فقلنا: كنا نقول: يولد عظيم، يموت عظيم. فقال:" ليس كذلك، ولكن الله إذا قضى الأمر في السماء..." وذكر تمام الحديث، وهذا هو السبب الذي حمل الجنّ على تطلب السبب في ذلك فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها فوجدوا رسول الله ﷺ يقرأ بأصحابه في الصلاة، فعرفوا أن هذا الذي حُفظت من أجله السماء فآمن من آمن منهم وتمرد في طغيانه من بقي كما تقدم حديث ابن عباس في ذلك عند قوله في سورة الأحقاف(وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن). وقد فزعت الشياطين في ليلة تكاثر فيها رمي الشهب، فأتوا إبليس فحدثوه بالذي كان من أمرهم، فقال: ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها، فأتوه فشم، فقال: صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا مكة فوجدوا نبيّ

الله ﷺ قائماً يصلي في المسجد الحرام يقرأ القرآن، فدنوا منه حرصاً على القرآن ثم أسلموا فأنزل الله تعالى أمرهم على رسول الله ﷺ (من كتاب السيرة).

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى: (**وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ❖ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ❖ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ❖ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ❖ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ❖ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ❖ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا**) [الجن: ١١ -١٧].

يخبر تعالى عن الجن أنهم قالوا: (**وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا**) متفرقة، وقوله تعالى: (**وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا**) أي نعلم أن قدرة الله حاكمة علينا لا نستطيع ولا غيرنا أن يعجزه (**أَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ**) يفخرون بذلك وإنه لفخرٌ وشرفٌ وصفةٌ حسنةٌ. وقولهم: (**فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا**) أي لا يخاف أن ينقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته. كما قال تعالى: (**فلا يخاف ظلماً ولا هضماً**) (**وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ**) أي منّا المسلم ومنا الجائر عن الحق بخلاف المقسط فإنه العادل (**فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا**) أي طلبوا لأنفسهم النجاة (**وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا**) أي وقود تسعر بهم. وقوله تعالى(**وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ❖ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ**) أي لو سلكوا طريق الإسلام واستقاموا (**لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا**) أي لوسعنا عليهم رزقهم؛ كقوله تعالى:(**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض**) وعلى هذا يكون معنى قوله:(**لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ**) أي لنختبرهم؛ كما قال مالك عن زيد بن أسلم: لنبتليهم من يستمر على الهداية ممن يرتد إلى الغواية. وقوله تعالى:(**وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا**) أي عذاباً مشقاً شديداً موجعاً مؤلماً لا راحة معه.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ❖ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ❖ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ❖ قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا ❖ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ❖ إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ❖ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا**) [الجن: ١٨ -٢٤].

يأمر الله عباده أن يوحُدوه في محال عبادته ولا يدعى معه أحد ولا يشرك به، كما قال قتادة في قوله تعالى:(**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**) قال: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يوحُدوه وحده. وعن عكرمة: نزلت في المساجد كلّها. وقال سعيد بن جبير نزلت في أعضاء السجود، أي هي لله، فلا تسجدوا بها لغيره، وفي الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ:" أمرت أن أسجدَ على سبعة أعظم على الجبهة -أشار بيده إلى أنفه - واليدين والركبتين وأطراف القدمين".

وقوله تعالى:(**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا**) قال قتادة في تفسير هذه الآية: تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه، فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه ويظهره على من ناوأه، وقيل في ذلك ولكن هذا هو الأظهر لقوله بعده:(**قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا**) أي قال لهم الرسول لما آذوه وخالفوه وكذبوه و تظاهروا عليه ليبطلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عدواته (**إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي**) أي: إنما أعبد ربي وحده لا شريك له، وأستجير به وأتوكل عليه (**وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا**) وقوله تعالى:(**قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا**) أي إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي، وعبد من عباد الله ليس لي من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم؛ بل المرجع في ذلك كله إلى الله عز وجل، وأنه لا يجيرني من الله أحد لو عصيته فإنه لا يقدر أحد على إنقاذي من عذابه (**وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا**) أي لا نصير ولا ملجأ، وفي رواية: لا وليّ ولا موئل.

وقوله تعالى:(**إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ**) أي لا يجيرني منه ويخلصني إلا إبلاغي الرسالة التي أوجب أداءها علي، وقوله تعالى:(**وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**) أي أنا أبلغكم رسالة الله فمن يعص بعد ذلك فله جزاء على ذلك نار جهنم، خالدين فيها أبداً، أي: لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها.

وقوله تعالى:(**حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا**) أي حتى إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والإنس ما يوعدون يوم القيامة، فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصراً وأقل

عددا، هم أم المؤمنون الموحدون لله تعالى، أي بل المشركون لا ناصر لهم بالكلية وهم أقل عدداً من جنود الله عز وجل.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ❖ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ❖ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ❖ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا**) [الجن: ٢٥ –٢٨].

أمر الله رسوله ﷺ أن يبلغ الناس أنه لا علم له بوقت الساعة ولا يدري أقريب وقتها أم بعيد (**قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا**) أي مدةً طويلةً. وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذي يتداوله كثير من الجهلة من أنه عليه الصلاة والسلام قال:" لا يؤلف تحت الأرض" كذب لا أصل له ولم نره في شيء من الكتب، ولما سأله جبريل عليه السلام –فيما سأله –:" يا محمد فأخبرني عن الساعة. قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل".

وقوله تعالى:(**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ❖ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ**) هذه كقوله تعالى:(**ولا يحيطون بشيء من علمه إلاّ بما شاء**) وهكذا قال ههنا أنه يعلم الغيب والشهادة وأنه لا يَطلع أحد من خلقه على شيء من علمه إلا مما أطلعه تعالى عليه، ولهذا قال:(**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ❖ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ**) وهذا يعم الرسول الملكيّ والبشريّ ثم قال:(**فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا**) أي: يخصه بمزيد معقباتٍ من الملائكة يحفظونه من أمر الله ويساوقونه (**يجاورونه ويسايرونه**) على ما معه من وحي الله، ولهذا قال:(**لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا**) وقد اختلف المفسرون في الضمير الذي في قوله:(**لِيَعْلَمَ**) إلى من يعود؟ قيل أنه عائد إلى النبي ﷺ بمعنى: ليعلم نبيّ الله أن الرسل قد بلّغت عن الله، وأن الملائكة حفظتها ودافعت عنها، وقيل: عن ابن عباس قال: هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي ﷺ من الشيطان حتى يتبيَّن الذين أرسل إليهم، وذلك حين يقول ليعلم أهل الشرك أن قد أبلغوا رسالات ربهم. ويحتمل أن يكون الضمير عائداً إلى الله عز وجل وهو قول حكاه ابن الجوزي في (زاد المسير)، ويكون المعنى في ذلك أنه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته ويحفظ ما ينزله إليهم من الوحي ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم، ويكون ذلك كقوله تعالى:(**وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين**) ولا شك أن الله يعلم الأشياء قبل وقوعها (**وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا**).

الفوائد:

....

....

....

....

....

سورة المزمل [مكية وآياتها عشرون]

إلا الآية ١٠و١١و٢٠ فمدنية نزلت بعد سورة القلم

● قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ❖ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلا ❖ نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا ❖ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلا ❖ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلا ❖ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلا ❖ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلا ❖ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلا**) [المزمل: ١ –٩].

يأمر تعالى رسوله أن يترك التزمُّل، وينهضَ إلى القيام لربه عز وجل فكان عليه الصلاة والسلام ممتثلاً أمره تعالى، وبين له ها هنا مقدار ما يقوم به، فقال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ**) أيها النائم المزمل (**قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلا ❖ نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ**) أي أمرناك أن تقوم نصف الليل بزيادة قليلة، أو نقصان قليل لا حرج عليك في ذلك (**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا**) أي اقرأه على تمهل؛ فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره، وكذلك كان يقرأ ﷺ.

وفي صحيح البخاري عن أنس:" أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: كانت مداً ثم قرأ (**بسم الله الرحمن الرحيم**) يمد (**بسم الله**) ويمد (**الرحمن**) ويمد (**الرحيم**)". وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت:" كان يقطّع قراءته آية آية: (**بسم الله الرحمن الرحيم ❖ الحمد لله رب العالمين ❖ الرحمن الرحيم ❖ مالك يوم الدين**)" رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

وفي الحديث:" زينوا القرآن بأصواتكم" و" ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن" و" لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود" يعني أبا موسى الأشعري. وقوله تعالى: (**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلا**) أي ثقيل وقت نزوله من عظمته، كما قال زيد بن ثابت ﷺ:" أنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي فكادت ترضُّ فخذي".

وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها: إن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟ فقال:" أحياناً يأتي في مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلًا فيكلمني فأعي ما يقول" قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي ﷺ في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصَّد عرقاً. هذا لفظه، وقوله تعالى:(**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلا**) يقال نَشَأَ إذا قام من الليل، والغرض أنَّ ناشئة الليل هي ساعاته وأوقاته وكل ساعة منها تسمى ناشئة، وهي الآنات. والمقصود: أن قيام الليل هو أشد مواطأةً بين القلب واللسان وأجمع على التلاوة، ولهذا قال تعالى:(**هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلا**) أي أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار، لأنه وقت انتشار الناس.

وقوله تعالى:(**إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلا**) فراغاً وبغية ومتقلباً، وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة، ثم إنّ الله تبارك وتعالى منَّ على عباده فخففها ووضعها. والدليل ما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن سعيد بن هشام (ملخصاً): أنه استأذن على عائشة رضي الله عنها ومعه حكيم بن مفلح فقالت: حكيم –وعرفته – قال: نعم. قالت: من هذا الذي معك قال: سعيد بن هشام. قالت من هشام؟ قال ابن عامر. قال: فترحمت عليه وقالت: نعم المرء كان عامراً، قلت: يا أم المؤمنين! أنبئيني عن خلقُ رسول الله ﷺ قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت بلى. قالت: فإن خُلُقَ رسول الله ﷺ كان القرآن. فهمَمْتَ أن أقوم ثم بدا لي قيام رسول الله عليه. قلت: يا أم المؤمنين: أنبئيني عن قيام رسول الله عليه قالت: ألست تقرأ هذه السورة:(**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ**) قلت: بلى، قالت: فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام رسول الله وأصحابه حولاً، حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمتها في السماء اثنى عشر شهراً، ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعاً من بعد فريضة.

(وفي هذا الحديث قولها: ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن في ليلة حتى أصبح، ولا صام شهراً كاملا غير رمضان. فأتيت ابن عباس فحدثته بحديثها فقال: صدقت! أما لو كنت أدخل عليها لأتيتها حتى تشافهني مشافهة). رواه بطوله وتمامه الإمام أحمد وقد أخرجه مسلم في صحيحه عن قتادة. وقال علي بن طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى:(**قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلا ❖ نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلا**) فشق ذلك على المؤمنين ثم خففَ الله تعالى عنهم ورحمهم فأنزل بعد هذا:(**علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله**) إلى قوله (**فاقرؤوا ما تيسر منه**) وسع الله تعالى، وله الحمد، ولم يضيق.

وقوله تعالى: (**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلا**) أي أكثر من ذكره وانقطع إليه، وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك وما تحتاج إليه من أمور الدنيا، كما قال تعالى: (**فإذا فرغت فانصب**) أي إذا فرغت من أشغالك فانصب في طاعته لتكون فارغ البال **وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلا**) وقال ابن عباس: أي أخلص له العبادة. وقال ابن جرير: يقال للعابد: متبتّل.

وقوله تعالى: (**رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلا**) أي هو المالك المتصرف في المشارق والمغارب الذي لا إله إلا هو وكما أفردته بالعبادة فأفرده بالتوكل فاتحذه وكيلا؛ كما قال تعالى: (**فاعبده وتوكل عليه**).

الفوائد:

....

....

....

● قال تعالى: (**وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلا ❖ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلا ❖ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالا وَجَحِيمًا ❖ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ❖ يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلا ❖ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولا ❖ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلا ❖ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ❖ السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا**) [المزمل: ١٠ –١٨].

يأمر تعالى رسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله من كذَّبه من سفهاء قومه، وأن يهجرهم هجراً جميلاً وهو الذي لا عتاب معه، ثم قال له متهدداً لكفّار قومه، ومتوعداً، وهو العظيم الذي لا يقوم لغضبه شيء: (**وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ**) أي دعني والمكذِّبين المترفين أصحاب الأموال، فإنّهم على الطاعة أقدر من غيرهم، وهم يطالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم (**وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلا**) أي رويداً. كما قال تعالى: (**نمتّعهم قليلا ثم نضطرُّهم إلى عذاب غليظ**)؛ ولهذا قال ههنا: (إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالا) وهي القيود، قاله ابن عباس وغيره. (**وَجَحِيمًا**) وهي السعير المضطرمة (**وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا**) وطعاماً ذا غصة أي: ينشب في الحلق فلا يدخل ولا يخرج (**وَعَذَابًا أَلِيمًا ❖ يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ**) أي تزلزل (**وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلا**) أي تصير ككثبان الرمل بعدما كانت حجارة صماء، ثم أنها تنسف نسفاً فلا يبقى منها شيء إلا ذهب حتى تصير الأرض قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً، أي وادياً، ولا أمتاً، أي رابية، ومعناه لا شيء ينخفض ولا يرتفع. ثم قال تعالى مخاطباً لكفار قريش والمراد سائر الناس (**إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ**) أي بأعمالكم (**كَمَا أَرْسَلْنَا**

إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولا ❖ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلا) أي شديداً، ويحذرهم تكذيب هذا الرسول؛ كيلا يصيبهم ما أصاب فرعون من النكال كما قال تعالى:(**فأخذه الله نكال الآخرة والأولى)** وأنتم أولى بالهلاك والدمار إن كذبتم رسولكم، لأن رسولكم أشرف وأعظم من موسى ابن عمران عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى:(**فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا)** أي كيف يحصل لكم أمان من يوم الفزع العظيم إن كفرتم؟ ومعنى قوله:(**يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا)** أي من شدّة أهواله وزلازله وهو يوم القيامة. وقوله تعالى: **السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ)** أي كان وعد هذا اليوم مفعولاً، أي واقعاً لا محالة وكائناً لا محيد عنه.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا ❖ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)** [المزمل: ١٩ –٢٠].

يقول تعالى:(**إِنَّ هَذِهِ**) أي السورة (**تَذْكِرَةٌ**) أي يتذكر بها أولو الألباب. ولهذا قال:(**فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا)** أي ممن شاء الله تعالى هدايته كما قيد في السورة الأخرى:(**وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً)** ثم قال:(**إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ)** أي تارة هكذا وتارة هكذا من غير قصد منكم، ولكن لا تقدرون على المواظبة على ما أمركم به من قيام الليل؛ لأنه يشق عليكم، ولذلك قال:(**وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)** أي تارة يعتدلان وتارة يزيدان وينقصان (**عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ**) أي الفرض الذي أوجبه عليكم (**فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ**) أي من غير تحديد بوقت، ولكن قوموا من الليل بما تيسَّر، وعبر عن الصلاة بالقراءة. كما قال في سورة (**سبحان**) (**ولا تجهر بصلاتك**) أي بقراءتك (**ولا تخافت بها**) وقد استدل الأحناف من قوله:(**فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ)** على عدم وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة فتجزي إن قرأ بها أو بغيرها، واعتضدوا أيضاً بحديث المسيء صلاته الذي في الصحيحين:" ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن"، وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت وهو في الصحيحين

أيضاً وهو:" لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب"، قوله تعالى:**(عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)** أي علم أن سيكون في هذه الأمة ذوو أعذار، من مرض وسفر، وشغل في الجهاد. وإن هذه الآية من دلائل النبوّة لأنها من باب الإخبار بالمغيبات المستقبلة. لأن الآية مكية، ولم يكن قد شرع القتال بعد.

وقوله تعالى:**(فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ)** أي قوموا بما تيسر عليكم منه. وقد جاء في الحديث: إن رسول الله ﷺ سئل عن رجل نام حتى أصبح فقال:" ذاك الرجل بال الشيطان في أذنه" فقيل نام عن المكتوبة، وقيل نام عن قيام الليل، وفي السنن:" أوتروا يا أهل القرآن" وحديث آخر:" من لم يوتر فليس منا" وقوله تعالى:**(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ)** أي: أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم وآتوا الزكاة المفروضة، وقد قال ابن عباس وغيره من السلف: أن هذه الآية نسخت الذي كان الله قد أوجبه على المسلمين أولاً من قيام الليل وقد ثبت في الصحيحين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لذلك الرجل:" خمس صلوات في اليوم والليلة، قال علي غيرها؟ قال: لا، إلا تطوع".

وقوله تعالى:(**وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا)** يعني من الصدقات، فإن الله يجازي على ذلك أحسن الجزاء. وقوله تعالى:(**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا)** أي جميع ما تقدّمونه بين أيديكم فهو لكم حاصل، وهو خير مما أبقيتموه لأنفسكم في الدنيا، وعن الحارث بن سويد قال: قال عبد الله ﷺ: قال رسول الله ﷺ:" أيُّكم ماله أحب إليه من مال وارثه؟" قالوا يا رسول الله ما منّا من أحد إلاّ ماله أحب إليه من مال وارثه، قال:" اعلموا ما تقولون" قالوا: ما نعلم إلاّ ذلك يا رسول الله، قال:" إنَّما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر" رواه البخاريّ والنسائيّ.

ثم قال تعالى:(**وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)** أي: أكثروا من ذكرهِ واستغفاره في أموركم كلها؛ فإنه غفور رحيم لمن استغفره.

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

سورة المدثر [مكية وآياتها ستة وخمسون]

نزلت بعد سورة المزمل

●قال تعالى:(**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ❖ قُمْ فَأَنذِرْ ❖ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ❖ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ❖ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ❖ وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ❖ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ❖ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ❖ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ❖ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ**) [المدثر: ١ -١٠].

ثبت في صحيح البخاري عن جابر ﷺ أنه كان يقول:" أول شيء نزل من القرآن:(**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**) إنما خالفه الجمهور وقالوا: بل (**اقرأ باسم ربك الذي خلق**) على أن جابرًا ﷺ إنما قال قوله ذلك اعتماداً على حديث سمعه من رسول الله ﷺ يقول فيه:" جاورت بحراء فلمّا قضيت جواري هبطت فنوديت، فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئًا، ونظرت أمامي فلم أر شيئًا، ونظرت خلفي فلم أر شيئًا، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً، فأتيت خديجة فقلت دثروني وصبّوا علي ماءً بارداً -قال - فدثروني وصبوا علي ماءً بارداً ثم قال: فنزلت:(**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ❖ قُمْ فَأَنذِرْ ❖ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**) رواه البخاري. وقد رواه مسلم من طريق عقيل إلى جابر بن عبدالله ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه:" فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري قِبَلَ السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجئثتُ منه حتى هويت إلى الأرض، فجئت إلى أهلي فقلت زملوني زملوني، فزملوني فأنزل:(يا أيها المدثر ❖ قم فأنذر -إلى فاهجر).

وهذا يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل هذا؛ لقوله:" فإذا الملك الذي كان بحراء" وهو جبريل حين أتاه بقوله (**اقرأ بسم ربك الذي خلق** -إلى - ما لم يعلم) ووجه الجمع: أن أول شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة كما روى الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:" ثم فتر الوحي عني فترة، فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري قبلَ السماء فإذا الملك الذي جاءني قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت منه فرَقًا حتى هويت على الأرض، فجئت أهلي فقلت لهم: زملوني زملوني، فزملوني، فأنزل الله تعالى:(**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ❖ قُمْ فَأَنذِرْ ❖ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ❖ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ❖ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**) ثم حمي الوحي وتتابع. أخرجاه من حديث الزهري به (**قُمْ فَأَنذِرْ**). أي أنذر الناس وبهذا حصل الإرسال كما حصل بالأول النبوة (**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**)

أي عظم. وقوله تعالى:(**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**) وقيل: من الذنوب والمعاصي، وقيل: المقصود طهارة القلب، وقيل: اغسل ثيابك بالماء، فقد كان المشركون لا يتطهرون، فأمره الله أن يتطهر وأن يطهر ثيابه، وهذا القول اختاره ابن جرير، وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب، فإن العرب تطلق (الثياب) على القلب (**وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**) أي اترك المعصية وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبُّسه بشيء من ذلك كقوله تعالى:(**يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين**). وقوله تعالى:(**وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ**) أي لا تعطي العطية تلتمس أكثر منها، قاله ابن عباس وناس من التابعين. وقوله تعالى:(**وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ**) أي اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك عز وجل، وقوله تعالى:(**فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ❖ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ❖ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ**) (**النَّاقُورِ**) الصور، قال مجاهد: كهيئة القرن؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ:" كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن، وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ"، وقوله تعالى:(**فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ**) أي شديد على الكافرين (**عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ**) أي غير سهل عليهم كما قال تعالى: (**يقول الكافرون هذا يوم عسر**) ويروَى عن زرارة بن أوفى قاضي البصرة أنه صلى بهم الصبح، فقرأ هذه السورة، فلما وصل إلى قوله تعالى:(**فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ❖ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ❖ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ**) شهق شهقةً ثم خر ميتاً رحمه الله.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ❖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَّمْدُودًا ❖ وَبَنِينَ شُهُودًا ❖ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ❖ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ❖ كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ❖ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ❖ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ❖ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ❖ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ❖ ثُمَّ نَظَرَ ❖ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ❖ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ❖ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ ❖ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ❖سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ❖ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ ❖ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ❖ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ**) [المدثر: ١١ -٣٠].

يقول تعالى متوعداً للوليد بن المغيرة المخزومي أحد رؤساء قريش لعنه الله، وقد روى ابن عباس قال: دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه فسأله عن القرآن، فلما أخبره خرج على قريش فقال: يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة، فو الله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذي من الجنون. وإن قوله لمن كلام الله. فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا: والله لئن صبأ الوليد لتصبو

قريش. فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال: أنا والله أكفيكم شأنه. فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال للوليد: ألم تر إلى قومك قد جمعوا لك الصدقة؟ فقال: ألست أكثرهم مالا وولداً؟ فقال أبو جهل: يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه. فقال الوليد: أقد تحدَّث به عشيرتي! فلا والله لا أقرب ابن أبى قحافة ولا عمر ولا ابن أبى كبشة، وما قوله إلا سحر يؤثر، فأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ **(ذرني ومن خلقت وحيدا - إلى قوله - لا تبقي ولا تذر)** وقال قتادة: زعموا أنه قال: والله لقد نظرت فيما قال الرجل، فإذا هو ليس بشعر، وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه ليعلو وما يُعلَى عليه، وما أشك أنه سحر!! فأنزل الله تعالى **(قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ)** فيقول تعالى متوعداً لهذا الخبيث الذي أنعم الله عليه بنعم الدنيا فكفر بأنعم الله وبدَّلها كفراً، وقابلها بالجحد بآيات الله والافتراء عليها، وجعلها من قول البشر، وقد عدد الله عليه نعمه حيث قال:**(ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا)** أي خرج من بطن أمه وحيدا، وحده لا مال له ولا ولد، ثم رزقه الله تعالى رزقاً عظيماً فقال:**(وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَّمْدُودًا)** أي واسعاً كثيراً، قيل: مائة ألف دينار، وقيل: أرضاً يستغلها، وجعل له **(بَنِينَ شُهُودًا)** أي حضوراً عنده لا يسافرون بالتجارات بل مواليهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم، وهم قعود عند أبيهم يتمتع بهم ويتسلى بهم. وكانوا فيما ذكره السُّدى وأبو مالك وعاصم بن عمر وقتادة ثلاثة عشر، وهذا أبلغ في النعمة **(وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا)** أي مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك **(ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ◆ كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا)** أي معانداً وهو الكفر بعد العلم، قال الله تعالى:**(سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا)** روى الإمام أحمد بسنده إلى أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:" ويل: وادٍ في جهنم يهوي به الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره، والصعود: جبل من نار يتصعَّد فيه الكافر سبعين خريفاً ثم يهوي به كذلك فيه أبدا". وقوله تعالى:**(إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ)** أي تروّى **(فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ◆ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ)** دعاء عليه **(ثُمَّ نَظَرَ)** أي أعاد النظرة والتروّي **(ثُمَّ عَبَسَ)** أي قبض بين عينيه وقطَّب **(وَبَسَرَ)** أي كلح وكره. وقوله:**(ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ)** أي صرف عن الحق ورجع القهقرَى مستكبراً عن الانقياد للقرآن. **(فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ)** أي هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن قبله ويحكيه عنهم. ولهذا قال:**(إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ)** أي ليس بكلام الله، قال تعالى:**(سَأُصْلِيهِ سَقَرَ)** أي سأغمره فيها. وقال تعالى:**(وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ)** تهويل لأمرها. ثم فسَّر ذلك بقوله:**(لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ)** تأكل أجسادهم جميعاً ثم تبدّل غير ذلك على شكل لا يموتون ولا يحيون. وقوله تعالى:**(لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ)** أي للجلد فتدعه أسود من الليل. وقوله تعالى:**(عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ)** أي من مقدَّمي الزبانية عظيم خَلْقهم غليظ خُلُقهم.

الفوائد:

....
....
....

●قال تعالى:(**وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ❖ كَلاَّ وَالْقَمَرِ ❖ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ❖ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ❖ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ❖ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ❖ لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ**) [المدثر: ٣١ -٣٧].

يقول تعالى:(**وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ**) أي خزنتها (**إِلاَّ مَلائِكَةً**) أي زبانية غلاظاً شداداً، رداً على مشركي قريش حين ذكر عدد الخزنة فقال أبو جهل: يا معشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونهم؟ فقال الله تعالى:(**وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً**) أي شديدي الخلق لا يغالَبون ولا يقاومون.

وقوله تعالى:(**وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا**) أي إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشر اختباراً منا للناس (**لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**) أي يعلمون أن هذا الرسول حق، فإنّه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله. وقوله تعالى:(**وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا**) أي إلى إيمانهم بما يشهدون من صدق أخبار نبيهم محمد ﷺ (**وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ**) أي من المنافقين (**وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلا**) أي يقولون ما الحكمة من ذكر هذا ههنا؟ قال الله تعالى:(**كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء**) أي من مثل هذا وأشباهه يتأكد الإيمان في قلوب أقوام ويتزلزل عند آخرين، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، وقوله تعالى:(**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ**) أي: ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى؛ لئلا يتوهم متوهم أنهم تسعة عشر فقط. كما قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة من الفلاسفة اليونانيين، ومن شايعهم من الملتين الذين سمعوا هذه الآية، فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة، التي اخترعوها وعجزوا عن إقامة الدلالة على مقتضاها، فأفهموا صدر هذه الآية، وقد كفروا بآخرها وهو قوله:(**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ**) وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال في صفة البيت المعمور الذي في السماء السابعة:" فإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه آخر ما عليهم" روى الحافظ أبو القاسم الطبراني بسنده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" ما في السموات السبع موضع قدم، ولا شبر، ولا كف، إلا وفيه ملك قائم، أو ملك ساجد، أو ملك راكع، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً:

سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، إلا أنا لم نشرك بك شيئاً"، وقوله تعالى:(**وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ**) قال مجاهد وغير واحد:(**وَمَا هِيَ**) أي النار التي وصفت (**إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ**) ثم قال تعالى: (**كَلاَّ وَالْقَمَرِ * وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ**) أي ولىّ (**وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ**) أي أشرق (**إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ**) أي العظائم يعي النار. قاله ابن عباس وغير واحد من السلف، (**نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ * لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ**) أي لمن شاء أن يقبلَ النذارة ويهتدي للحق أو يتأخر عنها ويولي ويردّها.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ * فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ * بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفًا مُّنَشَّرَةً * كَلاَّ بَل لا يَخَافُونَ الآخِرَةَ * كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَاء ذَكَرَهُ * وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ**) [المدثر: ٣٨ -٥٦].

يقول تعالى مخبراً أن (**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**) أي معتقلة بعملها يوم القيامة، قاله ابن عباس وغيره (**إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ**) فإنهم (**فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ**) أي يسألون عن المجرمين وهم في غرفات الجنان، وأولئك في الدركات قائلين لهم:(**مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ**) أي ما عبدنا ربنا ولا أحسنا إلى خلقه من جنسنا (**وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ**) أي نتكلم فيما لا نعلم، وقال قتادة: كلما غوى غاوٍ غوينا معه. (وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ) يعني الموت. كقوله تعالى:(**واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**)، وقال رسول الله ﷺ:" أما هو -يعنى عثمان بن مظعون - فقد جاءه اليقين من ربه"، قال الله تعالى:(**فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**) أي من كان متصفاً بمثل هذه الصفات، فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة الشافعين. لأن الشفاعة إنما تنجح إذا كان المحل قابلا، فأما من وافى الله كافراً يوم القيامة، فإن له النار لا محالة خالداً فيها. ثم قال تعالى:(**فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ**) أي فما لهؤلاء الكفرة الذين قِبلَكَ عما تدعوهم إليه وتذكِّرهم به معرضين؟ (**كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ**) أي كأنهم في نفارهم عن الحق، وإعراضهم عنه، حمر من حمر الوحش إذا فرت ممن يريد صيدها من أسد. وقوله تعالى:(**كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ**) أي حقاً أن القرآن

تذكرة (فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ) كقوله:(وما تشاءون إلا أن يشاء الله)

وقوله تعالى:(هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) أي هو أهل أن يخاف منه، وهو أهل أن يغفر ذنب من تاب إليه وأناب. قاله قتادة.

وعن أنس بن مالك ﵁ قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية:(هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) وقال: قال ربكم: أنا أهل أن أتّقَى فلا يُجعُل معي إله، فمن اتقى أن يجعل معي إلهاً كان أهلا أن أغفر له" رواه أحمد وغيره.

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

....

سورة القيامة [مكية وآياتها أربعون]

نزلت بعد سورة القارعة

●قال تعالى:(**لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿ بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿ يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿ كَلاَّ لا وَزَرَ ﴿ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿ يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿ بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ**) [القيامة: ١ –١٥].

قد تقدم غير مرة أن المقسم عليه إذا كان منتفياً جاز الإتيان بـ(لا) قبل القسم لتأكيد النفي.

والمقسم عليه هاهنا هو إثبات المعاد والرد على ما يزعمه الجهلة من العباد من عدم بعث الأجساد. ولهذا قال:(**لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**) فأقسم الله تعالى بيوم القيامة، وبالنفس اللوامة، خلافاً لمن قال أنه تعالى أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة. أما يوم القيامة فمعروف، وأما النفس اللوامة، لقد اختلف المفسرون فيها، فمن قائل: أن المؤمن يلوم نفسه، وأن الكافر يمضي في الذنوب قدماً ما يعاتب نفسه! وقال آخرون معاني متقاربة والأشبه بظاهر التنزيل: أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر وتندم على ما فات، قاله ابن جرير.

وقوله تعالى: (**أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ**) أي يوم القيامة أيظن أنا لا نقدر على إعادة عظامه وجمعها من أماكنها المتفرقة (**بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ**) أي أيظن الإنسان أنا لا نجمع عظامه؟ بل سنجمعها وقادرين على أن نسوِّي بنانه، أي قدرتنا صالحة لجمعها. وقوله تعالى: (**بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ**) أي هو الكافر يكذب بيوم الحساب، قاله ابن عباس. ولهذا قال بعده:(**سْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ**) أي متى القيامة؟ وإنما سؤاله استبعادٌ لوقوعه وتكذيب لوجوده. كما قال تعالى: (**ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين * قل لكم ميعاد يومٍ لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون**) وقال تعالى ههنا:(**فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ**) أي حارَ فينظرون من الفزع هكذا وهكذا لا يستقرُّ لهم بصر على شيء من شدة الرعب والأهوال يوم القيامة، وقوله تعالى: (**وَخَسَفَ الْقَمَرُ**) أي ذهب ضوؤه (**وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ**) قال مجاهد: كوِّرا. وقوله تعالى:(**يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ**) أي يحاول الفرار قائلا:(**أَيْنَ الْمَفَرُّ**) أي هل من ملجأ أو موئل؟ قال الله تعالى: (**كَلاَّ لا وَزَرَ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ**) أي لا نجاة ولا مُعتصم. ولذا قال: (**إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ**) أي المرجع والمصير. ثم قال تعالى: (**يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ**) أي يخبر بجميع أعماله من أولها إلى آخرها. كقوله تعالى: (**ووجدوا ما عملوا حاضراً**) وقوله:(**بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ**) أي هو شهيد على نفسه، عالم بفعله، ولو اعتذر وأنكر، كما قال تعالى: (**اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا**) وقوله:(**وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ**) أي حجته، وقال مجاهد: ولو جادل عنها فهو بصير عليها، وهذا هو الصحيح، ولكن (**لا ينفع الظالمين معذرتهم**).

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى: (**لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ * كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ**) [القيامة: ١٦ -٢٥].

هذا تعليم الله عز وجل لرسوله ﷺ في كيفية تلقِّيه الوحي من الملك، فإنه كان يبادره إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته، فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحى أن يستمع له، وتكفَّل الله أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه.

فالحالة الأولى: جمعه في صدره. والثانية: تلاوته. والثالثة: تفسيره وإيضاح معناه. ولهذا قال:(**لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ**) أي بالقرآن. كما قال تعالى: (**ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى**

إليك وحيه وقل رب زدني علماً) ثم قال تعالى:(**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ)** أي في صدرك **(وَقُرْآنَهُ)** أي أن تقرأه **(فَإِذَا قَرَأْنَاهُ)** أي إذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى **(فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)** أي فاستمع له، ثم اقرأه كما أقرأك، **(ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)** أي بعد حفظه وتلاوته، نبينه لك ونوضحه، ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا.

وقوله تعالى:(**كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ)** أي إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة ما أنزل الله هو: لهوهم عن الآخرة وحبهم للدنيا. ثم قال تعالى:(**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ)** أي مشرقة مسرورة **(إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)** أي تراه عياناً. كما رواه البخاري في صحيحه:" إنكم سترون ربّكم عياناً"، وقد تواترت الأحاديث عند أئمة الحديث بما لا يمكن دفعها ولا منعها، لحديث أبي سعيد وأبي هريرة وهما في الصحيحين:" أن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب؟ قالوا لا، قال: إنكم ترون ربكم كذلك". وهناك أحاديث أخرى في الصحيحين وغيرهما، ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان. ولكن ذكرنا ذلك في مواضع متفرقة من هذا التفسير، وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف الأمة، ومن تأوَّل النظر إلى الله تعالى بغير ما ذكر رسول الله ﷺ، وفسره في حديثه الصادق فقد أبعد النجعة: وإن التأويلات من قوله تعالى:(**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)** قال الشافعي: ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه عزّ وجلّ، وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ بما دلَّ عليه سياق الآية الكريمة، وهي قوله تعالى:(**إلى ربها ناظرة)** أي تنظر إلى الخالق، وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق.

وقوله تعالى:(**وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ)** هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة باسرة، أي كالحة عابسة. **(تَظُنُّ)** أي تستيقن **(أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ)** أي تستيقن أنها هالكة. وهذا المقام كقوله تعالى:(**يوم تبيض وجوه وتسود وجوه)**.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ * فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى * وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى * أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ**

يُمْنَى ❁ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ❁ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى ❁ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى) [القيامة: ٢٦ -٤٠].

يخبر تعالى عن حالة الاحتضار وما عنده من الأهوال -ثبتنا الله هنالك بالقول الثابت - فقال تعالى:(**كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ)** أي إذا انتزعت الروح من الجسد وبلغت التراقي، والتراقي جمع ترقوة، وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق **(وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ)** أي من طبيب شاف ومن راق يرقي **(وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ)** هما الساقان إذا التفتا في الكفن، وقوله تعالى:(**إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ)** أي المرجع والمآب، وذلك أن الروح ترفع إلى السماوات، فيقول الله عز وجل:" ردُّوا عبدي إلى الأرض فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى". كما ورد في حديث البراء الطويل. وقوله جل وعلا:(**فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى ❁ وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى)**. هو إخبار عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذباً للحق بقلبه، متولياً عن العمل بقالبه، فلا خير فيه باطناً ولا ظاهراً **(ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى)** أي جذلان أشراً بطراً كسلاناً، لا همة له ولا عمل، كما قال تعالى:(**وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين)** ويتمطى أي يختال ويتبختر، وقوله تعالى:(**أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ❁ ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى)**. وعيد على أثر وعيد من الله تعالى للكافر المتبختر في مشيه، كقوله تعالى:(**كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون)**.

روى ابن أبي حاتم عن موسى بن أبي عائشة قال: سألت سعيد بن جبير رضي الله عنه، قلت:**(أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ❁ ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى)** قال:" قاله النبي ﷺ لأبي جهل ثم أنزله الله عز وجل". ورواه النسائي وقوله تعالى:(**أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى)** أي لا يترك في هذه الدنيا هملا لا يؤمر ولا ينهى، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث بل هو مأمور منهي في الدنيا، محشور إلى الله في الدار الآخرة، والمقصود هنا إثبات المعاد، والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد؛ ولهذا قال تعالى مستدلا على الإعادة بالبداءة:**(أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى)** أي أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين يمنى: يراق من الأصلاب ويصب في الأرحام. **(ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى)** أي فصار علقة ثم مضغة ثم شكل ونفخ فيه الروح، فصار خلقاً آخر سويا سليم الأعضاء، ذكراً أو أنثى بإذن الله وتقديره. ولهذا قال تعالى:(**فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى)** ثم قال تعالى:(**أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى)** أي: أما هذا الذي أنشأ الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدأه؟! ولا شك أن تناول القدرة للإعادة بطريق الأولى بالنسبة إلى البداءة.

وروى ابن أبي حاتم بسنده إلى أحد الصحابة أنه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن فإذا قرأ:(**أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى)** قال:" سبحانك اللهم فَبَلى، فسئل عن ذلك فقال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك" ورواه أبو داود بنحوه ولم يسم الصحابي ولا يضر ذلك، وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ:" من قرأ منكم:**(والتين والزيتون)** فانتهى إلى آخرها: **(أليس الله بأحكم الحاكمين)** فليقل: بلى وإنّا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ:**(لا أقسم بيوم القيامة)** فانتهى إلى قوله:**(أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ)** فليقل: بلى. ومن قرأ:**(المرسلات)** فبلغ:**(فبأي حديث بعده يؤمنون)**. فليقل: آمنا بالله" ورواه أحمد والترمذي.

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

....

سورة الإنسان [مدنية وآياتها إحدى وثلاثون]

نزلت بعد سورة الرحمن

●قال تعالى:**(هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ❁ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ❁ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)** [الإنسان: ١ -٣].

روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ: كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة **(الم تنزيل)** السجدة و **(هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ)**. ويخبر تعالى عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئاً يذكر لحقارته وضعفه، فقال تعالى:**(هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا)** ثم بين ذلك فقال جلّ جلاله:**(إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ)** هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة، وقوله تعالى:**(نَّبْتَلِيهِ)** أي نختبره **(فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا)** أي جعلنا له سمعاً وبصراً يساعدانه على طاعة الله أو معصيته، وقوله تعالى:**(إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ)** أي بيناه و وضحناه كقوله تعالى:**(وهديناه النجدين)** أي بيّنا طريق الخير وطريق الشر. ومن رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه إما شاكراً وإما

كفوراً". وروى الامام أحمد عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" ما من خارج يخرج إلا ببابه رايتان: راية بيد ملك، وراية بيد شيطان، فإن خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته، وإن خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته".

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلا وَأَغْلالا وَسَعِيرًا ❖ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ❖ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ❖ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ❖ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ❖ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا ❖ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ❖ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ❖ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا**) [الإنسان: ٤ -١٢].

يخبر تعالى عما أرصد للكافرين من السلاسل والأغلال والسعير في جهنم، ولما ذكر ما أعدَّه لهؤلاء الأشقياء من السعير قال بعده:(**إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا**) ومعلوم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاذة في الجنة، قال الحسن: برد الكافور في طيب الزنجبيل ولهذا قال:(**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا**) أي: هذا المزيج هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله ويُروَوْنَ بها. ولهذا ضمن يشرب معنى يروى حتى عداه بالباء ونصب عيناً على التمييز، وقوله تعالى:(**يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا**) أي يتصرفون فيها حيث شاءوا وأين شاءوا من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم. وقوله تعالى:(**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا**) أي يتعبدون الله بالطاعات الواجبات بأصل الشرع وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر، قال عليه الصلاة والسلام:" من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه" رواه البخاري من حديث مالك، ويتركون المحرمات خيفةً من سوء الحساب يوم المعاد ذي الشرّ المنتشر العام على الناس إلا من رحم الله، وقوله تعالى:(**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ**) أي ويطعمون الطعام في حال محبتهم له وشهوتهم، كقوله تعالى:(**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**) وفي الصحيح:" أفضل الصدقة أن تصدَّق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى و تخشى الفقر"، أي في حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه. ولهذا قال:(**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**) أما المسكين و اليتيم فقد تقدم بيانهما وصفتهما: والأسير هو اسم مشترك للأسير

المسلم والمشرك. وهكذا قال سعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة. وقد وصى رسول الله ﷺ بالإحسان إلى الأرقاء في غير ما حديث، حتى أنه كان آخر ما أوصى أن جعل يقول:" الصلاة وما ملكت أيمانكم"، **(إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ)** أي رجاء ثواب الله ورضاه **(لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا)** أي لا نطلب منكم مجازاةً تكافئوننا بها ولا أن تشكرونا عند الناس **(إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا)** أي إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه في اليوم العبوس القمطرير، قال ابن عباس: عبوساً ضيقا قمطريرا طويلا، وقال ابن جرير: وذلك أشد الأيام وأطولها في البلاء والشدة، قال تعالى:(**فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا)** أي آمنهم بما خافوا منه **(وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا)** نضرة في وجوههم وسروراً في قلوبهم وذلك أن القلب إذا سُرَّ استنار الوجه، وقوله تعالى:(**وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا)** أي بسبب صبرهم أعطاهم ونوَّلهم وبوأهم جنة وحريرا، أي منزلا رحباً وعيشاً رغداً ولباساً حسناً. وقد قرئت هذه الآية على أبي سليمان الداراني قال: إنما صبروا على ترك الشهوات في الدنيا.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا ❖ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلا ❖ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ❖ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ❖ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلا ❖ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلا ❖ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ❖ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ❖ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ❖ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا)** [الإنسان: ١٣ -٢٢].

يخبر تعالى عن أهل الجنة وما آتاهم من الفضل العميم فقال تعالى:(**مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ** الاتكاء: التمرفق، والأرائك هي السرر تحت الحجال. وقوله تعالى:**(لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا)** أي لا حر مزعج ولا برد مؤلم، بل هي مزاج واحد دائم سرمديٌ لا يبغون عنها حولا **(وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا)** أي قريبة إليهم أغصانها **(وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلا)** أي متى تعاطاه، دنا القطف إليه. كقوله تعالى:**(وجنى الجنتين دان)**.

وقوله تعالى:(**وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ)** أي يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام وهي من فضة، وأكواب الشراب قوارير من فضة، أي بياض الفضة في صفاء الزجاج يرى ما في باطنها من

ظاهرها، وهذا مما لا نظير له في الدنيا، وعن ابن عباس: ليس في الجنة شيء إلا و قد أعطيتم في الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة، رواه ابن ابي حاتم. وقوله تعالى:(**قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا**) أي على قدر ريهم أي لا تزيد عن ري صاحبها ولا تنقص، وقوله تعالى:(**وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلا**) فتارة يخرج لهم الشراب بالكافور البارد، وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر أي للأبرار، إما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صرفاً وقوله تعالى:(**عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلا**) سميت بذلك؛ لسلاسة سيلها وحدّة جريها وسلاستها في الحلق، وقوله تعالى:(**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا**) أي يطوف عليهم من ولدان الجنة للخدمة (**مُّخَلَّدُونَ**) أي على حالة واحدة، ولا يتغيرون عنها ولا تزيد أعمارهم، وقوله تعالى:(**إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا**) أي إذا رأيتهم منتشرين في قضاء حوائج السادة وحسنهم في وجوههم وصباحتهم كأنهم اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن، وقوله جلّ جلاله:(**وَإِذَا رَأَيْتَ**) أي وإذا رأيت يا محمد (**ثَمَّ**) أي هناك في الجنة ونعيمها وما فيها من السرور (**رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا**) أي مملكة لله هناك عظيمة، وسلطاناً باهراً، وثبت في الصحيح:" أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولا إليها: إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها". وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:" إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه". وقوله جل جلاله:(**عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ**) أي لباس أهل الجنة فيها الحرير، ومنه سندس وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم، والإستبرق منه ما فيه بريق ولمعان، وهو مما يلي الظاهر كما هو المعهود في اللباس (**وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ**) وهذه صفة الأبرار، وأما المقربون فكما قال تعالى:(**يحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير**) ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلي قال بعده:(**وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا**) أي طهر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الأخلاق الرديئة، وقوله تعالى:(**إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا**) أي يقال لهم ذلك تكريماً لهم وإحساناً إليهم، كما قال تعالى:(**كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية**) وقوله تعالى:(**وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا**) أي جزاكم الله تعالى على القليل بالكثير.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلا ❖ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ❖ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلا ❖ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلا طَوِيلا ❖ إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْمًا ثَقِيلا ❖ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلا ❖ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا ❖ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ❖ يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**) [الإنسان: ٢٣ -٣١].

يمُّن الله سبحانه على رسوله ﷺ بما أنزله عليه من القرآن العظيم تنزيلا (**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ**) أي فاصبر على قضائه وقدره، وإنه سيدبرك بحسن تدبيره، (**وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا**) أي لا تطع من أرادوا صدّك عمّا أنزل إليك، بل بلغ ما أنزل إليك من ربك وتوكل على الله فإنه يعصمك من الناس الفاجرين في أعمالهم، والكافرين في قلوبهم (**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلا**) أي أول النهار وآخره (**وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلا طَوِيلا**) كقوله تعالى:(**ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً**) ثم قال تعالى:(**إِنَّ هَؤُلاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْمًا ثَقِيلا**) أي هؤلاء الكفار يحبون الدنيا وبهرجها ويذرون الآخرة. ثم قال تعالى:(**نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ**) قال ابن عباس: أي خلقهم (**وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلا**) أي أتينا بقوم آخرين غيرهم. ثم قال تعالى:(**إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ**) يعني هذه السورة تذكرة (**فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا**) أي من شاء اهتدى بالقرآن (**وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ**) أي لا يستطيع أحد أن يهدي نفسه (**إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**) أي عليم بمن يستحق الهداية فييسرها له، ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى وله الحجة البالغة؛ ولهذا قال الله تعالى:(**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**) ثم قال تعالى:(**يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً**) أي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فمن يهده فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

الفوائد:

....
....
....
....
....
....
....
....
....

سورة المرسلات [مكية وآياتها خمسون]

مكية إلا الآية ٤٨ فمدينة نزلت بعد سورة الهمزة

روى البخاري عن ابن مسعود ﷺ قال:" بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ في غار بمنى إذ نزلت عليه:(**وَالْمُرْسَلاتِ**) فإنّه ليتلوها، وإني لأتلقاها من فيه، وإن فاه لرطبٌ بها. إذ وثبت علينا حية، فقال النبي ﷺ: اقتلوها". فابتدرناها فذهبت، فقال النبي ﷺ: وقيتْ شرَّكم كما وقيتم شرها" وأخرجه مسلم من طريق الأعمش. وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن أم الفضل سمعته يقرأ:(**وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا**) فقالت: يا بُنيَّ أذكرتني بقراءتك هذه السورة، إنها لآخر ما سمعتُ من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب" أخرجاه.

●قال تعالى:(**وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا ♦ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ♦ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ♦ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ♦ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ♦ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ♦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ♦ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ♦ وَإِذَا السَّمَاء فُرِجَتْ ♦ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ♦ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ♦ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ♦ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ♦ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ♦ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ**) [المرسلات: ١ -١٥].

قد اختلف المفسرون من الصحابة والتابعين وغيرهم، فمن قال:(**وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا**) هي الملائكة. ومن قال: إن المرسلات والعاصفات والناشرات هي الرياح، أما الفارقات والملقيات فلم يجر اختلاف في أنها الملائكة، ومن قال: أنها جميعاً هي الملائكة. والأظهر أن المرسلات هي الرياح كما قال تعالى:(**وأرسلنا الرياح لواقح**) وهكذا العاصفات هي الرياح، وكذا الناشرات هي الرياح التي تنشر السحاب، كما يشاء الله، وقوله تعالى:(**فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ♦ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ♦ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا**) يعني الملائكة، ولا خلاف ههنا فإنها تنزل بأمر الله على الرسل تفرّق بين الحق والباطل، وتلقي إلى الرسل وحياً فيه إعذار إلى الخلق وإنذار لهم من عقاب الله أن خافوا أمره.

وقوله تعالى:(**إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ**) هذا هو المقسم عليه بهذه الأقسام أي ما وعدتم به من قيام الساعة والبعث والحساب والجزاء والعقاب، واقع لا محالة. ثم قال:(**فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ**) أي ذهب ضوؤها، كقوله تعالى:(**وإذا الكواكب انتثرت**) أي انشقت ووهت أطرافها (**وَإِذَا السَّمَاء فُرِجَتْ**) أي انفطرت (**وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ**) أي ذهب بها فلا عين ولا أثر (**وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ**) أي جمعت، كقوله: (**يوم يجمع الله الرسل**) وقوله:(**لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ♦ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ♦ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ♦ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ**) يقول تعالى لأي يوم أجلت الرسل وأرجئ أمرها حتى تقوم الساعة، كقوله تعالى:

(**فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله**) وقوله تعالى:(**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ**) أي ويل لهم من عذاب الله غداً.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ ◆ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ ◆ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ◆ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ◆ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاء مَّهِينٍ ◆ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ◆ إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ◆ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ◆ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ◆ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا ◆ أَحْيَاء وَأَمْوَاتًا ◆ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاء فُرَاتًا ◆ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ**) [المرسلات: ١٦ -٢٨].

يقول تعالى:(**أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ**) يعني من المكذبين للرسل (**ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ**) أي ممن أشبههم. ولهذا قال تعالى:(**كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ◆ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ**) ثم قال تعالى ممتناً على خلقه ومحتجاً على الإعادة بالبداءة: (**أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاء مَّهِينٍ**) أي ضعيف حقير بالنسبة إلى قدرة الباري عز وجل (**فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ**) يعني جمعناه في الرحم وهو قرار الماء من الرجل والمرأة، والرحم معد لذلك، حافظ لما أودع فيه من الماء. وقوله تعالى:(**إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ**) إلى مدة معينة من ستة أشهر أو تسعة أشهر، ولهذا قال تعالى:(**فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ◆ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ**) ثم قال تعالى:(**أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا ◆ أَحْيَاء وَأَمْوَاتًا**) كفاتًا. قال الشعبي بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم (**وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ**) يعني الجبال، (**وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاء فُرَاتًا**) أي ماء عذباً زلالا (**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ**) أي لمن يستمر بعد هذا البيان على تكذيبه وكفره.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ◆ انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ ◆ لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ◆ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ◆ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ◆ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ◆ هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ ◆ وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ◆ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ◆ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ ◆ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ◆ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ**) [المرسلات: ٢٩ -٤٠].

يخبر تعالى عن الكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار، أنهم يقال لهم يوم القيامة (**انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ❖ انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ**) يعني لهب النار إذا ارتفع يكون له من شدته ثلاث شعب (لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ) أي ظلّ الدخان لا ظليل هو في نفسه، ولا يقيهم حر اللهب. وقوله تعالى:(**إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ**) أي يتطاير الشرر من لهبها كالقصر (**كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ**) أي كالإبل السود (**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ**) ثم قال تعالى:(**هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ**) أي لا يتكلمون (**وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ**) أي لا يقدرون على الكلام، ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا، بل قد قامت عليهم الحجّة فهم لا ينطقون. وعرصات يوم القيامة حالات، والرب تعالى يخبر عن هذه الحالات، ليدل على شدة الأهوال والزلازل يومئذ، ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام (**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ**).

وقوله تعالى:(**هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ ❖ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ**) وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، أي إن قدرتم على أن تتخلصوا من قبضّي وتنجوا من حكمي فافعلوا، فإنكم لا تقدرون على ذلك، كما قال تعالى:(**يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان**) وفي الحديث:" يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني، ولن تبلغوا ضري فتضروني".

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ ❖ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ❖ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ❖ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ❖ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ❖ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ❖ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ❖ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ ❖ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ❖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ**) [المرسلات: ٤١ -٥٠].

يخبر تعالى عن عباده المتقين الذين عبدوه بأداء الواجبات، وترك المحرمات، أنهم يكونون يوم القيامة في جنات وعيون (**وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ**) أي من سائر أنواع الثمار (**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**) أي يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم. ثم قال تعالى:(إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) أي هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل (**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ**) وقوله تعالى:(**كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ**) خطاب للمكذبين بيوم الدين وأمرهم أمر تهديد ووعيد. أي تمتعوا مدة قليلة ثم تساقون إلى نار جهنم (**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ**) كما قال تعالى:(**نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى**

عذاب غليظ) وقوله تعالى:(**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ)** أي إذا أمروا بالصلاة امتنعوا واستكبروا، ولهذا قال تعالى:(**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ)** ثم قال تعالى:(**فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ)** كقوله:(**فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون)**؟ أي إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأي كلام يؤمنون به. روى ابن أبي حاتم بسنده إلى أبي هريرة ﵁، أنه إذا قرأ والمرسلات عرفاً -فقرأ -:(**فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ)** فليقل: آمنت بالله وبما أنزل.

الفوائد:

....
....
....
....
....
....
....
....

المراجع :

- ✓ المرجع الرئيس :
- ✓ مختصر تفسير ابن كثير للرفاعي
- ✓ المراجع المساعدة:
  - تفسير القرآن العظيم لابن كثير
  - جامع البيان للطبري

مقرر مادة العقيدة الإسلامية (٢)

بقية أركان الإيمان

المقدمة:

الحمدلله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

اشتمل القرآن الكريم وكذلك السنة النبوية على أصول العقيدة الإسلامية، وبيان تفاصيل مسائلها وقضاياها؛ من الإيمان بالله تعالى في معرفة الله تعالى في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، فهما المعين الصافي والمصدر الوافي لمن أراد تعلم العقيدة الصحيحة، وتلقى الصحابة رضي الله عنهم والتابعون العقيدة من هذين المنبعين، فاتصفت عقائدهم بالصفاء والنقاء وسلمت بواطنهم من الشُبه المضلة والانحرافات الفاسدة، فيُؤخذ منهج العقيدة من حيث أخذ الأولون ليضمن المسلم سلامتها وصحة قواعدها وأحكامها.

وفي مقرر للعقيدة الإسلامية تضمن توضيحاً مبسطاً وبياناً بغير إطناب لقضاياها ومسائلها المتفرقة مع نبذة مختصرة عن الفرق والطوائف، سالكين في ذلك طريق التوسط في استعراض المادة العلمية تحت كل عنوان بين الاستطراد الممل والاختصار المخل، فاتصف المنهج بسهولة العبارة ووضوح المقصود وسلاسة الترتيب، المتناسب مع طلاب العلم في دراستهم للعقيدة بالتدرج في تلقي علومها واستيعاب أحكامها، وقد تم جمع هذا المنهج من عدة مراجع في العقيدة، ومن أهمها:

١. شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي
٢. تطهير الاعتقاد للأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني
٣. الفقه الأكبر -للإمام أبي حنيفة.
٤. الاعتصام لإبراهيم الشاطبي
٥. أصول السنة - محمد بن عبد الله بن أبي زمنين.
٦. معارج القبول بشرح سلم الوصول _ حافظ الحكمي.
٧. شرح الفقه الأكبر - الملا علي القاريء.
٨. مدخل إلى دراسة العقيدة لمحمد يسري.
٩. الولاء والبراء لمحمد إسماعيل المقدم
١٠. تفسير ابن جرير الطبري
١١. تفسير ابن كثير
١٢. تفسير البغوي

١٣. فتح القدير لمحمد الشوكاني

١٤. تفسير الطاهر بن عاشور

١٥. تفسير عبدالرحمن السعدي

١٦. شرح صحيح البخاري لابن حجر

١٧. شرح صحيح مسلم للنووي

١٨. جامع العلوم والحكم لابن رجب

وقد مر علينا في المقرر السابق من العقيدة الإسلامية الإيمانُ بالله تعالى وما تضمنه من مسائل عقدية، وفي هذا الجزء الثاني من مقرر المستوى الأولى للفصل الثاني سوف يتناول بقية أركان الإيمان الستة، وهي: الإيمان بالملائكة والكتب والرسل وباليوم الآخر والقدر خيره وشره، على النحو التالي:

الركن الثاني: الإيمان بالملائكة

تعريف الملائكة:

الملائكة لغة: جمع ملك وأصله (مَألَكٌ)، مأخوذة من (الْألُوكة) وهي الرسالة، قال الله تعالى: {جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى}[فاطر: ١]. والملك في اللغة: حامل الْأَلُوكة وهي الرسالة. شرعاً هم: عالم غيبي، مخلوقون من نور، لا يأكلون، ولا يشربون بل عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

حقيقة الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة يعني: الاعتقاد الجازم بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور، وأنهم جند من جنود الله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها، قال تعالى:{قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ❖ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} [الأنبياء: ٢٦ – ٢٧]، وقال تعالى:{لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: ٦]، وقال تعالى: {لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ❖ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} [الأنبياء: ١٩ – ٢٠].

وقد ذكر الإمام البيهقي أن الإيمان بالملائكة يلزم؛ التصديق بوجودهم، وإنزالهم منازلهم، وإثبات أنهم عباد الله وخلقه كالإنس، والجن مأمورون مكلَّفون لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله تعالى عليه، والثالث: الاعتراف بأن منهم رسل الله يرسلهم إلى من يشاء من البشر.

أصل خلقة الملائكة:

والمادة التي خلق الله تعالى الملائكة هي "النور" فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" خُلِقت الملائكة من نور، وَخُلِقَ الْجَانُ من مارج من نار، وخُلِق آدمُ مما وصف لكم". [رواه مسلم]. والمارج هو: اللهب المختلط بسواد النار.

منزلة الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان الستة، لا يتم إيمان العبد إلا بهذا الركن العظيم كما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة ومنها، قوله تبارك وتعالى:{آمَنَ الرّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رّبّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ...}[البقرة: ٢٨٥]، وقال تعالى:{وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ} [الشورى: ٥]. وقال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} [الأعراف: ٢٠٦].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:" بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سَواد الشَّعر، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه... قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال:" أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره" قال: صدقت...". [رواه مسلم].

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزاً يوماً للناس، فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال:" الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله وتؤمن بالبعث ".[رواه البخاري ومسلم].

ومن أنكر الملائكة فهو كافر؛ لأنه مُكذِّب لله ورسوله وإجماع المسلمين، قال تعالى:{يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الّذِي نَزّلَ عَلَىَ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الّذِيَ أَنَزلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الاَخِرِ فَقَدْ ضَلّ ضَلاَلاً بَعِيداً} . [النساء: ١٣٦]. قال ابن كثير:"{فَقَدْ ضَلّ ضَلاَلاً بَعِيدا}...، أي: فقد خرج عن طريق الهدى، وبَعُدَ عن القصد كلَّ البُعد". وقال تعالى:{لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ}،[البقرة: ١٧٧]، قال ابن أبي العز الحنفي: "فجعل الله سبحانه وتعالى

الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة، وسمَّى من آمن بهذه الجملة مؤمنين، كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة، بقوله: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} . [النساء: ١٣٦].

خصائص الملائكة:

أما خصائص الملائكة فمتعددة منها:

١ - القدرة على التَّمثُّل بصور البشر بإذن الله تعالى، كما أخبر الله عن جبريل أنه جاء إلى مريم في صورة بشرية، فقال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ❖ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا } . [مريم: ١٦، ١٧]. وكما جاء جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم في صورة رجل.

٢ - لا يأكلون ولا يشربون، قال تعالى: {فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ}[هود:٧٠]. ونقل السيوطي عن الفخر الرازي: أن العلماء اتفقوا على أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون.

٣ - ذوات أجنحة، فمنهم من له جناحين ومنهم من له أكثر من جناح، قال تعالى:{الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ جَاعِلِ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً أُوْلِيَ أَجْنِحَةٍ مّثْنَىَ وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنّ اللّهَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[فاطر: ١].

٤_ لا يَمِلُّون ولا يتعبون، فالملائكة يقومون بعبادة الله وطاعته وتنفيذ أوامره، بلا كَلَلٍ ولا مَلَلٍ، ولا يدركهم ما يدرك البشر من ذلك، قال تعالى في وصف الملائكة:{يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ}[الأنبياء: ٢٠]. ومعنى لا يفترون: لا يضعفون. وفي الآية الأخرى: {فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لاَ يَسْأَمُونَ}[فصلت:٣٨]. تقول العرب: سَئِمَ الشيء، أي: مَلَّه. وقد استدل السيوطي بقوله: (لا يفترون) على أن الملائكة لا ينامون.

٥_ منازل الملائكة ومساكنهم في السماء، كما قال تعالى:{تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ}[الشورى:٥].وقد وصفهم الله تعالى بأنهم عنده فقال تعالى:{فَإِنِ اسْتَكْبَرُواْ فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لاَ يَسْأَمُونَ}[فصلت: ٣٨].

عدد الملائكة:

أعداد الملائكة كثيرة لا يحصيها إلا الله، قال تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبّكَ إِلاّ هُوَ } [المدثر: ٣١]. وعن أبي ذَر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنِّي أرى مالا ترون، وأسمع مالا تسمعون أَطَّتِ السماء، وحُقَّ لها أن تَئِط، والذي نفسي بيده، ما فيها موضع أربعة أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدٌ لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء

على الفرشات ولخرجتم إلى الصُّعُدَات تَجأَرون إلى الله تعالى ". [رواه أحمد، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير ، برقم: ٢٤٤٩]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زِمَامٍ مع كل زِمَامٍ سبعون ألف ملكٍ يجرونها ". [رواه مسلم].

وظائف الملائكة:

للملائكة وظائف متعددة خلقهم الله لذلك ومن تلك الوظائف:

١ - حمل العرش: قال تعالى:{الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَاتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ}[غافر:٧ -٩]. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال:" أُذِن لي أن أحدث عن ملكٍ من ملائكة الله من حملة العرش إنَّ ما بين شحمة أذنه إلى عاتقة مسيرة سبعمائة عام ".[رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم: ٨٥٤].

٢ - النزول بالوحي على أنبياء الله ورسله عليهم السلام: والموكل بذلك وهو جبريل عليه السلام، قال تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ}[الشعراء: ١٩٣ -١٩٤].

٣ - الموكَّلون بالسَّحاب والقطر والنَّبات والأرزاق: قال تعالى:{فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً}[النازعات: ٢]، أي: الملائكة التي تزجر السَّحاب يسوقونه إلي حيث شاء الله .. والزَّجر يعني: السوق. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" الرَّعد ملكٌ من ملائكة الله موكَّلٌ بالسَّحاب، معه مخاريق من نار يَسوق بها السَّحاب حيث شاء الله". [رواه الترمذي وقال: حديث حسن].

٤ - الموكَّل بالجبال: فعن عائشة رضي الله عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم أشدُّ من يوم أحد؟ قال:" لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدُّ ما لقيت منهم يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إذ عَرَضَتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالَيْلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أَسْتَفِق إلا وأنا بِقَرن الثَّعالب، فرفعت رأسي، وذا أنا بسحابة قد أظلَّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال: إنَّ الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وماردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسَّلم عليَّ ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملكُ الجبال، وقد بعثني ربي لتأمرني بأمرك، فما شئت: إن شئت أَطْبقتُ عليهم الأخشبين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا ". [رواه البخاري ومسلم].

٥ - الموكَّلون بالأرحام: قال تعالى:{هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[آل عمران ٦]. وعن أبي ذَرٍ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا مرَّ بالنُّطفة اثنان وأربعون ليلة بعث الله تعالى إليها ملك فصوَّرها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال أي رب: ذكرٌ أم أنثى، فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ". [رواه مسلم].

٦ - ملائكة يتعاقبون في بني آدم: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم - وهو أعلم بهم - كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون ". [رواه البخاري ومسلم].

٧ - ملائكة موكَّلون بحفظ بني آدم: قال تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ}[الأنعام: ٦١] .

قدرات الملائكة:

يتمتع الملائكة بقوة عظيمة جدًا، فمن عِظَم قوتهم أن العرش يحمله أربعة، وإسرافيل عليه السلام بنفخة واحدة يصعق من في السَّماوات والأرض وبنفخة أخرى يخرجون من القبور، قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ}[الزمر: ٦٨]. بل بلغ من قوَّة جبريل عليه السلام أنه اقتلع جبال آل لوط وبلادهم دفعة واحدة، بطرف جناح من أجنحته السِّتمائة.

عصمة الملائكة:

تدل آيات القرآن الكريم على أن الله عز وجل عَصَم الملائكة من المعاصي والذنوب، قال تعالى: {لايَعْصُونَ اللهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}[التحريم: ٦].

قال ابن حزم:" وقد علمنَا أَنَّه لَا يَعْرى أحد من ذَنْب إِلَّا الْمَلَائِكَة والنبيين صلى الله عَلَيْهِم وَسلم وَأما من دونهم فَغير مَعْصُوم". وقال البلقيني في منهج الأصوليين:" العصمة واجبة لصفة النُّبوة والملائكيَّة وجائزة لغيرهما، ومن وجبت له العصمة فلا يقع منه كبيرة ولا صغيرة، ولذلك نعتقد عصمة الملائكة المرسلين منهم وغير المرسلين ". وقال ابن عادل الحنبلي:" دلت الآية على عصمة الملائكة عن جميع الذنوب؛ لأن قوله {وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ} يدلُّ على أنهم منقادون لخالقهم، وأنهم ما خالفوه في أمرٍ من الأمور، كقوله {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ}[مريم: ٦٤]، وقوله: {لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالقول وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} [الأنبياء: ٢٧]، وكذلك قوله تعالى:{وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}[التحريم: ٦]، وذلك يدل على أنهم فعلوا كلَّ ما أمروا به، فدل على عصمتهم عن كل الذنوب.

ثمرات الإيمان بالملائكة:

للإيمان بالملائكة ثمرات وآثار جليلة منها:

١ - العلم بعظمة الله تعالى، وقوَّته، وسلطانه، فإنَّ عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

٢ - شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، فجعل من الملائكة من يقوم بحفظهم ومصالحهم.

٣ - محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى.

٤ - أن الله جنبنا بما اطّلعنا من أمر هذه الأرواح المؤمنة وأفعالها الوقوع في الخرافات والأوهام التي وقع فيها من لا يؤمنون بالغيب ولا يتلقون معارفهم عن الوحي الإلهي.

٥ - الاستقامة على أمر الله عز وجل، فإن من يستشعر بقلبه وجود الملائكة، ويؤمن برقابتهم لأعماله وأقواله وشهادتهم على كل ما يصدر عنه ليستحي من الله ومن ملائكته فلا يخالفه ولا يعصيه.

٦ - الصبر ومواصلة الجهاد في سبيل الله وعدم اليأس والشعور بالأنس والطمأنينة، فهذه المعاني من لوازم الايمان بالملائكة.

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

الركن الثالث: الإيمان بالكتب السماوية

تعريف الكتب السماوية:

الكتب لغة: جمع (كتاب)، بمعنى :مَكْتُوب.

وشرعاً هي: الكتب التي أنزلها تعالى على رسله رحمة للخلق، وهداية لهم؛ ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة.

حقيقة بالإيمان بالكتب السماوية:

الإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأنَّ نزولها من عند الله حقاً.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه، كالقرآن الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم، (والتوراة) التي أنزلت على موسى صلى الله عليه وسلم، (والإنجيل) الذي أنزل على عيسى صلى الله عليه وسلم، (والزبور) الذي أوتيه داود صلى الله عليه وسلم ويسمى الإيمان التفصيلي بكل كتابٍ على حدة لورود اسمه ومن نزل عليه، وأمَّا ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً، بمعنى: أنه يجب على كل أحد أن يؤمن بِكُلِّ كتابٍ أنزله الله - عز وجل – على رسله ولو لم يذكر اسمه بالتفصيل، لأنَّ الكتب المنزلة من عند الله على رسله كثيرة، لم يفصل القرآن منها بالاسم إلا القليل كالتوراة والإنجيل...، وما عداها نؤمن به إجمالاً ولو لم نعلم بأسمائها تفصيلاً؛ لأنه يجب على العباد أن يؤمنوا بكلِّ كتاب أنزله الله تعالى سواءً عَلِمُوهُ أو لم يعلموه، كما قال سبحانه {وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ}[الشورى:١٥].

الثالث: تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم، قال الله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ}[المائدة: ٤٨]، أي: حاكما عليه، وعلى هذا فلا يجوز العمل بأيِّ حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صحَّ منها وأقره القرآن.

فالإيمان بالكتب السماوية ركن من أركان الإيمان الستة، التي أمر الله تعالى الإيمان بها، ورسوله عليه الصلاة والسلام، وحسبنا في ذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ}[النساء: ١٣٦]. وقوله تعالى: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا

أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ}[البقرة: ١٣٦].

و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزاً يوماً للناس، فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال:" الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله وتؤمن بالبعث ". [رواه البخاري ومسلم].

اتفاق الكتب السماوية في العقائد واختلافها في الشرائع:

اتفقت دعوة الأنبياء من أولهم إلى آخرهم على أصل العبادة وأساسها وهو التوحيد، بأن يفرد الله تعالى بجميع أنواع العبادة اعتقاداً وقولاً وعملاً، ويُكفر بكلِّ ما يعبد من دونه، وأما الفروض المتعبَّد بها فقد يُفرض على هؤلاء من الصلاة والصوم ونحوها مالا يُفرض على الآخرين، ويُحرم على هؤلاء ما يُحل للآخرين، امتحاناً واختباراً، قال تعالى:{لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} . [هود: ٧].

ومما يدل على اختلاف الشرائع قوله الله عز وجل:{لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} . [المائدة: ٤٨]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" الأنبياء إخوة لعلَّات، أمَّهاتُهم شتَّى ودينُهم واحد ".[رواه البخاري]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: (شرعة ومنهاجا): سبيلاً وسنة. وقال قتادة:" شرعة ومنهاجًا، الدين واحد والشريعة مختلفة ". وقال الحافظ ابن كثير في معنى الحديث:" أي: القدر المشترك بينهم وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم ". وقال الحافظ ابن حجر في معنى الحديث:" أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع ".

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

القرآن الكريم وخصائصه

من الكتب السماوية التي أنزلها الله تعالى (القرآن الكريم) على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

تعريف القرآن:

القرآن لغة: مصدر قرأ بمعنى: الجمع والضم، فالقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعضٍ في الترتيل، والقرآن في الأصل كالقراءة، قال تعالى:{إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وقَرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}[القيامة:١٧ -١٨] أي قراءته.

اصطلاحاً هو: كلام الله المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، المعجز بلفظه ومعناه، المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس.

حقيقة الإيمان بالقرآن:

هو: الاعتقاد الجازم بأن القرآن كلام الله تعالى حروفه ومعانيه لا كلام غيره، مُنزَّلٌ غير مخلوقٍ، منه بدأ، وإليه يعود، أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم.

شرح التعريف:

معنى قولهم:" أن القرآن كلام الله تعالى حروفه ومعانيه لا كلام غيره"، أي: أن الله سبحانه وتعالى تكلم بهذا القرآن ونطق به بالحرف والصوت على وجه الحقيقة، وليس هذا القرآن كلام أحد من المخلوقين، ومعنى قولهم:" مُنزَّلٌ غير مخلوق"، أي: أن القرآن أنزله الله تعالى على محمد عليه الصلاة والسلام بواسطة جبريل عليه السلام، وليس هو مخلوق من المخلوقات بل هو كلام الله تعالى.

ومعنى قولهم:" منه بدأ "، أي: أن الذي بدأ بهذا القرآن وتكلّم به وخرج منه هو الله سبحانه وتعالى، وليس هو كلام جبريل ولا محمد عليهما السلام وليس كلام أحد من المخلوقين.

ومعنى قولهم:" وإليه يعود "، إشارة إلى آخر الزمان حيث يرفع الله تعالى القرآن من المصاحف فلا يبقى منه حرفٌ، ويرفعه من الصدور فلا تبقى في القلوب منه آيةٌ، كما ورد في أشراط الساعة، وقد جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:"...وأنَّ هذا القرآن الذي بين أظهركم يوشك أن يرفع، قالوا: و كيف يرفع وقد أثبته الله في قلوبنا و أثبتناه في مصاحفنا ؟ قال: يسري عليه ليلة فيذهب ما في قلوبهم وما في مصاحفكم، ثم قرأ {و لئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك

} [الإسراء:٨٦] [رواه الحاكم وصححه الذهبي في التخليص]. وقال ابن أبي العز الحنفي:" وأمَّا الإيمان بالقرآن فهو الإقرار به، واتباع ما فيه" .

خصائص القرآن:

١ - أنَّه تضمن خلاصة التعاليم الإلهية، وجاء مؤيِّداً ومصدِّقاً لما جاء في الكتب السابقة، من توحيد الله وعبادته، ووجوب طاعته، وجمع كل ما كان متفرقاً في تلك الكتب من الحسنات والفضائل، وجاء مهيمناً ورقيباً يقر ما فيها من حق، ويبين ما دخل عليها من تحريف وتغيير.

٢ - أنَّه تضمَّن الشرائع والأحكام التي فيها سعادة البشرية في الدارين، فنسخ الله به جميع الشَّرائع العملية الخاصة بالأقوام السابقة، وأثبت فيه الأحكام النِّهائية الخالدة الصالحة لكلِّ زمانٍ ومكان.

٣ - أنَّه الكتاب الرباني الوحيد الذي تَعهَّد الله بحفظه وبقائه كما أنزله دون تحريف أو تغيير، بينما دخل التَّحريف والتَّغيير على غيره من الكتب.

٤ - أنَّه كتاب عام لجميع البشر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ليس خاصَّاً بقوم معينين كما كانت تنزل الكتب السابقة.

وجه إعجاز القرآن:

القرآن معجز بكلِّ ما يحتمله هذا اللفظ من معنى، فهو مُعْجز في:

- ألفاظه وأسلوبه، والحرف الواحد منه في موضعه من الإعجاز الذي لا يغني عنه غيره في تماسك الكلمة، والكلمة في موضعها من الإعجاز في تماسك الجملة، والجملة في موضعها من الإعجاز في تماسك الآية.

- وهو مُعْجز في بيانه ونظمه، يجد فيه القارئ صورة حية للحياة والكون والإنسان.

- وهو مُعجز في معانيه التي كشفت السِّتار عن الحقيقة الإنسانية ورسالتها في الوجود.

- وهو مُعجز بعلومه ومعارفه التي أثبت العلم الحديث كثيرًا من حقائقها المغيبة.

- وهو مُعجز في تشريعه وصيانته لحقوق الإنسان وتكوين مجتمع مثالي ينعم بالسعادة والراحة.

قال الخطابي:" القرآن إنما صار معجزًا؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظم التأليف، مضمَّنًا أصح المعاني، من توحيد الله وتنزيهه في صفاته، والدعاء إلى طاعته، وبيان لمنهاج عبادته، من تحليل وتحريم، وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق، وزجر عن مساويها، واضعاً كلَ شيءٍ منها في موضعه الذي لا يُرى شيء أولى منه، ولا يُتوهم في صورة العقل أمر أليق به منه، مودعًا أخبار القرون الماضية وما نزل من مَثُلات الله بمن عصى وعاند منهم، منبِّئاً عن الكوائن المستقبلة في الأعصار الماضية من الزمان - جامعًا في ذلك

بين الحجة والمحتج له، والدليل والمدلول عليه، ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه، وإنباء عن وجوب ما أمر به ونهى عنه".

وذكر الزركشي في معرض حديثه عن أوجه إعجاز القرآن أن من بينها:" الروعة التي له في قلوب السَّامعين وأسماعهم سواء المُقرُّ والجاحد، ومنها أنه لم يزل ولا يزال غَضًّا طَرياً في أسماع السَّامعين وعلى ألسنة القارئين، ومنها جمعه بين صفتي الجَزالة والعُذوبة وهما كالمتضادين لا يجتمعان غالبا في كلام البشر، ومنها جعله آخر الكتب غنيًّا عن غيره وجعل غيره من الكتب المتقدمة قد يحتاج إلى بيان يرجع فيه إليه ".

فالقرآن معجز من جميع الوجوه كما قرَّره الآلوسي بقوله:" وقد أطال العلماء الكلام على وجه إعجاز القرآن، وأتوا بوجوه شتى الكثير منها خواصه وفضائله...، والذي يَخطُر بقلب هذا الفقير، أنَّ القرآن بجملته وأبعاضه حتى أقصر سورة منه معجز بالنظر إلى نظمه وبلاغته وإخباره عن الغيب، وموافقته لقضية العقل ودقيق المعنى، وقد يظهر كلها في آية وقد يستتر البعض كالإخبار عن الغيب، ولا ضير ولا عيب فما يبقى كافٍ وفي الغرض وافٍ".

ثمرات الإيمان بالكتب الإلهية:

١ – العلم بعناية الله تعالى بعباده حيث أنزل لكل قومٍ كتاباً يهديهم به.

٢ – شكر الله تعالى على لطفه بخلقه وذلك بإرشادهم لما فيه خيرهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة.

٢ – ظهور حكمة الله تعالى حيث شرَعَ في هذه الكتب لكلِّ أمَّة ما يناسبها، وكان القرآن العظيم خَاتَم مناسباً لجميع الخلق في كلِّ عصرٍ ومصرٍ إلى قيام الساعة.

٤ – إثبات صفة الكلام لله تعالى وأنَّ كلامه لا يُشْبِه كلام المخلوقين.

٥ _ التَّحرُّر من التخبط الفكري والعقدي، ومن زُبَالات أفكار البشر بهدي السَّماء.

٦ _ السَّير على طريقٍ مستقيمةٍ واضحةٍ لا اضطرابَ فيها ولا اعوجاج.

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

الركن الرابع: الإيمان بالرسل

تعريف النبي والرسول:

النبي في اللغة: مشتق من النبأ، وهو الخبر؛ قال تعالى: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ} [النبأ: ١ – ٢]. وإنما سُمي النبي نبيًّا لأنَّه مُنبأ؛ أي: مُخْبَر من الله عزَّ وجلَّ أي: يُوحِي الله إليه نبأً من شَرعِه؛ قال تعالى: {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا} [التحريم: ٣].

النبيُّ اصطلاحاً هو: من أوحى الله تعالى إليه بشريعة رسول قبله ليُجدِّدها، ويُحيي معالِمها ويُصحح ما عَلَقَ بها.

والرسول في اللغة: مأخوذٌ من البعث وهو الإرسال والتوجيه؛ فالرسول هو المبعوث المُوجَّه برسالة؛ قال تعالى عن ملكة سبأ: {وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ} [النمل:٣٥].

الرسول اصطلاحاً هو: من أوحى الله تعالى إليه بشرعٍ جديد وأرسله الله سبحانه وتعالى إلى قومٍ كافرين ومكذبين.

الفرق بين النبي والرسول:

الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام بعثهم الله تعالى لتجديد شريعة من قبلهم، فلم يُنزَّل عليهم كتاباً ولم يُرسَلوا إلى قومٍ لم تبلغهم رسالةٌ سابقة، وإنما يُرسَلون إلى قومٍ مُوافِقين مخطئين في بعض الأمور، أو يُخلَفون من المرسلين في أقوامهم؛ كما خلف شِيْث عليه السَّلام أباه آدم عليه السلام في ذريَّته، وكما خلف إسحاق أباه إبراهيم عليه السَّلام في أهله وقومه من بعده، وأمَّا الرُّسلُ عليهم الصَّلاة والسَّلام بعثهم الله تعالى برسالة وشرع جديد حملوها وأُمِروا بتبليغها للناس؛ قال تعالى: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ } [النحل: ٣٦].

حقيقة الإيمان بالأنبياء والرسل:

الإيمان بالأنبياء والرسل هو: التصديق الجازم بأنَّ الله تعالى بعث في كل أمَّة رسولاً منهم يدعوهم إلى عبادة الله وحده والكفر بما يُعبد من دونه، وأنَّ جميع المرسلين صَادِقُون مُصَدَّقُون بارُّون راشدون كرام بررة أتقياء أمناء هداةً مهتدون، وأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به، ولم يكتموا، قال تعالى: {فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [النحل: ٣٥]، وأنَّ الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً، واتخذ محمداً صلى الله عليه وسلم خليلاً، وكلَّم موسى تكليماً، ورفع إدريس مكاناً علياً، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه.

وإيماننا بالأنبياء والرسل عليهم السَّلام على مرتبتين، إيمان إجمالي وإيمان تفصيلي :

فالإيمان الإجمالي هو: أنْ يُؤمن العبد بكلِّ نبيٍّ أو رسولٍ بعثه الله تعالى إلى قومٍ ولو لم يرد ذكر اسمه وقومه في القرآن الكريم أو السنة النبوية؛ لأنَّ أعداد الأنبياء والرسل عليهم الصَّلاة والسَّلام كثيرة، لم يرد في القرآن والسنة إلا القليل ممَّن فصِّلت أسماؤهم وأقوامهم، قال تعالى:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ}[غافر: ٧٨]. وأمَّا الإيمان التفصيلي فهو: الإيمان بمن سمَّى الله منهم في القرآن تفصيلاً أو سمَّى النبي صلى الله عليه وسلم، فيجب الإيمان تفصيلاً بأنَّ إبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً عليهم الصَّلاة والسَّلام رسلٌ من الله تعالى لورود تفصيل أسمائهم وأقوامهم وهي مرتبة الإيمان التفصيلي.

فمن أركان الإيمان هو الإيمان بالرسل والأنبياء عليهم السلام كما تظافرت الأدلة على وجوب الإيمان بهم، ومن ذلك: قول الله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ❖ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا - وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ}[النساء:١٥٠ - ١٥٢]. وقال تعالى:{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ}[البقرة: ٢٨٥].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" آمنت بالله ورسله".[رواه البخاري]. وعن عمر رضي الله عنه، وفيه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أجاب لما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان فقال:" أنْ تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ".[رواه مسلم]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يقول:" اللهم لك الحمدُ أنت نور السَّماوات والأرض، ولك الحمدُ أنت قيِّم السَّماوات والأرض، ولك الحمدُ أنت رب السَّماوات والأرض ومن فيهنَّ......، والنبيُّون حقٌّ ".[رواه البخاري ومسلم].

حاجة البشرية للأنبياء والرسل:

مما لا شك فيه أن البشرية جمعاء محتاجة إلى الرسل وتعاليمهم لصلاح قلوبهم، وإنارة نفوسهم، وهداية عقولهم؛ فتعرف وجهتها في الحياة، وعلاقتها بالخالق سبحانه وتعالى، فالرسل هم صمام الأمان للسير على الصراط المستقيم بعيداً عن الانحراف والزيغ، يقول ابن تيمية في توضيح ذلك:" وليست حاجة أهل الأرض إلى الرسول كحاجتهم إلى الشمس والقمر والرياح والمطر، ولا كحاجة الإنسان إلى حياته، ولا كحاجة العين إلى ضوئها، والجسم إلى الطعام والشراب، بل أعظم من ذلك، وأشدّ حاجة من كلّ ما يقدّر ويخطر بالبال، فالرسل وسائط بين الله وبين خلقه في أمره ونهيه، وهم السفراء بينه وبين عباده".

ويضيف ابن القيم في بيان ذلك بقوله:" ومن هاهنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول، وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا، ولا في الآخرة إلاّ على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلاّ من جهتهم، ولا يُنال رضا الله البتة إلاّ على أيديهم...، فأيّ ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير".

عصمة الأنبياء والرسل:

الكلام على عصمة الأنبياء يشمل عدة أنواع وهي:

النوع الأول: العِصمة في التَّحمُل وفي التَّبليغ: فقد اتَّفقت الأمَّة على أنَّ الرسل معصومون في تَحمل الرسالة، فلا ينسون شيئاً مما أوحاه الله إليهم إلا شيئاً قد نُسخ، وقد تكفَّل الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بأنْ يُقرِئه فلا ينسى شيئاً مما أوحاه إليه، إلا شيئاً أراد الله أن ينسيه إياه، قال تعالى:{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى* إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ}[الأعلى: ٦، ٧]، وتكفَّل له بأن يَجْمعه في صدره، فقال تعالى:{لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ*إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ }[القيامة: ١٦ – ١٨]. وهم كذلك معصومون في التَّبليغ لا يكتمون شيئاً ممّا أوحاه الله إليهم، ذلك أنَّ الكتمان خيانة، والرسل يستحيل أنْ يكونوا كذلك، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} [المائدة: ٦٧]، وما يدل على عصمته في التبليغ قوله تعالى:{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}[النجم: ٣_ ٤].

النوع الثاني: عدم العصمة من الأعراض البشرية: كالخوف والغضب والنسيان فيقع من الرسل والأنبياء عليهم السَّلام، ولا ينافي عصمتهم والأمثلة على ذلك في الكتاب والسنة كثيرة، فمن ذلك: خوف إبراهيم عليه السلام من ضيوفه، قال تعالى: {فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ}[هود:٧٠]. ونسيان آدم وجحوده: قال تعالى:{ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فَنَسِيَ ولم نجد له عزماً }[طه:١١٥].

النوع الثالث: العصمة من الكبائر دون الصغائر: فهم مَعْصُومون من الإقرار على الذنوب مطلقاً، فإن وقع منهم زلاّت من جنس ذلك، فإنهم يتداركونها بالتوبة والإنابة، ثم يرتقون إلى منزلة أعلى من المنزلة التي كانوا عليها قبل الذنب، ومن أمثلة ذلك ما وقع من معصية آدم عليه السلام بأكله من الشجرة التي نهاه الله تعالى عن الأكل منها، ثم تاب من ذلك فتاب الله عليه، قال تعالى:{وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى}[طه: ١٢١ _ ١٢٢]. وكذلك ما وقع من داود عليه السلام في إسراعه بالحكم قبل سماع قول الخصم الثاني، فأسرع إلى التوبة فغفر الله له ذنبه، قال تعالى:{فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَاب فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ}[ص: ٢٤ –

٢٥]. ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم عاتبه ربه في أمور منها قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التحريم: ١].

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

معجزات الأنبياء والرسل وأنواعها:

تعريف المعجزة:

المعجزة لغة: أصل المعجزة من (العَجْز) والعَجْزُ الضعف، تقول: عَجَزتُ عن كذا، أعْجِزُ بالكسر عَجْزَاً ومَعْجِزَةً ومَعْجِزاً بالفتح، وتأتي بمعنى: نقِض الحزم، والتأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر: أي مؤخره.

اصطلاحاً هي: هي أمر يظهره الله بخلاف العادة على يد مدعي النبوة عند تحدي المنكرين على وجه يعجز المنكرون عن الإتيان بمثله.

فشروط المعجزة هي:

١ _ أن تكون خارقة للعادة، فخرج ما ليس بخارق للعادة مثل ما يصدر من الأنبياء من الأفعال والأحوال الطبيعية.

٢ _ أن تجري على أيدي الأنبياء ليُعلَم صدقهم، فخرجت الأمور الخارقة التي تجري على أيدي الأولياء فهي ليست بمعجزات وإنما هي كرامات بسبب متابعتهم للأنبياء.

٣ _ أنْ يعجز المنكرون عن الإتيان بمثلها، فخرج به ما يدعيه الكذابون من السحرة والكهان من الشَّعوذة، فإنها لا تسلم من المعارضة بل يعارضها أمثالها مما يفعله السحرة والمشعوذون.

٤ _ أن تكون مقرونة بدعوى وزمن النبوة ومصاحبة فإذا تأخرت بزمن يسير فليست معجزة.

٥ _ أن تكون المعجزة موافقة للمطلوب، فإن جاءت مخالفة للمطلوب سميت إهانة كما حصل لمسيلمة الكذاب، فإنه تَفَل في عين لتبرأ فعميت السليمة.

نماذج من معجزات الأنبياء:

أولاً: آية نبي الله صالح:

أرسل الله نبيه صالحاً عليه السلام إلى قبيلة ثمود يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وحده، وهي من قبائل العرب، وكان صالح واحداً منها، وكانت مساكنها بـ (الحِجْر)، وكان قوم صالح عليه السلام قد أنعم الله عليهم بمظاهر الحضارة من العمران والبنيان، بيد أنهم كانوا جاحدين لأنعمه، منكرين لوحدانيته، وقد طالبوا نبيهم بمعجزة تثبت أنه رسول من الله إليهم، فأتاهم بالناقة، وأمرهم أن يتركوا الناقة وشأنها، ولا يمسوها بسوء، غير أنهم لم يلتفوا لأمره، وقتلوا الناقة، فعاقبهم سبحانه شر عقاب، ونجى نبيه صالحاً والذين آمنوا معه، قال تعالى:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ}[النمل: ٤٥]، فكذَّبوه وطلبوا منه آية تدل على صدقه، قال تعالى:{ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ

الْمُسَحَّرِينَ ❖ مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ❖ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ❖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ❖ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ}[الشعراء:١٥٣ -١٥٧].

ثانياً: معجزة إبراهيم عليه السلام:

عندما دعا نبي الله إبراهيم عليه السلام قومه إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الأصنام، وأخذ يحاجُّهم في كل طريق، وبكل وسيلة، حتى انتهى به الأمر إلى أن حطَّم تلك الأصنام، حتى يبيِّن لقومه سوء صنيعهم في عبادة آلهة لا تضر ولا تنفع، فلما تبين القوم سوء فعلهم، وقلة حيلتهم في دفع حجج إبراهيم؛ وبان عجزهم، وظهر الحق، واندفع الباطل، عدلوا عندئذ إلى استعمال جاهِ مُلكهم، فجمعوا الحطب وأشعلوا له النَّار، ورموه فيها، فأمر الله تعالى النَّار ألا تُصيبه بأذى وأن تكون عليه برداً وسلاماً، قال تعالى:{قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ❖ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ❖ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ}[الأنبياء: ٦٨ -٧٠] .

ثالثاً: آيات نبي الله موسى عليه السلام:

أعطى الله موسى تسع آيات بينات، قال تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ}[الإسراء: ١٠١].

وهي المذكورة في سورة الأعراف : الطوفان والجراد والقُمّل والضفادع والدم مع اليد والعصا والأخذ بالسنين ونقص الثمرات فهذه تسع آيات، وأعظم هذه الآيات وأكبرها العصا التي كانت تتحول إلى حيّة عظيمة عندما يلقيها على الأرض، قال تعالى:{وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى❖ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى❖ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى❖ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى❖ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى}[طه: ١٧ -٢١].

وكان من شأن هذه العصا أن ابتلعت عشرات من الحبال والعصي التي جاء بها فرعون ليغالبوا موسى، قال تعالى:{قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ❖ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ❖ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ❖ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى ❖ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى}[طه: ٦٥ -٦٩]. وعندما عاين السحرة ما فعلته حيَّة موسى، علموا أنَّ هذا ليس من صنع البشر، إنما هو من صنع الله خالق البشر، فلم يتمالكوا إلا أن يخِرُّوا أمام الجموع ساجدين لله ربِّ العالمين، قال تعالى: {فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى}[طه: ٧٠].

رابعاً: معجزات نبي الله عيسى عليه السلام:

من معجزاته التي أخبرنا الله بها أنّه كان يصنع من الطين ما يشبه الطيور، ثمَّ ينفخ فيها فتصبح طيوراً بإذن الله وقدرته، ويمسح الأكمه فيبرأ بإذن الله، ويمسح الأبرص فيذهب الله عنه برصه، ويمرُّ

على الموتى فيناديهم فيحييهم الله تعالى، وقد حكى القرآن لنا هذا في قوله تعالى مخاطباً عيسى:{وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي} [المائدة: ١١٠].

خامساً: معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم:

وهي دالّة على صدقه شاهدة بنبوته مؤكِّدة لرسالته، وقد عدّها بعض العلماء أنها أكثر من الألف، ومن أعظمها القرآن الكريم، والكتاب المبين، وهو معجزة تخاطب النفوس والعقول، باقية دائمة إلى يوم الدين، لا يطرأ عليها التغيير ولا التبديل، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ❖ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: ٤١ -٤٢].

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر، فقد سأل أهلُ مكة الرسولَ صلى الله عليه وسلم آية، فانشق القمر شقين، حتى رأوا حراء بينهما، وقد كان القمر عند انشقاقه بدراً، وقد سجّل الله ذكر هذه المعجزة في كتابه، فقال تعالى:{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ❖ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ} [القمر: ١ -٢].

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثيره الماء ونبعه من بين أصابعه الشريفة، فقد وقع من هذا شيء كثير من الرسول صلى الله عليه وسلم، فعن جابر بن عبد الله، قال: عطش الناس يوم الحديبية، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها، ثمَّ أقبل الناس نحوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ما لكم "؟ قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ به، ونشرب إلا ما في رِكْوَتِك، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الرِّكْوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، قال: فشربنا، وتوضأنا، قيل لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة ". [رواه البخاري].

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

أدلة ثبوت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم:

دلائل النبوة الشاهدة بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم متنوعةٌ وكثيرة، ويجمعها أقسام ستة:

الأول: الغيوب التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم وتحقَّقت حال حياته أو بعد وفاته كما أخبر عنها، ومن هذا النوع أيضاً ما أخبر به عليه الصَّلاة والسَّلام من الإعجاز العلمي الذي شهد بصحته العلم التَّجريبي الحديث.

الثاني: المعجزات الحسيَّة التي وهبها الله النبي صلى الله عليه وسلم كتكثير الطعام وشفاءِ المرضى وانشقاقِ القمر.

الثالث: الدلائل المعنوية، كاستجابة الله دعاءه، وعصمتِه له من القتل، وانتشارِ رسالته عليه الصَّلاة والسَّلام، فهذا النوع من الدلائل يدل على تأييد الله له ومعِيَّته لشخصه ثم لدعوته ودينه، ولا يُؤيِّد الله دعيَّاً يفتري عليه الكذب بمثل هذا.

الرابع: القرآن الكريم وهو من أعظم الأدلة على نبوته صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ما من الأنبياء من نبيٍّ، إلا قد أُعطي من الآيات، ما مثلُه آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أُوتيتُ وحياً أَوحى اللهُ إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرَهم تابعاً يوم القيامة " [رواه البخاري ومسلم].

الخامس: إخبار النبوات السَّابقة وتبشيرها بمَقْدَمه صلى الله عليه وسلم، فهو النبي الذي أخذ الله الميثاق على الأنبياء أن يؤمنوا به وينصروه حال بعثته، قال تعالى:{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ}[آل عمران: ٨١].

ثمرات الإيمان بالأنبياء والرسل:

١ _ العلم برحمة الله تعالى وعِنَايته بعباده حيث أرسل إليهم الرسل لِيَهدُوهم إلى صراط الله تعالى، ويُبيِّنوا لهم كيف يعبدون الله؛ لأنَّ العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.

٢ - شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

٣ - محبة الرسل عليهم الصَّلاة والسَّلام وتعظيمهم، والثَّناء عليهم بما يليق بهم؛ لأنهم رسل الله تعالى، ولأنهم قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده.

٤ - معرفةُ الله تعالى المعرفةَ الصحيحة عن طريق ما جاء به الرسل عليهم السلام.

٥ - تحقيق الرَّغبات والنَّزعاتِ البشرية في معرفة ما لا يستطيعُ العقل البشريُّ الوصولَ إليه بمجرده.

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر

تعريف اليوم الآخر وسبب تسميته بذلك:

اليوم: واحد الأيام، والآخر: نقيض المتقدِّم.

والمراد باليوم الآخر: يوم القيامة، ويدخل فيه كل ما كان مقدِّمة إليه كالحياة البرزخيَّة، وأشراط الساعة.

وسمي بذلك؛ لأنه آخر أيام الدنيا، أو آخر الأزمنة المحدودة.

حقيقة الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر هو: التصديق بكلِّ ما أخبر به الله عز وجل في كتابه وأخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم، مما يكون بعد الموت من فتنة القبر، وعذابه ونعيمه، والبعث، والحشر، والصحف، والحساب، والميزان، والحوض، والصراط، والشفاعة، والجنة والنار، وما أعد الله تعالى لأهلهما جميعا، كما دعت إلى ذلك نصوص الوحي من كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ومنها قوله تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ}[البقرة: ١٧٧]. وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا}[النساء: ١٣٦].

وعن عمر رضي الله عنه في حديث جبريل الطويل قال فأخبرني عن الإيمان، قال صلى الله عليه وسلم: " أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره".[رواه مسلم].

حكم الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان الستة، والإيمان به لا يتحقق إلا بأمرين:

الأول: أن يؤمن العبد باليوم الآخر بصورة إجمالية، ويعرف أن هناك يوم جعله الله تعالى آخر أيام الدنيا وهذا هو الحد الأدنى لتحصيل هذا الركن.

الثاني: أن يؤمن بكلِّ ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم على وجه التفصيل في أمور الغيب التي تكون بعد الموت.

الفوائد:

....

....

....

....

الحياة البرزخية:

تعريف البرزخ:

البرزخ لغة: الحاجز بين الشَّيئين.

اصطلاحاً: وهو ما بين الموت إلى البعث، ومن مات دخله.

وأما الحياة البرزخية فهي: ما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه وما يكون من أهوال بعدها إلى قيام الساعة.

قال محمد بن كعب:" البرزخ: ما بين الدنيا والآخرة، ليسُوا مع أهل الدنيا يأكلون ويشربون، ولا مع أهل الآخرة يُجازون بأعمالهم". وقال مجاهد: هو ما بين الموت والبعث.

دليل الحياة البرزخية:

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ }[المؤمنون: ٩٩_ ١٠٠].

المراد بفتنة القبر وأدلتها:

المراد بفتنة القبر: سؤال الميت إذا دفن عن ربه ودينه ونبيه. قال تعالى:{يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}[إبراهيم:٢٧]. عن أسماء رضي الله عنها قالت، قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إنه قد أوحي إليَّ أنَّكم تفتنون في قبوركم مثل (أو: قريباً من) فتنة الدجال".[رواه البخاري].

وقد دلت النصوص على عذاب القبر ونعيمه، فمن ذلك قول الله تعالى:{وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}[غافر:٤٥ – ٤٦]. قال القرطبي:" الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ وهو حجة في تثبيت عذاب القبر". وقال ابن كثير:" وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور". كما دل على عذاب القبر من القرآن أيضا قوله تعالى: {سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ} [التوبة: ١٠١]، فقد استدل بها كثير من السلف على عذاب القبر، فعن مجاهد أنه قال في تفسير الآية:" بالجوع وعذاب القبر، ثم يردون إلى عذاب عظيم يوم القيامة". وعن قتادة قال:" عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب عظيم".

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين، فقال:" إنهما ليُعذَّبان، وما يُعذَّبان في كبير أما أحدهما؛ فكان لا يَسْتبرئ من البول، وأما الآخر؛ فكان يمشي بالنميمة ثم دعا

بجريدة، فشقها نصفين، فقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا ". [رواه البخاري ومسلم]. وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لولا أن لا تَدافَنُوا لدعوت الله أن يُسْمِعَكم من عذاب القبر". [رواه مسلم].

قال القرطبي:" قال أبو محمد عبد الحق: اعلم أن عذاب القبر ليس مختصاً بالكافرين، ولا موقوفاً على المنافقين، بل يشاركهم فيه طائفة من المؤمنين، وكل على حاله من عمله، وما استوجبه من خطيئته". وقال ابن تيمية:" فأما أحاديث عذاب القبر ومسألة منكر ونكير؛ فكثيرة متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم". وقال ابن أبي العز الحنفي:" وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به".

المراد بالروح:

فإن حقيقة الروح مما استأثر الله به فلا يعلمها أحدٌ إلا الله سبحانه وتعالى، والروح والنفس بمعنى واحد، فهما مترادفان، قال ابن العربي في أحكام القرآن عند تفسير قوله تعالى: وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً {الإسراء:٨٥} . قال: والروح خلق من خلق الله تعالى جعله الله في الأجسام فأحياها به وعلمها وأقدرها، وبنى عليها الصفات الشريفة والأخلاق الكريمة.. فإذا أراد العبد إنكارها لم يقدر كون آثارها ظاهرة في الإنسان، وإذا أراد معرفتها وهي بين جنبيه لم يستطع لقصر فهمه علمه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى: والروح المدبرة للبدن التى تفارقه بالموت هي الروح المنفوخة فيه، وهي النفس التى تفارقه بالموت، وكان عليه الصلاة والسلام إذا نام يقول:"باسمك رب وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين" [رواه البخاري]، وقال تعالى:{اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى}[الزمر: ٤٢].

مستقر الأرواح في البرزخ

تتفاوت منازل أرواح العباد في البرزخ، ويمكن تقسيمها على النحو التالي:

١ - أرواح الأنبياء: وهذه تكون في خير المنازل في أعلى علِّيين، في الرفيق الأعلى.

٢ - أرواح الشُّهداء: وهي في أجواف طير خضر لها قَنَادِيل معلَّقة بالعرش تَسْرَح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القَنَادِيل.

٣ - أرواح المؤمنين الصالحين: وتكون طيوراً تَعْلَقُ شجر الجنة، فعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنما نَسْمة المؤمن طائر في شَجَر الجنة حتى يبعثه الله عز

وجل إلى جسده يوم القيامة ". [رواه النسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم : ٢٣٧٣].

٤ - أرواح العصاة: وردت نصوص تبين ما يلاقيه العصاة من العذاب، ومن ذلك أن الذي يكذب الكذبة تبلغ الآفاق يعذب بِكَلُّوب من حديد يدخل في شِدْقِه حتى يبلغ قفاه، والذي نام عن الصلاة المكتوبة يُشْدَخ رأسه بصخرة، والزُّناة والزَّواني يعذَّبون في ثُقْبٍ مثل التَّنور، ضيق أعلاه وأسفله واسع، توقد النار من تحته، والمرابي يسبح في بحر من دم، وعلى الشَّطِ من يلقمه حجارة.

٥ - أرواح الكفار: وتكون في النَّار.

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

أشراط السَّاعة:

أولاً: التعريف:

الشرط لغة: العلامة، قال الجوهري:" أشراط الساعة علاماتها ". وقال ابن الأثير:" الأشراط: العلامات ". وأما السَّاعة فهي الوقت الذي تقوم فيه القيامة ويحدث فيها أمر عظيم.

وأشراط السَّاعة اصطلاحاً هي: العلامات التي تسبق يوم القيامة وتدل على قدومها. قال ابن حجر في بيان المراد بالأشراط:" العلامات التي يعقبها قيام السَّاعة ". وقال الحليمي:" أما انتهاء الحياة الأولى فإن لها مقدمات تُسمَّى أشراط السَّاعة وهي أعلامها ". وقال البيهقي في تحديد المراد من الأشراط:" أي ما يَتَقَدَّمُها من العلامات الدالَّة على قرب حِينِها ".

ثانياً: أقسام أشراط السَّاعة:

تنقسم أشراط السَّاعة باعتبار الأشراط نفسها إلى قسمين:

القسم الأول: أشراط صغرى: وهي التي تَتَقدَّم السَّاعة بأزمان متطاولة كقبض العلم وظهور الجهل والتَّطاول في البنيان وغيرها من الأشراط الصغرى.

القسم الثاني: أشراط كبرى: وهي العلامات الكبيرة التي تظهر قرب قيام الساعة مثل: خروج الدَّجال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يَأْجُوج ومَأْجُوج، وغير ذلك من العلامات الكبرى.

قال البيهقي:" وهذه الأشراط صغار وكبار، فأما صغارها فقد وجد أكثرها، وأما كبارها فقد بدت آثارها".

ثالثاً: نماذج من أشراط السَّاعة الصغرى:

١ - بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" بعثت أنا والسَّاعة كهاتين، وأشار بأصبعيه السَّبابة والوسطى".[رواه البخاري] .

قال القرطبي:" أولها النَّبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّه نبيٌّ آخر الزمان وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبيٌّ". وقال الحافظ ابن رجب:" قوله صلى الله عليه وسلم:" بعثت أنا والسَّاعة كهاتين"، فقرن بين السَّبابة والوسطى، بقرب زمانه من السَّاعة كقرب السَّبابة من الوسطى، وبأنَّ زمن بعثته تَعْقُبه السَّاعة من غير تَخَلُلِ نبيٍّ آخر بينه وبين السَّاعة ...فكان إرساله صلى الله عليه وسلم من علامات السَّاعة ".

٢ - انشقاق القمر، قال الله تعالى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ}[القمر: ١ - ٢]. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمِنى إذ انْفَلَقَ القمر فِلْقَتَين، فكانت فِلْقَةٌ وراء الجبل وفِلْقَةٌ دونه، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:" اشهدوا ".[رواه مسلم]. قال ابن كثير :" انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات ". وقال ابن رجب:" وقد جعل الله انشقاق القمر من علامات اقتراب السَّاعة ". وقال القاضي عياض: "انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم، وقد رواها عدة من الصحابة رضي الله عنهم مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها".

٣ - نار الحجاز التي أضاءت أعناق الإبل بِبُصْرى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لا تقوم السَّاعة حتى تخرج نارٌ من أرض الحجاز تُضِيء أعناق الإبل بِبُصْرى". [رواه البخاري ومسلم]. قال النووي:" خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة، وكانت ناراً عظيمة جداً، من جنب المدينة الشَّرقي وراء الحَرَّة، وتواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان".

٤ - قبض العلم وظهور الجهل ، فعن أبي موسى وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن بين يدي السَّاعة لأيَّاماً ينزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها الْهَرْجُ، والْهَرْجُ: القتل ".[رواه البخاري]. قال ابن حجر:" قيل: إن المراد نقص علم كل عالم بأن يطرأ عليه النِّسيان مثلاً، وقيل: نقص العلم بموت أهله، فكلَّما مات عالمٌ ولم يَخْلُفه غيره نقص العلم من تلك البلد".

رابعاً: نماذج من علامات السَّاعة الكبرى:

١ - خروج المهدي، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لا تنقضي الأيام، ولا يذهب الدهر حتى يَمْلُكَ العرب رجلٌ من أهل بيتي، يُواطِئ اسمه اسمي ".[رواه الترمذي وأبو داود، وحسَّنه الألباني في مشكاة المصابيح، برقم: ٥٤٥٢]. وقال ابن كثير:" فصل في ذكر المهدي الذي يكون في آخر الزمان، وهو أحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، وليس بالمنتظر الذي تزعم الروافض وتَرْتَجي ظهوره من سِرْدَاب في سَامرا _ (سُرَّ مَن رأى) _ فإن ذاك ما لا حقيقة له ولا عين ولا أثر ".

٢ - خروج المسيح الدَّجال، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في النَّاس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدَّجال فقال:" إنِّي لَأُنْذِرُكُمُوه، وما من نبيٍّ إلا وقد أنذر قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبيٌّ لقومه، إنَّه أعور، وان الله ليس بأعور".[رواه البخاري ومسلم]. قال الخطابي:" هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدَّجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى، من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا، والخصب معه، وجنته وناره ونَهْرَيه، واتِّبَاع كنوز الأرض له، وأمره السَّماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، ويبطل أمره ويقتله عيسى صلى الله عليه وسلم ويثبت الله الذين آمنوا ".

٣ _ نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، قال تعالى:{وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ} [الزخرف:٦١]. أي: أنَّ نزول عيس عليه السلام قبل القيامة علامة على قرب السَّاعة. قال ابن كثير:" المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة، كما قال تبارك وتعالى:{وَإِن مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ}، أي: قبل موت عيسى، عليه الصَّلاة والسَّلام، ثم{يَوْمَ القِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً}[النساء:١٥٩]، ويُؤيِّد هذا المعنى القراءة الأخرى: وإنه لعلم للسَّاعة، أي: أمارة ودليل على وقوع السَّاعة، قال مجاهد:{وإنه لعلم للسَّاعة} أي: آية للسَّاعة خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة ".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" والذي نفسي بيده ليُوشِكَنَّ أنْ ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصَّليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، لا يقبلها من كافر، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السَّجدة الواحدة خيرٌ من الدنيا وما فيها ".[رواه البخاري].

٤ - خروج يَأْجُوج ومَأْجُوج، قال تعالى:{حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ❁ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ}[الأنبياء:٩٦ -٩٧]. وعن زينب بنت جَحْشٍ رضي الله عنها: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل يوماً فزعاً يقول:" لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرٍ قد اقترب، فُتِح اليومَ من رَدْمِ يَأْجُوج ومَأْجُوج مثل هذه"، وحلَّق بإصبعيه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جَحْشٍ: فقلت يا رسول الله أفَنَهْلِك وفينا الصَّالحون؟ قال:" نعم، إذا كَثُرَ الخبَث ".[رواه البخاري ومسلم].

قال ابن قدامة المقدسي:" ويجب الإيمان بكلِّ ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وصحَّ به النَّقل فيما شاهدناه أو غاب عنا، نعلم أنه حقٌ وصدقٌ، وسواءً في ذلك ما عَقِلْناه وما جَهِلْناه، ولم نطَّلع على حقيقة معناه، مثل حديث الإسراء والمعراج...ومن ذلك أشراط السَّاعة مثل خروج الدَّجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتله وخروج يَأْجُوج ومَأْجُوج ". وقال القاضي عياض:" الأحاديث الواردة في يَأْجُوج ومَأْجُوج: هذه الأخبار على حقيقتها يجب الإيمان بها؛ لأنَّ خروج يَأْجُوج ومَأْجُوج من علامات السَّاعة، وقد ورد في خبرهم أنَّه لا قدرة لأحدٍ على قتالهم من كثرتهم، وأنهم يحصرون نبيَّ الله عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين الذين نجوا من الدَّجال، فيدعو عليهم فيهلكهم الله عز وجل أجمعين بالنَّغَف - وهو دود في رقابهم - فيؤذون الأرض والمؤمنين بِنَتَنِهِم، فيدعو عيسى وأصحابه ربهم فيرسل الله طيراً فتحملهم حيث شاء الله ". وقال السفاريني:" إن خروجهم من وراء السَّد على الناس حقٌ ثابتٌ لوروده في الذكر وثبوته عن سيِّد البشر، ولم يُحِلْه عقل فوجبٌ اعتقاده".

خامساً: خطأ الانحراف في تنزيلها:

تنزيل النُّصوص الشَّرعية المتعلقة بالفتن والملاحم على ما يقع من النَّوازل مع القطع بذلك دون شكٍ ولا ترددٍ؛ من الرَّجمِ بالغيب، ومن القول على الله بغير علمٍ، وقد قال تعالى:{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ}[الإسراء: ٣٦]. فعن يَسِير بن جابر قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هَجِيْرى إلا يا عبد الله بن مسعود! جاءت الساعة، قال: فقعد، وكان متكئاً، فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يُقْسَم ميراث، ولا يُفْرَح بغنيمة، ثم قال بيده هكذا - ونحاها نحو الشام - فقال: عدوٌّ يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام، قُلْتُ الرُّومَ تَعْنِى؟ قَالَ: نَعَمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ...".[رواه مسلم].

قال القرطبي:" والذي ينبغي أن يقال به في هذا الباب أنما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من الفتن والكوائن أن ذلك يكون، وتعيين الزمان في ذلك من سنة كذا يحتاج إلى طريق صحيح يقطع

العذر". قال فيصل بن حيان آل صبحان:" اعلم أن تنزيل ما ورد من أحاديث الفتن على الأزمان المعينة أو الأشخاص المعينين على قسمين:

القسم الأول: تنزيل تام: بأن يقول: إن المقصود بالحديث الفلاني هو هذا الزمان بالذَّات، أو إنَّ المقصود بالشَّخص الفلاني المذكور في حديث كذا هو: فلان بن فلان، ونحو ذلك، وهذا النَّوع من التَّنزيل لا يجوز؛ لما يترتب على ذلك من العواقب الوخيمة والآثار الجسيمة، ولو لم يكن في ذلك إلا حصول فتنٍ جديدة ليست هي المقصود بالنصِّ لكفى...،

القسم الثاني: تنزيل جزئي، وإن شئت فقل: تنزيلُ معنى، بأن يقال: إنَّ معنى ما ورد في النَّص الفلاني قد وقع شيء منه في زماننا هذا؛ كحديث: يرفع العلم، وينزل الجهل، ويلقى الشُّح، فإن قائلاً لو قال: إنَّ زماننا هذا قد وقع فيه شيء مما ذكر فيه لما أنكر عليه أحد، ولكان قوله مقبولاً لا يُردُ، ومن نظر في كلام الأئمة عند شرحهم لمثل هذه الأحاديث؛ لرأى ذلك واضحا جليا ... والحمد لله".

الفوائد:

....
....
....
....
....
....
....

البعث

تعريف البعث وأدلته:

البعث هو: إعادة المخلوقات بعد فنائها للحساب والجزاء، من خير أو شر.

وقد دل على إثباته الكتاب والسنة، قال تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ*وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ}[الحج:٦ -٧]. وقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ}[الروم: ٢٧]. وقال تعالى:{أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ*وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ}[يس: ٧٧ -٧٩] إلى آخر السورة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزاً يوماً للناس، فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال:" الإيمان أنْ تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله وتؤمن بالبعث".[

رواه البخاري ومسلم]. وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول:" يُبْعثُ كلُّ عبدٍ على ما مات عليه".[رواه مسلم].

قال الطحاوي:" ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان". وقال ابن قدامة:" والبعث بعد الموت حق، وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ} [يس: ٥١] ".

وقال أبو عثمان الصابوني:" ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت يوم القيامة، وبكلِّ ما أخبر الله سبحانه به من أهوال ذلك اليوم الحق".

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

الحشر

تعريف الحشر وأدلته:

الحشر في اللغة هو: الْجَمْعُ مَعَ سَوْقٍ، وَكُلُّ جَمْعٍ حَشْرٌ.

وفي الاصطلاح الشرعي: إخراج الموتى عن قبورهم، وسوقهم إلى الموقف للحساب والجزاء.

والأدلة عليه كثيرة في الكتاب والسنة منها: قوله تعالى:{وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}[البقرة:٢٠٣]، وقوله تعالى:{ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ }[الأنعام:٥١]. وقوله تعالى:{وَيَوْمَ نحشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ} [يونس: ٤٥]. وسيأتي ذكر الأحاديث الدالة على ذلك في أنواع الحشر وصفته.

أنواع الحشر:

الحشر على أربعة أوجه: حَشْرَانِ في الدنيا وحَشْرَانِ في الآخرة:

الأول: الذي في الدنيا، ذكره الله تعالى في قوله:{هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ}[الحشر: ٢]. قال ابن عباس: من شكَّ أنَّ الحشر في الشَّام فليقرأ هذه الآية.

وقال الزهري:" كانوا من سِبْطٍ لم يصبهم جَلَاء، وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجَلَاء فلولا ذلك لعذَّبهم في الدنيا، وكان أوَّل حشرٍ حشروا في الدنيا إلى الشَّام".

الثاني: الحشر الذي ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" يُحْشَرُ النَّاس على ثلاثِ طرائق: راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويَحْشُر بقيتهم النَّار، تَقِيلُ معهم حيث قَالُوا، وتَبِيتُ معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتُمسي معهم حيث أمْسَوا ".[رواه البخاري ومسلم].

قال قتادة:" الحشر الثاني نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب تَبِيتُ معهم حيث بَاتُوا، وتَقِيلُ معهم حيث قَالُوا، وتأكل منهم من تَخلَّف". وقال القاضي عياض:" هذا الحشر في الدنيا قبل قيام السَّاعة وهو آخر أشراطها.

الثالث: حشرهم إلى الموقف، قال الله تعالى:{وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا}[الكهف: ٤٧].

الرابع: حشرهم إلى الجنة والنار، قال الله تعالى:{يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ❖ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا} [مريم: ٨٥، ٨٦].

صفة النَّاس في الحشر الذي هو البعث:

ورد في النُّصوص عدَّة صفات وأحوال في كيفية حشر النَّاس يوم القيامة ومن ذلك ما يلي:

١ - يحشر النَّاس حفاةً عراةً غرلاً، حفاة: غير متنعلين، عراة: غير لابسين، غرلاً: غير مختونين، كما يولدون يبعثون. عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّكم محشورون حفاةً عراةً غرلاً {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ}[الأنبياء:١٠٤] الآية ".[رواه البخاري].

٢ - صفة الوجوه وقت الحشر، تكون الوجوه يوم الحشر ذليلة خاضعة لهول ذلك اليوم، قال تعالى: {وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا}[طه، آية:١١١]، أي: ذلَّت وخضعت.

٣ - صفة الأبصار وقت الحشر، أما الأبصار فتكون خاشعة، قال تعالى:{خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ}[القمر: ٧].

٤ - يحشرون مسرعين:{يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ}[ق:٤٤]، أي: تشقَّقُ الأرض عنهم في حال كونهم مسرعين إلى الدَّاعي؛ وهو الملك الذي ينفخ في الصور، ويدعو النَّاس إلى الحساب والجزاء، وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أنّ النَّاس يوم البعث يخرجون من قبورهم مسرعين إلى المحشر قاصدين نحو الدَّاعي، جاء في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى:{يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ}

٥ - صفة حشر المتقين: قال تعالى: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً} [مريم:٨٥]، فذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنّ المتقين الذين كانوا يتقونه في دار الدنيا بامتثال أمره واجتناب نهيه يحشرون إليه يوم القيامة في حال كونهم وفداً ... والوفد من يأتي إلى الملك مثلاً في أمر له شأن".

٦ - صفة حشر الكافر، قال تعالى: {فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً} [مريم:٦٨]، فأقسم جل وعلا بنفسه الكريمة أنه يحشرهم، أي: الكافرين المنكرين للبعث، وغيرهم من النّاس، ويحشر معهم الشياطين الذين كانوا يضلونهم في الدنيا، وأنه يحضرهم حول جهنم جثِيًّا، وهذان الأمران اللّذان ذكرهما في الآية الكريمة أشار إليهما في غير هذا الموضع، أما حشره لهم ولشياطينهم، فقد أشار إليه في قوله: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ} [الصافات:٢٢ -٢٣]، أي: اجمعوا الظّالمين وأشْبَاهَهُم ونُظَراءَهم فاهدوهم إلى النار ليدخلها جميعهم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنّض رجلاً قال: يا نبيَّ الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: "أليس الذي أمْشَاه على الرِّجلين في الدُّنيا قادراً على أن يُمْشِيه على وجهه يوم القيامة؟ ". [رواه البخاري].

٧ - صفة أرض المحشر، قال تعالى: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [إبراهيم:٤٨]. وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يُحْشَرَ النَّاس يوم القيامة على أرضٍ بيضاء عَفْرَاء، كقُرْصَة النَّقي، ليس فيها عَلَمٌ لأحد". [رواه البخاري ومسلم].

قال النووي: " أي: ليس بها علامة سكنى أو بناء ولا أثر". وقال ابن حجر: " قال عياض: المراد أنها ليس فيها علامة سكنى ولا بناء ولا أثر ولا شيء من العلامات التي يهتدى بها في الطرقات كالجبل والصخرة البارزة، وفيه تعريض بأرض الدنيا وأنها ذهبت وانقطعت العلاقة منها". وقال أبو محمد عبد الله بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي المالكي ت٦٩٩هـ: " فيه دليل على عظيم القدرة والإعلام بجزئيات يوم القيامة؛ ليكون السَّامع على بصيرة فيُخلِّص نفسه من ذلك الهول؛ لأنّض في معرفة جزئيات الشيء قبل وقوعه رياضة النفس وحملها على ما فيه خلاصها ".

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

الحوض

تعريف الحوض وأدلته:

الحوض لغة: مجتمع الماء، ويجمع على أحواض، وحياض.

اصطلاحاً هو: موردٌ عظيمٌ ترده أمةُ محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - ممن اتَّبع هديه ولم يُبدِّل أو يُغيِّر.

وقد جاءت النصوص الكثير في شأنه، قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم:{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}[الكوثر:١]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم:" أنا فَرَطُكُم على الحوض".[رواه البخاري ومسلم]. وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال صلى الله عليه وسلم:" حوضي مسيرة شهرٍ، ماؤُهُ أبيض من اللّبن، وريحه أطيب من المسك، وكِيْزَانه كنجوم السماء، من شَرِبَ منه فلا يَظْمأ أبدا ".[رواه البخاري ومسلم].

قال محمد بن عبد الله بن أبي زمنين المري الأندلسي ت٣٩٩هـ في أصول السنة:" وأهل السنة يؤمنون بأنَّ للنَّبي محمد صلى الله عليه وسلم حوضاً أعطاه الله إيَّاه، من شرب منه شربة لم يَظْمأ بعدها أبدا ". قال ابن أبي العز الحنفي:" والحوض الذي أكرمه الله تعالى به غياثاً لأمته حقٌ ". وقال الحافظ الحكمي:" وحوض خيرِ الخلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الكوثر الذي أعطاه ربه عز وجل حقٌ لا مريةً فيه ".

صفة الحوض:

هو حوضٌ عظيمٌ، وموردٌ كريمٌ ومماَّ ورد في صفته أنّه: يُمدُّ من شراب الجنة، من نهر الكوثر، أشدُّ بياضاً من اللَّبن، أبرد من الثَّلج، أحلى من العسل، أطيب ريحاً من المسك، غاية في الاتساع، عرضه وطوله سواء، كِيْزَانه كنجوم السَّماء،كلَّ زاوية من زواياه مسيرةُ شهرٍ.

موضعه:

والحوض يكون في أرض المحشر، ويُمدُّ ماؤُهُ من الكوثر الذي هو نهر آخر أعطاه الله لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في الجنة قال تعالى:{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ }[الكوثر:١]. وقد اختلف أهل العلم في الميزان والحوض أيُّهما يكون قبل الآخر: فقيل الميزان قبلُ، وقيل: الحوض. والصَّحيح أنَّ الحوض قبلُ. قال القرطبي:" والمعنى يقتضيه فإنَّ النَّاس يخرجون عطاشاً من قبورهم ".

الفوائد:

....

....

....

....

الميزان

تعريف الميزان وأدلته:

هو: ميزانٌ حقيقي له لسانٌ وكفَّتان، توزن فيه أعمال العباد فيرجح بمثقالِ ذرةٍ من خيرٍ أو شرٍ.

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على ثبوت الميزان، قال تعالى:{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ}[الأنبياء: ٤٧].

قال الإمام الطحاوي:" ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان". وقال محمد بن عبد الله بن أبي زمنين المري الأندلسي ت٣٩٩هـ في أصول السنة:" وأهل السنة يؤمنون بالميزان يوم القيامة، قال عز وجل:{فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ❖ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ❖ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ❖ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ}[القارعة:٦ -٩] وقال:{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا}[الأنبياء: ٤٧]". وقال الغزالي:" وأما الميزان فهو أيضاً حقٌ وقد دلت عليه قواطع السَّمع، وهو ممكنٌ فوجب التصديق به ". وقال القرطبي:" قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأنَّ الوزن للجزاء، فينبغي أنْ يكون بعد المحاسبة، فإنَّ المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها ".

حقيقة الموزون:

دلت النصوص الواردة فيما يوزن في الميزان أشياء متعددة وهي:

١ - العامل يوزن مع عمله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:" إنَّه ليأتي الرَّجل العظيم السَّمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، قال: اقرءوا إن شئتم: فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ".[رواه البخاري ومسلم].

٢ - وزن الأعمال نفسها، فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" الطُّهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان".[رواه مسلم].

٣ - صحائف الأعمال، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الله سَيُخلِّص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فيُنْشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كلُّ سجلٍ مثل مدِّ البصر، ثم يقول: أتُنكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبتي

الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذرٌ؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنَّه لا ظلمَ عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السِّجلات، فقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السِّجلات في كفَّة والبطاقة في كفَّة، فطاشت السَّجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء".[رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن غريب].

قال ابن كثير:" وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحاً، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها، والله أعلم".

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

الصراط

تعريفه وأدلته:

الصراط هو: جسرٌ يوضع بين الجنة والنار، يَمرُّ النَّاس عليه على قدر أعمالهم.

وأدلته في الكتاب والسنة متعددة منها: قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ❖ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا}[مريم:٧١_٧٢]. وعن ثوبان رضي الله عنه أنَّ اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أين يكون النَّاس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" هم في الظُّلْمة دون الجسْر ".[رواه مسلم].

قال محمد بن عبد الله بن أبي زمنين المري الأندلسي ت٣٩٩هـ في أصول السنة:" وأهل السنة يؤمنون بالصراط وأنَّ النَّاس يمرُّون عليه يوم القيامة على قدر أعمالهم". وقال الأصبهاني:" وأن الصراط حقٌ وهي قنطرةٌ بين ظهراني جهنم لا بد من جوازها، وهي دحضٌ مزلَّةٌ عليها كَلَاليب وخَطَاطِيف وحَسَك ".وقال ابن أبي العز الحنفي:" ونؤمن بالصراط وهو جسر على جهنم، إذا انتهى النَّاس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظُّلمة التي دون الصراط". وقال السفاريني:" أجزم بثبوت الصراط فإنه حقٌ ثابتٌ بلا شَطَاطٍ وهو في اللغة الطريق الواضح ".

صفة الصراط:

ورد في وصفة الصراط أنَّه: أدقُّ من الشَّعرة، وأحدُّ من السَّيف، دحضٌ مزلةٌ : أي موضع تزل فيه الأقدام ولا تستقر، شديد الظلمة تحته جهنم سوداء مظلمة، عليه خَطَاطِيف وكَلَالِيب وحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لها شوكة عُقَيفاء. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ثمَّ يُؤْتى بالجِسْر فيجعل بين ظهري جهنم"، قلنا: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: "مدْحَضَةٌ مزلَّةٌ، عليه خَطَاطِيف وكَلَالِيب، وحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لها شوكة عُقَيفاء، تكون بنَجْد، يقال لها: السَّعدان، يمرُّ المؤمن عليها كالطَّرفِ وكالبرقِ وكالريحِ، وكأجاويد الخيل والركاب، فناجٍ مسَلَّمٌ، وناجٍ مخدوشٌ، ومَكْدُوسٍ في نار جهنم، حتى يمرَّ آخرهم يُسحب سَحبًا ".[رواه البخاري].

صفة مرور الناس عليه:

جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكونَ أولَّ من يَجوز من الرُّسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحدٌ إلا الرُّسل، وكلامُ الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم، وفي جهنم كَلَالِيب مثل شوك السَّعدان، هل رأيتم شوك السَّعدان؟ " قالوا: نعم، قال:" فإنها مثل شَوك السَّعدان غير أنَّه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تَخطف النَّاس بأعمالهم، فمنهم من يُوبَق بعمله، ومنهم من يُخَرْدَل ثم ينجو".[رواه البخاري].

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

أهوال يوم القيامة

يوم القيامة يوم عظيم أكثر الله تعالى من ذكره في القرآن وذكر ما فيه من الأهوال، ولذلك قال أبو حازم:" لو نادى منادٍ من السَّماء أمِن أهل الأرض من دخول النار لحقَّ عليهم الوَجَلُ من هول ذلك الموقف ومعاينة ذلك اليوم". ومن تلك الأهوال ما يلي:

١ - دك الأرض ونسف الجبال: قال تعالى:{فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ❖ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ❖ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ}[الحاقة: ١٣ـ ١٦].

٢ - قبض الأرض وطيُّ السماء: قال تعالى:{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}[الزمر:٦٧].

٣ - تفجير البحار وتسجيرها: قال تعالى: {وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ} [الانفطار:٣].

٤ - مَوَرَانُ السَّماء وانفطارها: قال تعالى: {يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاء مَوْرًا} [الطور:٩] .

٥ - تَكْوِير الشَّمس وخَسْفُ القمر وتَنَاثر النَّجوم: قال تعالى: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ❖وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ} [التكوير:١_ ٢].

٦ - تبديل الأرض: تُبدَّلُ هذه الأرض وتتغيَّر صفاتها ويكون عليها الحشر الأول ثم تذهب هذه الأرض تماماً يوم يحشر النَّاس لمكان الحساب أمام الجسر، قال تعالى: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [إبراهيم: ٤٨]. وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه السلام:" يحشر النَّاس يوم القيامة على أرض بيضاء عَفْراءَ كقُرْصَة النَّقي، ليس فيه مَعْلَمٌ لأحد ".[رواه البخاري ومسلم].

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

الشفاعة

تعريف الشفاعة وأدلتها:

الشفاعة: مأخوذة من الشَّفع، وهو ضد الوِتر، وهو جعل الوِتر شفعاً مثل أن تجعل الواحد اثنين، والثلاثة أربعة، وهكذا هذا من حيث اللغة.

الشفاعة في الشرع: هي التوسط للغير بجلب خيرٍ له أو دفع شرٍ عنه. قال ابن الأثير هي:" السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم ".

وقد جاءت النُّصوص الكثيرة من الكتاب والسنة في إثبات الشفاعة ومنها: قوله تعالى: {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ} [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: {مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ} [يونس:٣]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لكلِّ نبيٍّ دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أنْ أخْتَبِئَ دعوتي شفاعة لأمَّتي في الآخرة ".[رواه البخاري]. وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي.. وذكر منها : وأعطيت الشفاعة ".[رواه البخاري ومسلم].

قال الطحاوي:" والشَّفاعة التي ادَّخرها لهم حقٌ كما روي في الأخبار ". وقال الصابوني:" ويؤمن أهل الدين والسُّنة بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لمذنبي أهل التوحيد ومرتكبي الكبائر كما ورد به الخبر الصَّحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ". وقال الحكمي:" فهذه الشَّفاعة حقٌ يؤمن بها أهل السَّنة والجماعة كما آمن بها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ".

شروط الشفاعة:

إنَّ للشَّفاعة شرطين لا بدَّ وأنْ يتحققا ؛ لأنَّ الشَّفاعة عند الله عز وجل تختلف عن الشَّفاعة عند غيره، فهو يقبل الشَّفاعة ممَّن يريد وممَّن يأذن له، ولا يتقبَّلها في كلَّ من يشفع لهم، بل يقبلها سبحانه وتعالى فيمن يريد من عباده.

وهذان الشرطان هما:

أولا: الإذن من الله تعالى: بأن يأذن سبحانه وتعالى للشَّافع بأنْ يشفع، ومما يدلُّ على هذا الشَّرط قوله تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}[البقرة:٢٥٥]، وقوله عز وجل: {وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ}[سبأ: ٢٣]. ومن الأدلَّة من السَّنة حديث الشَّفاعة الطَّويل وقد ورد فيه قوله صلى الله عليه وسلم:" فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويُلْهِمُني محامد أحمده بها ".[رواه البخاري ومسلم].

ثانيا: رضا الله سبحانه وتعالى عن المشْفُوع له بأنْ يكون من أهل التوحيد المتَّبعين لأوامر الله عز وجل المجتنبين لنواهيه، قال تعالى:{يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا}[طه:١٠٩]، وقال تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ}[الأنبياء:٢٨]. يقول السَّعدي:" ومن تمام ملكه أنَّه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فكلُّ الوجهاء والشُّفعاء عبيد، مماليك لا يَقْدُمون على الشَّفاعة لأحد حتى يأذن لهم، قال تعالى:{قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الزمر:٤٤]، ولا يشفعون إلا لمن ارتضاه الله، ولا يرضى إلا عمَّن قام بتوحيده واتباع رسله، فمن لم يتَّصف بهذا فليس له في الشَّفاعة نصيب". وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: قلت: يا رسول الله: أيُّ النَّاس أسعد بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال:" أسعد النَّاس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه". فالشَّفاعة يوم القيامة لا تكون إلا لمن أذن له الله عز وجل وارتضاه شفيعا، فيُلْهِمه الله بأنْ يشفع، فيُشَفِّعَه الله في من يشاء من عباده.

أقسام الشفاعة:

تنقسم الشَّفاعة إلى قسمين:

١ _ الشَّفاعة المُثبتة: وهي ما جمعت شروط الشَّفاعة الثلاثة: رضي الله عن الشَّافع، رضاه عن المشْفوع له، إذنه في الشَّفاعة، ودليل ذلك قوله تعالى:{وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا

إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى}[النجم:٢٦]، لكن الشَّفاعة العظمى في الموقف عامة لجميع النَّاس من رضي الله عنهم ومن لم يرض عنهم.

٢ _ الشَّفاعة المنفيَّة: وهي ما يتعلَّق به المشركون في أصنامهم حيث يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاء لهم عند الله، كما قال تعالى:{وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ}[يونس:١٨]، ولكن هذه الشَّفاعة عند الله لا تنفع، كما قال تعال:{فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} [المدثر: ٤٨].

أنواع الشفاعة:

١ - الشَّفاعة العظمى: وهذه الشَّفاعة من أعظم الشَّفاعات، وتكون لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وهي المقام المحمود الذي أعطاه الله تعالى لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى فيه:{عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا}[الإسراء:٧٩].

٢ - شفاعته صلى الله عليه وسلم باستفتاح باب الجنة، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أنا أول النَّاس يشفع في الجنَّة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً ".[رواه مسلم].

٣ - الشَّفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سلمة وقد شقَّ بصره، فأَغْمَضَه ثم قال:" إنَّ الرَّوح إذا قبض تبعه البصر"، فضجَّ ناسٌ من أهله فقال:" لا تَدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإنَّ الملائكة يُؤَمِّنون على ما تقولون، ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المَهْدِيِّين، واخْلُفْه في عَقِبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره ونوِّر له فيه ".[رواه مسلم].

٤ - الشَّفاعة في بعض الكفار من أهل النَّار حتى يخفف عنهم، وهذه الشَّفاعة خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب، فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنَّه قال: يا رسول الله، هل نَفَعْتَ أبا طالبٍ بشيءٍ فإنَّه كان يَحُوطُكَ ويَغضب لك؟ قال:" نعم، هو في ضِحْضَاحٍ من نار ولولا أنا لكان في الدَّرك الأسفل من النَّار ".[رواه البخاري ومسلم].

٥ - الشَّفاعة في أهل الكبائر من أمَّته، ممن دخل النَّار، فيخرجون منها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" شَفَاعتي لأهل الكبائرِ من أمَّتي ".[رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح].

٦ - الشَّفاعة في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب، فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" يدخل الجنة من أمَّتي سبعون ألفاً بغير حساب"، قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال:" هم الذين لا يَكْتَوون، ولا يَسْتَرْقُون، ولا يَتَطِيَّرُون وعلى ربهم يتوكَّلون "، فقال عكاشة بن

محصن رضي الله عنه: أدعُ الله أن يجعلني منهم، قال:" أنت منهم"، قال: فقام رجل فقال: يا نبيَّ الله، أدْع الله أن يجعلني منهم، قال:" سبقك بها عكاشة ".[رواه البخاري ومسلم].

٧ - شفاعة الرسول ﷺ في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم: فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة وفي آخرين قد أمر بهم إلى النَّار أنْ لا يدخلوها.

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

رؤية الله تعالى في الآخرة

رؤية المؤمنين لربهم عز وجل بالأبصار في الدَّار الآخرة من أشرف المسائل وأجلِّها، وقد تضافرت النُّصوص من الكتاب والسُّنة الدالَّة على رؤية الله تعالى ومنها، قوله تعالى:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ❖ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}[القيامة:٢٢_٢٣]. قال عباس رضي الله عنهما: تَنْظُر إلى وجه ربها عز وجل. وقال عكرمة: تَنْظُر إلى ربها نَظَراً . وقال الطحاوي:" وهذا قول كلِّ مفسِّرٍ من أهل السُّنة والحديث". وقال تعالى: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ}[المطففين:١٥]. واحتج الشافعي رحمه الله وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة، حيث قال:" لمَّا أنْ حَجَب هؤلاء في السَّخط، كان في هذا دليلٌ على أنَّ أولياءه يرونه في الرَّضا ".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ ناساً قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" هل تُضَارُّون في رؤية القمر ليلة البدر "؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال:" هل تُضَارُّون في الشَّمس ليس دونها سحاب " ؟ قالوا: لا، قال:" فإنَّكم ترونه كذلك ".[رواه البخاري ومسلم]. وعن جرير بن عبد الله البَجَلي رضي الله عنه قال: كنَّا جلوساً مع النبي صلى الله عليه وسلم، فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال:" إنَّكم سترون ربَّكم عَيَاناً، كما ترون هذا، لا تُضَامُّون في رؤيته ".[رواه البخاري ومسلم].

قال أبو حنيفة:" ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعينِ رؤوسهم بلا تَشْبِيه ولا كيفيَّة ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة ". وقال الطحاوي:" والرؤية حقٌّ لأهل الجنة بغير إحاطةٍ ولا كيفيةٍ كما نطق به كتاب ربنا {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ❖ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}، وتفسيره على ما أراده الله تعالى وعلمه، وكلُّ

ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو كما قال ومعناه على ما أراد لا ندخل في ذلك مُتَأَوِّلِين بآرائنا ولا مُتَوهِّمِين بأهوائنا، فإنه ما سَلِم في دينه إلا من سَلَّم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم وردَّ علم ما اشتبه عليه إلى عالمه".

الفوائد:

....
....
....
....
....
....
....

الجنة والنار

تعريفهما:

الجنة هي: دار النَّعيم المقيم لأوليائه الطَّائِعين، والنَّار: دار العذاب المقيم للعصاة والكافرين.

أدلة وجودهما:

دلت النُّصوص الكثيرة من الكتاب والسُّنة على وجود الجنة والنَّار الآن وأنهما مخلوقتان موجودتان الآن ومن ذلك: قوله تعالى عن الجنة:{أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}[آل عمران:١٣٣]، وقال في النار:{أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}[البقرة:٢٤]، وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" اطَّلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطَّلعت في النَّار فرأيت أكثر أهلها النساء".[رواه البخاري]. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّ أحدكم إذا مات عُرِض عليه مَقْعَده بالغداة والعشيِّ، إنْ كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإنْ كان من أهل النَّار فمن أهل النَّار، فيقال: هذا مَقْعَدُك حتى يبعثك الله يوم القيامة ".[رواه البخاري ومسلم].

أدلة أبديَّتَهُما:

الجنة والنار لاتفنيان ولاتزولان، فهما باقيتان أبداً ببقاء الله تعالى لهما قال الله تعالى في الجنة:{خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[التوبة:١٠٠]، وقال تعالى فيها:{عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ}[هود:١٠٨]، وقال تعالى:{لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ}[الواقعة:٣٣]. فأخبر تعالى بأبَدِيَّتها وأبديَّة حياة أهلها، وعدم انقطاعها عنهم وعدم خروجهم منها.

وقال تعالى عن أبدية وبقاء النار: {إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}[النساء:١٦٩]، وقال تعالى:{وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}[الجن:٢٣]، وقال تعالى:{وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} [البقرة:١٦٧]. وغير ذلك من الآيات التي أخبر فيها تعالى أنَّ أهل النَّار الذين هم أهلها خُلِقتْ لهم وخُلِقوا لها، أنهم خالدون فيها أبدا، فنفى تعالى خروجهم منها بقوله: {وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} [البقرة:١٦٧] . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" أمَّا أهل النَّار الذين هم أهلها فإنهم لا يَمُوتُون فيها ولا يَحْيَوْن ".[رواه مسلم].

صفة الجنة:

وصف الله عز وجل الجنة بأوصاف متعددة ومن ذلك:

١ - أبواب الجنة، وهي ثمانية أبواب مُفَتَّحة للمؤمنين يُسلِّم عليهم الملائكة، قال تعالى:{هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ❖ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ}[ص:٤٩_٥٠]. وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يُسمَّى الرَّيَّان لا يدخله إلا الصائمون ".[رواه البخاري].

٢ - مساكنها، فقد ذكر الله مساكن أهل الجنة وأنها طيِّبة، وأنهم في غرفات آمنون، قال تعالى:{وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[التوبة:٧٢]. وقال تعالى:{وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ}[سبأ:٣٧].

٣ - أشجار الجنة وثمارها، وصفت الجنة بأنها البستان المحْفُوف بالشَّجر، المتَكاثِف بالأعناب والنَّخيل والرُّمان، حيث الجمال الرَّائع والأشجار المتدانِية القُطوف الوفيرة الأثمار وقد حَفِل القرآن الكريم بشواهد لهذا الصِّنف من الخير والجمال، فقال تعالى:{إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ❖ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا}[النبأ:٣١_٣٢].

٤ - أنهار الجنة، ففي الجنة أنهارٌ وصفت بأنها تجري في غير أخادِيد، وأنها متنوعة، قال تعالى:{وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ}[البقرة:٢٥]، وأنهار الجنة ليست ماء فحسب، بل منها الماء، ومنها اللَّبن ومنها الخمر، ومنها العسل المُصفَّى، قال تعالى:{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى}[محمد:١٥].

٥ - الجنة لا مِثْل لها وأنها فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال: قال تعالى:{ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[السجدة:١٧]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصَّالحين ما لا عينٌ رأت وأذنٌ سمعت ولا خطر على قلبِ بشر، فاقرءوا إن شئتم {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ} ".[رواه البخاري ومسلم].

صفة النَّار:

وصف الله تعالى النَّار بأوصاف متعددة ومن ذلك:

١ - أبواب النَّار، وهي سبعة أبوابٍ، قال تعالى:{وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ❖ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ}[الحجر:٤٣_ ٤٤].

٢ - دَرَكَات النَّار، فكما أنَّ الجنة درجات عليا، فالنار دركات سفلى، قال تعالى:{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ}[النساء:١٤٥].

٣ - وقود النار، فقد ذكر الله تعالى أنَّ وقود النَّار هم البشر والحجر، قال تعالى:{فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}[البقرة:٢٤].

٤ - شِدَّة حرِّها وعِظَم دُخَانها وشَرَارِها: قال تعالى:{وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ❖ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ❖ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ❖ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ}[الواقعة:٤١_٤٤].

٥ - سُرَادِق النَّار: قال تعالى:{إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا}[الكهف:٢٩].

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

للإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة منها:

١ - الإيمان باليوم الآخر يدفع إلى طاعة الله، فالمسلم حين يؤمن باليوم الآخر وأنَّه سَيُحاسب على ما كَسَبَت يداه إنْ خيراً فخير وإنْ شراً فشر، يدفعه هذا إلى عمل الطَّاعات والمُسَارعة فيها ومراقبة الله عز وجل في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ، قال تعالى:{لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ

اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ، يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ} [آل عمران:١١٣ -١١٤] .

٢ - تَسلية المؤمن عمَّا يَفُوته من نعم الدُّنيا ومُتَعِها، فالإيمان باليوم الآخر يجعل صاحبه هَادِئ البال إذا ما رأى غيره يَتقلَّب في النِّعم الدُّنيوية ويتمتَّع بملذَّاتها إذ إنَّه يرى الدنيا دار مَمَرٍ وإنما الآخرة هي دار الراحة والاستقرار، قال تعالى: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [القصص:٦٠].

٣ - اليقين الجازم بعدل الله في المجازاة على الأعمال الصَّالحة والسيِّئة بجميع أنواعها ودرجاتها، فيحمده على كمال عدله ويشكره على جزيل فضله، قال تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ❖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة:٧ -٨].

الفوائد:

....
....
....
....
....
....
....

الركن السادس: الإيمان بالقضاء والقدر

أهمية الإيمان بالقضاء:

يعتبر الإيمان بالقضاء والقدر من الجوانب المهمة في العقيدة الإسلامية، وله الأثر الواضح في سلوك المرء وتَصرُّفاته ونظرته للحياة ومن حوله، وفي موقفه من الوقائع والأحداث التي تحصل في هذه الحياة، وتكمن أهمية القضاء والقدر في حديث جبريل وسؤاله للنبي عليه الصلاة والسلام عن الإيمان فأجاب بالأركان الستة وختمها بقوله: " الإيمان بالقدر خيره وشره". [رواه مسلم]. فكلُّ ما يجري في هذا الكون سواء على صَعِيد الأمم والمجتمعات وما يكون لها من الرِّفعة والمَهانة أو البقاء والزَّوال...، أو على صَعِيد الفرد والإنسان وما يجري له من الخير والشر والغنى والفقر والمرض والصِّحة...، أو على صَعِيد الأحداث والواقع في هذا الكون وما يحصل فيه من الزَّلازل والفَيَضَانات ولحروب...، هذا وغيره؛ كلَّه بتقديره تبارك الذي خلق كلَّ شيء فقدَّره تقْديراً، يجب الإيمان به على المعنى الصَّحيح، حسب ما ورد من الأدلَّة في القرآن الكريم والسُّنة المُطهَّرة، ومنها قول الله تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر:٤٩]، وقوله تعالى: {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا

مَقْدُورًا}[الأحزاب:٣٨]، وقوله تعالى:{ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان:٢]. وقوله عليه الصلاة والسلام:" كَتَبَ الله مَقَادِير الخلائق قبل أنْ يَخلق السَّماوات والأرض بخمسين ألف سنة" .[رواه مسلم].

تعريف القضاء والقدر:

القضاء في اللغة: هو الحُكْم والحَتْم، وأصله القطع والفصل وقضاء الشيء وإحكامه والفراغ منه، قال تعالى:{فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ}[فصلت:١٢]، أي: فرغ من خلقهن.

والقضاء شرعاً هو: إيجاد الله تعالى الأشياءَ حسب علمه وإرادته.

والقدر في اللغة: مأخوذ من التَّقْدير ومنه قدَرْتُ الشَّيءَ أقدِره وأقدُره، والقدَر -بفتح الدال -: القضاء، والحكم، وهو ما يقدِّره الله عز وجل من القضاء، ويحكم به من الأمور.

القدر شرعاً هو: علم الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل.

الفرق بين القضاء والقدر:

القَدَر عام والقَضَاء خاص فهو جزءٌ من القدَر، وقيل: القَضَاء هو القَدَر إذا ذكر وحده، والقَدَر هو القَضَاء إذا ذكر وحده؛ فإنْ اجتمعا وقيل: القَضَاءُ والقَدَرُ صار القَضَاءُ: وهو ما يفعله الله عز وجل، والقَدَرُ هو ما كتبه الله تعالى في الأَزَل والقِدَم، والمهم هو الإيمان بهذا الرُّكُن العظيم، والتَّصديق به، فالكلُّ واجب الإيمان به، بأنَّ ما قدَّر الله وقَضَى لابدَّ من الإيمان والتَّصديق به.

مراتب الإيمان بالقدر:

القَدَر يقوم على أربعة مراتب هي: العِلْم، الكِتابة، المشِيئة، الخلق.

وتفصيل تلك المراتب في الأمور التالية:

المرتبة الأولى: العلم، وهو الإيمان بأنَّ الله تعالى عالم بكلِّ شيءٍ جملةً وتفصيلاً، أزلاً، وأبداً، سواء كان ذلك مما يتعلَّق بأفعاله، أو بأفعال عباده؛ فعلمه محيط بما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنَّه عَلِم أعمالَ الخلق والعباد قبل أنْ يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وأعمالهم في جميع حركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم، ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار، من قبل أنْ يخلقهم ومن قبل أنْ يخلق الجنة والنَّار علم دِقَّ ذلك وجليله وكثيره وقليله وظاهره وباطنه وسرَّه وعلانيَّته ومبدأه ومنتهاه، قال تعالى:{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ}[الحشر:٢٢]، وقال تعالى:{لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا}[الطلاق:١٢]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سُئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال:" الله أعلم بما كانوا عاملين ".[رواه البخاري]. وعن عمران بن

حصين رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النَّار؟ قال:" نعم "، قال: فلم يعمل العاملون؟ قال:" كلٌّ يعمل لما خلق له أو لما يُسِّر له ".[رواه البخاري].

المرتبة الثانية: الكتابة، وهي الإيمان بأنَّ الله كتب ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة في اللَّوح المحفوظ، فكلُّ شيءٍ مكتوبٌ في أمِّ الكتاب، التي هي اللَّوح المحفوظ، والذكر، والإمام المبين، والكتاب المبين، لم يفرط فيه من شيء قال الله عز وجل:{مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}[الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى:{كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ}[يس:١٢]، وقال تعالى:{وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ}[القمر:٥٢_٥٣]. وعن علي رضي الله عنه قال: كنَّا جلوساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عودٌ يَنكُت في الأرض وقال:" ما منكم من أحد إلا قد كتب مَقْعده من النَّار أو من الجنة "، فقال رجلٌ من القوم: ألا نَتَّكِل يا رسول الله؟ قال:" لا، اعملوا فكل مُيَسَّرٌ، ثم قرأ: فأمَّا منْ أعطى واتقى".[رواه البخاري]. وعن جابر رضي الله عنه قال: جاء سُراقة بن مالك بن جَعْشَم، قال: يا رسول الله بَيِّن لنا ديننا كأنَّا خلقنا الآن، فيما العمل اليوم؟ أفيما جَفَّت به الأقلام وجرت به المقادير أمْ فيما نستقبل؟ قال:" لا، بل فيما جَفَّت به الأقلام وجرت به المقادير"، قال: ففيم العمل؟ فقال:" اعملوا فكلٌّ مُيَسَّرٌ".[رواه مسلم].

المرتبة الثالثة:

وهذه المرتبة تقتضي الإيمان بمشيئة الله النَّافذة، وقدرته الشَّاملة، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنَّه لا حركة، ولا سكون، ولا هداية، ولا إضلال إلا بمشيئته، قال تعالى:{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[يس:٨٢]، وما لم يشأ الله تعالى لم يكن لعدم مشيئة الله تعالى إيَّاه، قال تعالى:{وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}[السجدة:١٣]. فالسبب في عدم وجود الشيء هو عدم مشيئة الله تعالى إيجاده، لا أنَّه عَجْزٌ عنه، تعالى الله وتَقدَّس وتَنَزَّه عن ذلك، قال تعالى:{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا}[فاطر:٤٤]، وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ قلوب بني آدم كلَّها بين إصْبَعين من أصابع الرَّحمن، كقلبٍ واحدٍ، يُصرِّفه حيث يشاء".[رواه مسلم]، وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّ الله تعالى قَبَض أرواحكم حين شاء وردَّها حين شاء ".[رواه البخاري].

المرتبة الرابعة: مرتبة الخلق، وهو الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى خالق كلِّ شيء، فهو خالق كلِّ عامل وعمله، وكلِّ متحرك وحركته، وكلِّ ساكن وسكونه، وما من ذَرَّة في السَّموات ولا في الأرض إلا والله سبحانه وتعالى خالقها وخالق حركتها وسكونها، سبحانه لا خالق غيره ولا ربَّ سواه، قال الله تعالى: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}[الزمر:٦٢]، وقال تعالى:{هَذَا خَلْقُ اللَّهِ

فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ}[لقمان:١١]، وعن حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً:" أنَّ الله يصنع كلَّ صانع وصنعته".[رواه البخاري في خلق أفعال العباد، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم: ١٦٣٧]، وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول:" اللَّهم آتِ نفسي تقواها وزكها أنت خيرُ من زكَّاها إنَّك وَلِيُّها ومولاها ".[رواه مسلم].

حكم الاحتجاج بالقدر:

يجوز الاحتجاج بالقدر على المصائب، فيقول الإنسان عند حصول مصيبة أو نازلة من النوازل أن يقول: الحمدلله هذا بقضاء الله وقدره، فلا يسخط ولا يعترض على ما قدره الله تعالى وقضاه، و أنَّ ما يحصل له من أنواع الابتلاء كالمرض والجوع والألم، وفقد القريب وموت الصديق وغير ذلك من أنواع الابتلاء؛ أنَّه بقضاء الله وقدره، من باب التَّصبُّر والتَّسليم لأمر الله تعالى، فلا يَسْخط الإنسان ولا يَجْزَع ولا يَشْمت على ما يحصل له من المقادير، فإذا أصيب الإنسان بمصيبة عَلَّقَ ذلك بقدر الله؛ لأنَّه في تعليقه للقدر تطمئن النفس ويكمل الإيمان والهدى قال تعالى:{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنْ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ ❖ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ❖ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ}[البقرة:١٥٥ -١٥٦ -١٥٧].

ولا يجوز للإنسان الاحتجاج بالقَدَر ، بأن يترك الواجبات والطَّاعات، ويفعل المعاصي والذنوب ويقول هذا بقضاء الله وقدره، فهذا مخالف لأمر الله تعالى الذي أمرنا بفعل الواجبات والطَّاعات وترك المنهيات والمحرمات في كثير من الأدلة والنصوص في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

الفوائد:

....
....
....
....
....
....
....

العلاقة بين الإيمان بالقدر والأخذ بالأسباب:

المسلم يَتَعيَّن عليه مع إيمانه بالقدر أنْ يحرص على ما ينفعه، ويستعين بالله في أموره، ويبذل الأسباب المَشْروعة في تحقيق مطالبه، لأنَّه مُتعبَّدٌ بذلك من قِبَل الله تعالى، وبذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال:" احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإنْ أصابك شيء فلا تقل:

لو أنِّي فعلت كان كذا وكذا؟ ولكنْ قل: قَدَّر الله وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان".[رواه مسلم].

فالله تعالى الذي خلق الأسباب هو الذي خلق النتائج والثمار، فمن أراد النَّسل الصَّالح فلا بدَّ أنْ يتخذ لذلك سبباً وهو الزَّواج الشَّرعي، ولكن هذا الزواج قد يعطى الثِّمار وهي النَّسل وقد لا يعطي حسب إرادة العزيز الحكيم ومشيئته، قال تعالى: {يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ۞ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ} [الشورى:٤٩_٥٠].

ويَحرُم على المسلم ترك الأخذ بالأسباب، فلو ترك الإنسان السَّعي في طلب الرِّزق لكان آثماً مع أنَّ الرِّزق بيد الله تعالى، وقد بَيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ الأسباب المشروعة هي من قدر الله، فعن أبي خُزَامة رضي الله عنه قال: أرأيت رُقَى نَسْترقِي بها وتُقَى نَتَّقي بها وأدوية نَتَداوى بها، هل تردُّ من قدر الله شيئاً ؟ قال:" هي من قَدَر الله ".[رواه الترمذي، وقال: حديث حسن]. وبذلك يجمع المؤمن بين الحسنيين: بين الحرص على ما ينفعه مع الاستعانة بالله، وبين علمه أنَّ ما سيكون إنَّما هو بقدر الله تعالى، وليس له أنْ ترك الأعمال اتِّكَالاً على ما سبق به القدر، بل عليه أنْ يجد ويجتهد ويأخذ بالاحتياطات وأسباب النجاح، ويبتعد عن أسباب الفشل والخسارة، فمن جَدَّ وَجَد، ومن زَرَع حصد، فعلاج الفشل أيّاً كان نوعه يكون بمراجعة الحال مع الله بالتوبة والاستغفار، ثمَّ الاستعانة بالله وحُسن الظنِّ به وصدق التوكل عليه، ثم لزوم تقواه سبحانه والاستقامة على شريعته، ثمَّ الأخذ بالأسباب وعدم العجز، وليُوقِن أنَّ كلَّ ما يجري في هذا الكون مهما صغر أو عظم هو بقضاء الله تعالى وقدره، وسبق علمه به في سابق أزله، كما قال الله تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر:٤٩].

وهذا يعني التوكل على الله تعالى: وهو مباشرة الأسباب مع استشعار أنها لا تؤثر إلا بإذن الله، وعليه فالاعتماد الحقيقي في إنجاح المهمة على الله وحده، ولا يمنع ذلك أنْ تفعل ما تستطيع من الأسباب، فبذل السبب لا يناقض التوكل إذا كنت معتمداً على الله أثناء بذل السبب كما في الحديث قال صلى الله عليه وسلم:" اعقلها وتوكل".[رواه ابن حبان والترمذي وحسنه الألباني].

ويدل لهذا تخطيط النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة، فقد بذل أسباباً محكمة، ولما وقف المشركون على فَمِ الغَار قال أبو بكر لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" ما ظَنُّك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما".[رواه البخاري ومسلم].

ثمرات الإيمان بالقدر:

١ - الاستقامة على منهج الله في السَّرَّاء والضَّرَّاء، فالعباد بما فيهم من قصور وضعف لا يستقيمون على منهج الله، ولكنَّ الإيمان بالقدر يجعل الإنسان يمضي في حياته على منهج الله، لا تَبْطُره النعمة،

ولا تُيْئِسُه المصيبة، فهو يعلم أن كل ما أصابه من نعم وحسنات من الله، لا بذكائه وحسن تدبيره، قال تعالى: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} [النحل: ٥٣].

٢_ الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد على السَّبب نفسه؛ لأنَّ كلَّ شيءٍ بقدر الله، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [الملك: ١٥] .

٣ - أنْ لا يعجب المرء بنفسه عند حصول مراده؛ لأنَّ حصوله نعمة من الله تعالى، بما قدَّره من أسباب الخير والنجاح، وإعجابه بنفسه يُنْسيه شكر هذه النعمة.

٤ - الطُّمأنينة، والرَّاحة النَّفسيَّة بما يجري عليه من أقدار الله تعالى، فلا يقلق بفوات محبوب، أو حصول مكروه؛ لأنَّ ذلك بقدر الله الذي له ملك السماوات والأرض فهو كائن لا محالة، قال تعالى: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [التوبة:٥١].

٥ - العمل والنشاط والسعي في الأرض بما يرضي الله تعالى، فالإيمان بالقدر من أعظم الحوافز والدَّواعي للإقدام على الأعمال العظيمة بثباتٍ وحزمٍ ويقين.

٦_ الشَّجاعة في مواجهة الشَّدائد والثَّبات في ساحات الجهاد؛ لأنَّ الأرزاق مقسومة والآجال معلومة.

٧_ الإيمان بالقدر يَغْرِس في النُّفوس العبادات القلبية العظيمة، كالاستعانة بالله والتوكل عليه والافتقار لما عنده سبحانه وتعالى.

٨ - أن القدر سر أسرار الله تعالى في خلقه تبارك وتعالى، فقد جعل هذا سعيد وذاك شقي، وهذا فقير وذاك غني، وهذا مريض وذاك صحيح، وجعل من الناس الأبيض والأسود، وقسم بينهم الأخلاق كما قسم الأرزاق...؛ هذا وغيره من حكم الله تعالى في خلقه التي لم نطلع عليها وليس لنا علم ولا معرفة فيما يقدره الله تعالى ويقضيه، إذ مقتضى الإيمان بالقدر أن نرضى ونسلم التسليم المطلق لله تعالى فيما يفعل ويقدر دون اعتراض أو شك.

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

مقرر مادة الفقه(٢)

مقدمة

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

قال صلى الله عليه وسلم:" من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ". أخرجه الترمذي وحسنه. فالتفقه في الدين منزلته في الإسلام عظيمة، ودرجته في الثواب كبيرة؛ لأن المسلم إذا تفقه في أمور دينه، ويعرف ما له، وما عليه من حقوق وواجبات؛ يعبد ربه على علم وبصيرة، وتكون عبادته على نور وهدى من الله تعالى.

وبين أيديكم مقرر ميسر في الفقه الإسلامي يساعد طالب العلم على فهم أساسيات المسائل والأحكام الفقهية بشمولية وسهولة...

وبين أيديكم مقرر فقه (٢) وهو ميسر في الفقه الإسلامي للفصل الثاني من المستوى الأول، يساعد طالب العلم على فهم أساسيات المسائل والأحكام الفقهية بشمولية وسهولة...

أولاً: كتاب الزكاة

الباب الأول: في مقدمات الزكاة:

● **تعريف الزكاة:** الزكاة لغة: النماء والزيادة. وشرعاً:" عبارة عن حق يجب في المال الذي بلغ نصاباً معيناً بشروط مخصوصة، لطائفة مخصوصة".

● **حكم الزكاة:** الزكاة فريضة من فرائض الإسلام، وركن من أركانه الخمسة، وهي أهم أركانه بعد الصلاة؛ لقوله تعالى:(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) [البقرة: ٤٣]، وقوله تعالى:(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) [التوبة: ١٠٣]. ولقوله ﷺ:" بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان" متفق عليه. وقد أجمع المسلمون في جميع الأمصار على وجوبها، واتفق الصحابة على قتال مانعيها.

● **حكم منكرها:** من أنكر وجوب الزكاة جهلاً بها، وكان ممن يجهل مثله ذلك: إما لحداثة عهده بالإسلام، أو لكونه نشأ ببادية بعيدة عن الأمصار، عُرِّف وعُلِّم وجوبها، ولم يحكم بكفره، لأنه معذور. وإن كان منكرها مسلماً ناشئاً ببلاد الإسلام وبين أهل العلم، فهو مُرْتَدٌّ تجري عليه أحكام الردة، ويستتاب ثلاثاً، فإن تاب وإلا قُتل؛ لأن أدلة وجوب الزكاة ظاهرة لا تكاد تخفى على من هذا حاله، فإذا جحدها لا يكون إلا لتكذيبه الكتاب والسنة، وكفره بهما.

● **حكم مانعها بخلاً:** من منع أداء الزكاة بخلاً بها مع اعتقاده بوجوبها، فهو آثم بامتناعه ولا يُخرجه ذلك عن الإسلام؛ لأن الزكاة فرع من فروع الدين، فلم يكفر تاركه بمجرد تركه، لقوله ﷺ عن مانع الزكاة:" ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار" أخرجه مسلم، وهذا تؤخذ منه الزكاة قهراً مع التعزير، فإن قاتل دونها قوتل حتى يخضع لأمر الله تعالى، ويؤدي الزكاة؛ لقوله تعالى:(فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ) [التوبة: ٥]. وقوله ﷺ:" أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله" متفق عليه. ولقول أبي بكر الصديق:" لو منعوني عَنَاقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله لقاتلتهم عليها" متفق عليه. والعَنَاقُ: الأنثى من ولد المعز، ما لم تستكمل سنة. وكان معه في رأيه الخلفاء الثلاثة وسائر الصحابة، فكان ذلك إجماعاً منهم على قتال مانعي الزكاة، ومانعها بخلاً يدخل تحت هذه النصوص.

● **الأموال التي تجب فيها الزكاة خمسة أجناس:**

١ -**بهيمة الأنعام:** وهي الإبل، والبقر، والغنم، لقوله ﷺ:" ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها، إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه، تنطحه بقرونها، وتطؤه بأظلافها، كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يُقضى بين الناس" أخرجه مسلم.

٢ -**النقدان:** وهما الذهب والفضة، وكذلك ما يقوم مقامهما من العملات الورقية المتداولة اليوم، لقوله تعالى:(وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [التوبة: ٣٤]. وقوله ﷺ:" ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحَت له صفائح من نار، فأُحمِيَ عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت رُدَّت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة" أخرجه مسلم.

٣ -**عروض التجارة:** وهي كل ما أُعدَّ للبيع والشراء لأجل الربح؛ قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ) [البقرة: ٢٦٧]، فقد ذكر عامة أهل العلم أن المراد بهذه الآية زكاة عروض التجارة.

٤ -**الحبوب والثمار:** الحبوب: هي كل حب مدخر مقتات من شعير وقمح وغيرهما. والثمار: هي التمر والزبيب؛ لقوله تعالى:(وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ) [البقرة: ٢٦٧]. وقوله تعالى:(وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) [الأنعام: ١٤١]. وقوله ﷺ:" فيما سقت السماء والعيون أو كان عَثَرِيّاً العشر، وفيما سُقِي بالنَّضْحِ نصف العشر" أخرجه البخاري. [عَثَرِيّاً: الذي يشرب بعروقه من غير سقي، كأن يكون في بركة ونحوها يصب إليه من ماء المطر في سَوَاقٍ تشق له، أو يكون الماء قريباً منه فيشرب بعروقه، كالذي يكون قريبًا من الأنهار. بالنَّضح: يعني بالإبل التي يحمل عليها الماء لسقي الزرع، وتسمى: ناضح، والأنثى: ناضحة].

٥ -**المعادن والرِّكاز:**

المعادن: كل ما خرج من الأرض مما يخلق فيها، من غير وضع واضع مما له قيمة؛ كالذهب، والفضة، والنحاس، وغير ذلك. والرِّكاز: ما يوجد في الأرض من دفائن الجاهلية، ودليل وجوب الزكاة في المعادن والركاز عموم قوله تعالى:(أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ) [البقرة: ٢٦٧]. قال القرطبي في تفسيره: يعني النبات والمعادن والركاز. وقال ﷺ:" وفي الركاز الخمس" متفق عليه. وأجمعت الأمة على وجوب الزكاة في المعادن.

- **الحكمة في إيجاب الزكاة:**

١ -تطهير المال وتنميته، وإحلال البركة فيه، وذهاب شره ووبائه، ووقايته من الآفات والفساد.

٢ -تطهير المزكِّي من الشح والبخل، وأرجاس الذنوب والخطايا، وتدريبه على الإنفاق في سبيل الله.

٣ -مواساة الفقير وسد حاجة المعوزين والبائسين والمحرومين.

٤ -تحقيق التكافل والمحبة بين أفراد المجتمع، وزوال الأحقاد من القلوب، وطهارتها من الحسد.

٥ -في أدائها الشكر لله تعالى على ما أسبغ على المسلم من نعم، وطاعة له سبحانه في تنفيذ أمره.

٦ -تدل على صدق إيمان المزكي ومحبته لله؛ لأن المال المحبوب لا يخرج إلا لمحبوب أكثر محبة.

٧ -أنها سبب لرضا الرب، ونزول الخيرات، وتكفير الخطايا.

● **تجب على من توافرت فيه الشروط الآتية:**

١ -الإسلام: فلا تجب الزكاة على كافر؛ لأنها عبادة مالية يتقرب بها المسلم إلى الله، والكافر لا تقبل منه العبادة؛ لقوله تعالى:﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٥٤]، ولمفهوم قول أبي بكر الصديق ﷺ:" هذه فريضة الصدقة التي فرضها رسول الله ﷺ على المسلمين" رواه البخاري، لكنه مع ذلك محاسب عليها، لأنه مخاطب بفروع الشريعة على الصحيح.

٢ -الحرية، فلا تجب الزكاة على العبد والمُكَاتَب؛ لأن العبد لا يملك شيئاً، والمكاتب ملكه ضعيف، وأن العبد وما في يده ملك لسيده، فتجب زكاته عليه.

٣ -ملك النصاب ملكاً تاماً مستقراً (ليس بعرضة للتلف، فإن كان عرضة للتلف وعدم التمكن فلا زكاة فيه). وكونه فاضلاً عن الحاجات الضرورية التي لا غنى للمرء عنها، كالمطعم والملبس والمسكن؛ لأن الزكاة تجب مواساة للفقراء، فوجب أن يعتبر ملك النصاب الذي يحصل به الغنى المعتبر، لقوله ﷺ:" ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة، وليس فيما دون خمس ذود صدقة، وليس فيما دون خمس أواق صدقة" متفق عليه.

٤ -حَوَلان الحول على المال، بأن يمر على النصاب في حوزة مالكه اثنا عشر شهراً قمرياً؛ لقوله ﷺ" لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول" رواه ابن ماجه وصححه الألباني. وهذا الشرط خاص ببهيمة الأنعام والنقدين وعروض التجارة، أما الزروع والثمار والمعادن والركاز فلا يشترط لها الحول؛ لقوله تعالى:﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١]، ولأن المعادن والركاز مال مستفاد من الأرض، فلا يعتبر في وجوب زكاته حول، كالزروع والثمار.

● **أقسام الزكاة:** الزكاة قسمان:

١ - زكاة الأموال: وهي التي تتعلق بالمال.

٢ - زكاة الأبدان: وهي التي تتعلق بالبدن، وهي زكاة الفطر.

● **زكاة الدَّيْن:** الدين إذا كان على معسر فإن صاحب الدين يزكيه إذا قبضه لعام واحد في سنة قبضه، وإن كان على مليء قادر فإنه يزكيه لكل عام؛ لأنه في حكم الموجود عنده.

الباب الثاني: في زكاة الذهب والفضة:

● **حكم الزكاة فيهما:** تجب الزكاة في الذهب والفضة لقوله تعالى:(وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [التوبة: ٣٤] فهذا الوعيد دليل على ترك واجب. ولقوله ﷺ:" ما مِن صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحَت له صفائح من نار، فأُحْمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت عليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي الله بين العباد" أخرجه مسلم.

ولإجماع أهل العلم على أن في مائتي درهم خمسة دراهم، وعلى أن الذهب إذا كان عشرين مثقالاً، وقيمته مائتا درهم، تجب الزكاة فيه.

● **مقدارها:** مقدار الزكاة الواجبة في الذهب والفضة ربع العشر، أي في كل عشرين ديناراً من الذهب نصف دينار، وما زاد فبحسابه قل أو كثر، وفي كل مائتي درهم من الفضة خمسة دراهم، وما زاد فبحسابه؛ لقوله ﷺ:" وفي الرِّقَةِ كل مائتي درهم ربع العشر" أخرجه البخاري. [الرِّقَةُ: - بتخفيف القاف - الفضة والدراهم المضروبة منها، وأصله (الوَرِق) فحذفت الواو وعوض منها الهاء].

ولحديث علي:" وليس عليك شيء -يعني في الذهب - حتى يكون لك عشرون ديناراً. فإذا كان لك عشرون ديناراً، وحال عليه الحول، ففيها نصف مثقال" رواه أبو داود بإسناد حسن أو صحيح كما قال النووي. ولما جاء عن النبي ﷺ أنَّه:" كان يأخذ من كل عشرين مثقالاً نصف مثقال" رواه ابن ماجه والدارقطني وصححه الألباني.

● **شروطها:** يشترط لوجوب الزكاة في الذهب والفضة:

١ -بلوغ النصاب، وهو عشرون مثقالاً من الذهب؛ لحديث علي السَّابق، ويساوي بالجرامات (٨٥) جراماً. ونصاب الفضة مائتا درهم من الفضة لقوله ﷺ:" ليس فيما دون خمس أواق صدقة". والأوقية أربعون درهماً، فخمس أواق تساوي مائتي درهم، وقوله ﷺ:" وفي الرَّقَة ربع العشر، فإن لم تكن إلا تسعين ومائةً فليس فيها شيء، إلا أن يشاء رَبُّها" أخرجه البخاري. وقد أجمع العلماء على أن نصاب الفضة خمس أواق، ونصاب الذهب عشرون مثقالاً.

٢ -بقية الشروط العامة التي سبقت فيمن تجب عليه الزكاة، وهي: الإسلام، والحرية، والملك التام، وحَوَلان الحول، وقد سبق الكلام عليها.

- **ضم أحدهما (الذهب والفضة) إلى الآخر:** لا يضم أحدهما إلى الآخر في إكمال النصاب على القول الراجح؛ لأنهما جنسان مختلفان، فلم يضم أحدهما إلى الآخر، كالإبل والبقر، والشعير والقمح، مع أن المقصود منها واحد، وهو التنمية في الإبل والبقر، والقوت في الشعير والقمح، ولقوله ﷺ" وليس فيما دون خمس أواق صدقة".
- **زكاة الحُلِيّ:** لا خلاف بين أهل العلم في وجوب الزكاة في الحلي المعدّ للادخار والكِراء، وفي الحلي المُحَرَّم؛ كالرجل يتخذ خاتماً من ذهب، أو المرأة تتخذ حلياً صنع على صورة حيوان، أو فيه صورة حيوان، ولكن اختلفوا في الحلي المعدّ للاستعمال المباح والعارية، والصحيح وجوب الزكاة فيه، وذلك لما يلي:

١ -عموم النصوص الواردة في وجوب الزكاة في الذهب والفضة، وهذا العموم يشمل الحلي وغيره.

٢ -ما رواه أهل السنن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده:" أن امرأة أتت إلى رسول الله ﷺ ومعها ابنة لها وفي يد ابنتها مَسَكَتَانِ غليظتان من ذهب، فقال: أتؤدين زكاة هذا؟ قالت: لا، قال: أيسرك أن يسوِّرك الله بهما سوارين من نار، فخلعتهما، وألقتهما إلى النبي ﷺ" أخرجه أبو داود والنسائي والبيهقي وحسنه الألباني. وهذا الحديث نص في الموضوع، وله شاهد في الصحيح وغيره.

٣ -لأن هذا القول أحوط، وأبرأ للذمة؛ لقوله ﷺ:" دع ما يريبك إلى ما لا يريبك".

- **زكاة عُرُوض التجارة:**

-**تعريفها:** العروض: جمع عَرْض وعَرَض، وهو ما أعده المسلم للتجارة من أي صنف كان، وهو أعم أموال الزكاة وأشملها. وسُمِّي بذلك: لأنه لا يستقر، بل يَعرِض ثم يزول، فإن التاجر لا يريد هذه السلعة بعينها، وإنما يريد ربحها من النقدين.

-**حكمها:** والزكاة واجبة فيه؛ لعموم قوله تعالى:(وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) [الذاريات: ١٩]، وقوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ) [البقرة: ٢٦٧]. ولقوله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه:" أعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم، فترد على فقرائهم" متفق عليه، ولا شك أن عروض التجارة مال.

-**وشروط وجوب الزكاة في عروض التجارة:**

١ -أن يملكها بفعله كالشراء، وقبول الهدية، فلا يدخل في ذلك الإرث ونحوه، مما يدخل قهراً.

٢ -أن يملكها بنية التجارة.

٣ -أن تبلغ قيمتها نصاباً، بالإضافة إلى الشروط: الإسلام، والحرية، والملك التام، وحَوَلان الحول.

- **طريقة إخراجها:** إذا حال عليها الحول قُوِّمت بأحد النقدين الذهب أو الفضة، فإذا بلغت القيمة نصاباً وجب فيها ربع العشر. ولا اعتبار في التقويم لما اشتريت به العروض؛ لأن قيمتها تختلف ارتفاعاً ونزولاً، وإنما العبرة بقيمتها وقت تمام الحول.

الباب الثالث: في زكاة الخارج من الأرض.

● **الأصل في وجوبها** قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ) [البقرة: ٢٦٧]. وهي تجب في الحبوب إذا اشتد الحَبُّ، وصار فريكاً، وتجب في الثمار عند بدو صلاحها، بحيث تصبح ثمراً طيباً يؤكل، ولا يشترط له الحول؛ لقوله تعالى:(وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) [الأنعام: ١٤١]. فتجب الزكاة في كل مكيل مدخر من الحبوب والثمار، كالحنطة، والشعير والذرة، والأرز، والتمر، والزبيب. ولا تجب في الفواكه، والخضروات. فالمكيل: لكون النبي ﷺ اعتبر التوسيق فيه، وهو التحميل. والمدَّخر: لوجود المعنى المناسب لإيجاب الزكاة فيه. وعلى هذا، فما لم يكن مكيلاً ولا مدخراً من الحبوب والثمار، فلا زكاة فيه.

● **شرطا وجوب الزكاة في الحبوب والثمار:**

١ - بلوغ النصاب، وهو خمسة أوسق، قال ﷺ:" ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة" متفق عليه. والوسق حِملُ البعير، وهو ستون صاعاً بصاع النبيِّ ﷺ، وخمسة الأوسق ثلاثمائة صاع، فيكون زنة النصاب بالبرّ الجيِّد ما يقارب ستمائة واثني عشر كيلو جراماً، باعتبار وزن الصاع ٢.٤٠ كيلو جراماً.

٢ - أن يكون النصاب مملوكاً له وقت وجوب الزكاة.

● **المقدار الواجب في الحبوب والثمار:** هو العشر فيما سقي بلا كلفة، بأن كانت عَثَرِيَّة، أو تسقى بماء العيون، ونصف العشر فيما سقي بمؤنة، بأن كانت تسقى بالدِّلاء والسَّواني ونحوها؛ [الدِّلاء: جمع دلو، وهو ما يستقى به من البئر ونحوه. والسَّواني: جمع سانية، وهي الناقة التي يستقى عليها، وهي النواضح أيضاً]. لقوله ﷺ:" فيما سقت السماء والأنهار والعيون، أو كان بَعْلاً، العشر، وفيما سقي بالسَّواني، أو النَّضح، نصف العشر" أخرجه البخاري.

● **زكاة العسل:**

- حكى ابن عبد البر عن الجمهور أنه لا زكاة فيه، وهو الأظهر؛ لأنه ليس في الكتاب، ولا في السنة، دليل صحيح صريح على وجوبها، والأصل براءة الذمة حتى يقوم دليل على الوجوب.

- قال الشافعي:" الحديث في أن (في العسل العشر) ضعيف، وفي (ألا يؤخذ منه) ضعيف، إلا عن عمر بن عبد العزيز، واختياري أنه لا يؤخذ منه؛ لأن السنن والآثار ثابتة فيما يؤخذ منه، وليست فيه ثابتة فكأنه عفو". وقال ابن المنذر:" ليس في وجوب الصدقة في العسل خبر يثبت".

- **زكاة الرِّكاز:**

-الرِّكاز: هو ما وُجد من دفائن الجاهلية ذهباً أو فضة أو غيرهما مما عليه علامة الكفر، ولم يطلب بمال، ولم يتكلف فيه نفقة وكبير عمل، وأما ما طلب بمال وتطلَّب كبير عمل، فليس بركاز، ويجب فيه الخمس في قليله وكثيره، ولا يُشترط له الحول ولا النصاب؛ لعموم قوله ﷺ:" وفي الركاز الخمس" متفق عليه، وهو فيء يصرف في مصالح المسلمين العامة، ولا يشترط أن يكون من مال معين، فسواء كان من الذهب أو الفضة أو غيرهما. ويعرف كونه من دفائن الجاهلية: بوجود علامات الكفر عليه، ككتابة أسمائهم، ونقش صورهم، ونحو ذلك من العلامات.

- وأما المَعْدِن: فهو كل ما تولَّد من الأرض من غير جنسها، ليس نباتاً، سواء أكان جارياً، كالنِّفط والقار، أم جامداً؛ كالحديد والنحاس والذهب والفضة والزئبق. فتجب فيه الزكاة بالإجماع كما سبق، لعموم النصوص الواردة في وجوب الزكاة في الخارج من الأرض، كقوله تعالى:(أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ) [البقرة: ٢٦٧].

الفوائد:

....

....

....

الباب الرابع: في زكاة بهيمة الأنعام.

- **تعريف:** بهيمة الأنعام: الإبل، والبقر، والغنم، والبقر يشمل الجاموس أيضاً، فهو نوع من البقر. والغنم يشمل الماعز، والضأن. وسُمِّيت بهيمة الأنعام؛ لأنها لا تتكلم، من الإبهام وعدم الإيضاح.

- **شروط وجوب الزكاة في بهيمة الأنعام:**

١ -بلوغ النصاب، وهو في الإبل خمس، وفي البقر ثلاثون، وفي الغنم أربعون؛ لقوله ﷺ:" ليس فيما دون خمس ذود صدقة" متفق عليه، وقول معاذ:" بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُصَدِّقُ أَهْلَ الْيَمَنِ، وَأَمَرَنِي أَنْ آخُذَ مِنْ الْبَقَرِ مِنْ كُلِّ ثَلَاثِينَ تَبِيعًا، وَمِنْ كُلِّ أَرْبَعِينَ مُسِنَّةً" رواه أحمد وغيره، وصححه الألباني، وقوله ﷺ:" فإذا كانت سائمةُ الرَّجُلِ ناقصةً من أربعين شاة، فليس فيها صدقة" رواه البخاري.

٢ -أن يحول على الأنعام حول كامل عند مالكها وهي نصاب؛ لحديث:" لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول" أخرجه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

٣ -أن تكون سائمة، وهي التي ترعى الكلأ المباح (الذي نبت بفعل الله سبحانه دون أن يزرعه أحد) في الحول أو أكثره؛ لقوله ﷺ" وفي صدقة الغنم في سائمتها، إذا كانت أربعين إلى مائة وعشرين، شاة" أخرجه البخاري، وقوله ﷺ:" وفي كل إبل سائمة في أربعين بنت لبون"، فإن كانت ترعى أقل الحول ويعلفها أكثره، فليست سائمة، ولا زكاة فيها.

٤ -ألَّا تكون عاملة، (التي يستخدمها صاحبها في حرث الأرض، أو نقل المتاع، أو حمل الأثقال)؛ لأنها تدخل في حاجات الإنسان الأصلية كالثياب. وإذا أُعِدَّت للكراء فالزكاة تكون فيما يحصل من أجرتها، إذا حال عليه الحول.

- **في قدر الواجب:**

١ -في الخمس من الإبل شاة جذعة من الضأن[1]، أو ثَنِيَّة من المعز، وفي العشر شاتان، وفي الخمس عشرة ثلاث شياه، وفي العشرين أربع شياه، وفي خمس وعشرين إلى خمس وثلاثين بنت مخاض من الإبل، فإن لم يجدها أجزأه ابن لبون ذكر. وفي ست وثلاثين إلى خمس وأربعين بنت لبون، لها سنتان. وفي ست وأربعين إلى ستين حِقَّةٌ. وفي إحدى وستين إلى خمس وسبعين جذعة. وفي ست وسبعين إلى تسعين بنتا لبون. وفي إحدى وتسعين إلى مائة وعشرين حقتان. فإذا زادت على مائة وعشرين ففي كل أربعين بنت لبون، وفي كل خمسين حقة؛ وذلك لحديث أنس في كتاب الصدقة..

وهذا جدول يبين كيفية الزكاة في الإبل:

من - إلى	المقدار الواجب	من - إلى	المقدار الواجب
٥ - ٩	شاة	٣٦ - ٤٥	بنت لبون
١٠ - ١٤	شاتان	٤٦ - ٦٠	حقة
١٥ - ١٩	ثلاث شياه	٦١ - ٧٥	جذعة
٢٠ - ٢٤	أربع شياه	٧٦ - ٩٠	بنتا لبون
٢٥ - ٣٥	بنت مخاض	٩١ - ١٢٠	حقتان

فما زاد على ١٢٠ فالواجب في كل أربعين بنت لبون، وفي كل خمسين حقة.

[1] - (الجذع من الغنم ما تم له سنة ودخل في الثانية. والثنية من المعز: ما تم له سنتان ودخل في الثالثة. وبنت مخاض من الإبل: ما تمَّ لها سنة، ودخلت في الثانية. وسُمِّيت بذلك لأن الغالب أن أمَّها قد حملت، فهي مخاض، أي: حامل. وابن لبون من الإبل: ما تمَّ له سنتان ودخل في الثالثة، وسُمِّي بذلك؛ لأن أمه وضعت الحمل الثاني في الغالب، فهي ذات لبن. والحِقَّةُ من الإبل: ما تمَّ لها ثلاث سنين، ودخلت في الرابعة. وسميت بذلك لأنها استحقت أن يطرقها الفحل. وقيل: لأنها استحقت الركوب، والتحميل. والجذعة من الإبل: ما تمَّ لها أربع سنين ودخلت في الخامسة، وسميت بذلك لأنها جذعت مقدم أسنانها أي: أسقطته).

٢ -يجب في ثلاثين بقرة إلى تسع وثلاثين تبيع[٢]، وفي أربعين إلى تسع وخمسين مسنَّة، وفي ستين إلى تسع وستين تبيعان. ثم في كل ثلاثين تبيع، وفي كل أربعين مسنة، وهكذا مهما بلغت. وذلك لحديث معاذ ﷺ: " فأمرني أن آخذ من البقر من كل ثلاثين تبيعاً، ومن كل أربعين مسنة". وهذا جدول يبين كيفية الزكاة في البقر:

من - إلى	المقدار الواجب	من - إلى	المقدار الواجب
٣٠ - ٣٩	تبيع	٦٠ - ٦٩	تبيعان
٤٠ - ٥٩	مسنة	٧٠ - ٧٩	تبيع ومسنة
فوق ٧٩	ففي كل ثلاثين تبيع وفي كل أربعين مسنة		

٣ -ويجب في أربعين من الغنم إلى مائة وعشرين شاةٌ، وفي مائة وإحدى وعشرين إلى مائتين شاتان، وفي مائتين وواحدة إلى ثلاثمائة ثلاثُ شياه، ثم تستقر الفريضة فيها بعد هذا المقدار، فيكون في كل مائة شاةٌ، مهما بلغت. وذلك لحديث أنس في صحيح البخاري.

● **في صفة الواجب**: وازن الإسلام بتشريعه العادل بين المصالح للفقراء والأغنياء، فندب إلى أخذ الفقير حقوقه كاملة، غير منقوصة، وندب إلى مراعاة حقوق الأغنياء في أموالهم، ولذلك حدد الواجب في الزكاة بأن يكون من وسط المال، لا من خياره، ولا من شراره، فيجب على الساعي مراعاة السن الواجبة، إذ لا يجزئ أقلّ منها؛ لأنه إضرار بالفقراء، ولا يأخذ أعلى منها؛ لأنه إجحاف بالأغنياء. ولا يأخذ المريضة، والمعيبة، والكبيرة الهرمة؛ لأنها لا تنفع الفقير، وبالمقابل لا يأخذ الأكولة، وهي السمينة المعدّة للأكل، ولا الرُّبَّى، وهي التي تربي ولدها، ولا الماخِضَ وهي الحامل، ولا الفحل المعد للضراب، ولا حرزات المال، وهي خيارها التي تحرزها العين؛ لأنها من كرائم الأموال، وأخذها إضرار بالغني لقوله ﷺ:" وإياك وكرائم أموالهم" متفق عليه. ولما روي عن عمر أنه قال لعامله سفيان:" قل لقومك: إنا ندَعُ لكم الرُّبَّى، والماخِضَ، وذات اللحم، وفحل الغنم، ونأخذ الجذع والثني، وذلك وسط بيننا وبينكم في المال".

● في الخلطة في بهيمة الأنعام: وهي على نوعين:

-النوع الأول: خلطة أعيان، وهي: أن يكون المال مشتركاً بين اثنين في المِلك، مشاعاً بينهما، لم يتميز نصيب أحدهما عن الآخر، وتكون خلطة الأعيان بالإرث، وتكون بالشراء.

[٢]- التبيع: ما تم له سنة، وسُمِّي بذلك لأنه يتبع أمه. والمسنَّة، ما تَمَّ لها سنتان، وسميت بذلك؛ لأنها طلعت لها أسنان.

-النوع الثاني: خلطة أوصاف، وهي أن يكون نصيب كل منهما متميزاً معروفا، ويجمع بينهما الجوار فقط.

- وهي بنوعيها تُصَيِّر المالين المختلطين كالمال الواحد إذا كان مجموع المالين نصاباً، وأن يكون الخليطان من أهل وجوب الزكاة. فلو كان أحدهما كافراً لا تصح الخلطة، وأن يشترك المالان المختلطان في المراح، وهو المبيت والمأوى، ويشتركا في المسرح فيسرحن جميعاً، ويرجعن جميعاً، والمحلب والمرعى، والفحل، فيكون فحل الضراب واحداً مشتركاً لها جميعاً. فإذا توافرت هذه الشروط أصبح المالان كالمال الواحد بتأثير الخلطة. لقوله ﷺ: " لا يجمع بين متفرق، ولا يفرق بين مجتمع، خشية الصدقة، وما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بينهما بالسوية" رواه الترمذي وصححه الألباني.

- فالخلطة تؤثر في إيجاب الزكاة وفي إسقاطها، وذلك في بهيمة الأنعام خاصة دون غيرها. ومثال الجمع بين المتفرق: أشخاص ثلاثة كل واحد منهم يملك أربعين من الغنم، فجميعها مائة وعشرون، فلو اعتبرنا كل واحد لوحده لوجب عليهم ثلاث شياه، لكن إذا جمعنا الغنم كلها فلا يكون فيها إلا شاة واحدة. فهنا: جمعوا بين متفرق؛ لئلا يجب عليهم ثلاث شياه، بل واحدة. ومثال التفريق بين مجتمع: شخص عنده أربعون شاة، فإذا علم بمجيء العامل فرق بينها فجعل عشرين منها في مكان وعشرين في مكان آخر، فلا يؤخذ عليها زكاة لعدم بلوغها النصاب متفرقة.

الفوائد:

....

....

....

....

الباب الخامس: في زكاة الفطر

- **سميت بذلك:** لأنها تجب بالفطر من رمضان، ولا تعلق لها بالمال، وإنما هي متعلقة بالذمة، فهي زكاة عن النفس والبدن.
- **حكمها:** واجبة على كل مسلم؛ قال ابن عمر:" فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر من رمضان صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين" متفق عليه.
- **شروطها:**

١ -الشرط الأول: الإسلام، فهي تجب على كل مسلم كبير وصغير، وذكر وأنثى، وحر وعبد؛ لحديث ابن عمر السابق. ويستحب إخراجها عن الجنين إذا نفخت فيه الروح، وهو ما صار له أربعة أشهر؛ فقد كان السلف يخرجونها عنه، كما ثبت عن عثمان وغيره. ويجب أن يُخرجها عن نفسه، وعمن تلزمه نفقته، من زوجة أو قريب، وكذا العبد، فإن صدقة الفطر تجب على سيده؛ لقوله ﷺ:" ليس في العبد صدقة، إلا صدقة الفطر" أخرجه مسلم.

٢ -الشرط الثاني: وجود ما يفضل عن قوته، وقوت عياله، وحوائجه الضرورية في يوم العيد وليلته، ما يؤدي به الفطرة.

- **في حكمة وجوبها:**

١ -تطهير الصائم مما قد يكون وقع فيه في صيامه، من اللغو والرفث.

٢ -إغناء الفقراء والمساكين عن السؤال في يوم العيد، وإدخال السرور عليهم؛ قال ابن عباس:" فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين" أخرجه أبو داود وحسنه النووي والألباني.

٣ -إظهار شكر نعمة الله على العبد بإتمام صيام شهر رمضان وقيامه، وفعل ما تيسَّر من الأعمال الصالحة في هذا الشهر المبارك.

- **مقدار الواجب، ومِمَّ يخرج؟**

- الواجب في زكاة الفطر صاع من غالب قوت أهل البلد: من بر، أو شعير، أو تمر، أو زبيب، أو أَقط (الأَقِط: هو لبن مجفف يابس مستحجر، يتخذ من اللبن المخيض)، أو أرز، أو ذرة، أو غير ذلك؛ لثبوت ذلك عن النبي ﷺ. ويجوز أن تعطي الجماعةُ زكاةَ فطرها لشخص واحد، وأن يعطي الواحدُ زكاتَه لجماعة. ولا يجزئ إخراج قيمة الطعام؛ لأن ذلك خلاف ما أمر به رسول الله ﷺ، ولأنه مخالف لعمل الصحابة، فقد كانوا يخرجونها صاعاً من طعام، ولأن زكاة الفطر عبادة مفروضة من جنس معين وهو الطعام، فلا يجزئ إخراجها من غير الجنس المعين.

- **وقت وجوبها وإخراجها:**

- تجب زكاة الفطر بغروب الشمس من ليلة العيد؛ لأنه الوقت الذي يكون به الفطر من رمضان.

- ولإخراجها وقتان: وقت فضيلة وأداء، ووقت جواز. فأما وقت الفضيلة: فهو من طلوع فجر يوم العيد إلى قبيل أداء صلاة العيد، لحديث ابن عمر:" أن النبي ﷺ أمر بزكاة الفطر قبل خروج الناس إلى الصلاة" متفق عليه. وأما وقت الجواز: فهو قبل العيد بيوم أو يومين؛ لفعل ابن عمر وغيره من الصحابة لذلك.

- لا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد، فإن أخرها فهي صدقة من الصدقات، ويأثم على هذا التأخير؛ لقوله ﷺ:" من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات" رواه أبو داود وابن ماجه وحسنه الألباني.

الفوائد:

....

....

....

....

الباب السادس: في أهل الزكاة

● **أهل الزكاة:** هم المستحقون لها، وهم الأصناف الثمانية الذين حصرهم الله عز وجل في قوله:(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [التوبة: ٦٠]:

١ -الفقراء: جمع فقير، وهو من ليس لديه ما يسد حاجته، وحاجة من يعول، من طعام وشراب وملبس ومسكن، بألا يجد شيئاً، أو يجد أقلّ من نصف الكفاية، ويعطى من الزكاة ما يكفيه سنة.

٢ -المساكين: جمع مسكين، وهو من يجد نصف كفايته أو أكثر من النصف، كمن معه مائة ويحتاج إلى مائتين، ويعطى من الزكاة ما يكفيه لمدة عام.

٣ -العاملون عليها: جمع عامل، وهو من يبعثه الإمام لجباية الصدقات، فيعطيه الإمام ما يكفيه مدة ذهابه وإيابه ولو كان غنياً؛ لأن العامل قد فَرَّغ نفسه لهذا العمل، والعاملون هم كل من يعمل في جبايتها، وكتابتها، وحراستها، وتفريقها على مستحقيها.

٤ -المؤلفة قلوبهم: وهم قوم يُعْطَوْن الزكاة؛ تأليفاً لقلوبهم على الإسلام إن كانوا كفاراً، وتثبيتاً لإيمانهم، إن كانوا من ضعاف الإيمان المتهاونين في عباداتهم، أو لترغيب ذويهم في الإسلام، أو طلباً لمعونتهم أو كف أذاهم.

٥ -في الرقاب: جمع رقبة، والمراد بها العبد المسلم أو الأمة يُشْتَرى من مال الزكاة وَيُعتق، أو يكون مُكَاتَباً فيعطى من الزكاة ما يسدد به نجوم كتابته؛ ليصبح حراً، وكذا الأسير المسلم يفك من الأعداء من مال الزكاة.

٦ -الغارمون: جمع غارم، وهو المدين الذي تَحَمَّلَ ديناً في غير معصية الله، سواء لنفسه في أمر مباح، أو لغيره كإصلاح ذات البين، فهذا يعطى من الزكاة ما يسدد به دينه، والغارم للإصلاح بين الناس يعطى من الزكاة، وإن كان غنياً.

٧ -في سبيل الله: المراد به الغزاة في سبيل الله المتطوعون الذين ليس لهم راتب في بيت المال، فيعطون من الزكاة، سواء أكانوا أغنياء أم فقراء.

٨ -ابن السبيل: وهو المسافر المنقطع عن بلده الذي يحتاج إلى مال؛ ليواصل السفر إلى بلده، إذا لم يجد من يقرضه.

- **لا يجوز صرف الزكاة إلى:**

١ -الأغنياء، والأقوياء المكتسبين، لقوله ﷺ:" لا حظَّ فيها لغني، ولا لقويٍ مُكْتَسِب" أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الألباني، لكن يُعطى العامل عليها والغارم وإن كانوا أغنياء، كما تقدم. والقادر على الكسب إذا كان متفرغاً لطلب العلم الشرعي، وليس له مال، فإنه يعطى من الزكاة؛ لأن طلب العلم جهاد في سبيل الله، وأما إن كان القادر على الكسب عابداً ترك العمل للتفرغ لنوافل العبادات فلا يعطى؛ لأن العبادة نفعها قاصر على العابد بخلاف العلم.

٢ -الأصول والفروع والزوجة الذين تجب نفقتهم عليه، فلا يجوز دفع الزكاة إلى من تجب على المسلم نفقتهم كالآباء والأمهات، والأجداد والجدات، والأولاد، وأولاد الأولاد؛ لأن دفع الزكاة إلى هؤلاء يغنيهم عن النفقة الواجبة عليه، ويسقطها عنه، ومن ثَم يعود نفع الزكاة إليه، فكأنه دفعها إلى نفسه.

٣ -الكفار غير المؤلَّفين، فلا يجوز دفع الزكاة إلى الكفار؛ لقوله ﷺ:" تؤخذ من أغنيائهم، وترد على فقرائهم" أي أغنياء المسلمين وفقرائهم دون غيرهم، ولأن من مقاصد الزكاة إغناء فقراء المسلمين، وتوطيد دعائم المحبة والإخاء بين أفراد المجتمع المسلم، وذلك لا يجوز مع الكفار.

٤ -آل النبي ﷺ: لا تحل الزكاة لآل النبي ﷺ إكراماً لهم لشرفهم؛ لقوله ﷺ:" إنها لا تحل لآل محمد إنما هي أوساخ الناس" أخرجه مسلم. وآل النبي ﷺ قيل: هم بنو هاشم، وبنو المطلب؛ وقيل: هم بنو هاشم فقط، وهو الصحيح. وعليه يصح دفع الزكاة إلى بني المطلب؛ لأنهم ليسوا من آل محمد ﷺ، ولعموم الآية:(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ) [التوبة: ٦٠]، فيدخل فيهم بنو المطلب.

٥ -لا يجوز دفع الزكاة لموالي آل النبي؛ لحديث:" إن الصدقة لا تحل لنا، وإن موالي القوم من أنفسهم" أخرجه أبو داود وصححه الترمذي والألباني. وموالي القوم: عتقاؤهم. ومعنى "من أنفسهم": أي: فحكمهم كحكمهم، فتحرم الزكاة على موالي آل بني هاشم.

٦ -العبد: **لا تدفع الزكاة إلى العبد؛ لأن مال العبد ملك لسيده، فإذا أعطي الزكاة انتقلت إلى ملك سيده، ولأن نفقته تلزم سيده. ويستثنى من ذلك: المكاتب فإنه يعطى من الزكاة ما يقضي به دين كتابته، والعامل على الزكاة، فإذا كان العبد عاملاً على الزكاة أعطي منها لأنه كالأجير، والعبد يجوز أن يستأجر بإذن سيده. فمن دفعها لهذه الأصناف مع علمه بأنه لا يجوز دفعها لهم، فهو آثم.**

- **لا يشترط استيعاب الأصناف الثمانية** المذكورة عند تفريق الزكاة على القول الصحيح، بل يجزئ دفعها لأي صنف من الأصناف الثمانية، لقوله تعالى:(إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) [البقرة: ٢٧١]. وقوله ﷺ:" تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم" متفق عليه، ولقوله ﷺ لقبيصة:" أقم عندنا حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها" رواه مسلم. فهذه الأدلة تدل على أن المراد بقوله تعالى:(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ) [التوبة: ٦٠]، بيان المستحقين للزكاة لا تعميم المستحقين عند تفريقها.
- **يجوز نقل الزكاة من بلدها إلى** بلد آخر قريب أو بعيد للحاجة، مثل أن يكون البلد البعيد أشد فقراً، أو يكون لصاحب الزكاة أقارب فقراء في بلد بعيد مثل فقراء بلده، فإن في دفعها إلى أقاربه تحصيل المصلحة، وهي الصدقة والصلة. وهذا القول بجواز نقل الزكاة هو الصحيح؛ لعموم قوله تعالى:(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ) [التوبة: ٦٠] أي: الفقراء والمساكين في كل مكان.

الفوائد:

....
....
....
....

ثانياً: كتاب الصيام

الباب الأول: في مقدمات الصيام.

● **تعريف الصيام:** الصيام في اللغة: الإمساك عن الشيء. وفي الشرع: الإمساك عن الأكل، والشرب، وسائر المفطرات، مع النية، من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس.

● **أركانه:** من خلال تعريف الصيام في الاصطلاح، يتضح أن له ركنين أساسين، هما:

الأول: الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. ودليل هذا الركن قوله تعالى:(فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ) [البقرة: ١٨٧]. والمراد بالخيط الأبيض والخيط الأسود: بياض النهار وسواد الليل.

الثاني: النية، بأن يقصد الصائم بهذا الإمساك عن المفطرات عبادة الله عز وجل، فبالنية تتميز الأعمال المقصودة للعبادة عن غيرها من الأعمال، وبالنية تتميز العبادات بعضها عن بعض، فيقصد الصائم بهذا الصيام: إما صيام رمضان، أو غيره من أنواع الصيام. ودليل هذا الركن قوله ﷺ:" إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى" رواه البخاري ومسلم.

● **حكم صيام رمضان:** فرض الله عز وجل صيام شهر رمضان، وجعله أحد أركان الإسلام الخمسة؛ وذلك في قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة: ١٨٣]. وقوله تعالى:(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) [البقرة: ١٨٥]. ولما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:" بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلاً" رواه البخاري ومسلم. ولما رواه طلحة بن عبيد الله:" أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ ثائر الرأس، فقال: يا رسول الله، أخبرني ماذا فرض الله علي من الصيام؟ قال: شهر رمضان. قال: هل عليَّ غيره؟ قال: لا، إلا أن تطوع شيئاً..." رواه البخاري ومسلم. وقد أجمعت الأمة على وجوب صيام رمضان، وأنه أحد أركان الإسلام التي عُلمت من الدين بالضرورة، وأنَّ منكره كافر، مرتد عن الإسلام. فثبت بذلك فرضية الصوم بالكتاب والسنة والإجماع، وأجمع المسلمون على كفر من أنكره.

● **أقسام الصيام:** الصيام قسمان: واجب، وتطوع؛ والواجب ينقسم إلى ثلاثة أقسام: ١ - صوم رمضان. ٢ - صوم الكفارات. ٣ - صوم النذر. والكلام هنا ينحصر في صوم رمضان، وفي صوم التطوع، أما بقية الأقسام فتأتي في مواضعها، إن شاء الله تعالى.

● **فضل صيام شهر رمضان:** عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه" رواه البخاري ومسلم. وعنه ﷺ أن النبي ﷺ قال: " الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر" رواه مسلم. هذا بعض ما ورد في فضل صيام شهر رمضان، وفضائله كثيرة.

● الحكمة من مشروعية صومه: شرع الله سبحانه الصوم لحكم عديدة وفوائد كثيرة، فمن ذلك:

١ -تزكية النفس، وتطهيرها، وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة؛ لأن الصوم يضيق مجاري الشيطان في بدن الإنسان.

٢ -في الصوم تزهيد في الدنيا وشهواتها، وترغيب في الآخرة ونعيمها.

٣ -الصوم يبعث على العطف على المساكين، والشعور بآلامهم؛ لأن الصائم يذوق ألم الجوع والعطش. إلى غير ذلك من الحكم البليغة، والفوائد العديدة.

● **شروط وجوبه:** يجب صيام رمضان على من توافرت فيه الشروط التالية:

١ -الإسلام: فلا يجب، ولا يصح الصيام من الكافر؛ لأن الصيام عبادة، والعبادة لا تصح من الكافر، فإذا أسلم لا يلزم بقضاء ما فاته.

٢ -البلوغ: فلا يجب الصيام على من لم يبلغ حد التكليف؛ لقوله ﷺ: " رفع القلم عن ثلاثة.." رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني. فذكر منهم الصبي حتى يحتلم، ولكنه يصح الصيام من غير البالغ لو صام، إذا كان مميزاً، وينبغي لولي أمره أن يأمره بالصيام؛ ليعتاده ويألفه.

٣ -العقل: فلا يجب الصيام على المجنون والمعتوه؛ لقوله ﷺ: " رفع القلم عن ثلاثة" فذكر منهم المجنون حتى يفيق.

٤ -الصحة: فمن كان مريضاً لا يطيق الصيام لم يجب عليه، وإن صام صح صيامه؛ لقوله تعالى:(وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) [البقرة: ١٨٥]. فإن زال المرض وجب عليه قضاء ما أفطره من أيام.

٥ -الإقامة: فلا يجب الصوم على المسافر؛ لقوله تعالى:(وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ)؛ فلو صام المسافر صَحَّ صيامه، ويجب عليه قضاء ما أفطره في السفر.

٦ -الخلو من الحيض والنفاس: فالحائض والنفساء لا يجب عليهما الصيام، بل يحرم عليهما؛ لقوله ﷺ:" أليس إذا حاضت لم تصلِّ، ولم تصم؟ فذلك من نقصان دينها" رواه البخاري. ويجب القضاء عليهما؛ لقول عائشة رضي الله عنها:" كان يصيبنا ذلك، فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة". رواه مسلم.

- **ثبوت دخول شهر رمضان وانقضائه:** يثبت دخول شهر رمضان برؤية الهلال، بنفسه أو بشهادة غيره على رؤيته، أو إخباره بذلك؛ فإذا شهد مسلم عدل برؤية هلال رمضان ثبت بهذه الشهادة دخول شهر رمضان؛ لقوله تعالى:(فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) [البقرة: ١٨٥]، ولقوله ﷺ:" إذا رأيتموه فصوموا" رواه البخاري ومسلم، ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما:" أخبرت النبي ﷺ برؤية رمضان فصامه، وأمر الناس بصيامه" رواه أبو داود والحاكم وصححه. فإن لم يرَ الهلال، أو لم يشهد مسلم عدل برؤيته، وجب إكمال عدة شعبان ثلاثين يوماً. ولا يثبت دخول الشهر بغير هذين الأمرين (رؤية الهلال، أو إتمام شعبان ثلاثين يوما)؛ لقوله ﷺ:" صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غُبِّي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين" رواه البخاري ومسلم. ويثبت انقضاء رمضان برؤية هلال شهر شوال بشهادة مسلمين عدلين، فإن لم يشهد مسلمان عدلان برؤية الهلال، وجب إكمال عدة رمضان ثلاثين يوماً.
- **وقت النية في الصوم وحكمها:** يجب على الصائم أن ينوي الصيام، وهي ركن من أركانه كما مضى؛ لقوله ﷺ:" إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى". وينويها من الليل في الصيام الواجب؛ كصوم رمضان والكفارة والقضاء والنذر، ولو قبل الفجر بدقيقة واحدة؛ لقوله ﷺ:" من لم يبيت الصيام قبل الفجر فلا صيام له" أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه وصححه الألباني. فمن نوى صوماً في النهار، ولم يطعم شيئاً، لم يجزئه إلا في صيام التطوع، فيجوز بنية من النهار، إذا لم يطعم شيئاً من أكل أو شرب؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ النبي ﷺ ذات يوم فقال:" هل عندكم من شيء؟ فقلنا: لا. قال: فإني إذنْ صائم" أخرجه مسلم. أما صيام الواجب فلا ينعقد بنية من النهار، ولابد فيه من نية الليل. وتكفي نية واحدة في بداية رمضان لجميع الشهر، ويُستحب تجديدها في كل يوم.

الفوائد:

....

....

....

....

الباب الثاني: في الأعذار المبيحة للفطر ومفطرات الصائم:

● **الأعذار المبيحة للفطر في رمضان:** يباح الفطر في رمضان لـ:

-**الأول:** المرض والكبر، فيجوز للمريض الذي يُرجى برؤه الفطرُ، فإذا برئ وجب عليه قضاء الأيام التي أفطرها؛ لقوله تعالى:(أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) [البقرة: ١٨٤]، وقوله تعالى:(فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) [البقرة: ١٨٥]. والمرض الذي يرخص معه في الفطر هو المرض الذي يشق على المريض الصيام بسببه. أما المريض الذي لا يرجى برؤه، أو العاجز عن الصيام عجزاً مستمراً كالكبير: فإنه يفطر، ولا يجب عليه القضاء، وإنما تلزمه فدية، بأن يطعم عن كل يوم مسكيناً؛ لأن الله -عز وجل - جعل الإطعام معادلاً للصيام حين كان التخيير بينهما في أول ما فرض الصيام، فتعيَّن أن يكون بدلاً عنه عند العذر. يقول الإمام البخاري:" وأما الشيخ الكبير إذا لم يطق الصيام، فقد أطعم أنس بعدما كبر عاماً أو عامين عن كل يوم مسكيناً. وقال ابن عباس رضي الله عنهما في الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة، لا يستطيعان أن يصوما: فليطعما مكان كل يوم مسكيناً". صحيح البخاري. فيطعم العاجز عن الصيام عجزاً لا يرجى زواله، بمرض كان أو كبر، عن كل يوم مسكيناً نصف صاع من بر أو تمر أو أُرز، أو نحوها من قوت البلد، ومقدار الصاع كيلوان وربع تقريباً (٢.٢٥) فيكون الإطعام عن كل يوم: كيلو جرام ومائة وخمسة وعشرين جراماً (١١٢٥ جرام) تقريباً. هذا وإن صام المريض صح صيامه وأجزأه.

- **الثاني:** السفر؛ فيباح للمسافر الفطر في رمضان، ويجب عليه القضاء؛ لقوله تعالى:(فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) [البقرة: ١٨٤]. وقوله تعالى:(فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) [البقرة: ١٨٥]. ولقوله ﷺ لمن سأله عن الصيام في السفر:" إن شئت فصم، وان شئت فأفطر" صحيح البخاري. وخرج إلى مكة صائماً في رمضان، فلما بلغ الكَدِيد أفطر، فأفطر الناس. أخرجه البخاري. ويباح الفطر في السفر الطويل الذي يباح فيه قصر الصلاة، وهو ما يقدر بثمانية وأربعين ميلاً، أي: حوالي ثمانين كيلو متراً. والسفر المبيح للفطر في رمضان هو السفر المباح، فإن كان سفر معصية أو سفراً يُراد به التحايل على الفطر، لم يبح له الفطر بهذا السفر. وإن صام المسافر صَحَّ صومه وأجزأه، لحديث أنس رضي الله عنه:" كنا نسافر مع النبي ﷺ، فلم يعب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم" أخرجه البخاري. ولكن بشرط ألا يشق عليه الصوم في السفر، فإن شقَّ عليه، أو أضرَّ به، فالفطر في حقه أفضل؛ أخذاً

بالرخصة؛ لأن النبي ﷺ رأى في السفر رجلاً صائماً قد ظُلِّلَ عليه من شدة الحر، وتجمع الناس حوله، فقال ﷺ:" ليس من البرِّ الصيام في السفر" رواه البخاري.

-الثالث: الحيض والنفاس، فالمرأة التي أتاها الحيض أو النفاس تفطر في رمضان وجوباً، ويحرم عليها الصوم، ولو صامت لم يصح منها؛ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:" أليس إذا حاضت لم تصلِّ ولم تصم؟ فذلك من نقصان دينها" رواه البخاري. ويجب عليهما القضاء؛ لقول عائشة رضي الله عنها:" كان يصيبنا ذلك، فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة" رواه مسلم.

-الرابع: الحمل والرضاع؛ فالمرأة إذا كانت حاملاً أو مرضعاً، وخافت على نفسها أو ولدها بسبب الصوم جاز لها الفطر، لما رواه أنس -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:" إن الله وضع عن المسافر شطر الصلاة والصوم، وعن الحبلى والمرضع الصوم" رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وحسنه الترمذي والألباني، وتقضي الحامل والمرضع مكان الأيام التي أفطرتاها، وذلك إن خافتا على نفسيهما، فإن خافت الحامل مع ذلك على جنينها، أو المرضع على رضيعها؛ أطعمت مع القضاء عن كل يوم مسكيناً؛ لقول ابن عباس رضي الله عنهما:" والمرضع والحبلى إذا خافتا على أولادهما أفطرتا، وأطعمتا" أخرجه أبو داود وصححه الألباني. فتلخَّص من ذلك أن الأسباب المبيحة للفطر أربعة: السفر، والمرض، والحيض والنفاس، والخوف من الهلاك، كما في الحامل والمرضع.

- **مفطرات الصائم:** وهي الأشياء التي تفسد على الصائم صومه وتفطره. ويفطر الصائم بفعل أحد الأمور التالية:

-الأول: الأكل أو الشرب عمداً؛ لقولى تعالى:(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ) [البقرة: ١٨٧]. فقد بينت الآية أنه لا يباح للصائم الأكل والشرب بعد طلوع الفجر حتى الليل غروب الشمس. أما من أكل أو شرب ناسياً فصيامه صحيح، ويجب عليه الإمساك إذا تذكَّر، أو ذكر أنه صائم؛ لقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:" من نسي وهو صائم فأكل أو شرب، فليتمَّ صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه" رواه البخاري ومسلم. ويفسد الصوم بالسَّعُوط [وهو دواء يُصَبُّ في الأنف، وبكل ما يصل إلى الجوف]، ولو من غير الفم مما هو في حكم الأكل والشرب كالإبر المغذية.

-الثاني: الجماع، يبطل الصيام بالجماع، فمَنْ جامع وهو صائم بطل صيامه، وعليه التوبة والاستغفار، وقضاء اليوم الذي جامع فيه، وعليه مع القضاء كفارة، وهي عتق رقبة، فإن لم يجد صام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع أطعم ستين مسكيناً، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:" بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله ﷺ هلكت. فقال: مالك؟ قال: وقعت على

امرأتي وأنا صائم. فقال ﷺ: هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا. قال: هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، قال: هل تجد إطعام ستين مسكيناً؟ قال: لا، قال: فمكث النبي ﷺ، فبينما نحن على ذلك أُتي النبي ﷺ بعَرَق فيه تمر (والعَرَقُ المكتل) قال: أين السائل؟ فقال: أنا، قال:" خذ هذا فتصدق به. فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابَتَيْها (يريد الحرَّتين) أهل بيت أفقر من أهل بيتي، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: أطعمه أهلك" متفق عليه.

وفي معنى الجماع: إنزال المني اختيارًا؛ فإذا أنزل الصائم مختاراً بتقبيل أو لمس أو استمناء أو غيره، فسد صومه؛ لأنه من الشهوة التي تناقض الصوم، وعليه القضاء دون الكفارة؛ لأن الكفارة لا تلزم إلا بالجماع فقط، لورود النص خاصاً به. أما إذا نام الصائم فاحتلم، أو أنزل من غير شهوة كمن به مرض، فلا يبطل صيامه؛ لأنه لا اختيار له في ذلك.

-**الثالث:** التقيؤ عمداً، وهو إخراج ما في المعدة من طعام أو شراب عن طريق الفم عمداً، أما إذا غلبه القيء وخرج منه بغير اختياره، فلا يؤثر في صيامه؛ لقوله ﷺ:" من ذَرَعَهُ القيء فليس عليه قضاء، ومن استقاء عمداً فليقض" رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني. [أي: سبقه وغلبه في الخروج].

-**الرابع:** الحجامة[٣]، وهي إخراج الدم من الجلد دون العروق، فمتى احتجم الصائم فقد أفسد صومه؛ لقوله ﷺ:" أفطر الحاجم والمحجوم" رواه أبو داود وابن خزيمة وصححه الألباني، وكذا يفسد صوم الحاجم أيضاً، إلا إذا حجمه بآلات منفصلة، ولم يحتج إلى مص الدم، فإنه -والله أعلم- لا يفطر. وفي معنى الحجامة: إخراج الدم بالفَصْد [الفصد: شق العِرْق]، وإخراجه من أجل التبرع به. أما خروج الدم بالجرح، أو قلع الضرس، أو الرعاف فلا يضر؛ لأنه ليس بحجامة، ولا في معناها.

-**الخامس:** خروج دم الحيض والنفاس، فمتى رأت المرأة دم الحيض أو النفاس أفطرت، ووجب عليها القضاء؛ لقوله ﷺ في المرأة:" أليس إذا حاضت لم تصلِّ، ولم تصم" رواه البخاري.

-**السادس:** نية الفطر، فمن نوى الفطر قبل وقت الإفطار وهو صائم، بطل صومه، وإن لم يتناول مفطراً، فإن النية أحد ركني الصيام، فإذا نقضها قاصداً الفطر، ومتعمداً له، انتقض صيامه.

-**السابع:** الرِّدة، لمنافاتها للعبادة، ولقوله تعالى:(لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) [الزمر: ٦٥].

الفوائد:

....

....

٣- " يرى بعض العلماء أن الحجامة لا تفطر؛ واعتبروا الحديث المذكور منسوخًا بحديث: أن النبي ﷺ احتجم وهو صائم"، قاله أبوعبدالله الجميلي.

الباب الثالث: مستحبات الصيام ومكروهاته.

● **مستحبات الصيام**: يستحب للصائم أن يراعي في صيامه الأمور التالية:

١ -السُّحُور: لقوله ﷺ:" تسحروا فإن في السحور بركة" رواه البخاري ومسلم. ويتحقق السحور بكثير الطعام وقليله، ولو بجرعة ماء. ووقت السحور من منتصف الليل إلى طلوع الفجر.

٢ -تأخير السُّحُور: لحديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال:" تسحرنا مع رسول الله ﷺ، ثم قمنا إلى الصلاة، قلت: كم كان قدر ما بينهما؟ قال: خمسين آية" رواه البخاري ومسلم.

٣ -تعجيل الفطر: فيستحب للصائم تعجيل الفطر متى تحقق غروب الشمس، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال:" لا يزال الناس بخير ما عجَّلوا الفطر" رواه البخاري ومسلم.

٤ -الإفطار على رُطَبَات: فإن لم يجد فتمرات، وأن تكون وتراً، فإن لم يجد فعلى جرعات من ماء؛ لحديث أنس رضي الله عنه قال:" كان رسول الله ﷺ يفطر على رُطَبَاتٍ قبل أن يصلِّي، فإن لم تكن رطبات فعلى تمرات، فإن لم تكن حَسا حسوات من ماء" رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني وقواه الأرناؤوط. فإن لم يجد شيئاً نوى الفطر بقلبه، ويكفيه ذلك.

٥ -الدعاء عند الفطر، وأثناء الصيام: لقوله ﷺ:" ثلاثة لا تُرد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، والمظلوم" رواه الترمذي وصححه الألباني.

٦ -الإكثار من الصدقة، وتلاوة القرآن، وتفطير الصائمين، وسائر أعمال البر: فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:" كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة" رواه البخاري ومسلم.

٧ -الاجتهاد في صلاة الليل: وبالأخص في العشر الأواخر من رمضان؛ فعن عائشة رضي الله عنها:" كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله" رواه البخاري ومسلم، ولعموم قوله -ﷺ:" من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدَّم من ذنبه" أخرجه مسلم.

٨ -الاعتمار: لقوله ﷺ:" عمرة في رمضان تعدل حجة" متفق عليه.

٩ -قول:" إني صائم" لمن شتمه: وذلك لقوله ﷺ:" وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابَّه أحد، أو قاتله، فليقل: إني امرؤ صائم" متفق عليه.

● **مكروهات الصيام**: يكره في حق الصائم بعض الأمور التي قد تؤدي إلى جرح صومه، ونقص أجره، وهي:

١ -المبالغة في المضمضة والاستنشاق: وذلك خشية أن يذهب الماء إلى جوفه؛ لقوله ﷺ:" وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً" رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وصححه الألباني.

٢ -القُبْلَة لمن تحرك شهوته، وكان ممن لا يأمن على نفسه: فيكره للصائم أن يقبل زوجته، أو أمته؛ لأنها قد تؤدي إلى إثارة الشهوة التي تجر إلى فساد الصوم بالإمناء أو الجماع، فإن أمن على نفسه من فساد صومه فلا بأس؛ لأن النبي ﷺ كان يقبِّل وهو صائم، قالت عائشة رضي الله عنها:" وكان أملككم لأَرَبِه" متفق عليه. أي: حاجته، وكذلك عليه تجنب كل ما من شأنه إثارة شهوته وتحريكها؛ كإدامة النظر إلى الزوجة، أو الأمة، أو التفكر في شأن الجماع؛ لأنه قد يؤدي إلى الإمناء، أو الجماع.

٣ -بلْعُ النخامة: لأن ذلك يصل إلى الجوف، ويتقوى به، إلى جانب الاستقذار والضرر الذي يحصل من هذا الفعل.

٤ -ذوق الطعام لغير الحاجة: فإن كان محتاجاً إلى ذلك -كأن يكون طبَّاخاً يحتاج لذوق ملحه وما أشبهه - فلا بأس، مع الحذر من وصول شيء من ذلك إلى حلقه.

الفوائد:

....

....

....

....

الباب الرابع: قضاء الصيام

● إذا أفطر المسلم يوماً من رمضان بغير عذر، وجب عليه أن يتوب إلى الله، ويستغفره؛ لأن ذلك جرم عظيم، ومنكر كبير، ويجب عليه مع التوبة والاستغفار القضاء بقدر ما أفطر بعد رمضان، ووجوب القضاء هنا على الفور على الصحيح من أقوال أهل العلم، لأنه غير مرخَّص له في الفطر، والأصل أن يؤديه في وقته. أما إذا أفطر بعذر كحيض أو نفاس أو مرض أو سفر أو غير ذلك من الأعذار المبيحة للفطر فإنه يجب عليه القضاء، غير أنه لا يجب على الفور، بل على التراخي إلى رمضان الآخر، لكن يندب له، ويستحب التعجيل بالقضاء، لأن فيه إسراعاً في إبراء الذمة، ولأنه أحوط للعبد؛ فقد يطرأ له ما يمنعه من الصوم كمرض ونحوه. فإن أخَّره حتى رمضان الثاني، وكان له عذر في تأخيره، كأن استمر عذره، فعليه القضاء بعد رمضان الثاني. أما إن أخَّره إلى رمضان الثاني بغير عذر، فعليه مع القضاء إطعام مسكين عن كل يوم. ولا يشترط في القضاء التتابع، بل يصح متتابعاً ومتفرقاً،

لقوله تعالى:(فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) [البقرة: ١٨٤] فلم يشترط سبحانه في هذه الأيام التتابع، ولو كان شرطاً لبيَّنه سبحانه وتعالى.

● **الصيام المستحب:** من حكمة الله عز وجل ورحمته بعباده: أن جعل لهم من التطوع ما يماثل الفرائض، وذلك زيادة في الأجر والثواب للعاملين، وجبراً للنقص والخلل الذي قد يطرأ على الفريضة، فقد سبق معنا: أن الفرائض تكمل من النوافل يوم القيامة. والأيام التي يستحب صيامها هي:

١ –صيام ستة أيام من شوال: لحديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" من صام رمضان، ثم أتبعه ستاً من شوال، كان كصيام الدهر" رواه مسلم.

٢ –صيام يوم عرفة لغير الحاج: لحديث أبي قتادة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفِّر السنة التي قبله، والسنة التي بعده" رواه مسلم. أما الحاجُّ فلا يسن له صيام يوم عرفة؛ لأن النبي ﷺ أفطر في ذلك اليوم والناس ينظرون إليه، ولأنه أقوى للحاج على العبادة والدعاء في ذلك اليوم.

٣ –صيام يوم عاشوراء: فقد سئل النبي ﷺ عن صوم عاشوراء؟ فقال:" أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله" أخرجه مسلم. ويستحب صيام يوم قبله أو يوم بعده؛ لقوله ﷺ:" لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع" أخرجه مسلم، ولقوله ﷺ:" صوموا يوماً قبله أو يوماً بعده، خالفوا اليهود" أخرجه أحمد وابن خزيمة وفي سنده ضعف، ولكن صح عن ابن عباس بنحوه موقوفًا من قوله.

٤ –صوم الاثنين والخميس من كل أسبوع: لحديث عائشة رضي الله عنها:" كان النبي ﷺ يتحرى صيام الاثنين والخميس" رواه أحمد والترمذي وصححه الترمذي والألباني، ولقوله ﷺ:" تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم" أخرجه الترمذي والنسائي وأبو داود وصححه الألباني.

٥ –صيام ثلاثة أيام من كل شهر: لقوله ﷺ لعبد الله بن عمرو:" صم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر" أخرجه البخاري. وعن أبي هريرة ﷺ قال:" أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام" أخرجه البخاري. ويستحب أن تكون الأيام البيض، وهي الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر؛ لحديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من كان منكم صائماً من الشهر فليصم الثلاث البيض" رواه أحمد والنسائي وحسنه الألباني.

٦ –صوم يوم وإفطار يوم: لقوله ﷺ:" أفضل الصيام صيام داود عليه السلام؛ كان يصوم يوماً ويفطر يوماً" رواه البخاري. وهذا من أفضل أنواع التطوع.

٧ -صيام شهر الله المحرم: لحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل" رواه مسلم.

٨ -صيام تسع ذي الحجة: وتبدأ من أول يوم من شهر ذي الحجة، وتنتهي باليوم التاسع، وهو يوم عرفة؛ وذلك لعموم الأحاديث الواردة في فضل العمل فيها؛ فقد قال ﷺ: " ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه العشر" أخرجه البخاري. والصوم من العمل الصالح.

- **ما يكره ويحرم من الصيام:**

١ -يكره إفراد شهر رجب بالصيام؛ لأن ذلك من شعائر الجاهلية، وقد كانوا يعظمون هذا الشهر، فلو صامه مع غيره لم يكره؛ لأنه لا يكون حينئذ مُخَصِّصاً له بالصيام. روى أحمد بن خرشة بن الحر قال: رأيت عمر بن الخطاب يضرب أكف المترجِّبين، حتى يضعوها في الطعام، ويقول: " كلوا، فإنما هو شهر كانت تعظمه الجاهلية" عزاه الألباني لابن أبي شيبة وقال: صحيح.

٢ -يكره إفراد يوم الجمعة بصيام؛ لقوله ﷺ: " لا تصوموا يوم الجمعة، إلا أن تصوموا يوماً قبله أو يوماً بعده" أخرجه البخاري ومسلم. فإن صامه مع غيره فلا بأس بذلك، للحديث الماضي.

٣ -يكره إفراد يوم السبت بصيام؛ لقوله ﷺ: " لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم" أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وصححه الحاكم والذهبي والألباني. والمقصود: النهي عن إفراده، وتخصيصه بالصيام، أما إذا ضُمَّ إلى غيره فلا بأس، لقوله ﷺ لأم المؤمنين جويرية وقد دخل عليها يوم الجمعة، وهي صائمة:" أصمتِ أمس؟ قالت: لا. قال: تريدين أن تصومي غداً؟ قالت: لا. قال: فأفطري". فدل قوله ﷺ:" تريدين أن تصومي غداً" على جواز صيام يوم السبت مع غيره. قال الإمام الترمذي عقب إخراجه حديث النهي الماضي:" ومعنى الكراهية فى هذا: أن يختص الرجل يوم السبت بصيام؛ لأن اليهود يعظِّمون يوم السبت".

٤ -تحريم صيام يوم الشك، وهو يوم الثلاثين من شعبان، إذا كان في السماء ما يمنع رؤية الهلال، فإن كانت السماء صحواً فلا شك. ودليل تحريمه: حديث عمار ﷺ قال:" من صام اليوم الذي يشكُّ فيه فقد عصى أبا القاسم" علقه البخاري بصيغة الجزم وصححه الألباني. ولقوله ﷺ:" لا يتقدمَن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين، إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه فليصم ذلك اليوم" أخرجه البخاري. والمعنى: لا يتقدم أحد رمضان بصوم يوم يُعَدُّ منه بقصد الاحتياط، فإن صومه مرتبط بالرؤية، فلا حاجة إلى التكلف، أما من كان له ورد يصومه فلا شيء عليه؛ لأن ذلك ليس من استقبال رمضان. ويستثنى من ذلك أيضاً: القضاء والنذر لوجوبهما.

٥ -يحرم صوم يومي العيدين، لحديث أبي سعيد الخدري ﷺ:" نهى النبي ﷺ عن صوم يوم الفطر والنحر" أخرجه البخاري، ولحديث عمر بن الخطاب ﷺ قال:" هذان يومان نهى رسول الله ﷺ عن صيامهما: يوم فطركم من صيامكم، واليوم الآخر تأكلون فيه من نسككم" أخرجه البخاري.

٦ -يكره صوم أيام التشريق، وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر: الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر، لقوله ﷺ عنها:" أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل" أخرجه مسلم. ولقوله ﷺ:" يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب" صححه الترمذي والألباني. ورُخِّص في صيامها للمتمتع والقارن إذا لم يجدا ثمن الهدي؛ لحديث عائشة وابن عمر ﷺ قالا:" لم يُرَخَّص في أيام التشريق أن يُصَمن إلا لمن لم يجد الهدي" أخرجه البخاري.

الفوائد:

....

....

....

....

الباب الخامس: في الاعتكاف.

● **تعريفه:** الاعتكاف في اللغة: لزوم الشيء، وحبس النفس عليه. وفي الشرع: لزوم المسلم المميز مسجداً لطاعة الله عز وجل.

● **حكمه:** وهو سنة وقربة إلى الله تعالى؛ لقوله عز وجل:(أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) [البقرة: ١٢٥]. وهذه الآية دليل على مشروعيته حتى في الأمم السابقة. وقوله تعالى:(وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ) [البقرة: ١٨٧]. وعن عائشة رضي الله عنها:" أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله" متفق عليه. وأجمع المسلمون على مشروعيته، وأنه سنة، لا يجب على المرء إلا أن يوجبه على نفسه كأن ينذره. فثبتت سُنيَّة الاعتكاف ومشروعيته، بالكتاب، والسنة، والإجماع.

● **شروط الاعتكاف:** الاعتكاف عبادة لها شروط لا تصح إلا بها:

١ -أن يكون المعتكف مسلماً مميزاً عاقلاً: فلا يصح الاعتكاف من الكافر، ولا المجنون، ولا الصبي غير المميز؛ أما البلوغ والذكورية فلا يشترطان، فيصح الاعتكاف من غير البالغ إذا كان مميزاً، وكذلك من الأنثى.

٢ -النية: لقوله ﷺ:" إنما الأعمال بالنيات" رواه البخاري ومسلم. فينوي المعتكف لزوم معتكفه؛ قربةً وتعبداً لله عز وجل.

٣ -أن يكون الاعتكاف في مسجد: لقوله تعالى:(وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ) [البقرة: ١٨٧]. ولفعله ﷺ حيث كان يعتكف في المسجد، ولم ينقل عنه أنه اعتكف في غيره.

٤ -أن يكون المسجد الذي يعتكف فيه تقام فيه صلاة الجماعة: وذلك إذا كانت مدة الاعتكاف تتخللها صلاة مفروضة، وكان المعتكف ممن تجب عليه الجماعة، لأن الاعتكاف. في مسجد لا تقام فيه صلاة الجماعة يقتضي ترك الجماعة وهي واجبة عليه، أو تكرار خروج المعتكف كل وقت، وهذا ينافي المقصود من الاعتكاف، أما المرأة فيصح اعتكافها في كل مسجد سواء أقيمت فيه الجماعة أم لا. هذا إذا لم يترتب على اعتكافها فتنة، فإن ترتب على ذلك فتنة منعت. والأفضل أن يكون المسجد الذي يعتكف فيه تقام فيه الجمعة، لكن ذلك ليس شرطاً للاعتكاف.

٥ -الطهارة من الحدث الأكبر: فلا يصح اعتكاف الجنب، ولا الحائض، ولا النفساء؛ لعدم جواز مكث هؤلاء في المسجد. أما الصيام فليس بشرط في الاعتكاف؛ لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر قال: يا رسول الله، إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، فقال:" أوف بنذرك" متفق عليه. فلو كان الصوم شرطاً لما صح اعتكافه في الليل، لأنه لا صيام فيه. ولأنهما عبادتان منفصلتان، فلا يشترط لإحداهما وجود الأخرى.

● **زمن الاعتكاف ووقته:** المكث في المسجد مقداراً من الزمن هو ركن الاعتكاف، فلو لم يقع المكث في المسجد لم ينعقد الاعتكاف، وفي أقل مدة الاعتكاف خلاف بين أهل العلم. والصحيح -إن شاء الله - أن وقت الاعتكاف ليس لأقله حد، فيصح الاعتكاف مقداراً من الزمن، وإن قل، إلا أن الأفضل ألا يقل الاعتكاف عن يوم أو ليلة؛ لأنه لم ينقل عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ولا عن أحد من أصحابه الاعتكاف فيما دون ذلك. وأفضل أوقات الاعتكاف العشر الأواخر من رمضان؛ لحديث عائشة رضي الله عنها السابق:" أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفَّاه الله" رواه البخاري ومسلم. فإن اعتكف في غير هذا الوقت جاز ذلك لكنه خلاف الأولى والأفضل. ومن نوى اعتكاف العشر الأواخر من رمضان صلى الفجر من صبيحة اليوم الحادي والعشرين في المسجد الذي ينوي الاعتكاف فيه، ثم يدخل في اعتكافه، وينتهي بغروب شمس آخر يوم من رمضان.

● **مستحباته:** والاعتكاف عبادة يخلو فيها العبد بخالقه، ويقطع العلائق عما سواه، فيستحب للمعتكف أن يتفرغ للعبادة، فيكثر من الصلاة، والذكر، والدعاء، وقراءة القرآن، والتوبة، والاستغفار، ونحو ذلك من الطاعات.

●**ما يباح للمعتكف:** ويباح للمعتكف الخروج من المسجد لما لابد منه؛ كالخروج للأكل والشرب، إذا لم يكن له من يحضرهما، والخروج لقضاء الحاجة، والوضوء من الحدث، والاغتسال من الجنابة. ويباح له التحدث إلى الناس فيما يفيد، والسؤال عن أحوالهم، أما التحدث فيما لا يفيد، وفيما لا ضرورة فيه، فإنه ينافي مقصود الاعتكاف وما شرع من أجله. ويباح له أن يزوره بعض أهله وأقاربه، وأن يتحدث إليه ساعة من زمان، والخروج من معتكفه لتوديعهم؛ لحديث صفية رضي الله عنها قالت:" كان رسول الله ﷺ معتكفاً فأتيت ليلاً، فحدَّثته، ثم قمت، فانقلبت، فقام معي ليَقْلِبَني" رواه البخاري ومسلم. ومعنى ليقلبني: يردني إلى بيتي. وللمعتكف أن يأكل، ويشرب، وينام في المسجد، مع المحافظة على نظافة المسجد، وصيانته.

● **مبطلات الاعتكاف:** يبطل الاعتكاف بما يلي:

١ -الخروج من المسجد لغير حاجة عمداً، وإن قلَّ وقت الخروج؛ لحديث عائشة رضي الله عنها:" وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة، إذا كان معتكفاً" رواه البخاري، ولأن الخروج يفوت المكث في المعتكف، وهو ركن الاعتكاف.

٢ -الجماع، ولو كان ذلك ليلاً، أو كان الجماع خارج المسجد؛ لقوله تعالى:(وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ) [البقرة: ١٨٧]. وفي حكمه الإنزال بشهوة بدون جماع كالاستمناء، ومباشرة الزوجة في غير الفرج.

٣ -ذهاب العقل، فيفسد الاعتكاف بالجنون والسكر، لخروج المجنون والسكران عن كونهما من أهل العبادة.

٤ -الحيض والنفاس؛ لعدم جواز مكث الحائض والنفساء في المسجد.

٥ -الردة؛ لمنافاتها العبادة، ولقوله تعالى:(لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) [الزمر: ٦٥].

الفوائد:

....

....

....

....

ثالثاً: كتاب الحج:

الباب الأول: في مقدمات الحج.

● **تعريف الحج:** الحَجُّ في اللغة: القصد. وفي الشرع: التعبد لله بأداء المناسك في مكان مخصوص في وقت مخصوص، على ما جاء في سنة الرسول ﷺ.

● **حكم الحج:** حكم الحج: الحج أحد أركان الإسلام وفروضه العظام، لقوله تعالى:(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) [آل عمران: ٩٧]. ولقوله تعالى:(وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) [البقرة: ١٩٦]. ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً:" بني الإسلام على خمس"، وذكر منها الحج. وقد أجمعت الأمة على وجوب الحج على المستطيع مرة واحدة في العمر.

● **فضله:** ورد في فضل الحج أحاديث كثيرة، منها: حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً:" العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة" أخرجه مسلم. وقال ﷺ:" من حج لله، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه" أخرجه البخاري ومسلم. إلى غير ذلك من الأحاديث.

● **هل يجب الحج في العمر أكثر من مرة؟** لا يجب الحج في العمر إلا مرة واحدة وما زاد على ذلك فهو تطوع؛ لحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" أيها الناس! قد فرض الله عليكم الحج فحجوا. فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فقال: لو قلت: نعم لوجبت، ولما استطعتم" رواه مسلم، ولأن النبي ﷺ لم يحج بعد هجرته إلى المدينة إلا حجة واحدة. وقد أجمع العلماء على أن الحج لا يجب على المستطيع إلا مرة واحدة. وعليه أن يبادر بأدائه إذا تحققت شروطه، ويأثم بتأخيره لغير عذر؛ لقوله ﷺ تعجلوا إلى الحج؛ فإن أحدكم لا يدري ما يَعْرِضُ له" رواه أحمد وحسنه الألباني. [أي ما يطرأ ويحدث له]. وقد رُوي مرفوعاً وموقوفاً، من طرق يقوّي بعضها بعضاً:" من استطاع الحج فلم يحج، فليمت إن شاء يهودياً، وإن شاء نصرانياً" نيل الأوطار.

● **شروط الحج:** يشترط لوجوب الحج خمسة شروط:

١ -الإسلام: فلا يجب الحج على الكافر ولا يصح منه؛ لأن الإسلام شرط لصحة العبادة.

٢ -العقل: فلا يجب الحج على المجنون ولا يصح منه في حال جنونه؛ لأن العقل شرط للتكليف، والمجنون ليس من أهل التكليف، ومرفوع عنه القلم، حتى يفيق، كما في حديث علي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" رُفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يبلغ، وعن المجنون حتى يفيق" رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني.

٣ -البلوغ: فلا يجب الحج على الصبي؛ لأنه ليس من أهل التكليف ومرفوع عنه القلم حتى يبلغ للحديث الماضي:" رفع القلم عن ثلاثة"، لكن لو حج فحجه صحيح، وينوي له وليه إذا لم يكن مميزاً، ولا يكفيه عن حجة الإسلام، بلا خلاف بين أهل العلم؛ لما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة رفعت صبياً فقالت: يا رسول الله ألهذا حج؟ قال:" نعم ولك أجر" رواه مسلم. ولقوله ﷺ:" أيما صبيٍّ حج ثم بلغ، فعليه حجة أخرى، وأيما عبد حج ثم عتق، فعليه حجة أخرى" أخرجه الشافعي والبيهقي وصححه الألباني.

٤ -الحرية: فلا يجب الحج على العبد؛ لأنه مملوك لا يملك شيئاً، لكن لو حج صحَّ حجه إن كان بإذن سيده. وقد أجمع أهل العلم على أن المملوك إذا حج في حال رقه، ثم أعتق، فعليه حجة الإسلام، إذا وجد إلى ذلك سبيلاً، ولا يجزئ عنه ما حَجَّ في حال رقه؛ لقوله ﷺ في الحديث الماضي ذكره:" وأيما عبد حج ثم عتق، فعليه حجة أخرى".

٥ -الاستطاعة: لقوله تعالى:(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) [آل عمران: ٩٧]. فغير المستطيع مالياً، بأن كان لا يملك زاداً يكفيه ويكفي من يعوله، أو كان لا يملك راحلة توصله إلى مكة وترده. أو بدنياً بأن كان شيخاً كبيراً، أو مريضاً ولا يتمكن من الركوب وتحمل مشاق السفر، أو كان الطريق إلى الحج غير آمن، كأن يكون به قطاع طرق، أو وباء، أو غير ذلك مما يخاف الحاج معه على نفسه وماله، فإنه لا يجب عليه الحج حتى يستطيع، وقد قال تعالىَ:(لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) [البقرة: ٢٨٦] والاستطاعة من الوسع الذي ذكره الله، ومن الاستطاعة في حج المرأة: وجود المحرم الذي يرافقها في سفر الحج؛ لأنه لا يجوز لها السفر للحج ولا لغيره بدون محرم؛ لقوله ﷺ:" لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفراً يكون ثلاثة أيام فصاعداً إلا ومعها أبوها أو ابنها أو زوجها أو أخوها أو ذو محرم منها" رواه مسلم، ولقوله ﷺ للرجل الذي قال: إن امرأتي خرجت حاجَّة، وإني اكتتبت في غزوة كذا:" انطلق فحج معها" متفق عليه. فإذا حجت بدون محرم فحجها صحيح، وتكون آثمة.

- **حكم العمرة:** تجب العمرة على المستطيع مرة واحدة في العمر؛ لقوله تعالى:(وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) [البقرة: ١٩٦]، ولقول النبي ﷺ لعائشة لما سألته: هل على النساء جهاد؟ قال:" نعم عليهن جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة" رواه أحمد وابن ماجه وصححه الألباني، ولقوله ﷺ لأبي رزين لما سأله أن أباه لا يستطيع الحج، ولا العمرة، ولا الظعن. قال:" حج عن أبيك واعتمر" رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وصححه الألباني. وأركانها ثلاثة: الإحرام، والطواف، والسعي.
- **مواقيت الحج والعمرة:** الميقات لغة: هو الحد. وشرعاً: هو موضع العبادة أو زمنها، فتنقسم المواقيت إلى: زمانية ومكانية.

- أما المواقيت الزمانية للحج والعمرة: فالعمرة يجوز أداؤها في جميع أوقات السنة. وأما الحج فله أشهر معلومات لا يصح شيء من أعمال الحج إلا فيها؛ لقوله تعالى:(الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ) [البقرة: ١٩٧]، وهي شوال، وذو القعدة، وذو الحجة.

- وأما المواقيت المكانية للحج والعمرة: فهي الحدود التي لا يجوز للحاج والمعتمر أن يتجاوزها إلا بإحرام. وقد بيَّنها رسول الله ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال:" وَقَّتَ رسول الله ﷺ لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم، هن لهن، ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج والعمرة، ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ، حتى أهل مكة من مكة" متفق عليه. فمن تعدى هذه المواقيت بدون إحرام وجب عليه الرجوع إليها إن أمكن، وإن لم يتمكن من الرجوع فعليه فدية، وهي شاة يذبحها في مكة، ويوزِّعها على مساكين الحرم. أما من كانت منازلهم دون المواقيت، فإنهم يُحرمون من أماكنهم؛ لقوله ﷺ في الحديث السابق:" ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ".

الفوائد:

....

....

....

....

الباب الثاني: في أركان الحج وواجباته:

- **أركان الحج:** أركان الحج أربعة، هي:

١ -الإحرام: وهو نية الحج وقصده؛ لأن الحج عبادة محضة فلا يصح بغير نية بإجماع المسلمين، والأصل في ذلك قول النبي ﷺ:" إنما الأعمال بالنيات" رواه البخاري ومسلم، والنية محلها القلب، لكن الأفضل في الحج النطق بها، مُعَيِّناً النسك الذي نواه، لثبوت ذلك من فعله ﷺ.

٢ -الوقوف بعرفة: وهو ركن بالإجماع، ودليله قوله ﷺ:" الحج عرفة" رواه الترمذي وأبو داود والنسائي وصححه الألباني، ووقت الوقوف: من بعد الزوال يوم عرفة، إلى طلوع فجر يوم النحر.

٣ -طواف الزيارة: ويسمى طواف الإفاضة، لأنه يكون بعد الإفاضة من عرفة، ويسمى طواف الفرض، وهو ركن بالإجماع؛ لقوله تعالى:(ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) [الحج: ٢٩].

٤ -السعي بين الصفا والمروة: وهو ركن؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: ما أتم الله حج امرئ ولا عمرته لم يطف بين الصفا والمروة رواه مسلم، وقوله ﷺ:" اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي" رواه

أحمد وابن خزيمة والبيهقي وصححه الألباني. وهذه الأركان لا يتم الحج إلا بها، فمن ترك ركناً منها لم يتم حجه، حتى يأتي به.

- **واجبات الحج:**

١ -الإحرام من الميقات المعتبر له شرعاً.

٢ -الوقوف بعرفة إلى الليل لمن أتاها نهاراً؛ لأن النبي ﷺ وقف إلى الغروب، وقال:" خذوا عني مناسككم".

٣ -المبيت بمزدلفة ليلة النحر إلى منتصف الليل، إن وافاها قبله؛ لفعله ﷺ ذلك.

٤ -المبيت بمنى ليالي أيام التشريق.

٥ -رمي الجمرات مرتباً.

٦ -الحلق أو التقصير، لقوله تعالى:(مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ) [الفتح: ٢٧]، ولفعله ﷺ وأمره بذلك.

٧ -طواف الوداع لغير الحائض والنفساء؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما:" أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت، إلا أنه خفف عن المرأة الحائض" أخرجه البخاري ومسلم. فمن ترك واجباً من هذه الواجبات عامداً أو ناسياً جبره بدم وصح حجه، لما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:" من نسي من نسكه شيئاً أو تركه فليرق دماً" رواه الدارقطني والبيهقي وهو ثابت عنه كما ذكر ابن عبد البر والألباني. وما سوى ما ذكر من الأعمال فهو سنة. ومن أهم هذه السنن:

١ -الاغتسال للإحرام والتطيب ولبس ثوبين أبيضين.

٢ -تقليم الأظافر وأخذ شعر العانة والإبط وقص الشارب.

٣ -طواف القدوم للمفرد والقارن.

٤ -الرَّمَل في الثلاثة الأشواط الأولى من طواف القدوم.

٥ -الاضطباع في طواف القدوم، وهو: أن يجعل وسط الرداء تحت عاتقه الأيمن، وطرفيه على عاتقه الأيسر.

٦ -المبيت بمنى ليلة عرفة.

٧ -التلبية من حين الإحرام إلى رمي جمرة العقبة.

٨ -الجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة تقديماً.

٩ -الوقوف بمزدلفة عند المشعر الحرام من الفجر إلى الشروق إن تيسر، وإلا فمزدلفة كلها موقف.

الفوائد:

....

....

الباب الثالث: في المحظورات والفدية والهدي.

● **محظورات الإحرام:** وهي ما يمتنع على المحرم فعله شرعاً، وهي تسعة:

١ -لبس المخيط، وهو المفصَّل على قدر البدن أو العضو من السراويل والثياب وغيرهما، إلا لمن لم يجد إزاراً فيجوز له لبس السراويل. وهذا المحظور خاص بالرجال، أما المرأة فتلبس ما شاءت من الثياب إلا النقاب والقفازين، كما سيأتي.

٢ -استعمال الطيب في بدنه أو ثيابه، وكذلك تعمد شمه، ويجوز له شم ما له رائحة طيبة من نبات الأرض، وله الاكتحال بما لا طيب فيه.

٣ -إزالة الشعر والظفر، ذكراً كان أو أنثى، ويجوز له غسل رأسه برفق، وإن انكسر ظفره جاز له رميه.

٤ -تغطية رأس الرجل بملاصق له، وله الاستظلال بالخيمة ونحوها كشجرة. ويجوز للمحرم أن يستظل بالشمسية عند الحاجة، والمرأة ممنوعة من تغطية وجهها بما عمل على قدره كالنقاب والبرقع، ويجب عليها تغطية وجهها بالخمار عند وجود الرجال الأجانب، وممنوعة من لبس القفازين، وتلبس ما شاءت من الثياب مما يناسبها. فمن تطيب، أو غطَّى رأسه، أو لبس مخيطاً، جاهلاً أو ناسياً أو مكرهاً، فلا شيء عليه؛ لقوله:" عفي لأمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه". فمتى علم الجاهل، أو ذكر الناسي، أو زال الإكراه، فعليه منع استدامة هذا المحظور.

٥ -عقد النكاح له ولغيره.

٦ -الوطء في الفرج، وهو مفسد للحج قبل التحلل الأول، ولو بعد الوقوف بعرفة.

٧ -المباشرة فيما دون الفرج، ولا تفسد النسك، وكذا القُبلة واللمس والنظر بشهوة.

٨ -قتل صيد البر واصطياده، ويجوز له قتل الفواسق التي أمر النبي ﷺ بقتلها في الحل والحرم، للمحرم وغيره، وهي: الغراب والفأرة والعقرب والحِدأة والحية والكلب العقور. ولا يجوز له الإعانة على قتل صيد البر، لا بالإشارة ولا بغيرها، ولا يجوز أكل ما صيد من أجله.

٩ -لا يجوز للمحرم ولا غيره قطع شجر الحرم أو نباته الرطب غير المؤذي، ويجوز قطع الأوصال المؤذية في الطريق، ويستثنى من شجر الحرم الإذخر، وما أنبته الآدميون بالإجماع.

● **فدية المحظورات:**

أ -بالنسبة لحلق الشعر، وتقليم الأظافر، ولبس المخيط، والطيب، وتغطية الرأس، والإمناء بنظرة، والمباشرة بغير إنزال المني: الفدية فيها على التخيير بين أصناف ثلاثة: ١ -صيام ثلاثة أيام. ٢ -أو

إطعام ستة مساكين. ٣ -أو ذبح شاة. لقوله ﷺ لكعب بن عجرة حين آذاه هوام رأسه:" احلق رأسك، وصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، أو انسك شاة" أخرجه البخاري ومسلم. وقيست عليه بقية الأفعال، لأنها محرمة بالإحرام، ولا تفسد الحج.

ب -وأما بالنسبة لقتل الصيد: فيخير قاتل الصيد بين ذبح المثل من النعم، أو تقويم المثل بمحل التلف، ويشتري بقيمته طعاماً يجزئ في الفطرة، فيطعم كل مسكين مدّبُرٍّ، أو نصف صاع من غيره، كتمر أو شعير، أو يصوم عن إطعام كل مسكين يوماً؛ لقوله تعالى:(وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا) [المائدة: ٩٥].

ت -وأما بالنسبة للوطء في الحج قبل التحلل الأول، وإنزال المني بمباشرة، أو استمناء، أو تقبيل، أو لمس بشهوة، أو تكرار نظر: فإنه يفسد الحج، حتى وإن كان المجامع ساهياً أو جاهلاً أو مكرهاً. ويجب في ذلك بدنة، وقضاء الحج، والتوبة. وأما بعد التحلل الأول، فإنه لا يفسد الحج، ويجب في ذلك شاة.

ت -أما بالنسبة لعقد النكاح: فلا يجب في ذلك فدية، وإنما يكون العقد فاسداً.

ث -وأما بالنسبة لقطع شجر الحرم ونباته الذي لم يزرعه الآدمي: فتضمن الشجرة الصغيرة عرفاً بشاة وما فوقها ببقرة، ويضمن النبات والورق بقيمته لأنه متقوم. هذا إذا كان مرتكب المحظور متعمداً، أما الجاهل والناسي فلا شيء عليهما.

● **تعريف الهدي:** الهدي: ما يهدى إلى البيت الحرام من بهيمة الأنعام -الإبل والبقر والغنم- تقرباً إلى الله تعالى.

● **أنواع الهدي:**

١ -هدي التمتع والقِران: وهو واجب على من لم يكن حاضر المسجد الحرام، وهو دم نسك لا جبران؛ لقوله تعالى:(فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ) [البقرة: ١٩٦]. فإن عدم الهدي أو ثمنه صام ثلاثة أيام في الحج، ويجوز صيامها في أيام التشريق، وسبعة إذا رجع إلى أهله؛ لقوله تعالى:(فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ) [البقرة: ١٩٦] ويستحب للحاج أن يأكل من هدي التمتع والقران لقوله تعالى:(فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ) [الحج: ٣٦].

٢ -هدي الجبران: وهو الفدية الواجبة لترك واجب، أو ارتكاب محظور من محظورات الإحرام، أو بسبب الإحصار عند وجود سببه؛ لقوله تعالى:(فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ) [البقرة: ١٩٦]،

ولقول ابن عباس:" من نسي من نسكه شيئاً أو تركه، فليرق دماً" رواه البيهقي وتقدم الكلام عليه. وهذا النوع لا يجوز الأكل منه، بل يتصدق به على فقراء الحرم.

٣ -هدي التطوع: وهو مستحب لكل حاج ولكل معتمر؛ اقتداء بالنبي ﷺ فقد أهدى مائة بدنة في حجة الوداع. ويستحب الأكل منه؛ لأن النبي ﷺ أمر من كل جزور بِبَضْعَةٍ، فطبخت، وأكل منها، وشرب من مرقها. رواه مسلم. والبَضعة: القطعة من اللحم. ويجوز لغير المحرم أن يبعث هدايا إلى مكة لتذبح بها؛ تقرباً إلى الله تعالى، ولا يحرم عليه شيء مما يحرم على المحرم.

٤ -هدي النذر: وهو ما ينذره الحاج تقرباً إلى الله عند البيت الحرام، ويجب الوفاء بهذا النذر؛ لقوله تعالى:(ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ) [الحج: ٢٩]. ولا يجوز الأكل من هذا الهدي.

- **وقت ذبح الهدي:** هدي التمتع والقران يبدأ وقته من بعد صلاة العيد يوم النحر، إلى آخر أيام التشريق. أما ذبح فدية الأذى واللبس فحين فعله، وكذلك الفدية الواجبة لترك واجب. وأما دم الإحصار فعند وجود سببه، وهو شاة أو سبع بدنة أو سبع بقرة، لقوله تعالى:(فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ) [البقرة: ١٩٦].

- **مكان الذبح:** هدي التمتع والقران: السنة أن يذبحه بمنى، وإن ذبحه في أي جزء من أجزاء الحرم جاز. وكذلك فدية ترك الواجب وفعل المحظور فلا تذبح إلا في الحرم، عدا هدي الإحصار، فيذبحه في موضعه. أما الصيام فيجزئه في كل مكان. والمستحب أن يصوم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله؛ لقوله تعالى:(فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ) [البقرة: ١٩٦]. ويستحب أن يذبح الحاج بنفسه، وإن أناب غيره فلا بأس بذلك، ويستحب أن يقول عند الذبح: بسم الله، اللهم هذا منك ولك.

- **شروط الهدي:** فهي شروط الأضحية نفسها:

١ -أن يكون من بهيمة الأنعام (الإبل والبقر والغنم).

٢ -أن يكون خالياً من العيوب التي تمنع الإجزاء، كالمرض والعور والعرج والهزال.

٣ -أن تتوافر فيه السن المشروعة: فالإبل خمس سنوات، والبقر سنتان، والمعز سنة، والضأن ستة أشهر.

- **صفة الحج والعمرة:** الأصل عند أهل العلم في صفة الحج حديث جابر المشهور. رواه مسلم. وقد تتبعنا الروايات الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ فتلخص لنا من مجموعها الصفة التالية: إذا وصل مريد النسك إلى الميقات فإنه يستحب له أن يغتسل، ويأخذ ما يحتاج إلى أخذه من شعر، يحل أخذه، كشعر الإبط والعانة والشارب، ويقلم أظافره، ويتجرد الرجل من المخيط، ويتطيب في بدنه قبل نية

الدخول في النسك، ويلبس الرجل إزاراً ورداء نظيفين أبيضين. وتحرم المرأة فيما شاءت من ثياب. ويغطي الرجل كتفيه بردائه، ويهل بنسكه الذي يريد. والأفضل أن يكون إهلاله إذا استوى على دابته، وإن كان المحرم يخاف من عائق يمنعه من إتمام نسكه كمرض أو قطع طريق أو نحو ذلك فإنه يَشْتَرِط أن مَحِلِّي حيث حبستني. ويستحب أن يكون عند إهلاله مستقبلاً القبلة ويقول: اللهم هذه حجة لا رياء فيها ولا سمعة، ويَشْرَعُ في التلبية: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك. وكان الصحابة يزيدون: لبيك ذا المعارج، لبيك ذا الفواضل. ويسن أن يرفع صوته بالتلبية، فإذا وصل مكة استحب له أن يغتسل، فإذا أراد أن يطوف اضطبع الرجل بأن يكشف عن كتفه الأيمن، ويغطي كتفه الأيسر بردائه. ويشترط أن يكون حال الطواف متوضئاً، ويستحب أن يستلم الحجر الأسود ويقبِّله، فإن لم يمكنه ذلك استلمه بيده، وقَبَّل يده، فإن لم يمكنه ذلك يشير إليه بيده، ولا يقبِّلها، ويفعل ذلك عند كل شوط، ويبدأ كل شوط بالتكبير، وإن ابتدأ الطواف ببسم الله والله أكبر فحسن، وإذا أتى الركن اليماني استلمه ولم يقبِّله، فإن لم يمكنه استلامه فإنه لا يشير إليه، ولا يكبر، ويقول بين الركنين -وهما: الركن اليماني والحجر الأسود-: ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار. ويدعو في بقية الطواف بما شاء، ويستحب أن يَرْمُل في الأشواط الثلاثة الأولى -والرَّمَل فوق المشي ودون العدو- ويمشي في الأربعة، فإذا أتم سبعة أشواط غطى كتفيه بردائه، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم فقرأ:(وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) [البقرة: ١٢٥] ويصلي ركعتين خلف المقام يقرأ في الأولى بسورة (الكافرون) وفي الثانية بسورة (الإخلاص) فإن لم يتمكن من الصلاة خلف المقام لزحام ونحوه، صلى في أي مكان من المسجد، وهذا الطواف هو طواف القدوم للمفرد والقارن وطواف العمرة للمتمتع، ثم يشرع له أن يشرب من زمزم، ويصب على رأسه، ثم يرجع إلى الحجر الأسود، فيستلمه إن تيسر، ثم يخرج إلى الصفا، ويقرأ قول الله عز وجل:(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) [البقرة: ١٥٨] ثم يرقى الصفا حتى يرى البيت، ويستقبل القبلة، ويرفع يديه، ويقول: الله أكبر ثلاثاً، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، يفعل ذلك ثلاث مرات ويدعو بينها طويلاً، ثم ينزل ماشياً إلى المروة، ويسعى بين الميلين الأخضرين سعياً شديداً، وذلك للرجال دون النساء، ثم يمشي حتى يرقى المروة، فيصنع عليها مثل ما صنع على الصفا، وهذا شوط، ثم من المروة إلى الصفا شوط آخر حتى يتم السعي سبعة أشواط. وهذا سعي الحج للمفرد والقارن، ولا يتحللان بعده، بل يبقيان بإحرامهما، وهو سعي العمرة للمتمتع. ويتحلل المتمتع من عمرته بتقصير شعره ثم يلبس ملابسه، حتى إذا كان يوم التروية (وهو يوم الثامن من ذي الحجة) أحرم المتمتع بالحج من مكانه، وكذا غيره من

المحلين بمكة وقربها. ويستحب له أن يفعل ما فعله عند الميقات من الاغتسال والتطيب والتنظف.

ويتوجه جميع الحجاج إلى منى ملبِّين، ويصلُّون في منى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر بقصر الرباعية من غير جمع، ثم في صبيحة اليوم التاسع يسير الحاج إلى عرفة. فإنْ تيسَّر له أن ينزل بنمرة إلى الزوال فحسن. وإذا زالت الشمس خطب الإمام أو نائبه خطبة قصيرة، ثم يصلي الظهر والعصر قصراً وجمعاً في وقت الظهر، ثم يدخل عرفة.

ويجب على الحاج أن يتيقن أنه في داخل حدود عرفة، ويستقبل القبلة، ويرفع يديه يدعو ويلبي، ويحمد الله، ويجتهد في التضرع والذكر والدعاء في ذلك اليوم العظيم. وأفضل ما يقال في ذلك اليوم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ويكون في ذلك اليوم مفطراً ؛ لأنه أقوى له على العبادة، ولا يزال واقفاً متضرعاً متذللاً، إلى أن تغرب الشمس، فإذا غربت أفاض من عرفة بسكينة، ويسير ملبِّياً حتى يأتي مزدلفة فيصلي بها المغرب والعشاء جمعاً ويقصر العشاء، ورخص للضعفة أن يخرجوا من مزدلفة بليل، ويبقى القوي في مزدلفة حتى يصلي الفجر، ثم يستقبل القبلة ويحمد الله ويكبره ويهلله حتى يسفر جداً، ثم يدفع من مزدلفة قبل طلوع الشمس، وعليه السكينة، ملبياً، ويلتقط سبع حصيات من الطريق، حتى إذا أتى جمرة العقبة رماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ويقطع التلبية، ثم ينحر هديه، ويستحب أن يأكل منه، ثم يحلق رأسه، ثم يطوف طواف الإفاضة، ويسعى سعي الحج إن كان متمتعاً، أو كان مفرداً أو قارناً ولم يسع مع طواف القدوم. والسنة ترتيب هذه الأعمال: الرمي، فالذبح، فالحلق، أو التقصير، فإن قدَّم واحداً منها على آخر فلا حرج، وإذا فعل اثنين من ثلاثة أعمال -رمي جمرة العقبة، والحلق أو التقصير، والطواف مع السعي، إن كان عليه سعي - تحلل التحلل الأول وحل له كل شيء حرم عليه بالإحرام إلا النساء. فإذا فعل الثلاثة تحلل التحلل الأكبر فيحل له كل شيء حتى النساء، ويبيت بمنى ليلة الحادي عشر والثاني عشر وجوباً، ويرمي الجمرات الثلاث يوم الحادي عشر بادئاً بالصغرى ثم الوسطى ثم الكبرى وكذلك في اليوم الثاني عشر، ويبدأ وقت الرمي من الزوال إلى طلوع الفجر، وإذا رمى الجمرة الصغرى سُنَّ له أن يتقدم قليلاً عن يمينه، ويقوم مستقبلاً القبلة رافعاً يديه يدعو. وإذا رمى الجمرة الوسطى سُنَّ له أن يتقدم، ويأخذ ذات الشمال ويستقبل القبلة، ويقوم طويلاً يدعو رافعاً يديه، ولا يقف بعد جمرة العقبة، فإن أراد أن يتعجل فإنه يجب عليه أن يخرج من منى يوم الثاني عشر قبل غروب الشمس، فإن غربت عليه الشمس في منى مختاراً، وجب عليه مبيت ليلة الثالث عشر. ثم إذا أراد أن يخرج من مكة وجب عليه أن يطوف طواف الوداع، ويجعل آخر عهده بالبيت الطواف، ويسقط هذا الطواف عن الحائض والنفساء.

الفوائد:

....
....
....

الباب الرابع: في الأماكن التي تشرع زيارتها في المدينة.

● **زيارة مسجد النبي ﷺ**: تسن زيارة مسجد النبي ﷺ وشدُّ الرحل إليه في أي وقت من أيام السنة، سواء أكان ذلك قبل الحج أم بعده، وليس لها وقت خاص، ولا دخل لها في الحج، وليست من شروطه ولا من واجباته، لكن ينبغي لمن قدم إلى الحج أن يزور مسجده ﷺ قبل أداء فريضة الحج أو بعدها، وبخاصة من يشق عليه السفر إلى هذه الأماكن. فلو مر الحجاج بالمسجد النبوي وصلوا فيه، لكان أرفق بهم وأعظم لأجرهم ولجمعوا بين الحسنيين: أداء فريضة الحج، وزيارة المسجد النبوي للصلاة فيه، مع العلم -كما سبق- بأن هذه الزيارة ليست من مكملات الحج، ولا دَخْلَ لها فيه، فالحج كامل وتام بدون هذه الزيارة، ولا ارتباط بينها وبين الحج ألبتة. والأدلة على مشروعية شدِّ الرحال لمسجده ﷺ والصلاة فيه كثيرة منها:

١ -قوله ﷺ: " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى" متفق عليه.

٢ -وقوله ﷺ: " صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام" رواه البخاري ومسلم. فهذه النصوص تدل على مشروعية زيارة مسجد النبي ﷺ للصلاة فيه لفضلها ومضاعفة أجرها، وتدل أيضاً على أنه يحرم شد الرحال لغير هذه المساجد الثلاثة لقصد العبادة، فلا تشرع الزيارة والسفر لأي مكان في أنحاء المعمورة، إلا إلى هذه المساجد الثلاثة. وقَصْدُ المدينة للصلاة في مسجد النبي ﷺ مشروع في حق الرجال والنساء؛ لما تقدم من عموم الأدلة السابقة.

-**أما كيفية الزيارة**: فإذا وصل المسافر إلى المسجد استحب له أن يقدم رجله اليمنى حال دخوله المسجد، ويقول الدعاء المشروع عند دخول أي مسجد: بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم افتح لي أبواب رحمتك. وليس لمسجده ﷺ ذكر مخصوص، ثم بعد ذلك يصلي ركعتين في أي مكان من المسجد، وإن صلاها في الروضة فهو أفضل؛ لقوله ﷺ: " ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة" رواه البخاري ومسلم. ومن زار مسجده ﷺ ينبغي له أن يحافظ على أداء الصلوات الخمس فيه، وأن يكثر فيه من الذكر والدعاء وصلاة النافلة في الروضة الشريفة؛ احتساباً للأجر والثواب الجزيل، أمَّا صلاة الفريضة فالأولى للزائر وغيره أن يتقدم إليها، ويحرص على الصفوف الأول المرغب فيها ما استطاع؛ لأنها مقدمة على الروضة.

●**زيارة قبره ﷺ:** إذا زار المسلم المسجد النبوي استحب له زيارة قبره ﷺ وقبري صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ لأنها تابعة لزيارة مسجده ﷺ، وليست هي أصل القصد. وهذه هي الزيارة المشروعة، ولا يشرع شد الرحل إليها، بل شدُّ الرحل لزيارة قبور الأنبياء والصالحين والأماكن الأخرى غير المساجد الثلاثة -المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى- انعقد الإجماع على تحريمه، ومن فعله فهو عاص بنيَّته، آثم بقصده؛ لمخالفته لمفهوم الحديث الوارد في شد الرحال إلى المساجد الثلاثة.

- **أما كيفية الزيارة:** فعلى الزائر أن يقف تجاه قبر النبي ﷺ بأدب وخفض صوت، ثم يسلم عليه قائلاً:" السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته"؛ لقوله ﷺ:" ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام" رواه أبو داود وأحمد وحسنه الألباني. وإن قال الزائر: السلام عليك يا خيرة الله من خلقه، أشهد أنك قد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت في الله حق جهاده، اللهم آته الوسيلة والفضيلة، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، اللهم اجزه عن أمته خير الجزاء، فلا بأس. ثم بعد ذلك يسلِّم على أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- ويدعو لهما، ويترحم عليهما؛ لما أثر عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا سلم على الرسول ﷺ وصاحبيه، لا يزيد على قوله:" السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه" ثم ينصرف. ويحرم على الزائر وغيره التمسح بالحجرة أو تقبيلها أو الطواف بها، أو استقبالها حال الدعاء، أو سؤال الرسول ﷺ قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وشفاء المرض ونحو ذلك؛ لأن ذلك كله لله، ولا يطلب إلا منه.

وليست زيارة قبر النبي ﷺ وقبري صاحبيه واجبة، ولا شرطاً في الحج كما يظن بعض الجهال من العامة، بل هي مستحبة في حق من زار مسجد النبي ﷺ ولا ارتباط بينها وبين الحج بتاتاً، وما ورد في هذا الباب من الأحاديث التي يحتج بها من يقول بمشروعية شدِّ الرحل إلى قبر النبي ﷺ، وأنها من مكملات الحج فهي أحاديث ساقطة، لا أصل لها، إما ضعيفة أو موضوعة، كحديث:" من حج ولم يزرني فقد جفاني"، وحديث:" من زار قبري وجبت له شفاعتي"، وغيرهما كثير، وكلها لم يثبت منها حديث واحد عن النبي ﷺ، بل جزم بعض أهل العلم بأنها كلها موضوعة مكذوبة.

●**الأماكن الأخرى التي تشرع زيارتها في المدينة النبوية:** يستحب لزائر المدينة -رجلاً كان أو امرأة- أن يخرج متطهراً إلى مسجد قباء ويصلي فيه؛ لفعله ﷺ حيث كان يزور مسجد قباء راكباً وماشياً ويصلي فيه ركعتين. متفق عليه. وقوله ﷺ:" من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء، فصلى فيه صلاة، كان له كأجر عمرة" رواه أحمد وابن ماجه والنسائي وصححه الألباني. ويسن للرجال فقط زيارة قبور البقيع وقبور الشهداء في أُحُد كقبر حمزة ﷺ وغيره، ويسلم عليهم، ويدعو

لهم؛ لفعله ﷺ إذ كان يزورهم ويدعو لهم، ولعموم قوله ﷺ:" زوروا القبور فإنها تذكر الموت" رواه مسلم. وكان النبي ﷺ يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا:" السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية" رواه مسلم. هذه هي الأماكن التي تشرع زيارتها في المدينة. أما الأماكن الأخرى التي يظن بعض العامة أن زيارتها مشروعة: كمبرك الناقة، ومسجد الجمعة، وبئر الخاتم، وبئر عثمان، والمساجد السبعة، ومسجد القبلتين، فهذه لا أصل لها، ولم يثبت عن النبي ﷺ أنه زار هذه الأماكن أو أمر بزيارتها، ولم يَرِدْ عن أحد من السلف الصالح أنه زارها. وليس لأي مسجد في المدينة فضلٌ خاص، إلا مسجد الرسول ﷺ ومسجد قباء. وقد قال ﷺ:" من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" رواه مسلم، فينبغي للمسلم إذا زار المدينة أن يتقيد بالأماكن التي تشرع زيارتها، ويتجنب الأماكن التي لا تشرع زيارتها.

الفوائد:

....

....

....

....

الباب الخامس : في الأضحية

، **وفيه مسائل:**

- **المسألة الأولى: في تعريف الأضحية وحكمها وأدلة مشروعيتها وشروطها:**

١ -تعريفها: الأضحية لغة: هي ذبح الأضحية وقت الضحى. وشرعاً: هي ما يذبح من الإبل أو البقر أو الغنم أو المعز تقرباً إلى الله تعالى يوم العيد.

٢ -حكمها وأدلة مشروعيتها: الأضحية سنة مؤكدة؛ لقوله تعالى:(فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) [الكوثر: ٢]. و لحديث أنس رضي الله عنه:" أن النبي ﷺ ضحى بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده، وسمّى وكبر، ووضع رجله على صفاحهما" رواه البخاري. (الأملح ما فيه سواد وبياض، والأقرن ما له قرن).

٣ -شروط مشروعية الأضحية: تسن الأضحية في حق مَنْ وجدت فيه الشروط الآتية: الإسلام: فلا يخاطب بها غير المسلم. والبلوغ والعقل: فمن لم يكن بالغاً عاقلاً فلا يكلف بها. والاستطاعة: وتتحقق بأن يملك قيمة الأضحية زائدة عن نفقته ونفقة من تلزمه نفقته، خلال يوم العيد وأيام التشريق.

- **المسألة الثانية: ما تجوز الأضحية به:** لا تصح الأضحية إلا أن تكون من: الإبل والبقر والغنم ومنه الماعز؛ لقوله تعالى: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ)

[الحج: ٣٤]. والأنعام لا تخرج عن هذه الأصناف الثلاثة. ولأنه لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من الصحابة التضحية بغيرها. وتجزئ الشاة في الأضحية عن الواحد وأهل بيته؛ ففي حديث أبي أيوب رضي الله عنه:" كان الرجل في عهد رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يضحِّي بالشاة عنه وعن أهل بيته، فيأكلون ويطعمون" رواه ابن ماجه، والترمذي، وصححه الألباني. ويجوز التضحية بالبعير والبقرة الواحدة عن سبعة؛ لحديث جابر رضي الله عنه قال:" نحرنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة" رواه مسلم.

- **المسألة الثالثة: الشروط المعتبرة في الأضحية:**

١ -**السِّنُّ:**

-الإبل: ويشترط أن يكون قد أكمل خمس سنين.

-البقر: ويشترط أن يكون قد أكمل سنتين.

-المعز: ويشترط أن يكون قد أكمل سنة. لحديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:" لا تذبحوا إلا مُسِنَّة، إلا أن يعسر عليكم، فتذبحوا جذعة من الضأن" رواه مسلم. والمسنة من الإبل ما لها خمس سنين، ومن البقر ما له سنتان، ومن المعز ما له سنة، وتسمى المسنة بالثنية.

-الضأن: ويشترط فيه الجذع، وهو ما أكمل سنة، وقيل: ستة أشهر؛ لحديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أصابني جذع. قال: (ضحِّ به) أخرجه البخاري، ومسلم، واللفظ لمسلم، ولحديث عقبة بن عامر أيضًا:" ضحَّينا مع رسول الله ﷺ بجذع من الضأن" رواه النسائي، وقوّى الحافظ ابن حجر إسناده، وصححه الشيخ الألباني.

٢ -**السلامة**: يشترط في الإبل والبقر والغنم أن تكون سالمة من العيوب التي من شأنها أن تسبب نقصاناً في اللحم، فلا تجزئ العجفاء، والعرجاء، والعوراء، والمريضة؛ لحديث البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:" أربع لا تجزئ في الأضاحي: العوراء البيِّنُ عورها، والمريضة البين مرضها، والعرجاء البين عرجها، والعجفاء التي لا تُنْقِي" رواه مالك في الموطأ وأحمد والترمذي وقال: حسن صحيح، وأبو داود، والنسائي وما بعدها، وابن ماجه، وصححه الألباني. (والعجفاء: الهزيله، ومعنى (لا تنقي): أي لا مُخَّ لها لهزالها. ويقاس على هذه العيوب الأربعة ما في معناها: كالهتماء التي ذهبت ثناياها، والعضباء التي ذهب أكثر أذنها أو قرنها، ونحو ذلك من العيوب).

- **المسألة الرابعة: وقت ذبح الأضحية:**

يبتدئ وقتها من بعد صلاة العيد لمن صلاها، ومن بعد طلوع شمس يوم عيد الأضحى بمقدار ما يتسع لركعتين وخطبتين لمن لم يصلها، لحديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" من صلى صلاتنا، ونسك نسكنا، فقد أصاب النسك، ومن ذبح قبل أن يصلي فليعد مكانها أخرى" رواه

البخاري، ومسلم. ويستمر وقتها إلى غروب آخر أيام التشريق؛ لحديث جبير بن مطعم -رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال:" كل أيام التشريق ذبح" أخرجه أحمد، والبيهقي، وابن حبان، والدارقطني، قال الهيثمي: ورجال أحمد وغيره ثقات. والأفضل ذبحها بعد الفراغ من صلاة العيد؛ لحديث البراء بن عازب -رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال:" أول ما نبدأ به يومنا هذا نصلي ثم نرجع فننحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح قبل ذلك فإنما هو لحم قدمه لأهله، ليس من النسك في شيء" أخرجه البخاري ومسلم.

- **المسألة الخامسة: ما يصنع بالأضحية، وما يلزم المضحي إذا دخلت العشر:**

١ -ما يصنع بالأضحية: يسن للمضحي أن يأكل من أضحيته، ويهدي للأقارب والجيران والأصدقاء، ويتصدق على الفقراء؛ لقوله تعالى: (فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ) [الحج: ٢٨]. ويستحب أن يجعلها أثلاثاً: ثلث لأهل بيته، وثلث يطعمه فقراء جيرانه، ويهدي الثلث، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما في صفة أضحية النبي ﷺ قال:" ويطعم أهل بيته الثلث، ويطعم فقراء جيرانه الثلث، ويتصدَّق على السُّؤَّال بالثلث" أخرجه الحافظ أبو موسى في الوظائف وحسنه. ويجوز ادخار لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام؛ لحديث بريدة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحي فوق ثلاث، فأمسكوا ما بدا لكم" أخرجه مسلم.

٢ -ما يلزم مريد التضحية إذا دخلت عشر ذي الحجة: إذا دخلت عشر ذي الحجة، حرم على من أراد أن يضحي أن يأخذ من شعره، أو أظفاره شيئاً، حتى يضحِّي؛ لحديث أم سلمة رضي الله عنها مرفوعاً:" إذا دخل العشر، وعنده أضحية يريد أن يضحي، فلا يأخذن شعراً، ولا يقلمن ظفراً". وفي رواية:" فلا يمس من شعره وبشره شيئاً" أخرجه مسلم.

الفوائد:

....

....

....

....

الباب السادس: في العقيقة

وفيه مسائل:

- **المسألة الأولى: تعريف العقيقة وحكمها ووقتها:**

١ - **تعريف العقيقة:** لغة: مشتقة من العق وهو القطع، وهي تطلق في الأصل على الشعر الذي يكون على رأس المولود حين الولادة. وشرعاً: ما يذبح للمولود يوم سابعه عند حلق شعره. وهي من حق الولد على والده.

٢ - **حكم العقيقة:** العقيقة سنة مؤكدة، لحديث سلمان بن عامر الضبي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" مع الغلام عقيقته، فأهريقوا عنه دماً، وأميطوا عنه الأذى" أخرجه البخاري، ولحديث سمرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" كل غلام رهينة بعقيقته، تذبح عنه يوم سابعه ويسمى ويحلق رأسه" رواه أحمد، وأبو داود وما بعدها، والترمذي برقم، والنسائي وما بعدها، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني، ولحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:" من وُلد له ولد، فأحب أن يَنْسُكَ عنه فَلْيَنْسُكْ"، رواه أبو داود برقم وما بعدها، والنسائي، وأحمد وما بعدها، وصححه الألباني. (ومعنى ينسك. يذبح).

٣ - **وقت العقيقة:** يدخل وقت جواز ذبح العقيقة بانفصال جميع المولود من بطن أمه، ويستمر وقت الاستحباب إلى البلوغ، إلا أنه يسن أن يعقَّ عنه يوم السابع من ولادته؛ لحديث سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" الغلام مرتهن بعقيقته تذبح عنه يوم السابع، ويسمى ويحلق رأسه"، رواه أحمد، وأبو داود وما بعدها، والترمذي برقم، والنسائي وما بعدها، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني.

- **المسألة الثانية: مقدار ما يذبح في العقيقة:** يسن أن يذبح عن الغلام شاتان وعن الجارية شاة، لحديث أم كرز الكعبية رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" عن الغلام شاتان متكافئتان، وعن الجارية شاة" رواه أحمد وأبو داود والنسائي، وصححه الألباني.

- **المسألة الثالثة: تسمية المولود، وحلق رأسه، وتحنيكه، والأذان في أذنه:**

١ - **تسمية المولود:** يسن تسمية المولود في اليوم السابع من ولادته، لحديث سمرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" كل غلام رهينة بعقيقته، تذبح عنه يوم سابعه، ويسمى، ويحلق رأسه"، رواه أحمد، وأبو داود وما بعدها، والترمذي برقم، والنسائي وما بعدها، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني. ويسن أن يختار له من الأسماء ما كان حسناً؛ فقد غيَّر النبي ﷺ الأسماء القبيحة، وأمر بذلك. وأحسنها: عبد الله وعبد الرحمن؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:" إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن" أخرجه مسلم.

٢ - **حلق رأس المولود:** ويسن حلق رأسه -ذكراً كان أو أنثى - يوم سابعه بعد ذبح العقيقة، ويتصدق بزنة شعره فضة؛ لحديث علي ﷺ قال:"عقَّ رسول الله ﷺ عن الحسن بشاة، وقال:" يا فاطمة

احلقي رأسه، وتصدقي بزنة شعره فضة" أخرجه أحمد، ومالك في الموطأ، والترمذي برقم، والحاكم، والبيهقي، وحسنه الشيخ الألباني.

٣ - **تحنيك المولود:** ويسن تحنيك المولود بتمر سواء أكان ذكراً أم أنثى. والتحنيك: هو مضغ التمر ودلك حنك المولود به حتى ينزل شيء منه إلى جوفه؛ لحديث أبي موسى ﷺ قال:" ولد لي غلام، فأتيت به النبي ﷺ فسماه إبراهيم وحَنَّكه بتمر"، رواه البخاري، ومسلم، وحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ:" كان يؤتى بالصبيان ويحنكهم" رواه مسلم.

٤ - **الأذان في أذن المولود:** يسن الأذان في أُذن المولود حين ولادته، وقيل: يؤذَّن في أذنه اليمنى، وتقام الصلاة في أذنه اليسرى، لحديث أبي رافع ﷺ قال:" رأيت رسول الله ﷺ أذَّنَ في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة، بالصلاة" أخرجه الترمذي برقم وقال: حسن صحيح. وحسنه الشيخ الألباني.

الفوائد:

....
....
....
....

رابعاً: كتاب الجهاد:

الباب الأول: تعريف الجهاد وفضله وحكمه وشروطه ومسقطاته.

وفيه مسائل:

● **المسألة الأولى: تعريفه، وفضله، والحكمة منه، وحكمه، ومتى يتعين؟**

أ -**تعريفه:** الجهاد لغة: بذل الجهد والطاقة والوسع. وفي الاصطلاح: بذل الجهد والوسع في قتال الأعداء من الكفار ومدافعتهم.

ب -**فضله والحكمة منه:** الجهاد ذروة سنام الإسلام، كما سماه النبي ﷺ، أخرجه الترمذي، وقال: حسن صحيح. وأحمد في مسنده، وصححه الألباني، أي: أعلاه، وسمي بذلك؛ لأنه يعلو به الإسلام ويرتفع ويظهر، وقد فضّل الله المجاهدين في سبيله بأموالهم وأنفسهم، ووعدهم الجنة، كما سيأتي في آية سورة النساء بعد قليل، والآيات والأحاديث في فضل الجهاد والمجاهدين كثيرة. أما الحكمة من مشروعية الجهاد: فقد شرعه الله سبحانه لأهداف سامية وغايات نبيلة، من ذلك:

١ -شرع الجهاد لتخليص الناس من عبادة الأوثان والطواغيت وإخراجهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى:(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) [الأنفال: ٣٩].

٢ -كما شرع لإزالة الظلم وإعادة الحقوق إلى أهلها، قال تعالى: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) [الحج: ٣٩].

٣ -كما شرع الجهاد؛ لإذلال الكفار، وإرغام أنوفهم، والانتقام منهم، قال سبحانه:(قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) [التوبة: ١٤].

ج -**حكمه:** الجهاد بمعناه الخاص -وهو جهاد الكفار فرض كفاية، إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين وصار في حقهم سنة؛ لقوله تعالى:(لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) [النساء: ٩٥]. فقد دلت هذه الآية على أن الجهاد فرض كفاية، لا فرض عين؛ لأن الله فاضل بين المجاهدين والقاعدين عن الجهاد بدون عذر، وكلاً وعد الحسنى وهي الجنة. ولو كان الجهاد فرض عين لاستحق القاعدون الوعيد لا الوعد. ولقوله تعالى:(وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ) [التوبة: ١٢٢]. وهذا مشروط بما إذا كان

للمسلمين قوة وقدرة على قتال أعدائهم، فإن لم يكن لديهم قوة ولا قدرة سقط عنهم كسائر الواجبات، وأصبح قتالهم لعدوهم -والحالة هذه - إلقاءً بأنفسهم إلى التهلكة.

د -**متى يتعين؟** لكن هناك حالات يتعين فيها الجهاد فيصير فرض عين على المسلم وهي:

-الحالة الأولى: إذا هاجم الأعداء بلاد المسلمين، ونزلوا بها، أو حصروها، تعين قتالهم، ودفع ضررهم، على جميع أفراد المسلمين.

-الحالة الثانية: إذا حضر القتال، وذلك إذا التقى الزحفان، وتقابل الصفَّان، تعين الجهاد، وحرم على من حضر القتال الانصراف، والتولي من أمام العدو؛ لقوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ) [الأنفال: ١٥]، ولعدِّه ﷺ التولي يوم الزحف من الكبائر الموبقات، أخرجه البخاري ومسلم. ولكن يستثنى من التولي المتوعد عليه حالتان: إذا كان المتولي متحرفاً لقتال، أي: يذهب لكي يأتي بقوة أكثر. والثانية: أن يكون متحيزاً إلى فئة من المسلمين تقوية ونصرة لها.

-الحالة الثالثة: إذا عينهم الإمام واستنفرهم للجهاد؛ لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ❁ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) [التوبة: ٣٨ -٣٩]، وقوله ﷺ: " وإذا استنفرتم فانفروا" متفق عليه.

-الحالة الرابعة: إذا احتيج إليه، فإنه يتعيَّن عليه الجهاد.

● **المسألة الثانية: شروط الجهاد:** يشترط لوجوب الجهاد سبعة شروط، وهي: الإسلام، والبلوغ، والعقل، والذكورية، والحرية، والاستطاعة المالية والبدنية، والسلامة من الأمراض والأضرار:

-فلا يجب الجهاد على الكافر؛ لأنه عبادة والعبادة لا تجب عليه، ولا تصح منه، ولأنه لا يتوافر فيه الإخلاص والأمانة والطاعة، فلا يؤذن له بالخروج مع جيش المسلمين؛ لقوله ﷺ للرجل المشرك الذي تبعه في بدر:" تؤمن بالله ورسوله؟" قال: لا، قال:" فارجع فلن أستعين بمشرك" رواه مسلم .

-وكذلك لا يجب على الصبي غير البالغ؛ لأنه غير مكلف، ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما: أنه عرض نفسه على رسول الله ﷺ يوم أحد، وهو ابن أربع عشرة سنة، فلم يجزه في المقاتلة، متفق عليه.

-وكذلك المجنون لا يجب عليه الجهاد؛ لأنه مرفوع عنه القلم، وليس من أهل التكليف.

-ولا يجب على العبد؛ لأنه مملوك لسيده، ولا المرأة لحديث عائشة رضي الله عنها قالت:" يا رسول الله هل على النساء جهاد؟ فقال:" جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة" رواه ابن ماجه، والبيهقي وغيرهما، وصححه الألباني. وفي لفظ:" نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ فقال:" لكن أفضل الجهاد حج مبرور" رواه البخاري.

-وغير المستطيع، وهو الذي لا يستطيع حمل السلاح لضعف أو كبر، وكذلك الفقير الذي لا يجد ما ينفق في طريقه فاضلاً عن نفقة عياله لا يجب عليهم الجهاد؛ لقوله تعالى:(وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ) [التوبة: ٩١].

-وكذلك من به ضرر أو مرض أو غير ذلك من الأعذار لا يجب عليه الجهاد؛ لأن العجز ينفي الوجوب، ولقوله تعالى: (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ) [الفتح: ١٧]. وقوله تعالى: (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) [التوبة: ٩١].

●**المسألة الثالثة: مسقطات الجهاد:** هناك أعذار تسقط عن صاحبها الجهاد إذا كان فرض عين أو فرض كفاية وهي:

١و٢ -الجنون والصِّبا: لقوله ﷺ:" رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم" رواه أبو داود والنسائي، وصححه الألباني.

٣ -الأنوثة: فلا يجب الجهاد على الأنثى. وقد سبق ذكره.

٤ -الرق: لما روى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:" للعبد المملوك الصالح أجران. والذي نفسي بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبرّ أمي، لأحببت أن أموت وأنا مملوك" رواه البخاري، وقوله:" والذي نفسي بيده" الصحيح أنه مدرج من كلام أبي هريرة.

٥و٦ -الضعف البدني، والعجز المالي، والمرض، وعدم سلامة بعض الأعضاء كالعمى والعرج الشديد، وقد سبق ذكرها.

٧ -عدم إذن الأبوين أو أحدهما، إذا كان الجهاد تطوعاً؛ لحديث ابن عمرو رضي الله عنهما قال:" جاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد، فقال: أحيٌّ والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد" رواه البخاري، ومسلم، فبر الوالدين فرض عين، والجهاد فرض كفاية في هذه الحالة، فيقدَّم فرض العين. فإذا تعيَّن الجهاد فليس لهما منعه، ولا إذن لهما.

٨ -الدَّيْن الذي لا يجد له وفاءً إذا لم يأذن صاحبه، وكان الجهاد تطوعاً، لقوله ﷺ:" القتل في سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدين" رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فإذا تعيَّن الجهاد فلا إذن لغريمه.

٩ -العَالِم الذي لا يوجد غيره في البلد؛ لأنه لو قتل لافتقر الناس إليه؛ إذ لا يمكن لأحد أن يحل محله، فإذا كان لا يوجد من هو أفقه منه يسقط عنه الخروج للجهاد نظراً لحاجة المسلمين له.

الفوائد:

....

....

الباب الثاني: في الأسرى والغنائم

وفيه مسائل:

- **المسألة الأولى: حكم أسرى الكفار:**

-ذهب أكثر أهل العلم -وهو الصحيح-: أن أسرى الكفار من الرجال أمرهم إلى الإمام، فَيُخَيَّرُ فيهم بما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين بين: القتل، والاسترقاق، والمنّ بغير عوض، والفداء إما بمال أو منفعة أو أسير مسلم، أما النساء والصبيان فإنهم يسترقون بمجرد السبي، ويصيرون كجملة المال يضمون إلى الغنيمة، ولا يخير فيهم الإمام، ولا يجوز قتلهم، لنهيه ﷺ عن ذلك:

-الدليل على القتل: قوله تعالى:(فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) [التوبة: ٥]. وقوله تعالى: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ) [الأنفال: ٦٧]. فأخبر الله سبحانه أن قتل المشركين يوم بدر كان أولى من أسرهم وفدائهم. ولحديث أنس بن مالك رضي الله عنه:" أن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفر، فلما نزعه جاء رجل فقال: إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال: اقتلوه" رواه البخاري ومسلم، وقتل ﷺ رجال بني قريظة.

-والدليل على الاسترقاق: حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- في قصة بني قريظة لما نزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه، فحكم أن تقتل المقاتلة، وتسبى الذرية، رواه البخاري.

-والدليل على المنّ والفداء قوله تعالى:(فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) [محمد: ٤]. وينبغي للإمام أن يفعل الأصلح للمسلمين من هذه الخصال؛ لأن تصرفه لغيره، فلزم أن يكون تخييره للمصلحة.

- **المسألة الثانية: تقسيم الغنيمة بين الغانمين:**

- **الغنيمة:** اسم لما يؤخذ من أموال الكفرة قهراً بقتال، على وجه يكون فيه إعلاء كلمة الله تعالى، وتسمى أيضاً: الأنفال -جمع نفل- لأنها زيادة في أموال المسلمين.

- **والأصل في مشروعيتها** قوله تعالى:(فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [الأنفال: ٦٩]. وقد أحل الله الغنائم لأمة محمد ﷺ دون الأمم السابقة، قال ﷺ:" وأحلت لي الغنائم، ولم تحلَّ لأحد قبلي" أخرجه مسلم. وتشمل الغنائم: الأموال المنقولة، والأسرى، والأرض.

- **تقسيمها:** وذهب جمهور العلماء إلى أن الغنيمة تقسم على خمسة أسهم: السهم الأول: سهم الإمام، وهو خمس الغنيمة يخرجه الإمام أو نائبه. ويقسم هذا الخمس على ما بيَّن الله في قوله:(

وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) [الأنفال:٤١] فيقسم هذا الخمس خمسة أقسام:

١ -الله ورسوله: ويكون هذا القسم فيئاً يدخل في بيت المال وينفق في مصالح المسلمين، لقوله ﷺ: "والذي نفسي بيده، مالي مما أفاء الله إلا الخمس، والخمس مردود عليكم" أخرجه أبو داود والنسائي وصححه الألباني. فجعله ﷺ لجميع المسلمين.

٢ -ذوي القربى: وهم قرابة الرسول ﷺ، وهم: بنو هاشم وبنو المطلب، ويقسم هذا الخمس بينهم حسب الحاجة.

٣ -اليتامى: وهو من مات أبوه قبل أن يبلغ، ذكراً كان أم أنثى، ويعم ذلك الغني منهم والفقير.

٤ -المساكين: ويدخل فيهم الفقراء هنا.

٥ -ابن السبيل: وهو المسافر الذي انقطعت به السبيل، فيعطى ما يبلغه إلى مقصده. وأما باقي السهام الأربعة -أربعة أخماس - فتكون لكل من شهد الوقعة: من الرجال البالغين، الأحرار، العقلاء، ممن استعد للقتال سواء باشر القتال أو لم يباشر، قوياً كان أو ضعيفاً، لقول عمر رضي الله عنه: "الغنيمة لمن شهد الوقعة" رواه البيهقي بإسناد صحيح، وعبد الرزاق.

-**وكيفية التقسيم:** أن يعطى الراجل -الذي يقاتل على رجله - سهماً واحداً، ويعطى الفارس -الذي يقاتل على فرسه - ثلاثة أسهم، سهم له وسهمان لفرسه؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما:(أن رسول الله ﷺ قسم في النفل: للفرس سهمين، وللراجل سهماً) رواه البخاري ومسلم، ولأن النبي ﷺ فعل ذلك في خيبر (جعل للراجل سهماً واحداً، وللفارس ثلاثة أسهم) أخرجه البخاري؛ وذلك لأن غناء الفارس ونفعه أكثر من غناء الراجل.

وأما النساء والعبيد والصبيان إذا حضروا الوقعة، فالصحيح أنه يُرْضَخ (الرَّضْخ: إعطاء الشيء ليس بالكثير). لهم ولا يقسم لهم؛ لقول ابن عباس رضي الله عنهما لمن سأله: إنك كتبت تسألني عن المرأة والعبد يحضران المغنم، هل يقسم لهما شيء؟ وإنه ليس لهما شيء إلا أن يُحْذَيا رواه مسلم، ويُحذيا: يعني يُعطيا. وفي لفظ: وأما المملوك فكان يُحذى رواه أبو داود. وإذا كانت الغنيمة أرضاً خُيِّر الإمام بين قسمتها بين الغانمين، ووقفها لمصالح المسلمين ويضرب عليها خراجاً مستمراً يؤخذ ممن هي بيده، سواء أكان مسلماً أم ذمياً، فيؤخذ منه ذلك كل عام، وهذا التخيير يكون تخيير مصلحة.

- **المسألة الثالثة: مصرف الفيء:**

- **الفيء:** ما أخذ من أموال أهل الحرب بحق من غير قتال، كالأموال التي يهرب الكفار ويتركونها فزعاً عند علمهم بقدوم المسلمين.

-**أما مصرفه:** فهو في مصالح المسلمين بحسب ما يراه الإمام كرزق القضاة، والمؤذنين، والأئمة، والفقهاء، والمعلمين وغير ذلك من مصالح المسلمين؛ لما ثبت عن عمر ﷺ قال:" كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسول الله ﷺ مما لم يُوجِف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة، وكان ينفق على أهله نفقة سنته، ثم يجعل ما بقي في الكُرَاع والسلاح عدة في سبيل الله عز وجل". رواه البخاري، ومسلم. (الإيجاف: الإسراع، أي: لم يعدوا في تحصيله خيلاً ولا إبلاً، وانما حصل بغير قتال والكُرَاع: الخيل)، ولهذا ذكر الله تعالى كل فئات المسلمين في معرض بيان مصارف الفيء فقال سبحانه وتعالى:(مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ) [الحشر: ٧]، فيأخذ منه الإمام من غير تقدير، ويعطي القرابة باجتهاد، ويصرف الباقي في مصالح المسلمين.

الفوائد:

....

....

....

....

الباب الثالث: في الهدنة والذمة والأمان

وفيه مسائل:

- **المسألة الأولى: عقد الهدنة مع الكفار:**

١ - **تعريفها:** الهدنة لغة: السكون. وشرعاً: عقد الإمام أو نائبه لأهل الحرب على ترك القتال مدة معلومة بقدر الحاجة وإن طالت، وتسمى: مهادنة، وموادعة، ومعاهدة.

٢ - **مشروعيتها:** يجوز لإمام السلمين عقد الهدنة مع الكفار على ترك القتال مدة معلومة بقدر الحاجة، إذا كان في عقدها مصلحة للمسلمين، كضعفهم أو عدم استعدادهم، أو غير ذلك من المصالح، كطمع في إسلام الكفار ونحوه، لقوله تعالى:(وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) [الأنفال: ٦١]. وقد عقد النبي ﷺ الهدنة مع الكفار في صلح الحديبية عشر سنين، وصالح اليهود في المدينة.

٣ - **لزوم الهدنة:**

- تكون الهدنة التي عقدها الإمام أو نائبه لازمة، لا يجوز نقضها ولا إبطالها، ما استقاموا لنا، ولم يخونوا، ولم نخش منهم خيانة؛ لقوله تعالى:(فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ) [التوبة: ٧] وقوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) [المائدة: ١].

- فإن نقضوا العهد: بقتال، أو مظاهرة عدونا علينا، أو قتل مسلم، أو أخذ مال، انتقض العهد الذي بيننا وبينهم وجاز قتالهم؛ لقوله تعالى:(وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) [التوبة: ١٢].

- وإن خيف منهم نقض العهد بأمارة تدل على ذلك، جاز أن ننبذ إليهم عهدهم ولا يلزم البقاء على عهدهم، قال تعالى:(وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ) [الأنفال: ٥٨]. أي: أعلمهم بنقض عهدهم، حتى تكون أنت وهم سواء في العلم، ولا يجوز قتالهم قبل إعلامهم بنقض العهد.

- **المسألة الثانية: عقد الذمة، ودفع الجزية:**

١ -تعريفه: الذمة لغة: العهد، وهو الأمان والضمان.

وعقد الذمة اصطلاحاً: هو إقرار بعض الكفار على كفرهم، بشرط بذل الجزية، والتزام أحكام الملة التي حكمت بها الشريعة الإسلامية عليهم.

٢ -مشروعيته: الأصل في مشروعية عقد الذمة قوله تعالى:(قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) [التوبة: ٢٩] وقوله ﷺ في حديث بريدة:" ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم... فإن هم أبوا فسلهم الجزية" أخرجه مسلم.

٣ -من تؤخذ منه الجزية؟ تؤخذ الجزية من الرجال، المكلفين، الأحرار، الأغنياء القادرين على الأداء، فلا تؤخذ من العبد؛ لأنه لا يملك فكان بمنزلة الفقير، ولا تؤخذ من المرأة والصبي والمجنون؛ لأنهم ليسوا من أهل القتال، ولا تؤخذ من المريض المزمن، والشيخ الكبير؛ لأن دماءهم محقونة، فأشبهوا النساء.

٤ -موجب عقد الذمة: يوجب هذا العقد مع الكفار: حرمة قتالهم، والحفاظ على أموالهم، وصيانة أعراضهم، وكفالة حريتهم، وعدم إيذائهم، ومعاقبة من قصدهم بأذى، لقوله ﷺ:" وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم" أخرجه مسلم.

- **المسألة الثالثة: عقد الأمان:**

١ -**تعريفه:** الأمان لغة: ضد الخوف. واصطلاحاً: هو عبارة عن تأمين الكافر على ماله ودمه مدة محدودة.

٢ -**مشروعيته وأدلة ذلك:** الأصل في مشروعية عقد الأمان قوله تعالى:(إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ) [التوبة: ٦].

٣ -**ممن يصح وشروطه:** يصح عقد الأمان من كل أحد من المسلمين، بشرط أن يكون:

- عاقلاً بالغاً: فلا يصح من المجنون والطفل.
- مختاراً: فلا يصحُّ من المكره، ولا السكران، ولا المغمى عليه. فيصح من المرأة لقوله ﷺ:" قد أجرنا من أجرتِ يا أم هانئ" أخرجه مسلم.
- ويصح من العبد؛ لقوله ﷺ:" ذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم" أخرجه البخاري، ومسلم.
- ويكون الأمان عاماً: من الإمام لجميع المشركين، أو من الأمير لأهل بلده، وخاصاً: من آحاد الرعية المسلمين لواحد من الأعداء. والأمان العام من تصرفات إمام المسلمين؛ لأن ولايته عامة، وليس لأحد أن يفعل ذلك إلا بموافقته.
- ويقع الأمان بكل ما يدل عليه من قول مثل:" أنت آمن"، أو:" أجرتك"، أو:" لا بأس عليك"، أو إشارة مفهمة.
- والمستأمن: هو الذي يطلب الأمان ليسمع كلام الله ويعرف شرائع الإسلام، فتلزم إجابته للآية السابقة، ثم يرد إلى مأمنه.

٤ -**حكم الأمان وما يلزم به:** يلزم الوفاء بعقد الأمان، فيحرم قتل المستأمن أو أسره أو استرقاقه، وكذا الالتزام بسائر الأمور المتفق عليها في عقد الأمان. ويجوز نبذ الأمان إلى الأعداء، إن خيف شرهم وخيانتهم.

الفوائد:

....

....

....

....

المراجع :

- الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة مجموعة من العلماء
- الفقه الإسلامي لوهبة الزحيلي

مقرر مادة أصول التفسير

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

علوم القرآن هو السبيل لفهم كتاب الله، ومعرفة أحكامه، وحكمه، فهو يساعد على فهم وتدبر القرآن الكريم، واستنباط أحكامه، ومعرفة حكمه، وحل مشكله، وفهم متشابهه، بصورة صحيحة دقيقة، لأنه لا يمكن أن يفهم القرآن ويفسره من لا يعرف نطقه، ورسمه، وأوجه قراءته، وأسباب نزوله ، وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ونحو ذلك ، فهو الأساس، والمفتاح لفهم القرآن الكريم.

وفي هذا المقرر المختصر المفيد نقرر فيه بعض مسائل أصول التفسير ليكون لدى طالب العلم تصور مبدئي عن هذا الفن ونشأته والجهود التي بذلت فيه.

القرآن الكريم.

●**القرآن في اللغة:** مصدر قرأ بمعنى تلا، أو بمعنى جمع، تقول قرأ قرءاً وقرآناً، كما تقول: غفر غَفْراً وغُفرانا، فعلى المعنى الأول (تلا) يكون مصدراً بمعني اسم المفعول؛ أي بمعنى متلوّ، وعلى المعني الثاني: (جَمَعَ) يكون مصدراً بمعني اسم الفاعل؛ أي بمعني جامع لجمعه الأخبار والأحكام.

●**القرآن في الشرع:** كلام الله تعالى المنزل على رسوله وخاتم أنبيائه محمد ﷺ، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس. قال تعالى:(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً) [الإنسان:٢٣] وقال:(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [يوسف:٢]. وقد حمى الله تعالى هذا القرآن العظيم من التغيير والزيادة والنقص والتبديل، حيث تكفل عز وجل بحفظه فقال:(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر:٩] ولذلك مضت القرون الكثيرة ولم يحاول أحد من أعدائه أن يغير فيه، أو يزيد، أو ينقص، أو يبدل، إلا هتك الله ستره، وفضح أمره.

● وقد وصفه الله تعالى بأوصاف كثيرة، تدل على عظمته وبركته وتأثيره وشموله، وأنه حاكم على ما قبله من الكتب. قال الله تعالى:(وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) [الحجر:٨٧]. (وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ) [قٓ: ١]. وقال تعالى:(كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) [ص:٢٩] (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [الأنعام:١٥٥] (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ) [الواقعة:٧٧] (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) [الإسراء : من الآية ٩]. وقال تعالى:(لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [الحشر:٢١] (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ) [التوبة: ١٢٤ -١٢٥] (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) [الأنعام: ١٩] (فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً) [الفرقان:٥٢]. وقال تعالى:(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) [النحل: ٨٩] (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ) [المائدة: من الآية ٤٨].

والقرآن الكريم مصدر الشريعة الإسلامية التي بعث بها محمد ﷺ إلى كافة الناس، قال الله تعالى:(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً) [الفرقان:١] (الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ

لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ❖ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) [إبراهيم: ١ -٢].

وسنة النبي ﷺ مصدر تشريع أيضاً كما قرره القرآن، قال الله تعالى:(مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) [النساء:٨٠] (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً) [الأحزاب: ٣٦] (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [الحشر: ٧] (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [آل عمران:٣١].

الفوائد:

....

....

....

نـزول القرآن.

●نزل القرآن أول ما نزل على الرسول ﷺ في ليلة القدر في رمضان، قال الله تعالى:(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) [القدر:١] (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ❖ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) [الدخان:٣ -٤]. (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) [البقرة: ١٨٥].

●وكان عمر النبي ﷺ أول ما نزل عليه القرآن أربعين سنة على المشهور عند أهل العلم، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء وسعيد بن المسيِّب وغيرهم. وهذه السِّن هي التي يكون بها بلوغ الرشد وكمال العقل وتمام الإدراك.

●والذي نزل القرآن من عند الله تعالى إلى النبي ﷺ، جبريل أحد الملائكة المقربين الكرام، قال الله تعالى عن القرآن:(وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❖ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ❖ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ❖ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) [الشعراء:١٩٢ - ١٩٥].

●وقد كان لجبريل عليه السلام من الصفات الحميدة العظيمة، من الكرم والقوة والقرب من الله تعالى والمكانة والاحترام بين الملائكة والأمانة والحسن والطهارة؛ ما جعله أهلاً لأن يكون رسول الله تعالى بوحيه إلى رسوله قال الله تعالى:(إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ❖ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ❖ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ) (التكوير: ١٩ -٢١). وقال:(عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ❖ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ❖ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى) [النجم:٥ -٧]. وقال:(قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) [النحل:١٠٢].

أول ما نزل من القرآن:

●أول ما نزل من القرآن على وجه الإطلاق الآيات الخمس الأولى من سورة العلق، وهي قوله تعالى:(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ❖ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ❖ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ❖ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ❖ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) [العلق: ١ - ٥].

● ثم فتر الوحي مدة، ثم نزلت الآيات الخمس الأولى من سورة المدثر، وهي قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ❖ قُمْ فَأَنْذِرْ❖ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ❖ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ❖ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) [المدثر:١ -٥]. ففي الصحيحين: عن عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي قالت: حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال اقرأ، فقال النبي ﷺ ما أنا بقارئ (يعني لست أعرف القراءة) فذكر الحديث، وفيه ثم قال:(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) إلى قوله:(عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) [العلق:١ - ٥].

وفيهما عن جابر ﷺ، أن النبي ﷺ قال وهو يحدث عن فترة الوحي:(بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء....) فذكر الحديث، وفيه، فأنزل الله تعالى:(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ❖ قُمْ فَأَنْذِرْ) إلى (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) [المدثر:١ -٥].

● وثمة آيات يقال فيها: أول ما نزل، والمراد أول ما نزل باعتبار شيء معين، فتكون أولية مقيدة مثل: حديث جابر ﷺ في الصحيحين: أن أبا سلمة بن عبد الرحمن سأله: أي القرآن أنزل أول؟ قال جابر:(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) [المدثر:١] قال أبو سلمة: أنبئت أنه (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) [العلق:١] فقال جابر: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ: قال رسول الله ﷺ:" جاورت في حراء فلما قضيت جواري هبطت..." فذكر الحديث وفيه:" فأتيت خديجة فقلت: دثروني، وصبوا علي ماء بارداً، وأنزل علي:(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) [المدثر:١] إلى قوله:(وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) [المدثر:١ -٥].

فهذه الأولية التي ذكرها جابر ﷺ باعتبار أول ما نزل بعد فترة الوحي، أو أول ما نزل في شأن الرسالة؛ لأن ما نزل من سورة اقرأ ثبتت به نبوة النبي ﷺ، وما نزل من سورة المدثر ثبتت به الرسالة في قوله (قُمْ فَأَنْذِرْ) [المدثر:٢]. ولهذا قال أهل العلم: إن النبي ﷺ نبئ بـ(اقْرَأْ) [العلق:١] وأرسل بـ(الْمُدَّثِّرُ) [المدثر:١].

الفوائد:

....

نزول القرآن ابتدائي وسببي:

●ينقسم نزول القران إلى قسمين:

١ - ابتدائي: وهو ما لم يتقدم نزوله سبب يقتضيه، وهو غالب آيات القران، ومنه قوله تعالى:(وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ) [التوبة:٧٥]. الآيات فإنها نزلت ابتداء في بيان حال بعض المنافقين، وأما ما اشتهر من أنها نزلت في ثعلبة ابن حاطب في قصة طويلة، ذكرها كثير من المفسرين، وروجها كثير من الوعاظ، فضعيف لا صحة له.

٢ - والثاني: سببي: وهو ما تقدمَ نزولَه سببٌ يقتضيه. **والسبب:**

أ -إما سؤال يجيب الله عنه مثل:(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) [البقرة: ١٨٩].

ب -أو حادثة وقعت تحتاج إلى بيان وتحذير مثل:(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) [التوبة: ٦٥] الآيتين نزلتا في رجل من المنافقين قال في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرَّائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسول الله ﷺ وأصحابه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن فجاء الرجل يعتذر النبي ﷺ فيجيبه (أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ) [التوبة: ٦٥].

ج -أو فعل واقع يحتاج إلى معرفة حكمه مثل:(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) [المجادلة:١].

فوائد معرفة أسباب النزول:

١ -بيان أن القران نزل من الله تعالى؛ وذلك لأن النبي ﷺ يسأل عن الشيء، فيتوقف عن الجواب أحيانًا، حتى ينزل عليه الوحي، أو يخفي الأمر الواقع، فينزل الوحي مبينا له.

- مثال الأول: قوله تعالى:(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً) [الإسراء :٨٥]. ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود ﵁: أن رجلا من اليهود قال: يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت، وفي لفظ: فأمسك النبي ﷺ، فلم يرد عليهم شيئا، فعلمت أنه يوحى إليه، فقمت مقامي، فلما نزل الوحي قال:(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً) [الإسراء :٨٥].

- مثال الثاني قوله تعالى:(يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلّ) [المنافقون: ٨]. في صحيح البخاري أن زيد بن أرقم ﵁ سمع عبد الله ابن أُبي رأس المنافقين يقول ذلك، يريد أنه الأعز ورسوله الله ﷺ وأصحابه الأذل، فأخبر زيد عمه بذلك، فأخبر به النبي ﷺ، فدعا النبي ﷺ زيدًا فأخبره بما سمع، ثم أرسل إلى عبد الله ابن أُبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فصدقهم رسول الله ﷺ، فأنزل الله تصديق زيد في هذه الآية؛ فاستبان رسول الله ﷺ الأمر.

٢ -بيان عناية الله تعالى برسوله ﷺ في الدفاع عنه؛ قال تعالى:(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً) [الفرقان:٣٢] وكذلك آيات الإفك؛ فإنها دفاع عن فراش النبي ﷺ وتطهير له عما دنَّسه به الأفاكون.

٣ -بيان عناية الله تعالى بعباده في تفريج كرباتهم وإزالة غموضهم. كآية التيمم، ففي صحيح البخاري أنه ضاع عقد لعائشة رضي الله عنها، وهي مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، فأقام النبي ﷺ لطلبه، وأقام الناس على غير ماء، فشكوا ذلك إلى أبي بكر، فذكر الحديث وفيه: فأنزل الله آية التيمم فتيمموا فقال أسيد بن حضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. والحديث في البخاري مطولاً.

٤ -فهم الآية على الوجه الصحيح؛ مثال ذلك قوله تعالى:(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) [البقرة: ١٥٨] أي يسعى بينهما، فإن ظاهر قوله:(فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ) [البقرة: ١٥٨] أن غاية أمر السعي بينهما، أن يكون من قسم المباح، وفي صحيح البخاري عن عاصم بن سليمان قال: سألت أنس بن مالك رضي الله عنه عن الصفا والمروة، قال: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية، فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما، فأنزل الله تعالى:(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) [البقرة: ١٥٨] إلى قوله:(أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) [البقرة: ١٥٨] وبهذا عرف أن نفي الجناح ليس المراد به بيان أصل السعي، وإنما المراد نفي تحرُّجهم بإمساكهم عنه، حيث كانوا يرون أنهما من أمر الجاهلية، أما أصل حكم السعي فقد تبين بقوله:(مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) [البقرة: ١٥٨].

عموم اللفظ وخصوص السبب:

إذا نزلت الآية لسبب خاص، ولفظها عام كان حكمها شاملًا لسببها، ولكل ما يتناوله لفظها، لأن القرآن كان نزل تشريعًا عامًّا لجميع الأمة، فكانت العبرة بعموم لفظه لا بخصوص سببه. مثال ذلك: آيات اللعان، وهي قوله تعالى:(وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ) [النور: ٦] (إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [النور: ٩] إلى قوله تعالى:(وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ) [النور: ٦] ففي صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ: البينة أو حد في ظهرك، فقال من الحد، فنزل جبريل، وأنزل عليه:(إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [النور: ٦].

فهذه الآيات نزلت بسبب قذف هلال بن أمية لامرأته، لكنَّ حكمَها شاملٌ له ولغيره، بدليل ما رواه البخاري من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، أن عويمر العجلاني جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، رجل وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فقال النبي ﷺ: قد أنزل الله القرآن فيك وفي

صاحبتك. فأمرهما رسول الله ﷺ بالملاعنة، بما سمى الله في كتابه، فلاعنها. فجعل النبي ﷺ حكم هذه الآيات شاملا لهلال بن أمية وغيره.

الفوائد:

....

....

....

المكي والمدني:

●نزل القران على النبي ﷺ مفرقا في خلال ثلاث وعشرين سنة، قضى رسول الله ﷺ أكثرها بمكة، قال الله تعالى:(وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً) [الإسراء: ١٠٦] ولذلك قسم العلماء رحمهم الله تعالى القرآن إلى قسمين: مكي ومدني:

● فالمكي: ما نزل على النبي ﷺ قبل هجرته إلى المدينة. والمدني: ما نزل على النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة. وعلى هذا فقوله تعالى:(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً) [المائدة: ٣] من القسم المدني، وإن كانت قد نزلت على النبي ﷺ في حجة الوداع بعرفة، ففي صحيح البخاري عن عمر رضي الله عنه أنه قال:" قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ، نزلت وهو قائم بعرفة يوم جمعة".

● **ويتميز القسم المكي عن المدني من حيث الأسلوب والموضوع:**

أولًا – من حيث الأسلوب:

١ –الغالب في المكي قوة الأسلوب، وشدة الخطاب، لأن غالب المخاطبين معرضون مستكبرون، ولا يليق بهم إلا ذلك، اقرأ سورتي المدثر، والقمر. أما المدني: فالغالب في أسلوبه البين، وسهولة الخطاب، لأن غالب المخاطبين مقبلون منقادون، أقرا سورة المائدة.

٢ –الغالب في المكي قصر الآيات، وقوة المحاجة، لأن غالب المخاطبين معادون مشاقّون، فخوطبوا بما تقتضيه حالهم، اقرأ سورة الطور. أما المدني: فالغالب فيه طول الآيات، وذكر الأحكام، مرسلة بدون محاجَّة، لأن حالهم تقتضي ذلك، اقرأ آية الدَّين في سورة البقرة.

ب – من حيث الموضوع:

١ –الغالب في المكي تقرير التوحيد والعقيدة السليمة، خصوصًا ما يتعلق بتوحيد الألوهية والإيمان بالبعث، لأن غالب المخاطبين ينكرون ذلك. وأما المدني: فالغالب فيه تفصيل العبادات والمعاملات،

لأن المخاطبين قد تقرر في نفوسهم التوحيد والعقيدة السليمة، فهم في حاجة لتفصيل العبادات والمعاملات.

٢ - الإفاضة في ذكر الجهاد وأحكامه والمنافقين وأحوالهم في القسم المدني لاقتضاء الحال، ذلك حيث شُرع الجهاد، وظهر النفاق بخلاف القسم المكي.

فوائد معرفة المدني والمكي:

معرفة المكي والمدني نوع من أنواع علوم القرآن المهمة، ومن فوائد معرفتهما:

١ -ظهور بلاغة القرآن في أعلى مراتبها، حيث يخاطب كل قوم بما تقتضيه حالهم من قوة وشدة، أو لين وسهولة.

٢ -ظهور حكمه التشريع في أسمى غاياته حيث يتدرج شيئًا فشيئًا بحسب الأهم على ما تقتضيه حال المخاطبين واستعدادهم للقبول والتنفيذ.

٣ -تربية الدعاة إلى الله تعالى، وتوجيههم إلى أن يتبعوا ما سلكه القرآن في الأسلوب والموضوع، من حيث المخاطبين، بحيث يبدأ بالأهم فالأهم، وستعمل الشدة في موضعها والسهولة في موضعها.

٤ -تمييز الناسخ من المنسوخ فيما لو وردت آيتان مكية ومدنية، يتحقق فيهما شروط النسخ، فإن المدنية ناسخة للمكية، لتأخر المدنية عنها.

الحكمة من نزول القرآن الكريم:

من تقسيم القرآن إلى مكي ومدني، يتبين أنه نزل على النبي ﷺ مفرقًا. ولنزوله على هذا الوجه حكم كثيرة، منها:

١ -تثبيت قلب النبي ﷺ، قال تعالى:(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً * وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً) [الفرقان:٣٢ -٣٣].

٢ -أن يسهل على الناس حفظه وفهمه والعمل به، حيث يقرأ عليهم شيئًا فشيئًا، قال تعالى:(وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً) [الإسراء :١٠٦].

٣ -تنشيط الهمم لقبول ما نزل من القرآن وتنفيذه، حيث يتشوق الناس بلهف وشوق إلى نزول الآية، لا سيما عند اشتداد الحاجة إليها كما في آيات الإفك واللعان.

٤ -التدرج في التشريع حتى يصل إلى درجة الكمال، كما في آيات الخمر الذي نشأ الناس عليه، وألفوه، وكان من الصعب عليهم أن يُجابَهوا بالمنع منه منعا باتًا، فنزل في شأنه أولًا قوله تعالى:(

يَسْأَلونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا) [البقرة: ٢١٩] فكان في هذه الآية تهيئة للنفوس لقبول تحريمه؛ حيث إن العقل يقتضي أن لا يمارس شيئا إثمه أكبر من نفعه. ثم نزل ثانيًا قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) [النساء: ٤٣] فكان في هذه الآية تمرين على تركه في بعض الأوقات وهي أوقات الصلوات، ثم نزل ثالثًا قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [المائدة:٩٠] (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) [المائدة:٩١] (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ) [المائدة:٩٢] فكان في هذه الآيات المنع من الخمر باتًّا في جميع الأوقات، بعد أن هُيِّئت النفوس، ثم مُرِّنت على المنع منه في بعض الأوقات.

الفوائد:

....

....

....

ترتيب القرآن:

● **ترتيب القرآن:** تلاوته تاليا بعضه بعضا حسبما هو مكتوب في المصاحف ومحفوظ في الصدور. وهو ثلاثة أنواع:

-**النوع الأول:** ترتيب الكلمات بحيث تكون كل كلمة في موضعها من الآية، وهذا ثابت بالنص والإجماع، ولا نعلم مخالفا في وجوبه وتحريم مخالفته، فلا يجوز أن يقرأ: الله الحمد رب العالمين بدلا من (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الفاتحة:٢].

-**النوع الثاني:** ترتيب الآيات بحيث تكون كل آية في موضعها من السورة، وهذا ثابت بالنص والإجماع، وهو واجب على القول الراجح، وتحرم مخالفته ولا يجوز أن يقرأ: مالك يوم الدين الرحمن الرحيم بدلا من:(الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) [الفاتحة:٣] (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) [الفاتحة:٤] ففي صحيح البخاري أن عبد الله بن الزبير قال لعثمان بن عفان رضي الله عنهم في قوله تعالى:(وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ) [البقرة: ٢٤٠] قد نسخها الآية الأخرى يعني قوله تعالى:(وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ

وَعَشْرًا) (البقرة: ٢٣٤) وهذه قبلها في التلاوة قال: فلم تكتبها؟ فقال عثمان ﷺ: يا ابن أخي لا أغير شيئا منه من مكانه. وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي من حديث عثمان ﷺ: أن النبي ﷺ كان ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء، دعا بعض من كان يكتب، فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا.

-**النوع الثالث:** ترتيب السور بحيث تكون كل سورة في موضعها من المصحف، وهذا ثابت بالاجتهاد فلا يكون واجبا وفي صحيح مسلم:" عن حذيفة بن اليمان ﷺ: أنه صلى النبيُّ ﷺ ذات ليلة، فقرأ البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، وروي البخاري تعليقا عن الأحنف: أنه قرأ في الأولى بالكهف، وفي الثانية بيوسف أو يوسف أو يونس، وذكر أن صلى مع عمر بن الخطاب الصبح بهما. قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" تجوز قراءة هذه قبل هذه، وكذا في الكتابة. ولهذا تنوعت مصاحف الصحابة رضي الله عنهم في كتابتها، لكن لما اتفقوا على المصحف في زمن عثمان ﷺ، صار هذا مما سنه الخلفاء الراشدون، وقد دل الحديث على أن لهم سنة يجب أتباعها " أهـ.

الفوائد:

....

....

....

كتابة القرآن وجمعه

- **لكتابة القرآن وجمعه ثلاث مراحل:**

-**المرحلة الأولى:** في عهد النبي ﷺ، وكان الاعتماد في هذه المرحلة على الحفظ أكثر من الاعتماد على الكتابة، لقوة الذاكرة وسرعة الحفظ وقلة الكاتبين ووسائل الكتابة، ولذلك لم يجمع في مصحف بل كان من سمع آية حفظها، أو كتبها فيما تيسر له من عسب النخل، ورقاع الجلود، ولخاف الحجارة، وكسر الأكتاف وكان القراء عددا كبيرا. ففي "صحيح البخاري" عن أنس بن مالك ﷺ: أن النبي ﷺ بعث سبعين رجلا يقال لهم: القراءة، فعرض لهم حيان من بني سليم رعل وذكوان عند بئر معونة فقتلوهم، وفي الصحابة غيرهم كثير كالخلفاء الأربعة، وعبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي خليفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي الدرداء رضي الله عنهم.

-**المرحلة الثانية:** في عهد أبي بكر ﷺ في السنة الثانية عشرة من الهجرة. وسببه أنه قتل في وقعة اليمامة عدد كبير من القراء منهم، سالم مولى أبي حذيفة، أحد من أمر النبي ﷺ بأخذ القرآن

منهم. فأمر أبو بكر ﷺ بجمعه لئلا يضيع، ففي صحيح البخاري" أن عمر بن الخطاب أشار على أبي بكر رضي الله عنهما بجمع القرآن بعد وقعة اليمامة، فتوقف تورعا، فلم يزل عمر يراجعه حتى شرح الله صدر أبي بكر لذلك، فأرسل إلى زيد بن ثابت فأتاه، وعنده عمر فقال له أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه، قال: فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما. رواه البخاري.

وقد وافق المسلمون أبا بكر على ذلك وعدوه من حسناته، حتى قال علي ﷺ: أعظم الناس في المصاحف أجرا أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع كتاب الله.

-**المرحلة الثالثة:** في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ في السنة الخامسة والعشرين، وسببه اختلاف الناس في القراءة بحسب اختلاف الصحف التي في أيدي الصحابة رضي الله عنهم فخيفت الفتنة، فأمر عثمان ﷺ أن تجمع هذه الصحف في مصحف واحد؛ لئلا يختلف الناس، فيتنازعوا في كتاب الله تعالى ويتفرقوا. ففي "صحيح البخاري" أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان من فتح أرمينية وأذربيجان، وقد أفزعه اختلافهم في القراءة، فقال: أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة، ففعلت، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف.

وكان زيد بن ثابت أنصاريا والثلاثة قرشيين وقال عثمان للرهط الثلاثة القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش؛ فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. وقد فعل عثمان ﷺ هذا بعد أن استشار الصحابة رضي الله عنهم، لما روى ابن أبي داود عن علي ﷺ أنه قال: والله ما فعل في المصاحف إلا عن ملاء منا، قال: أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا اختلاف، قلنا فنعم ما رأيت.

وقال مصعب بن سعد: أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك، أو قال: لم ينكر ذلك منهم أحد، وهو من حسنات أمير المؤمنين عثمان ﷺ التي وافقه المسلمون عليها، وكانت مكملة لجمع خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر ﷺ.

- والفرق بين جمعه وجمع أبي بكر رضي الله عنهما أن الغرض من جمعه في عهد أبي بكر ﷺ تقييد القرآن كله مجموعا في مصحف، حتى لا يضيع منه شيء دون أن يحمل الناس على الاجتماع على

مصحف واحد؛ وذلك أنه لم يظهر أثر لاختلاف قراءاتهم يدعو إلى حملهم على الاجتماع على مصحف واحد.

● وأما الغرض من جمعه في عهد عثمان ﵁ فهو تقييد القرآن كله مجموعًا في مصحف واحد، يحمل الناس على الاجتماع عليه لظهور الأثر المخيف باختلاف القراءات.

●وقد ظهرت نتائج هذا الجمع حيث حصلت به المصلحة العظمى للمسلمين من اجتماع الأمة، واتفاق الكلمة، وحلول الألفة، واندفعت به مفسدة كبرى من تفرق الأمة، واختلاف الكلمة، تفشو البغضاء، والعداوة. وقد بقي على ما كان عليه حتى الآن متفقا عليه بين المسلمين متواترا بينهم، يتلقاه الصغير عن الكبير، لم تعبث به أيدي المفسدين، ولم تطمسه أهواء الزائغين. فلله الحمد لله رب السماوات ورب الأرض رب العالمين.

الفوائد:

....

....

....

التفسير

●**تعريفه وحكمه:** التفسير لغة: من الفَسْر، وهو الكشف عن المغطى. واصطلاحًا: بيان معاني القرآن الكريم.

● وتعلُّم التفسير واجب لقوله تعالى: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) [صّ:٢٩] وقوله تعالى: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) [محمد:٢٤]. وجه الدلالة من الآية الأولى أن الله تعالى بين أن الحكمة من إنزال هذا القرآن المبارك؛ أن يتدبر الناس آياته، ويتعظوا بما فيها. والتدبر هو التأمل في الألفاظ للوصول إلى معانيها، فإذا لم يكن ذلك، فاتت الحكمة من إنزال القرآن، وصار مجرد ألفاظ لا تأثير لها. ولأنه لا يمكن الاتعاظ بما في القرآن بدون فهم معانيه. ووجه الدلالة من الآية الثانية أن الله تعالى وبخ أولئك الذين لا يتدبرون القرآن، وأشار إلى أن ذلك من الإقفال على قلوبهم، وعدم وصول الخير إليها.

● وكان سلف الأمة على تلك الطريقة الواجبة، يتعلمون القرآن ألفاظه ومعانيه؛ لأنهم بذلك يتمكنون من العمل بالقرآن على مراد الله به فإن العمل بما لا يعرف معناه غير ممكن. وقال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذي كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات، لم يجاوزوها، حتى يتعلموا ما فيها من

العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا في فن من العلم كالطب والحساب، ولا يستشرحوه فكيف بكلام الله تعالى الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم. ويجب على أهل العلم، أن يبينوه للناس عن طريق الكتابة أو المشافهة لقوله تعالى:(وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ) [آل عمران: ١٨٧] وتبين الكتاب للناس شامل لتبين ألفاظه ومعانيه، فيكون تفسير القرآن، مما أخذ الله العهد على أهل العلم ببيانه.

- والغرض من تعلم التفسير هو الوصول إلى الغايات الحميدة والثمرات الجليلة، وهي التصديق بأخباره والانتفاع بها وتطبيق أحكامه على الوجه الذي أراده الله؛ ليعبد الله بها على بصيرة.

الواجب على المسلم في تفسير القرآن

الواجب على المسلم في تفسير القرآن أن يشعر نفسه حين يفسر القرآن بأنه مترجم عن الله تعالى، شاهد عليه بما أريد به من كلامه، فيكون معظما لهذه الشهادة خائفا من أن يقول على الله بلا علم، فيقع فيما حرم الله، فيخزيه بذلك يوم القيامة، قال الله تعالى:(قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ) [الأعراف:٣٣] وقال تعالى:(وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ) [الزمر:٦٠].

المرجع في تفسير القرآن

أ –**كلام الله تعالى:** فيفسر القرآن بالقرآن، لأن الله تعالى هو الذي أنزله، وهو أعلم بما أراد به. وذلك أمثلة منها: قوله تعالى:(أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) [يونس:٦٢]. فقد فسر أولياء الله بقوله في الآية التي تليها:(الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) [يونس:٦٣]. وقوله تعالى:(وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ) [الطارق:٢] فقد فسر الطارق بقوله في الآية الثانية:(النَّجْمُ الثَّاقِبُ) [الطارق:٣]. وقوله تعالى:(وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) [النازعات:٣٠] فقد فسر دحاها بقوله في الآيتين بعدها:(أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا) [النازعات:٣١] (وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا) [النازعات:٣٢].

ب –**كلام رسول الله ﷺ**، فيفسر القرآن بالسنة، لأن رسول الله ﷺ مبلغ عن الله تعالى، فهو أعلم الناس بمراد الله تعالى كلامه. ولذلك أمثلة منها:

-قوله تعالى:(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) [يونس: ٢٦] ففسر النبي ﷺ الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى، ففي "صحيح مسلم" عن صهيب بن سنان عن النبي ﷺ في حديثٍ قال فيه:" فيكشف

الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل"، ثم تلا هذه الآية (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [يونس:٢٦].

-ومنها: قوله تعالى:(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) [الأنفال: ٦٠] فقد فسر النبي ﷺ القوة بالرمي. رواه مسلم، وغيره من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

ج -**كلام الصحابة** رضي الله عنهم، لا سيما أولو العلم منهم والعناية بالتفسير، لأن القرآن نزل بلغتهم وفي عصرهم، ولأنهم بعد الأنبياء أصدق الناس في طلب الحق، وأسلمهم من الأهواء، وأطهرهم من المخالفة التي تحول بين المرء وبين التوفيق للصواب. ولذلك أمثلة كثيرة جدا منها: قوله تعالى:(وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ) [النساء: ٤٣] فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه فسر الملامسة بالجماع.

د -**كلام التابعين** الذين اعتنوا بأخذ التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم، لأن التابعين خير الناس بعد الصحابة، وأسلم من الأهواء ممن بعدهم. ولم تكن اللغة العربية تغيرت كثيرا في عصرهم، فكانوا أقرب إلى الصواب في فهم القرآن ممن بعدهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إذا أجمعوا - يعني التابعين - على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن، أو ألسنة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك. وقال أيضا: من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك، كان مخطئا في ذلك، بل مبتدعا، وإن كان مجتهدا مغفورا له خطوة، ثم قال: فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم، فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعا.

هـ -**ما تقتضيه الكلمات من** المعاني الشرعية أو اللغوية حسب السياق لوله تعالى:(إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ) [النساء: ١٠٥] وقوله:(إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [الزخرف:٣] وقوله:(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) [إبراهيم: ٤]. فإن اختلف المعنى الشرعي واللغوي، أخذ بما يقتضيه الشرعي، لأن القرآن نزل لبيان الشرع، لا لبيان اللغة إلا أن يكون هناك دليل يترجح به المعنى اللغوي فيؤخذ به.

-مثال ما اختلف فيه المعنيان، وقدم الشرعي: قوله تعالى في المنافقين:(وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً) [التوبة: ٨٤] فالصلاة في اللغة الدعاء، وفي الشرع هنا الوقوف على الميت للدعاء له بصفة مخصوصة فيقدم المعنى الشرعي، لأنه المقصود للمتكلم المعهود للمخاطب، وأما منع الدعاء لهم على وجه الإطلاق فمن دليل آخر.

-ومثال ما اختلف فيه المعنيان، وقدم فيه اللغوي بالدليل: قوله تعالى:(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ) [التوبة:١٠٣] فالمراد بالصلاة هنا الدعاء، وبدليل ما رواه مسلم

عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: كان النبي ﷺ إذا أتى بصدقة قوم، صلى عليهم، فأتاه أبي بصدقته فقال:" اللهم صل على آل أبي أوفى". وأمثلة ما اتفق فيه المعنيان الشرعي واللغوي كثيرة: كالسماء والأرض والصدق والكذب والحجر والإنسان.

الاختلاف الوارد في التفسير المأثور

الاختلاف الوارد في التفسير المأثور على ثلاثة أقسام:

١ -**الأول:** اختلاف في اللفظ دون المعنى، فهذا لا تأثير له في معنى الآية، مثاله قوله تعالى:﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء :٢٣] قال ابن عباس: قضى: أمر، وقال مجاهد: وصى، وقال الربيع بن أنس: أوجب، وهذه التفسيرات معناها واحد، أو متقارب فلا تأثير لهذا الاختلاف في معنى الآية.

٢ -**الثاني:** اختلاف في اللفظ والمعنى، والآية تحتمل المعنيين لعدم التضاد بينهما، فتحمل الآية عليهما، وتفسر بهما، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من القولين ذكر على وجه التمثيل، لما تعنيه الآية أو التنويع، مثاله قوله تعالى:﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف:١٧٥] ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الأعراف:١٧٦] قال ابن مسعود: هو رجل من بني إسرائيل، وعن ابن عباس أنه: رجل من أهل اليمن، وقيل: رجل من أهلا لبلقاء. والجمع بين هذه الأقوال: أن تحمل الآية عليها كلها، لأنها تحتملها من غير تضاد، ويكون كل قول ذكر على وجه التمثيل. ومثال آخر قوله تعالى:﴿ كَأْساً دِهَاقاً﴾ [النبأ:٣٤] قال ابن عباس: دهاقاً مملوءة، وقال مجاهد: متتابعة، وقال عكرمة: صافية. ولا منافاة بين هذه الأقوال، والآية تحتملها فتحمل عليها جميعاً ويكون كل قول لنوع من المعنى.

٣ -**القسم الثالث:** اختلاف اللفظ والمعنى، والآية لا تحتمل المعنيين معا للتضاد بينهما، فتحمل الآية على الأرجح منهما بدلاله السياق أو غيره. مثال ذلك: قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٣] قال ابن عباس: غير باغ في الميتة ولا عاد من أكله، وقيل: غير خارج على الإمام الثاني، ولأن المقصود بحل ما ذكر دفع الضرورة، وهي واقعة في حال الخروج على الإمام، وفي حال الفسر المحرم وغير ذلك. ومثال آخر قوله تعالى:﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧] قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الذي بيده عقدة النكاح: هو الزوج، وقال ابن عباس: هو الولي، والراجح الأول لدلالة المعنى عليه، ولأنه قد روي فيه حديث عن النبي ﷺ.

الفوائد:

....

....

....

ترجمه القرآن

●**تعريفها**: الترجمة لغة: تطلق على معانٍ ترجع إلى البيان والإيضاح. وفي الاصطلاح: التعبير عن الكلام بلغة أخرى. وترجمة القران: التعبير عن معناه بلغة أخرى.

● **والترجمة نوعان:**

-أحدهما: ترجمة حرفية، وذلك بأن يوضع ترجمة كل كلمة بإزائها.

-الثاني: ترجمة معنوية، أو تفسيرية، وذلك بأن يترجم معنى الآية كلها بقطع النظر عن معنى كل كلمة وترتيبها، وهي قريبة من معنى التفسير الإجمالي.

مثال ذلك: قوله تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [الزخرف:٣] فالترجمة الحرفية: أن يترجم كلمات هذه الآية كلمةً كلمة فيترحم (إنا) ثم (جعلناه) ثم (قرآنا) ثم (عربيا) وهكذا.

حكم ترجمة القرآن:

●الترجمة الحرفية بالنسبة للقرآن الكريم مستحيلة عند كثير من أهل العلم، لأنه يشترط في هذا النوع من الترجمة شروط لا يمكن تحققها معها وهي:

أ -وجود مفردات في اللغة المترجم إليها بإزاء حروف اللغة المترجم منها.

ب -وجود أدوات للمعاني في اللغة المترجم إليها مساوية أو مشابهة للأدوات في اللغة المترجم منها.

ج -تماثل اللغتين المترجم منها وإليها في ترتيب الكلمات حين تركيبها في الجمل والصفات والإضافات وقال بعض العلماء: إن الترجمة الحرفية يمكن تحققها في بعض آية، أو نحوها، ولكنها وغن أمكن تحققها في نحو ذلك محرمة لأنها لا يمكن أن تؤدي المعنى بكماله، ولا أن تؤثر في النفوس تأثير القرآن المبين، ولا ضرورة تدعو إليها؛ للاستغناء عنها بالترجمة المعنوية. وعلى هذا فالترجمة الحرفية إن أمكنة حسا في بعض الكلمات فهي ممنوعة شرعا، اللهم إلا أن يترجم كلمة خاصة بلغة من يخاطبه ليفهمها، من غير أن يترجم كله فلا بأس.

● وأما الترجمة المعنوية للقرآن فهي جائزة في الأصل؛ لأنه لا محذور فيها، وقد تجب حين تكون وسيلة إلى إبلاغ القرآن والإسلام لغير الناطقين باللغة العربية، لأن إبلاغ ذلك واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. لكن يشترط لجواز ذلك شروط: أن لا تجعل بديلا عن القرآن بحيث

يستغني بها عنه، وعلى هذا فلا بد أن يكتب القرآن باللغة العربية وإلى جانبه هذه الترجمة، لتكون كالتفسير له. والثاني: أن يكون المترجم عالميا بمدلولات الألفاظ في اللغتين المترجم منها وإليها، وما تقتضيه حسب السياق. والثالث: أن يكون عالما بمعاني الألفاظ الشرعية في القرآن. ولا تقبل الترجمة للقرآن الكريم إلا من مأمون عليها، بحيث يكون مسلما مستقيما في دينه.

المشتهرون بالتفسير من الصحابة

اشتهر بالتسفير جماعة من الصحابة، ذكر السيوطي منهم: الخلفاء الأربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا رضي الله عنهم، إلا أن الرواية عن الثلاثة الأولين لم تكن كثيرة، لانشغالهم بالخلافة، وقلة الحاجة إلى النقل في ذلك لكثرة العالمين بالتفسير. ومن المشتهرين بالتفسير من الصحابة أيضا: عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس، فلنترجم لحياة على بن أبي طالب مع هذين رضي الله عنهم.

١ -علي بن أبي طالب: هو ابن عم الرسول ﷺ، وزوج فاطمة رضي الله عنه وعنها، وأول من آمن به من قرابته، اشتهر بهذا الاسم. وكنيته أبو الحسن، وأبو تراب. ولد قبل بعثة النبي ﷺ بعشر سنين، وتربى في حجر النبي ﷺ، وشهد معه المشاهد كلها، وكان صاحب اللواء في معظمها، ولم يتخلف إلا عن غزوة تبوك، خلفه النبي ﷺ في أهله، وقال له:" أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي"، نقل له من المناقب والفضائل ما لم ينقل لغيره، وهلك به طائفتان: النواصب الذين نصبوا له العداوة، وحاولوا إخفاء مناقبة، والروافض الذي بالغوا فيما زعموه من حبه، وأحدثوا له من المناقب التي وضعوها ما هو في غنى عنه، بل هو عند التأمل من المثالب. اشتهر رضي الله عنه بالشجاعة والذكاء مع العلم والذكاء من معضلة ليس لها أبو حسن، ومن أمثلة النحويين: قضية ولا أبا حسن لها، وروي عن علي أنه كان يقول: سلوني سلوني وسلوني عن كتاب الله تعالى، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا جاءنا الثبت عن علي لم نعدل به، وروي عنه أنه قال: ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب. كان أحد أهل الشورى الذي رشحهم عمر رضي الله عنه لتعيين الخليفة، فعرضها عليه عبد الرحمن بن عوف فأبي إلا بشروط لم يقبل بعضها، ثم بايع عثمان فبايعه علي والناس، ثم بويع بالخلافة بعد عثمان حتى قتل شهيدا في الكوفة ليلة السابع عشر من رمضان، سنة أربعين من الهجرة رضي الله عنه.

٢ -عبد الله بن مسعود: هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهزلي، وأمه أم عبد كان ينسب إليها أحيانا، وكان من السابقين الأولين في الإسلام، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرا، وما بعدها من المشاهد. تلقى من النبي ﷺ بضعا وسبعين سورة من القرآن، وقال له النبي ﷺ في أول الإسلام:" إنك لغلام معلم"، وقال:" من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد"، وفي " صحيح

البخاري " أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله، وقال: والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا، أنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم منى بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه، وكان ممن خدم النبي ﷺ فكان صاحب نعليه وطهوره ووسادة حتى قال أبو موسى الأشعري: قدمت أنا وأخي من اليمن فمكثنا حينا ما نرى من دخوله ودخول أمه على النبي ﷺ، ومن أجل ملازمته تأثر به وبهديه، حتى قال فيه حذيفة: ما أعرف أحدا أقرب هديا وسمتا ودلا بالنبي ﷺ من ابن أم عبد. بعثه عمر بن الخطاب إلى الكوفة، ليعلمهم أمور دينهم، وبعث عمارا أمير وقال: إنهما من النجباء من أصحاب محمد ﷺ، فاقتدوا بهما، ثم أمره عثمان على الكوفة، ثم عزله، وأمره بالرجوع إلى المدينة، فتوفي فيها سنة اثنتين وثلاثين، ودفن بالبقيع وهو ابن بضع وسبعين سنة.

٣ -عبد الله بن عباس: هو ابن عم الرسول ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين لازم النبي ﷺ لأنه ابن عمه، وخالته ميمونة تحت النبي ﷺ، وضمنه النبي ﷺ إلى صدره وقال: اللهم علمه الحكمة، وفي رواية: الكتاب، وقال له حين وضع له وضوءه: اللهم فقه في الدين، فكان بهذا الدعاء المبارك حبر الأمة في نشر التفسير والفقه، حيث وفقه الله تعالى للحرص على العلم والجد في طلبه والصبر على تلقيه وبذله، فنال بذلك مكانا عاليا حتى كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يدعوه إلى مجالسة ويأخذ بقوله، فقال المهاجرون: ألا تدعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس؟! فقال لهم: ذاكم فتى الكهول له لسان سؤول وقلب عقول، ثم دعاهم ذات يوم فأدخله معهم ليريهم منه ما رآه، فقال عمر: ما تقولون في قول الله تعالى:(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) [النصر:١] حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا فتح علينا، وسكت بعضهم، فقال عمر لابن عباس: أكذلك تقول؟ قال: لا، قال: فما تقول؟ قال: هو أجل رسول الله ﷺ، أعلمه الله له إذا جاء نصر الله، والفتح فتح مكة، فذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك، واستغفره إنه كان توابا، قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: لنعم ترجمان القرآن ابن عباس، لو أدرك أسناننا ما عاشره منا أحد، أي ما كان نظيرا له، هذا مع أن ابن عباس عاش بعده ستا وثلاثين سنة، فما ظنك بما اكتسب بعهده من العلم. وقال ابن عمر لسائل سأله بما أنزل عن آية: انطلق إلى ابن عباس فاسأله فإنه اعلم من بقي بما أنزل على محمد ﷺ، وقال عطاء: ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس فقها وأعظم خشية، إن أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده، وأصحاب الشعر عنده، يصدرهم كلهم من واد واسع. وقال أبو وائل: خطبنا ابن عباس وهو على الموسم (أي: هو والٍ على موسم الحج من عثمان رضي الله عنه) فافتتح سورة النور، جعل يقرأ ويفسر، فجعلت أقول: ما رأيت، ولا سمعت كلام رجل مثله، ولو

سمعته فارس والروم والترك لأسلمت، ولاه البصرة فلما قبل مضى إلى الحجاز، فأقام في مكة، ثم خرج منها إلى الطائف فمات فيها سنة ثمان وستين عن إحدى وسبعين سنة.

المشتهرون بالتفسير من التابعين

اشتهر بالتفسير من التابعين كثيرون فمنهم:

أ -أهل مكة وهم أتباع ابن عباس كمجاهد وعكرمة وعطاء.

ب -أهل المدينة وهم أتباع أبي بن كعب، كزيد بن أسلم وأبي العالية ومحمد بن كعب القرطبي.

ج -أهل الكوفة وهم أتباع ابن مسعود، كقتادة وعلقمة، والشعبي. فلنترجم لحياة اثنين من هؤلاء: مجاهد وقتادة.

١ - مجاهد: هو مجاهد بن جبر المكي مولى السائب بن أبي السائب المخزومي ولد سنة إحدى وعشرين من الهجرة، وأخذ تفسير القرآن عن ابن عباس رضي الله عنهما، روى ابن إسحاق عنه أنه قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية وأسأله عنها، وكان سفيان الثوري يقول: إذا جاءت التفسير عن مجاهد فحسبك به، واعتمد تفسيره الشافعي والبخاري وكان كثيرا ما ينقل عنه في " صحيحه" وقال الذهبي في آخر ترجمته: أجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به، توفي في مكة وهو ساجد سنة أربع ومائة، عن ثلاث وثمانين سنة.

٢ -قتادة: هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري ولد أكمة، أي أعمى سنة إحدى وستين، وجد في طلب العلم، وكان له حافظة قوية حتى قال في نفسه: ما قلت لمحدث قط أعد لي، وما سمعت أذناي شيئا قط إلا وعاه قلبي، وذكره الإمام أحمد فأطنب في ذكره فجعل ينشر من علمه وفقه ومعرفته بالاختلاف والتفسير ووصفه بالحفظ والفقه، وقال: قلما تجد من يتقدمه أما المثل لعل، وقال: هو أحفظ أهل البصرة، لم يسمع شيئا إلا حفظه، وتوفي في واسط سنة سبع عشرة ومائة، عن ستة وخمسين سنة.

الفوائد:

....

....

....

القرآن محكم ومتشابه

يتنوع القرآن الكريم باعتبار الإحكام والتشابه إلى ثلاثة أنواع:

-**النوع الأول:** الإحكام العام الذي وصف به القرآن كله، مثل قوله تعالى: (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) [هود: ١] وقوله (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ) [يونس:١] وقوله (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ) [الزخرف:٤]. ومعنى هذا الإحكام الإتقان والجودة في ألفاظه ومعانيه فهو في غاية الفصاحة والبلاغة، أخباره كلها صدق نافعة، ليس فيها كذب، ولا تناقض، ولا لغو لا خير فيه، وأحكامه كلها عدل، وحكمه ليس فيها جور ولا تعارض ولا حكم سفيه.

-**النوع الثاني:** التشابه العام الذي وصف به القرآن كله، مثل قوله تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) [الزمر:٢٣] ومعنى هذا التشابه، أن القرآن كله يشبه بعضه بعضا في الكمال والجودة والغايات الحميدة (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً) [النساء: ٨٢]

-**النوع الثالث:** الإحكام الخاص ببعضه، والتشابه الخاص ببعضه، مثل قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) [آل عمران:٧]. ومعنى هذا الإحكام أن يكون معنى الآية واضحا جليا، لا خفاء فيه، مثل قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) [الحجرات:١٣]، وقوله: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة:٢١] وقوله: (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ) [البقرة: ٢٧٥] وقوله (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) [المائدة: ٣] وأمثال ذلك كثيرة. ومعنى هذا التشابه: أن يكون معنى الآية مشتبها خفيا بحيث يتوهم منه الواهم ما لا يليق بالله تعالى، أو كتابه أو رسوله، ويفهم منه العالم الراسخ في العلم خلاف ذلك. مثاله: فيما يتعلق بالله تعالى، أن يتوهم واهم من قوله تعالى: (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) [المائدة: ٦٤] أن لله يدين مماثلتين لأيدي المخلوقين. ومثاله فيما يتعلق بكتاب الله تعالى، أن يتوهم واهم تناقض القرآن وتكذيب بعضه بعضا حين يقول: (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ) [النساء: ٧٩] ويقول في موضع آخر: (وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) [النساء: ٧٨]. ومثاله فيما يتعلق برسول الله، أن يتوهم واهم من قوله تعالى: (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) [يونس:٩٤] ظاهره أن النبي ﷺ كان شاكا فيما أنزل إليه.

الفوائد:

....

....

....

موقف الراسخين في العلم

والزائغين من المتشابه

●إن موقف الراسخين في العلم من المتشابه وموقف الزائغين منه بينه الله تعالى فقال في الزائغين:(فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ) [آل عمران: ٧] وقال في الراسخين في العلم:(وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا) [آل عمران: ٧].

فالزائغون يتخذون من هذه الآيات المشتبهات وسيلة للطعن في كتاب الله، وفتنة الناس عنه، وتأويله لغير ما أراد الله تعالى به، فيضلون، ويضلون.

ويقول الراسخون في المثال الأول: إن الله تعالى يدين حقيقتين على ما يليق بجلاله وعظمته، لا تماثلان أيدي المخلوقين، كما أن له ذات لا تماثل ذوات المخلوقين، لأن الله تعالى يقول:(ليس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى: ١١].

ويقولون في المثال الثاني: إن الحسنة والسيئة كلتاهما بتقدير الله عز وجل، لكن الحسنة سببها التفضل من الله تعالى على عباده، أما السيئة فسبب فعل العبد كما قال تعالى:(وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) [الشورى:٣٠] فإضافة السيئة إلى العبد من إضافة الشيء إلى سببه، لا من إضافته إلى مقدره، أما إضافة الحسنة والسيئة إلى الله تعالى فمن باب إضافة الشيء إلى مقدره، وبهذا يزول ما يوهم الاختلاف بين الآيتين لانفكاك الجهة.

ويقولون في المثال الثالث: أن النبي ﷺ لم يقع منه شك فيما أنزل إليه، بل هو أعلم الناس به، وأقواهم يقينا كما قال الله تعالى في نفس السورة:(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) [يونس: ١٠٤] المعنى إن كنت في شك منه فأنا على يقين منه، ولهذا لا أعبد الذين تعبدون من دون الله، بل أكفر بهم وأعبد الله.

- ولا يلزم من قوله:(فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ) [يونس: ٩٤] أن يكون الشك جائزا على الرسول ﷺ، أو واقعا منه. ألا ترى قوله تعالى:(قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) [الزخرف:٨١] هل يلزم منه أن يكون الولد جائزا على الله تعالى أو حاصلا؟ كلا، فهذا لم يكن حاصلا، ولا جائزا على الله تعالى، قال الله تعالى:(وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً) [مريم:٩٢] (إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً) [مريم:٩٣].

- ولا يلزم من قوله تعالى:(فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) [البقرة: ١٤٧] (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) [البقرة:١٤٧] أن يكون الامتراء واقعا من الرسول ﷺ، لأن النهي عن الشيء قد يوجه إلى من لم يقع منه، ألا ترى قوله تعالى:(وَلا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [القصص:٨٧] ومن المعلوم أنهم لم يصدوا النبي ﷺ عن آيات الله، وأن النبي ﷺ لم يقع منه شرك. والغرض من توجيه النهي إلى من لا يقع منه: التنديد بمن وقع منهم والتحذير من منهاجهم، وبهذا يزول الاشتباه، وظن ما لا يليق بالرسول ﷺ.

الفوائد:

....

....

....

أنواع التشابه في القرآن

١ -**أحدهما:** حقيقي وهو ما لا يمكن أن يعلمه البشر كحقائق صفات الله عز وجل، فإننا وإن كنا نعلم معاني هذه الصفات، لكننا لا ندرك حقائقها، وكيفيتها لقوله تعالى:(وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً) [طه: ١١٠] وقوله تعالى:(لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [الأنعام:١٠٣] ولهذا لما سئل الإمام مالك رحمه الله تعالى عن قوله تعالى:(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [طه:٥] كيف استوى قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وهذا النوع لا يسأل عن استكشافه لتعذر الوصول إليه.

٢ -**النوع الثاني:** نسبي وهو ما يكون مشتبها على بعض الناس دون بعض، فيكون معلوما للراسخين في العلم دون غيرهم، وهذا النوع يسأل عن استكشافه وبيانه؛ لإمكان الوصول إليه، إذ لا يوجد في القرآن شيء لا يتبين معناه لأحد من الناس، قال الله تعالى:(هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ) [آل عمران:١٣٨] وقال:(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ) [النحل: من الآية ٨٩] وقال:(فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) [القيامة:١٨] وقال:(ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) [القيامة:١٩] وقال:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً) [النساء:١٧٤]. وأمثلة هذا النوع كثيرة منها قوله تعالى:(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) [الشورى: ١١] حيث اشتبه على أهل التعطيل، ففهموا منه انتفاء الصفات عن الله تعالى، وادعوا أن ثبوتها يستلزم المماثلة، وأعرضوا عن الآيات الكثيرة الدالة على ثبوت الصفات له، وأن إثبات أصل المعنى لا يستلزم المماثلة.

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ [النساء:٩٣] حيث اشتبه على الوعيدية، ففهموا منه أن قاتل المؤمن عمدا مخلد في النار، وطردوا ذلك في جميع أصحاب الكبائر، وأعرضوا عن الآيات الدالة على أن كل ذنب دون الشرك فهو تحت مشيئة الله تعالى. ومنها قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠] حيث اشتبه على الجبرية، ففهموا منه أن العبد مجبور على عمله، وادعوا أنه ليس له إرادة ولا قدرة عليه، وأعرضوا عن الآيات الدالة على أن للعبد إرادة وقدرة، وأن فعل العبد نوعان: اختياري، وغير اختياري. والراسخون في العلم أصحاب العقول، يعرفون كيف يخرجون هذه الآيات المتشابهة إلى معنى يتلاءم مع الآيات الأخرى، فيبقى القرآن كله محكما لا اشتباه فيه.

الحكمة في تنوع القرآن إلى محكم ومتشابه

لو كان القرآن كله محكما لفاتت الحكمة من الاختبار به تصديقا وعملا لظهور معناه، وعدم المجال لتحريفه، والتمسك بالمتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، ولو كان كله متشابها لفات كونه بيانا، وهدى للناس، ولما أمكن العمل به، وبناء العقيدة السليمة عليه، ولكن الله تعالى بحكمته جعل منه آيات محكمات، يرجع إليهم عند التشابه، وآخر متشابهات امتحانا للعبد، ليتبين صادق الإيمان ممن في قلبه زيغ، فإن صادق الإيمان يعلم أن القرآن كله من عند الله تعالى، وما كان من عند الله فهو حق، ولا يمكن أن فيه باطل، أو تناقض لقوله تعالى: ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢]. وقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ [النساء: ٨٢]. وأما من في قلبه زيغ، فيتخذ من المتشابه سبيلا إلى تحريف المحكم واتباع الهوى في التشكيك في الأخبار والاستكبار عن الأحكام، ولهذا تجد كثيرا من المنحرفين في العقائد والأعمال، يحتجون على انحرافهم بهذه الآيات المتشابهة.

الفوائد:

....

موهم التعارض في القرآن

التعارض في القرآن أن تتقابل آيتان، بحيث يمنع مدلول إحداهما مدلول الأخرى ، مثل أن تكون إحداهما مثبته لشيء والأخرى نافية فيه. ولا يمكن أن يقع التعارض بين آيتين مدلولهما خبري،

لأنه يلزم كون إحداهما كذبا، وهو مستحيل في أخبار الله تعالى، قال الله تعالى:(وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً) (النساء: من الآية ٨٧) (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً) [النساء: ١٢٢] ولا يمكن أن يقع التعارض بين آيتين مدلولهما حكمي؛ لأن الأخيرة منهما ناسخة للأولى قال الله تعالى (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا) [البقرة: ١٠٦] وإذا ثبت النسخ كان حكم الأولى غير قائم ولا معارض للأخيرة. وإذا رأيت ما يوهم التعارض من ذلك، فحاول الجمع بينهما، فإن لم يتبين لك وجب عليك التوقف، وتكل الأمر إلى عالمه. وقد ذكر العلماء رحمهم الله أمثلة كثيرة لما يوهم التعارض، بينوا الجمع في ذلك. ومن أجمع ما رأيت في هذا الموضوع كتاب "دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب" للشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى.

فمن أمثلة ذلك قوله تعالى في القرآن:(هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) [البقرة: ٢] وقوله فيه:(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاس) [البقرة: ١٨٥] فجعل هداية القرآن في الآية الأولى خاصة بالمتقين، وفي الثانية عامة للناس، والجمع بينهما أن الهداية في الأولى هداية التوفيق والانتفاع، والهداية في الثانية هداية التبيان والإرشاد. ونظير هاتين الآيتين، قوله تعالى في الرسول ﷺ:(إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) [القصص:٥٦] وقوله فيه:(وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [الشورى: ٥٢] فالأولى هداية التوفيق والثانية هداية التبيين. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ) [آل عمران: ١٨] وقوله:(وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّه) [آل عمران: ٦٢] وقوله:(فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ) [الشعراء:٢١٣] وقوله:(فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ) [هود: ١٠١] ففي الآيتين الأُولَيين نفي الألوهية عما سوى الله تعالى وفي الأخريين إثبات الألوهية لغيره.

والجمع بين ذلك:

أن الألوهية الخاصة بالله عز وجل هي الألوهية الحق، وأن المثبتة لغيره هي الألوهية الباطلة؛ لقوله تعالى:(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) [الحج:٦٢]. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:(قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ) [الأعراف: ٢٨] وقوله:(وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً) [الإسراء:١٦] ففي الآية الأولى نفي أن يأمر الله تعالى بالفحشاء، وظاهر الثانية أن الله تعالى يأمر بما هو فسق.

والجمع بينهما أن الأمر في الآية الأولى هو الأمر الشرعي، والله تعالى لا يأمر شرعا بالفحشاء لقوله تعالى:(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [النحل:٩٠] والأمر في الآية الثانية هو الأمر الكوني، والله تعالى يأمر كونا بما شاء

حسب ما تقتضيه حكمته قوله تعالى:(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [يّس:٨٢]. ومن رام زيادة أمثلة فليرجع إلى كتاب الشيخ الشنقيطي المشار إليه آنفا.

الفوائد:

....

....

....

القَسَم

- القَسَم: بفتح القاف والسين، اليمين، وهو: تأكيد الشيء بذكر معظم بالواو، أو إحدى أخواتها.
- وأدوات القسم ثلاث: الواو، مثل قوله تعالى:(فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقّ) [الذاريات: ٢٣] ويحذف معها العامل وجوبا، ولا يليها إلا اسم ظاهر. والباء، مثل قوله تعالى (لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) [القيامة:١]، ويجوز معها ذكر العامل كما في هذا المثال، ويجوز حذفه كقوله تعالى عن إبليس:(قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) [ص:٨٢] ويجوز أن يليها اسم ظاهر كما مثلنا، وأن يليها ضمير كما في قولك: الله ربي وبه أحلف لينصرن المؤمنين. والتاء، مثل قوله تعالى:(اللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ) [النحل: ٥٦] ويحذف معها العامل وجوبا، ولا يليها إلا اسم الله، أو رب مثل: ورب الكعبة لأَحُجَنَّ إن شاء الله.
- والأصل ذكر المقسم به، وهو كثير كما في المثل السابقة. وقد يحذف وحده مثل قولك: أحلف عليك لتجتهدن. وقد يحذف مع العامل وهو كثير مثل قوله تعالى:(ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) [التكاثر:٨].
- والأصل ذكر المقسم عليه، وهو كثير مثل قوله تعالى:(قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ) [التغابن: ٧] وقد يحذف جوازا مثل قوله تعالى:(ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ) [ق:١] وتقديره ليهلكن. وقد يحذف وجوبا إذا تقدمه، أو اكتنفه ما يغني عنه، قاله ابن هشام في المغني ومثل له بنحو: زيد قائم والله، وزيد والله قائم.
- وللقسم فائدتان: بيان عظمة المقسم به. والثانية: بيان أهمية المقسم عليه، وإرادة توكيده، ولذا لا يحسن القسم إلا في الأحوال التالية: الأولى: أن يكون المقسم عليه ذا أهمية. والثانية: أن يكون المخاطب متردِّدًا في شأنه. والثالثة: أن يكون المخاطب منكِرًا له.

الفوائد:

....

....

....

القصص

●**تعريفها**: القَصَصُ والقَصُّ لغة: تتبع الأثر. واصطلاحا: الأخبار عن قضية ذات مراحل، يتبع بعضها بعضا.

● وقصص القرآن أصدق القصص؛ لقوله تعالى:(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ) [يوسف: ٣] وذلك لاشتمالها على أعلى درجات الكمال في البلاغة وجلال المعنى. وأنفع القصص، لقوله تعالى:(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) [يوسف: ١١١]. وذلك لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق.

● **وهي ثلاثة أقسام:**

١ - قسم عن الأنبياء والرسل، وما جرى لهم مع المؤمنين بهم والكافرين.

٢ - وقسم عن أفراد وطوائف، جرى لهم ما فيه عبرة، فنقله الله تعالى عنهم، كقصة مريم، ولقمان، والذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب الكهف، وأصحاب الفيل، وأصحاب الأخدود وغير ذلك.

٣ - وقسم عن حوادث وأقوام في عهد النبي ﷺ، كقصة غزوة بدر، وأحد، والأحزاب، وبني قريظة، وبني النضير، وزيد بن حارثة، وأبي لهب، وغير ذلك.

● **وللقصص في القرآن حكم كثيرة عظيمة منها:**

١ - بيان حكمة الله تعالى فيما تضمنته هذه القصص؛ قال تعالى:(وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ) [القمر:٤] (حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ) [القمر:٥].

٢ - بيان عدله تعالى بعقوبة المكذبين؛ لقوله تعالى عن المكذبين:(وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ) [هود: ١٠١].

٣ - بيان فضله تعالى بمثوبة المؤمنين؛ لقوله تعالى:(إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر) [القمر:٣٤].

٤ - تسلية النبي ﷺ عما أصابه من المكذبين له؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [فاطر:٢٥] ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [فاطر:٢٦].

٥ - ترغيب المؤمنين في الإيمان بالثبات عليه والازدياد منه، إذ علموا نجاة المؤمنين السابقين، وانتصار من أمروا بالجهاد، لقوله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٨] وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧].

٦ - تحذير الكافرين من الاستمرار في كفرهم، لقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ [محمد:١٠].

٧ - إثبات رسالة النبي ﷺ، فإن أخبار الأمم السابقة لا يعلمها إلا الله عز وجل، لقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود:٤٩] وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ [إبراهيم: ٩].

الفوائد:

....

....

....

تكرار القصص

● من القصص القرآنية ما لا يأتي إلا مرة واحدة، مثل قصة لقمان وأصحاب الكهف، ومنها ما يأتي متكررًا حسب الحاجة والمصلحة، ولا يكون هذا المتكرر على وجه واحد، بل يختلف في الطول والقصر واللين والشدة وذكر بعض جوانب القصة في موضع دون آخر.

● **ومن الحكمة في هذا التكرار:**

١ -بيان أهمية تلك القصة لأن تكرارها يدل على العناية بها.

٢ -توكيد تلك القصة لتثبت في قلوب الناس.

٣ -مراعاة الزمن وحال المخاطبين بها، ولهذا تجد الإيجاز والشدة غالبا فيما أتى من القصص في السور المكية والعكس فيما أتى في السور المدنية.

٤ -بيان بلاغة القرآن في ظهور هذه القصص على هذا الوجه وذاك الوجه على ما تقضيه الحال.

٥ -ظهور صدق القرآن، وأنه من عند الله تعالى، حيث تأتي هذه القصص متنوعة بدو تناقص.

الفوائد:

....

....

....

الإسرائيليات

●**تعريفها:** الإسرائيليات: الأخبار المنقولة عن بني إسرائيل من اليهود وهو الأكثر، أو من النصارى.

● **وتنقسم هذه الأخبار إلى ثلاثة أنواع:**

-**الأولى:** ما أقره الإسلام، وشهد بصدده فهو حق. مثاله: ما رواه البخاري وغيره عن ابن مسعود ﷺ قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ:(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) [الزمر:٦٧].

-**الثاني:** ما أنكره الإسلام وشهد بكذبه فهو باطل. اليهود تقول إذا جامعها من ورائها، جاء الولد أحول؛ فنزلت:(نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) [البقرة: ٢٢٣].

-**الثالث:** ما لم يقره الإسلام، ولم ينكره، فيجب التوقف فيه، لما رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا:(آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ) [العنكبوت: ٤٦] الآية، ولكن التحدث بهذا النوع جائز، إذا لم يخش محذور؛ لقول النبي ﷺ:" بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" رواه البخاري. وغالب ما يروى عنهم من ذلك ليس بذي فائدة في الدين كتعيين لون كلب أصحاب الكهف ونحوه.

● وأما سؤال أهل الكتاب عن شيء من أمور الدين، فإنه حرام لما رواه الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:" لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء؛ فإنهم لن يهدوكم، وقد ضلوا، فإنكم إما أن تصدقوا بباطل، أو تكذبوا بحق، وإنه لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني". وروي عن البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم ﷺ أحدث الأخبار بالله

محضا، لم يشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتاب الله، وغيروا، فكتبوا بأيدهم، قالوا: هو من عند الله؛ ليشتروا بذلك ثمنا قليلا أو لا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ فلا والله رأينا رجلا منهم يسألكم عن الذي أنزل إليكم.

موقف العلماء من الإسرائيليات

●اختلفت موافق العلماء، ولا سيما المفسرون من هذه الإسرائيليات على ثلاثة أنحاء:

أ -فمنهم من أكثر منها مقرونة بأسانيدها، ورأى أنه بذكر أسانيدها خرج من عهدتها، مثل ابن جرير الطبري.

ب -ومنهم من أكثر منها، وجردها من الأسانيد غالبًا، فكان حاطب ليل مثل الثعلبي، قال شيخ الإسلام ابن تيميه عن تفسير البغوي:" إنه مختصر من الثعلبي، لكنه صانه عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة، وقال عن الثعلبي: إنه حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع.

ج -ومنهم من ذكر كثيرا منها، وتعقب البعض مما ذكره بالتضعيف أو الإنكار مثل ابن كثير.

د -ومنهم من بالغ في ردها ولم يذكر منها شيئا يجعله تفسيرا للقرآن كمحمد رشيد رضا.

الفوائد:

....

....

....

الضمير

●**تعريفه:** الضمير لغة: من الضمور وهو الهزال لقلة حروفه أو من الإضمار وهو الإخفاء لكثرة استتاره. واصطلاحا: ما كني به عن الظاهر اختصارا وقيل: ما دل على حضور، أو غيبة لا من مادتهما.

●فالدال على الحضور نوعان: أحدهما: ما وضع للمتكلم مثل:(وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّه) [غافر: ٤٤]. الثاني: ما وضع للمخاطب مثل:(صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) [الفاتحة: من الآية ٧]. وهذان لا يحتاجان إلى مرجع اكتفاء بدلاله الحضور عنه. والدال على الغائب، ما وضع للغائب. ولابد له من مرجع يعود عليه.

●والأصل في المرجع أن يكون سابقا على الضمير لفظًا ورتبة، مطابقا له لفظا ومعنى؛ مثل:(وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ) [هود: ٤٥]. وقد يكون مفهوما من مادة الفعل السابق مثل:(اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) [المائدة:

٨]. وقد يسبق لفظا لا رتبة مثل:(وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ) [البقرة: ١٢٤] وقد يسبق رتبة لا لفظا مثل:(حمل كتابه الطالب). وقد يكون مفهوما من السياق مثل:(وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَد) [النساء: ١١] فالضمير يعود على الميت المفهوم من قوله:(مما ترك). وقد لا يطابق الضمير معنى مثل:(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ) (ثُمّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً) فالضمير يعود على الإنسان باعتبار اللفظ، لأن المجعول نطفة ليس الإنسان الأول. وإذا كان المرجع صالحا للمفرد والجمع جاز عود الضمير عليه بأحدهما مثل:(وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً) [الطلاق: ١١].

● والأصل اتحاد مرجع الضمائر إذا تعددت مثل:(عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ❖ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ❖ وهو بالأفق الأعلي ❖ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ❖ فكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ❖ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) [النجم:٧ -١٠] فضمائر الرفع في هذه الآيات تعود إلى شديد القوى وهو جبريل.

● والأصل عود الضمير على أقرب مذكور إلا في المتضايفين فيعود على المضاف؛ لأنه المتحدث عنه مثال أول:(وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائيل) [الإسراء : من الآية ٢]. ومثال الثاني:(وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا) [إبراهيم: ٣٤]. وقد يأتي على خلاف الأصل فيما سبق بدليل يدل عليه.

الإظهار في موقع الإضمار

● الأصل أن يؤتى في مكان الضمير بالضمير؛ لأنه أبين للمعنى وأخصب للفظ، ولهذا ناب الضمير بقوله تعالى:(أعد الله لهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا) عن عشرين كلمة المذكورة قبله، وربما يؤتى مكان الضمير بالاسم الظاهر وهو ما يسمى: الإظهار في موضع الإضمار.

● وله فوائد كثيرة، تظهر بحسب السياق منها: الحكم على مرجعه بما يقتضيه الاسم الظاهر. وبيان علة الحكم. وعموم الحكم لكل متصف بما يقتضيه الاسم الظاهر.

- مثال ذلك قوله تعالى:(مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ) [البقرة: ٩٨] ولم يقل فإن الله عدو له، فأد هذا الإظهار: الحكم بالكفر على من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل. وأن الله عدو لهم بكفرهم. وأن كل كافر الله عدو له.

- مثال آخر: قوله تعالى:(وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) [الأعراف:١٧٠] ولم يقل أنا لا نضيع أجرهم، ثلاثة أمور: الحكم بالإصلاح للذين يمسكون الكتاب. ويقيمون الصلاة. وأن الله أجرهم لإصلاحهم. وأن كل مصلح وله أجر غير مضاع عند الله تعالى.

وقد يتعين الإظهار، كما لو تقدم الضمير مرجعان، يصلح عوده إلى كل منهما والمراد أحدهما مثل: اللهم أصلح المسلمين، ولاة أمورهم وبطانة ولاة أمورهم، إذ لو قيل: وبطانتهم، لأوهم أن يكون المراد بطانة المسلمين.

ضمير الفصل

- **تعريفه:** ضمير الفصل: حرف بصيغة ضمير الرفع المنفصل يقع بين المبتدأ والخبر إذا كان معرفتين، ويكون بضمير المتكلم كقوله تعالى:(إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا) [طه: ١٤] وقوله:(وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) [الصافات:١٦٥] وبضمير المخاطب كقوله تعالى:(كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِم [المائدة: ١١٧] وضمير الغائب كقوله تعالى: (وأولئك هم المفلحون).
- **وله ثلاثة فوائد:**

- الأولى: التوكيد، قولك: زيد هو أخوك أوكد من قولك: زيد أخوك.

- الثانية: الحصر، وهو اختصاص ما قبله لما بعده، فإن قولك:" المجتهد هو الناجح" يفيد اختصاص المجتهد بالنجاح.

- الثالث: الفصل: أي التمييز بين كونه ما بعده خبرا، أو تابعا، فإن قولك:" زيد الفاضل" يحتمل أن تكون الفاضل صفة لزيد، والخبر منتظر، ويحتمل أن تكون الفاضل خبرا، وإذا قلت: زيد هو الفاضل، تعين أن تكون الفاضل خبراً، لوجود ضمير الفصل.

الفوائد:

....

....

....

الالتفات

- **تعريفه:** الالتفات: تحويل أسلوب الكلام من وجه إلى آخر.
- **وله صور منها:**

١ -الالتفات من الغيبة إلى الخطاب: كقوله تعالى:(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❖ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ❖ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ❖ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) فحول الكلام من الغيبة إلى الخطاب في قوله: إياك.

٢ -الالتفات من الخطاب إلى الغيبة: كقوله تعالى:(حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ) (يونس: ٢٢) فحول الكلام من الخطاب إلى الغيبة بقوله وجرينا بهم.

٣ -الالتفات من الغيبة إلى التكلم: كقوله تعالى:(وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً) (المائدة: ١٢) فحول الكلام من الغيبة إلى التكلم في قوله (وبعثنا).

٤ -الالتفات من التكلم إلى الغيبة: كقوله تعالى:(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ❖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَر) فحول الكلام من التكلم إلى الغيبة بقوله:(لربك).

- للالتفات فوائد منها: حمل المخاطب على الانتباه لتغير وجه الأسلوب عليه. حمله على التفكير في المعنى، لأن تغيير وجه الأسلوب، يؤدي إلى التفكير في السبب. دفع السآمة والملل عنه، لأن بقاء الأسلوب على وجه واحد، يؤدي إلى الملل غالبا.

وهذه الفوائد عامة للالتفاتات في جميع صوره أما الفوائد الخاصة فتتعين في كل صورة، حسب ما يقتضيه المقام.

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

....

....

المراجع:

- التفسير والمفسرون للذهبي
- فصول في أصول التفسير لمساعد الطيار
- مقدمه في أصول التفسير لابن تيمية

مادة مصطلح الحديث (٢)

مقدمة

الحمد الله وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وبعد:

تأتي مرتبة الحديث النبوي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم، وقد نقلته الأمة بالأسانيد، وميزت به الصحيح عن السقيم، ولولا علم الإسناد لا لتبس الحديثُ الصحيحُ بالضعيف و الموضوع، ولاختلط كلام الرسول بكلام غيره، وقد اجتهد العلماء الأولون لإثبات الحديث وتنقيته من الدخيل بوضع موازين منضبطة، وقواعد بها يعرف الحديث المقبول من المردود ، والغث من الثمين.

وتأتي أهمية علم مصطلح الحديث لمعرفة صحة ما هو منسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم صحته، وفهم القواعد والضوابط التي وضعها العلماء لهذا الفن؛ فقد قال ﷺ: (نضَّر الله امرأً سمع منا شيئًا فبلغه كما سمعه، فرب مبلَّغ أوعى من سامع) [سنن الترمذي

ومن خلال هذا المقرر نقدم لطالب العلم نبذة مختصرة وميسرة عن فن مصطلح الحديث.

الخبر المُشْتَرَك بين المقبول والمردود

المبْحَث الأول: تقسيم الخبر بالنسبة إلى من أُسْنِد إليه:

ينقسم الخبر بالنسبة إلى من أُسْنِد إليه إلى أربعة أقسام وهي: الحديث القدسي، المرفوع، الموقوف، المقطوع. وإليك بحث هذه الأقسام تفصيلا على التوالي.

الحديث القُدْسي

- **تعريفه:** لغة: القُدْسِيُّ نسبة إلى "القُدْس" أي الطُّهْر، كما في القاموس. أي الحديث المنسوب إلى الذات القدسية. وهو الله سبحانه وتعالى. واصطلاحاً: هو ما نُقِلَ إلينا عن النبيﷺ مع إسناده إياه إلى ربه عز وجل.
- **الفرق بينه وبين القرآن:** هناك فروق كثيرة أشهرها ما يلي: أن القرآن لفظه ومعناه عن الله تعالى، والحديث القدسي معناه من الله، ولفظه من عند النبي ﷺ. والقرآن يُتَعَبَّد بتلاوته، والحديث القدسي لا يتعبد بتلاوته. القرآن يشترط في ثبوته التواتر، والحديث القدسي لا يشترط في ثبوته التواتر.
- **عدد الأحاديث القدسية:** والأحاديث القدسية ليست بكثيرة بالنسبة لعدد الأحاديث النبوية وعددها يزيد على المائتين حديث.
- **مثاله:** ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روي عن الله تبارك وتعالى أنه قال:" يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تَظَالَموا".
- **صِيَغُ روايته:** لراوي الحديث القدسي صيغتان يَرْوِي المحدث بأيهما شاء، وهما: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل، قال الله تعالى فيما رواه عنه رسول الله.
- **أشهر المصنفات فيه:** الإتحافات السَّنِية بالأحاديث القدسية، لعبدالرؤوف المُناوي جَمَعَ فيه/ ٢٧٢/ حديثاً.

المَرْفُوع

- **تعريفه:** لغة: اسم مفعول من فعل "رَفَعَ" ضد "وَضَعَ" كأنه سُمي بذلك لنِسْبَتِهِ إلى صاحب المقام الرَّفيع، وهو النبي صلى الله عليه وسلم. واصطلاحاً: ما أُضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.

● **شرح التعريف:** أي هو ما نُسِبَ أو ما أُسْنِدَ إلى النبي ﷺ سواء كان هذا المضاف قولا للنبي ﷺ أو فعلا أو تقريراً أو صفة. وسواء كان المُضِيْفُ هو الصحابي أو من دونه، متصلا كان الإسناد أو منقطعاً، فيدخل في المرفوع الموصولُ والمرسل والمتصل والمنقطع، هذا هو المشهور في حقيقته، وهناك أقوال أخرى في حقيقته وتعريفه.

●**أنواعه:** يتبين من التعريف أن أنواع المرفوع أربعة وهي: المرفوع القولي، المرفوع الفعلي، المرفوع التقريري، المرفوع الوصفي.

●**أمثلة:** فالمرفوع القولي كأن يقول الصحابي أو غيره: قال رسول الله ﷺ كذا. والمرفوع الفعلي: كأن يقول الصحابي أو غيره: فعل رسول الله ﷺ كذا. ومثال المرفوع التقريري: أن يقول الصحابي أو غيره:" فُعِلَ بحَضْرَة النبي ﷺ كذا"، ولا يروي إنكاره لذلك الفعل. ومثال المرفوع الوصفي أن يقول الصحابي أو غيره:" كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقاً".

الفوائد:

....

....

....

المَوْقوف

● **تعريفه:** لغة: اسم مفعول من "الوَقف" كأن الراوي وقف بالحديث عند الصحابي، ولم يتابع سرد باقي سلسلة الإسناد واصطلاحاً: ما أُضِيف إلى الصحابي من قول أو فعل أو تقرير.

● **شرح التعريف:** أي هو ما نُسِبَ أو أُسْنِدَ إلى صحابي أو جَمْع من الصحابة سواء كان هذا المنسوب إليهم قولًا أو فعلًا أو تقريراً، وسواء كان السند إليهم متصلا أو منقطعاً.

● **أمثلة:** مثال الموقوف القولي: قول الراوي، قال على بن أبي طالب ﷺ:" حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكَذَّبَ الله ورسولُهُ" رواه البخاري. ومثال الموقوف الفعلي: قول البخاري:" وأَمَّ ابنُ عباس وهو متيمم". ومثال الموقوف التقريري: كقول بعض التابعين مثلاً:" فعلت كذا أمام أحد الصحابة ولم يُنْكِر عَلَيَّ".

● **استعمال آخر له:** يستعمل اسم الموقوف فيما جاء عن غير الصحابة لكن مقيداً فيقال مثلا:" هذا حديث وقفه فلان على الزهري أو على عطاء"، الزهري وعطاء كلاهما من التابعين، ونحو ذلك.

●**اصطلاح فقهاء خراسان:** يسمِّي فقهاء خراسان المرفوع: خبرًا، والموقوف: أثراً. أما المحدثون فيسمون كل ذلك "أثراً"؛ لأنه مأخوذ من" أَثَرْتُ الشيء" أي رويته.

● **فروع تتعلق بالمرفوع حُكْماً:** هناك صور من الموقوف في ألفاظها وشكلها، لكن المدقق في حقيقتها يرى أنها بمعنى الحديث المرفوع، لذا أطلق عليها العلماء اسم "المرفوع حكماً" أي أنها من الموقوف لفظاً المرفوع حكماً.

ومن هذه الصور:

١ -أن يقول الصحابي -الذي لم يُعْرَف بالأخذ عن أهل الكتاب - قولا لا مجال للاجتهاد فيه، ولا له تعلق ببيان لغة أو شرح غريب مثل: الإخبار عن الأمور الماضية، كَبَدْءِ الخَلقْ. أو الإخبار عن الأمور الآتية، كالملاحم والفتن وأحوال يوم القيامة. أو الإخبار عما يحصل بفعله ثواب مخصوص أو عقاب مخصوص، كقوله من فعل كذا فله أجر كذا.

٢ -أو يفعل الصحابي ما لا مجال للاجتهاد فيه: كصلاة علي صلاة الكسوف في كل ركعة أكثر من ركوعين.

٣ -أو يخبر الصحابي أنهم كانوا يقولون أو يفعلون كذا أو لا يرون بأساً بكذا. فإن أضافه إلى زمن النبي ﷺ، فالصحيح أنه مرفوع، كقول جابر:" كنا نَعْزلُ على عهد رسول الله ﷺ" رواه البخاري ومسلم. وإن لم يُضِفْهُ إلى زمنه فهو موقوف عند الجمهور، كقول جابر:" كنا إذا صعدنا كبرنا، وإذا نزلنا سبحنا " البخاري.

٤ -أو يقول الصحابي:" أُمِرْنا بكذا أو نُهينا عن كذا، أو من السُّنّة كذا" مثل قول بعض الصحابة:" أُمِرَ بلال أن يَشْفَع الآذان، ويُوْتِرَ الإقامة" رواه البخاري ومسلم. وكقول أم عَطِيَّة:" نُهينا عن إتباع الجنائز، ولم يُعْزَم علينا" رواه البخاري ومسلم. ٥ -أو يقول الراوي في الحديث عند ذكر الصحابي بعض هذه الكلمات الأربع وهي:" يَرْفَعُهُ أو يَنْمِيهَ أو يَبْلُغُ به، أو رِوَايَةً" كحديث الأعرج عن أبي هريرة روايةً "تقاتلون قوماً صِغارَ الأَعْيُنِ" رواه البخاري.

٦ -أو يفسر الصحابي تفسيراً له تعلق بسبب نزول آية: كقول جابر:" كانت اليهود تقول: من أتي امرأته من دبرها في قُبُلِها جاء الولد أَحْوَلَ، فأنزل الله تعالى:(نساؤكم حرث لكم) رواه مسلم.

● **هل يحتج بالموقوف؟** الموقوف قد يكون صحيحاً أو حسناً أو ضعيفاً لكن حتى ولو ثبتت صحته فهل يحتج به؟ والجواب عن ذلك أن الأصل في الموقوف عدم الاحتجاج به. لأنه أقوال وأفعال صحابة. لكنها إن ثبتت فإنها تقوي بعض الأحاديث الضعيفة كما مر في المرسل؛ لأن حال الصحابة كان هو العمل بالسنة، وهذا إذا لم يكن له حكم المرفوع، أما أذا كان من الذي له حكم المرفوع فهو حجة كالمرفوع.

المَقْطوُع

● **تعريفه:** لغة: اسم مفعول من "قَطَعَ" ضد "وَصَلَ". واصطلاحاً: ما أُضيف إلى التابعي -والتابعي هو من لقي الصحابي مسلماً ومات على الإسلام -أو من دونه من قول أو فعل.

●**شرح التعريف:** أي هو ما نُسِبَ أو أُسنِدَ إلى التابعي، أو تابع التابعي، فمن دونه من قول أو فعل. والمقطوع غير المنقطع؛ لأن المقطوع من صفات المتن، والمنقطع من صفات الإسناد. أي أن الحديث المقطوع من كلام التابعي فمن دونه، وقد يكون السند متصلا إلى ذلك التابعي، على حين أن المنقطع يعني: أن إسناد ذلك الحديث غير متصل، ولا تعلق له بالمتن.

● **أمثلة:** مثال المقطوع القولي: قول الحسن البصري في الصلاة خلف المبتدع: "صَلِّ وعليه بدعتُه" رواه البخاري. ومثال المقطوع الفعلي: قول إبراهيم بن محمد بن المُنْتَشَر "كان مسروق يُرْخِي السَّتْرَ بينه وبين أهله، ويقبل على صلاته ويُخَلِّيهم ودنياهم" حلية الأولياء.

● **حكم الاحتجاج به:** المقطوع لا يحتج به في شيء من الأحكام الشرعية، أي ولو صحت نسبته لقائله، لأنه كلام أو فعل أحد المسلمين، لكن إن كانت هناك قرينة تدل على رفعه، كقول بعض الرواة: -عند ذكر التابعي - "يرفعه" مثلا فيعتبر عندئذ له حكم المرفوع المرسَل.

●**إطلاقه على المنقطع:** أطلق بعض المحدثين كالشافعي والطبراني لفظ "المقطوع" وأرادوا به "المنقطع" أي الذي لم يتصل إسناده، وهو اصطلاح غير مشهور. وقد يُعْتَذر للشافعي بأنه قال ذلك قبل استقرار الاصطلاح أما الطبراني فإطلاقه ذلك تجوزاً عن الاصطلاح.

● **من مَصنفَّات الموقوف والمقطوع:** مصنف ابن أبي شيبة، مصنف عبدالرزاق، تفاسير ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر.

الفوائد:

....

....

....

المبْحَثُ الثَاني: أنواع أخرى مشتركة بين المقبول والمردود

المُسْنَد

● **تعريفه:** لغة: اسم مفعول من "أَسْنَدَ" بمعنى أضاف، أو نَسَبَ واصطلاحاً: ما اتصل سنده مرفوعاً إلى النبي صلي الله عليه وسلم. هذا التعريف هو الذي قطع به الحاكم، وجزم به ابن حجر في النخبة وهناك تعريفات أخري للمسند.

● **مثاله:** ما أخرجه البخاري قال:" حدثنا عبدالله بن يوسف عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: أن رسول الله ﷺ قال: إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً". فهذا حديث اتصل سنده من أوله إلى منتهاه، وهو مرفوع إلى النبي ﷺ.

المُتَصِل

● **تعريفه:** لغة: اسم فاعل من "اتَّصَلَ"ضده"انْقَطَعَ" ويسمى هذا النوع بـ "الموصول" أيضاً، اصطلاحاً: ما اتصل سنده مرفوعاً كان أو موقوفاً.

● **مثاله:** مثال المتصل المرفوع:" مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبدالله عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: كذا"، ومثال المتصل الموقوف:" مالك عن نافع عن ابن عمر أنه قال كذا".

● **هل يسمى قول التابعي متصلا ؟** قال العراقي:" وأما أقوال التابعين، إذا اتصلت الأسانيد إليهم، فلا يسمونها متصلة في حالة الإطلاق، أما مع التقييد فجائز، وواقع في كلامهم، كقولهم هذا متصل إلى سعيد بن المسيب أو إلى الزهري أو إلى مالك ونحو ذلك، قيل والنكتة في ذلك أنها تسمى "مقاطيع" فإطلاق المتصل عليها كالوصف لشيء واحد بمتضادين لغة".

زيادات الثقات

● **المراد بزيادات الثقات:** الزيادات جمع زيادة، والثقات جمع ثقة، والثقة هو العدل الضابط، والمراد بزيادة الثقة ما نراه زائداً من الألفاظ في رواية بعض الثقات لحديث ما عما رواه الثقات الآخرون لذلك الحديث.

● **أشهر من اعتنى بها:** هذه الزيادات من بعض الثقات في بعض الأحاديث لفتت أنظار العلماء، فتتبعوها واعتنوا بجمعها ومعرفتها، وممن اشتهر بذلك الأئمة: أبو بكر عبدالله بن محمد بن زياد النيسابوري، وأبو نُعَيم الجُرْجَاني، وأبو الوليد حسان بن محمد القرشي.

● **مكان وقوعها:** في المتن: بزيادة كلمة أو جملة، وفي الإسناد: برفع موقوف، أو وصل مرسل.

● **حكم الزيادة في المتن:** أما الزيادة في المتن فقد اختلف العلماء في حكمها على أقوال: فمنهم من قبلها مطلقاً. ومنهم من ردها مطلقاً. ومنهم من رد الزيادة من راوي الحديث الذي رواه أولاً بغير زيادة، وقبلها من غيره. وقد قسم ابن الصلاح الزيادة بحسب قبولها وردها إلى ثلاثة أقسام، وهو تقسيم حسن، وافقه عليه النووي وغيره، وهذا التقسيم هو: زيادة ليس فيها منافاة لما رواه الثقات أو الأوثق، فهذه حكمها القبول، لأنها كحديث تفرد برواية جملته ثقة من الثقات. زيادة منافية لما رواه الثقات أو الأوثق فهذه حكمها الرد، كما سبق في الشاذ. زيادة فيها نوع منافاة لما رواه الثقات أو الأوثق وتنحصر هذه المنافاة في أمرين: تقييد المطلق، وتخصيص العام. وهذا القسم سكت عن حكمه

ابن الصلاح، وقال عنه النووي:" والصحيح قبول هذا الأخير"، هذا ومذهب الشافعي ومالك قبول هذا النوع من الزيادة ومذهب الحنفية رده.

- **أمثلة للزيادة في المتن:**

أ -مثال للزيادة التي ليس فيها منافاة: ما رواه مسلم من طريق علي بن مُسْهِر عن الأعمش عن أبي رَزين وأبي صالح عن أبي هريرة ﷺ من زيادة كلمة "فلْيُرِقْهُ" في حديث ولوغ الكلب، ولم يذكرها سائر الحفاظ من أصحاب الأعمش، وإنما رووه هكذا "إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات " فتكون هذه الزيادة كخبر تفرد به علي بن مُسْهِرَ، وهو ثقة، فتقبل تلك الزيادة.

ب -مثال للزيادة المنافية: زيادة "يوم عرفة"، في حديث "يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عِيْدُنا أهل الإسلام، وهي أيام أَكْل وشُرْب" فان الحديث من جميع طرقه بدونها، وإنما جاء بها موسى بن على بن رباح عن أبيه عن عقبة بن عامر، والحديث أخرجه الترمذي وأبو داود وغيرهما.

جـ -مثال للزيادة التي فيها نوع منافاة: ما رواه مسلم من طريق أبي مالك الأشجعي عن رِبْعِي عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ:".. وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً وجعلت تربتها لنا طهوراً " فقد تفرد أبو مالك الأشجعي بزيادة "تربتها" ولم يذكرها غيره من الرواة، وإنما رووا الحديث هكذا "وجعلت لنا الأرض مسجداً طهوراً" انظر روايات الحديث في صحيح مسلم.

- **حكم الزيادة في الإسناد:** أما الزيادة في الإسناد فَتَنْصَبُّ هنا على مسألتين رئيسيتين يكثر وقوعهما، وهما تعارض الوصل مع الإرسال، وتعارض الرفع مع الوقف، أما باقي صور الزيادة في الإسناد فقد أفرد العلماء لها أبحاثاً خاصة مثل "المزيد في متصل الأسانيد". هذا وقد اختلف العلماء في قبول الزيادة وردها على أربعة أقوال وهي: الحُكْمُ لمن وصله أو رفعه (أي قبول الزيادة) وهو قول جمهور الفقهاء والأصوليين" قال الخطيب في الكفاية:" هذا القول هو الصحيح عندنا". الحكم لمن أرسله أو وقفه (أي ردُّ الزيادة) وهو قول أكثر أصحاب الحديث. الحكم للأكثر: وهو قول بعض أصحاب الحديث. الحكم للأحفظ: وهو قول بعض أصحاب الحديث. ومثاله: حديث "لا نكاح إلا بولي" فقد رواه يونس بن أبي اسحق السَّبِيعي، وابنُه إسرائيل وقيس بن الربيع عن أبي اسحق مسنداً متصلا، ورواه سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج عن أبي اسحاق مرسَلا" انظر المثال واختلاف الرواة في إرساله ووصله في الكفاية".

الفوائد:

....

....

الاعْتِبار والمُتَابِع والشاهد

- **تعريف كل منها:**

أ -الاعْتِبَار: لغة: مصدر "اعْتَبَر" بمعنى الاعتبار النظر في الأمور ليعرف بها شيء آخر من جنسها، واصطلاحاً: هو تتبع طرق حديث انفرد بروايته راو ليعرف هل شاركه في روايته غيرُه أو لا.

ب -المُتَابِع: ويُسمى التابع. لغة: هو اسم فاعل من "تابع" بمعنى وافق، واصطلاحاً: هو الحديث الذي يشارك فيه رواتُه رواه الحديث الفرد لفظاً ومعنى فقط، مع الاتحاد في الصحابي.

جـ -الشاهد: لغة: اسم فاعل من "الشهادة" وسمي بذلك؛ لأنه يشهد أن للحديث الفرد أصلاً، ويقويه، كما يقوي الشاهد قول المدعي ويدعمه، واصطلاحاً: هو الحديث الذي يشارك فيه رواته رواة الحديث الفرد لفظاً ومعنى، أو معنى فقط، مع الاختلاف في الصحابي.

- **الاعتبار ليس قسيماً للتابع والشاهد:** ربما يتوهم شخص أن الاعتبار قسيم للتابع والشاهد، لكن الأمر ليس كذلك، وإنما الاعتبار هو هيئة التوصل إليهما، أي هو طريقة البحث والتفتيش عن التابع والشاهد.

- **اصطلاح آخر للتابع والشاهد:** ما ذُكِرَ من تعريف التابع والشاهد هو الذي عليه الأكثر، وهو المشهور، لكن هناك تعريف آخر لهما وهو:

التابع: أن تحصل المشاركة لرواة الحديث الفرد باللفظ سواء اتحد الصحابي أو اختلف.

الشاهد: أن تحصل المشاركة لرواة الحديث الفرد بالمعنى سواء اتحد الصحابي أو اختلف، هذا وقد يطلق اسم أحدهما على الآخر، فيطلق اسم التابع على الشاهد كما يطلق اسم الشاهد على التابع، والأمر سهل كما قال الحافظ ابن حجر، لأن الهدف منهما واحد، وهو تقوية الحديث بالعثور على رواية أخرى للحديث.

- **المتابعة:**

-تعريفها: لغة: مصدر "تَابَعَ" بمعنى "وَافَقَ" فالمتابعة إذن الموافقة، واصطلاحاً: أن يشارك الراوي غيره في رواية الحديث.

-أنواعها: والمتابعة نوعان: متابعة تامة: وهي أن تحصل المشاركة للراوي من أول الإسناد، متابعة قاصرة: وهي أن تحصل المشاركة للراوي أثناء الإسناد.

- **أمثلة:** سأذكر مثالا واحداً مَثَّلَ به الحافظ ابن حجر"في شرح النخبة"، فيه المتابعة التامة والمتابعة القاصرة والشاهد وهو: ما رواه الشافعي في الأمِّ عن مالك عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال:" الشهر تسع وعشرون، فلا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه فان

غُمَّ عليكم فأكملوا العِدَّة ثلاثين". فهذا الحديث بهذا اللفظ ظن قوم أن الشافعي تفرد به عن مالك، فعدُّوه في غرائبه أن أصحاب مالك رووه عنه بهذا الإسناد، وبلفظ: "فان غُمِّ" عليكم فاقدروا له "لكن بعد الاعتبار وجدنا الشافعي متابعة تامة، ومتابعة قاصرة، وشاهدا. أما المتابعة التامة: فما رواه البخاري عن عبد الله بن مَسْلَمَة القَعْنَبي عن مالك بالإسناد نفسه، وفيه "فان غُم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين". وأما المتابعة القاصرة: فما رواه ابن خزيمة من طريق عاصم بن محمد عن أبيه محمد بن زيد عن جده عبد الله ابن عمر بلفظ "فكملوا ثلاثين" وأما الشاهد: فما رواه النسائي من رواية محمد بن حنين عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال، وفيه:" فان غم عليكم العدة ثلاثين".

الفوائد:

....

....

....

الباب الثاني :صفة من تُقبل روايتهُ وما يتعلق بذلك من الجرح والتعديل

__المْبحَثُ الأول: في الراوي وشروط قبوله:__

●**مقدمة تمهيدية:** بما أن حديث رسول الله ﷺ يصلنا عن طريق الرواة فهم الركيزة الأولي في معرفة صحة الحديث أو عدم صحته، لذلك اهتم علماء الحديث بالرواة ،وشرطوا لقبول روايتهم شروطاً دقيقة محكمة تدل على بعد نظرهم وسداد تفكيرهم، وجودة طريقتهم. وهذه الشروط التي اشترطوها في الراوي، والشروط الأخرى التي اشترطوها لقبول الحديث والأخبار، لم تتوصل إليها أي ملة من الملل حتى في هذا العصر الذي يصفه أصحابه بالمنهجية والدقة، فإنهم لم يشترطوا في نقلة الأخبار الشروط التي اشترطها علماء المصطلح في الراوي، بل ولا أقل منها، فكثير من الأخبار التي تتناقلها وكالات الأنباء الرسمية لا يوثق بها ولا يركن إلى صدقها. وذلك بسبب رواتها المجهولين وما آفة الأخبار إلا رواتها وكثيراً ما يظهر عدم صحة تلك الأخبار بعد قليل.

●**شروط قبول الراوي:** أجمع الجماهير من أئمة الحديث والفقه أنه يشترط في الراوي شرطان أساسيان هما: العدالة: ويعنون بها أن يكون الراوي: مسلماً، بالغاً -عاقلاً، سليماً من أسباب الفسق، سليماً من خوارم المروءة. الضبط: ويعنون به أن يكون الراوي، غير مخالف للثقات ولا سيء الحفظ، ولا فاحش الغلط، ولا مغفلاً، ولا كثير الأوهام.

●**بم تثبت العدالة؟** تثبت العدالة بأحد أمرين: إما بتنصيص مُعَدِّلَيْن عليها، أي أن ينص علماء التعديل أو واحد منهم عليها. وأما بالاستضافة والشهرة، فمن اشتهرت عدالته بين أهل العلم، وشاع

الثناء عليه كفى، ولا يحتاج بعد ذلك إلى مُعَدَّل ينص عليها، وذلك مثل الأئمة المشهورين كالأئمة الأربعة والسفيانين والأوزاعي وغيرهم.

- **مذهب ابن عبد البَرِّ في ثبوت العدالة:** يرى ابن عبد البر أن كل حامل علم، معروف العناية به، محمول أمره على العدالة، حتى يتبين جرحه؛ واحتج بحديث:" يَحْمِلُ هذا العلم من كل خَلَف عُدُوْلُهُ، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين" رواه ابن عدي في الكامل وغيره، وقال العراقي: له طرق كلها ضعيفة، لا يثبت منها شيء، وقد حسنه بعض العلماء لكثرة طرقه. وقوله: هذا غير مَرْضِيٍّ عند العلماء، لأن الحديث لم يصح وعلى فرض صحته، فان معناه "لِيَحْمِلْ هذا العلم من كل خَلَف عدوله" بدليل أنه يوجد من يحمل هذا العلم وهو غير عدل.

- **كيف يُعْرَف ضبط الراوي؟** يعرف ضبط الراوي بموافقته الثقات المتقنين في الراوية، فان وافقهم في روايتهم غالباً فهو ضابط، ولا تضر مخالفته النادرة لهم، فان كثرت مخالفته لهم اختل ضبطه، ولم يُحْتَجَّ به.

- **هل يُقبل الجرح والتعديل من غير بيان؟**

أ -أما التعديل فيقبل من غير ذكر سببه على الصحيح المشهور، لأن أسبابه كثيرة يصعب حصرها، إذ يحتاج المُعَدِّل أن يقول مثلا: لم يفعل كذا، لم يرتكب كذا، أو يقول: هو يفعل كذا، ويفعل كذا وهكذا....

ب -أما الجرح فلا يقبل إلا مفسَّراً؛ لأنه لا يصعب ذكره؛ لأن الناس يختلفون في أسباب الجرح، فقد يجرح أحدهم بما ليس بجارح، قال ابن الصلاح " وهذا ظاهر مقرر في الفقه وأصوله، وذكر الخطيب الحافظ أنه مذهب الأئمة من حفاظ الحديث ونقاده مثل البخاري ومسلم وغيرهما، ولذلك احتج البخاري بجماعة سبق من غيره الجرح لهم كعكرمة وعمرو بن مرزوق واحتج مسلم بسُوَيْد بن سعيد وجماعة اشتهر الطعن فيهم، وهكذا فعل أبو داود. وذلك دال على أنهم ذهبوا إلى أن الجرح لا يثبت إلا إذا فسر سببه" علوم الحديث ص٩٦ باختصار يسير.

- **هل يثبت الجرح والتعديل بواحد؟** الصحيح أنه يثبت الجرح والتعديل بواحد، وقيل: لا بد من اثنين.

- **اجتماع الجرح والتعديل في راو واحد:** إذا اجتمع في راو الجرح والتعديل، فالمعتمد أنه يقدم الجرح إذا كان مفسَّرا. وقيل إن زاد عدد المُعَدِّلِيْنَ على الجارحين قُدّمَ التعديل وهو ضعيف غير معتمد.

- **حكم رواية العَدْل عن شخص:** راوية العدل عن شخص لا تعتبر تعديلا له عند الأكثرين وهو الصحيح، وقيل هو تعديل. وعمل العالم وفُتْيَاهُ على وفق حديث ليس حكماً بصحته، وليس

مخالفته له قدحاً في صحته، ولا في روايته، وقيل بل هو حكم بصحته، وصححه الآمدي وغيره من الأصوليين، وفي المسألة كلام طويل.

- **حكم رواية التائب من الفسق:** تقبل رواية التائب من الفسق، ولا تقبل رواية التائب من الكذب في حديث رسول الله ﷺ.
- **حكم رواية من أخذ على التحديث أجراً:** لا تقبل عند البعض، كأحمد واسحق وأبي حاتم، تقبل عند البعض الآخر، كأبي نُعَيمْ الفضل بن دُكَيْن، وأفتى أبو إسحق الشيرازي لمن امتنع عليه الكسب لعياله بسبب التحديث بجواز أخذ الأجر.
- **حكم رواية من عُرِفَ بالتساهل أو بقبول التلقين أو كثرة السهو:**

أ) لا تقبل رواية من عرف بالتساهل في سماعه أو إسماعه كمن لا يبالي بالنوم وقت السماع، أو يحدث من أصل غير مُقَابَل.

ب) ولا تقبل رواية من عرف بقبول التلقين في الحديث، بأن يُلَقَّنَ الشيء فيحدث به من غير أن يعلم أنه من حديثه.

ج) ولا تقبل رواية من عُرف بكثرة السهو في روايته.

- **حكم رواية من حَدَّثَ ونَسِيَ:**

-تعريفه: هو ألَّا يَذْكُرَ الشيخ رواية ما حدث به تلميذُه عنه.

-حكم روايته: الردُّ إن نفاه نفياً جازماَ، بأن قال: ما رويتُه، أو هو يكذب عليَّ، ونحو ذلك. والقبول: إن تردد في نفيه، كأن يقول: لا أعرفه أو لا أذكره، ونحو ذلك. ولا يعتبر رد الحديث قادحاً في واحد منهما، لأنه ليس أحدهما أولى بالطعن من الآخر.

-مثاله: ما رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة من رواية ربيعة بن أبي عبدالرحمن عن سُهَيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قضي باليمين مع الشاهد "قال عبدالعزيز بن محمد الدَّراوَرْدي: حدثني ربيعة بن أبي عبدالرحمن عن سهيل، فلقيتُ سُهيلاً فسألته عنه، فلم يعرفه، فقلت حدثني ربيعة عنك بكذا، فصار سهيل بعد ذلك يقول حدثني عبدالعزيز عن ربيعة عني أني حدثته عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً بكذا..

-أشهر المصنفات فيه: كتاب أخبار من حَدَّثَ ونَسِيَ، للخطيب.

الفوائد:

....

....

....

المَبْحَثُ الثَاني: فكرة عامة عن كتب الجرح والتعديل

بما أن الحكم على الحديث صحة وضعفاً مبني على أمور منها عدالة الرواة وضبطهم، أو الطعن في عدالتهم وضبطهم، لذلك قام العلماء بتصنيف الكتب التي فيها بيان عدالة الرواة وضبطهم منقولة عن الأئمة المُعَدِّلين الموثوقين، وهذا ما يسمى بـ "التعديل" كما أن في تلك الكتب بيان الطعون الموجهة إلى عدالة بعض الرواة أو إلى ضبطهم وحفظهم، كذلك منقولهم عن الأئمة غير المتعصبين، وهذا ما يسمى بـ "الجَرْح"، ومن هنا أُطلق على تلك الكتب "كتب الجرح والتعديل" وهذه الكتب كثيرة ومتنوعة، فمنها المُفْرَدَة لبيان الرواة الثقات، ومنها المفردة لبيان الضعفاء والمجروحين، ومنها كتب لبيان الرواة الثقات والضعفاء، ومن جهة أخرى فإن بعض هذه الكتب عام لذكر رواة الحديث، بغض النظر عن رجال كتاب أو كتب خاصة من كتب الحديث، ومنها ما هو خاص بتراجم رواة كتاب خاص، أو كتب معينة من كتب الحديث.

هذا ويعتبر عمل علماء الجرح والتعديل في تصنيف هذه الكتب عملًا رائعًا مهما جبارًا، إذ قاموا بمسح دقيق لتراجم جميع رواة الحديث، وبيان الجرح أو التعديل الموجه إليهم أولاً، ثم بيان من أخذوا عنه ومن أخذ عنهم، وأين رحلوا، ومتى التقوا ببعض الشيوخ، وما إلى ذلك من تحديد زمنهم الذي عاشوا فيه بشكل لم يُسْبَقوا إليه، بل ولم تصل الأمم المتحضرة في هذا العصر إلى القريب مما صنفه علماء الحديث من وضع هذه الموسوعات الضخمة في تراجم الرجال ورواة الحديث، فحفظوا على مدى الأيام التعريف الكامل برواة الحديث ونقلته فجزاهم الله عنا خيراً.

وإليك بعض الأسماء لهذه الكتب: أ -التاريخ الكبير للبخاري، وهو عام للرواة الثقات والضعفاء. ب -الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، كذلك هو عام للرواة الثقات والضعفاء ويشبه الذي قبله. ت -الثقات لابن حِبَّان، كتاب خاص بالثقات. ث -الكامل في الضعفاء لابن عدي، وهو خاص بتراجم الضعفاء كما هو ظاهر من اسمه. ج -الكمال في أسماء الرجال لعبد الغني المقدسي، كتاب عام، إلا أنه خاص برجال الكتب الستة. ح -ميزان الاعتدال للذهبي، كتاب خاص بالضعفاء والمتروكين (أي كل من جُرح وإن لم يُقْبَل الجَرْح فيه). خ -تهذيب التهذيب لابن حجر، يعتبر من تهذيبات ومختصرات كتاب (الكمال في أسماء الرجال).

الفوائد:

....

....

....

المبحث الثالث: مراتب الجرح والتعديل

لقد قسم ابن أبي حاتم في مقدمة كتابه "الجرح والتعديل" كُلاً من مراتب الجرح والتعديل إلى أربع مراتب، وبين حكم كل مرتبة منها، ثم زاد العلماء على كل من مراتب الجرح والتعديل مرتبتين، فصارت كل من مراتب الجرح والتعديل ستاً، وإليك هذه المراتب مع ألفاظها:

●مراتب التعديل وألفاظها:

أ -ما دلَّ على المبالغة في التوثيق أو كان على وزن أَفْعَل، وهي أرفعها مثل: فلان إليه المنتهى في التثبيت، أو فلان أثبت الناس.

ب -ثم ما تأكد بصفة أو صفتين من صفات التوثيق: كثقة ثقة. أو ثقة ثبت.

ج -ثم ما عُبِّرَ عنه بصفة دالة على التوثيق من غير توكيد كثقة، أو حُجَّة.

د -ثم ما دل على التعديل من دون إشعار بالضبط: كصدوق. أو مَحلَه الصدق، ولا بأس به عند غير ابن معين، فإن "لا بأس به" إذا قالها ابن معين في الراوي فهو عنده ثقة.

هـ -ثم ما ليس فيه دلالة على التوثيق أو التجريح، مثل فلان شيخ، أو روى عنه الناس.

و -ثم ما أَشْعَر بالقرب من التجريح: مثل: فلان صالح الحديث، أو يُكْتَبُ حديثه.

●حكم هذه المراتب:

أ -أما المراتب الثلاث الأول فيُحْتَجُّ بأهلها. وان كان بعضهم أقوى من بعض.

ب -أما المرتبة الرابعة والخامسة فلا يحتج بأهلها، ولكن يُكْتَبُ حديثُهم ويُخْتَبَرُ" أي يختبر ضبطهم بعرض حديثهم على أحاديث الثقات الضابطين، فان وافقهم احتج بحديثهم وإلا فلا ، فظهر من ذلك أن من قيل فيه "صدوق" من الرواة لا يحتج بحديثه قبل الاختبار، وقد أخطأ من ظن أن من قيل فيه "صدوق" فحديثه حسن لان الحسن يحتج به، هذا ما عله اصطلاح أئمة الجرح والتعديل، أما الحافظ ابن حجر فقد يكون له اصطلاح خاص في كتاب "تقريب التهذيب" بالنسبة لكلمة "صدوق" والله أعلم"، وأن كان أهل المرتبة الخامسة دون أهل المرتبة الرابعة.

ج -وأما أهل المرتبة السادسة فلا يحتج بأهلها، ولكن يكتب حديثهم للاعتبار فقط دون الاختبار، وذلك لظهور أمرهم في عدم الضبط.

●مراتب الجرح وألفاظها:

أ -ما دل على التليين:(وهي أسهلها في الجرح)، مثل فلان لَيَّنُ الحديث أو فيه مَقال.

ب) ثم ما صُرِّح بعدم الاحتجاج به وشبهه: مثل فلان لا يحتج به، أو ضعيف، أوله مناكير.

ج -ثم ما صرح بعدم كتابة حديثه ونحوه، مثل فلان لا يكتب حديثه، أو لا تحل الراوية عنه أو ضعيف جداً أو واهٍ بمَرَّةٍ.

د -ثم ما فيه اتهام بالكذب أو نحوه، مثل فلان متهم بالكذب أو متهم بالوضع، أو يسرق الحديث، أو ساقط، أو متروك أو ليس بثقة.

هـ -ثم ما دل على وصفه بالكذب ونحوه، مثل كذاب أو دجال أو وضاع أو يكذب أو يضع.

و -ثم ما دل على المبالغة في الكذب: (وهي أسوأها) مثل فلان أكذب الناس، أو إليه المنتهى في الكذب، أو هو ركن الكذب.

● **حكم هذه المراتب:**

أ -أما أهل المرتبتين الأوليَين فانه لا يُحْتَجُّ بحديثهم طبعاً لكن يكتب حديثهم للاعتبار فقط، وإن كان أهل المرتبة الثانية دون أهل المرتبة الأولى.

ب -أما أهل المراتب الأربع الأخيرة فلا يحتج بحديثهم ولا يكتب ولا يعتبر به.

الفوائد:

....

....

....

الباب الثالث: الفصل الأول

المبحث الأول: كيفية سماع الحديث وتحمله وصفة ضبطه

● **تمهيد:** المراد "بكيفية سماع الحديث": بيان ما ينبغي وما يشترط، فيمن يريد سماع الحديث من الشيوخ سماع رواية وتحمل، ليؤديه فيما بعد لغيره، وذلك مثل اشتراط سِنٍّ معينة وجوباً أو استحباباً. والمراد "بتَحَمُّلِهِ" بيان طرق أخذه وتلقيه عن الشيوخ. والمراد "ببيان ضبه": أي كيف يضبط الطالب ما تلقاه من الحديث ضبطاً يؤهله؛ لأن يرويه لغيره على شكل يُطْمَأنُّ إليه. وقد اعتنى علماء المصطلح بهذا النوع من علوم الحديث، ووضعنا له القواعد والضوابط والشروط بشكل دقيق رائع. وميزوا بين طرق تحمل الحديث، وجعلوها على مراتب، بعضها أقوى من بعض، وذلك تأكيداً منهم للعناية بحديث رسول الله ﷺ، وحسن انتقاله من شخص إلى شخص، كي يطمئن المسلم في طريقة وصول الحديث النبوي إليه، ويوقن أن هذه الطريقة في منتهى السلامة والدقة.

● **هل يُشْتَرَطُ لتحمل الحديث الإسلام والبلوغ؟** لا يشترط لتحمل الحديث الإسلام والبلوغ على الصحيح لكن يشترط ذلك للأداء" التحمل: معناه تلقي الحديث وآخذه عن الشيوخ، والأداء: رواية الحديث وإعطاؤه للطلاب". كما مر بنا في شروط الراوي. وبناء على ذلك فتقبل رواية المسلم البالغ ما تحمله من الحديث قبل إسلامه، أو قبل بلوغه، لكن لا بد من التمييز بالنسبة لغير البالغ.

وقد قيل انه يشترط لتحمل الحديث البلوغ، ولكنه قول خطأ، لأن المسلمين قبلوا رواية صغار الصحابة كالحسن وابن عباس وغيرهما من غير فرق بين ما تحملوه قبل البلوغ أو بعده.

●**متى يُسْتَحَبُّ الابتداء بسماع الأحاديث؟** قيل يستحب أن يبتدئ بسماع الحديث في سن الثلاثين وعليه أهل الشام. وقيل في سن العشرين، وعليه أهل الكوفة. وقيل في سن العاشرة، وعليه أهل البصرة. والصواب: في الإعصار المتأخرة التبكير بسماع الحديث من حيث يصح سماعه، لأن الحديث منضبط في الكتب.

●**هل لصحة سماع الصغير سن معينة؟** حدد بعض العلماء ذلك بخمس سنين، وعليه استقر العمل بين أهل الحديث. وقل بعضهم: الصواب اعتبار التمييز، فان فَهِمَ الخطاب، ورَدَّ الجواب، كان مُمَيَّزا صحيح السمع، وإلا فلا.

الفوائد:

....

....

....

<u>المبحث الثاني: طُرُقُ التَّحَمُّل وصِيَغُ الأداء</u>

طُرُق تحمل الحديث ثمانية، وهي: السماع من لفظ الشيخ، القراءة على الشيخ، الإجازة، المناولة، الكتابة، الإعلام، الوصية، الوجادة.

●**السماع من لفظ الشيخ:**

أ – صورته: أن يقرأ الشيخ، ويسمع الطالب، سواء قرأ الشيخ من حفظه أو كتابه، وسواء سمع الطالب وكتب ما سمعه، أو سمع فقط ولم يكتب.

ب – رتبته: السماع أعلى أقسام طرق التحمل عن الجماهير.

ج – ألفاظ الأداء:

– قبل أن يشيع تخصص بعض الألفاظ لكل قسم من طرق التحمل، كان يجوز للسامع من لفظ الشيخ أن يقول في الأداء: "سمعت أو حدثني أو أخبرني أو أنبأني أو قال لي أو ذكر لي."

– وبعد أن شاع تخصيص بعض الألفاظ لكل قسم من طرق التحمل، صارت ألفاظ الأداء على النحو التالي: للسماع: سمعت. أو حدثني، للقراءة: أخبرني، للإجازة: أنبأني، لسماع المذاكرة. "سماع المذاكرة غير سماع التحديث، إذ أن سماع التحديث يكون قد استعد له الشيخ والطالب تحضيراً وضبطاً قبل المجيء لمجلس الحديث، أما المذاكرة فليس فيها ذلك الاستعداد": قال لي، أو ذكر لي.

●**القراءة على الشيخ:** ويسميها أكثر المحدثين "عَرْضاً".

أ -صورتها: أن يقرأ الطالب، والشيخ يسمع". المراد بذلك: أن يقرأ الطالب الأحاديث التي هي من مرويات الشيخ، لا أن يقرأ ما شاء من الأحاديث، وذلك لأن الغاية من قراءة الطالب على الشيخ، أن يسمعها الشيخ منه ليضبطها له"، سواء قرأ الطالب، أو قرأ غيره وهو يسمع، وسواء كانت القراءة من حفظ أو من كتاب، وسواء كان الشيخ يُتَبِّعُ للقارئ من حفظه أو أمسك كتابه هو، أو ثقة غيره.

ب -حكم الراوية بها: الراوية بطريق القراءة على الشيخ رواية صحيحة بلا خلاف في جميع الصور المذكورة إلا ما حُكي عن بعض من لا يعتد به من المتشددين

ج -رتبتها: اختلف في رتبتها على ثلاثة أقوال: مساوية للسماع: رُوي عن مالك والبخاري، ومعظم علماء الحجاز والكوفة. وأدنى من السماع: روي عن جمهور أهل المشرق، "وهو الصحيح". وأعلى من السماع: روي عن أبي حنيفة وابن أبي ذئب، ورواية عن مالك.

د -ألفاظ الأداء، الأحوط: قرأت على فلان، أو قرئ عليه وأنا أسمع، فأقرَّ به. ويجوز: بعبارات السماع مقيدة بلفظ القراءة كـ"حدثنا قراءة عليه". الشائع الذي عليه كثير من المحدثين: إطلاق لفظ "أخبرنا" فقط دون غيرها.

الفوائد:

....

....

....

●**<u>الإجازة:</u>**

أ -تعريفها: الأذن بالرواية لفظا أو كتابة.

ب -صورتها: أن يقول الشيخ لأحد طلابه:" أَجَزْتُ لك أن تروي عني صحيح البخاري".

ج -أنواعها: للإجازة أنواع كثيرة، سأذكر منها خمسة أنواع هي:

-أن يُجيز الشيخُ مُعَيَّناً لمُعَيَّنٍ: كأجزتك صحيح البخاري، وهذا النوع أعلى أنواع الإجازة المُجَرَّدة عن المناولة.

-أن يُجيز مُعَيَّناً بغير مُعَيَّن: كأجزتك رواية مَسْمُوعاتي.

-أن يُجيز غير مُعَيَّن بغير مُعَيَّن: كأجزت أهل زماني رواية مسموعاتي.

-أن يُجيز بمجهول أو لمجهول: كأجزتك كتاب السُّنَن، وهو يَرْوي عدداً من السُّنَنِ، أو أجزت لمحمد بن خالد الدمشقي، وهناك جماعة مشتركون في هذا الاسم.

-الإجازة للمَعْدوم: فإما أن تكون تَبَعاً لموجود، كأجزت لفلان، ولم يُوْلَد له، وإما أن تكون لمعدوم استقلالا، كأجزت لمن يولد لفلان.

د -حكمها: أما النوع الأول منها فالصحيح الذي عليه الجمهور، واستقر عليه العمل، جواز الراوية والعمل بها، وأبطلها جماعات من العلماء، وهو إحدى الروايتين عن الشافعي. وأما بقية الأنواع فالخلاف في جوازها أشد وأكثر، وعلى كل حال فالتحمل والرواية بهذا الطريق (أي الإجازة) تحمُّلٌ هزيلٌ ما ينبغي التساهل فيه.

هـ -ألفاظ الأداء: الأولى: أن يقول:" أجاز لي فلان"، ويجوز: بعبارات السماع والقراءة مقيدة مثل:" حدثنا إجازة" أو "أخبرنا إجازة " اصطلاح المتأخرين: "أنبأنا"، واختاره صاحب كتاب "الوجازة" (أبو العباس الوليد بن بكر المعمري)، واسم كتابه:" الوجازة في تجويز الإجازة".

الفوائد:

....

....

....

●المناولة:

أ – المناولة نوعان:

-مقرونة بالإجازة: وهي أعلى أنواع الإجازة مطلقاً. ومن صورها أن يدفع الشيخ إلى الطالب كتابه، ويقول له: هذا روايتي عن فلان فاروه عني، ثم يبقيه معه تمليكاً أو إعارة لينسخه.

-مُجَرَّدة عن الإجازة: وصورتها أن يدفع الشيخ إلى الطالب كتابه مقتصرًا على قوله: هذا سماعي.

ب -حكم الرواية بها: أما المقرونة بالإجازة: فتجوز الرواية بها، وهي أدنى مرتبة من السماع، والقراءة على الشيخ. وأما المجردة عن الإجازة: فلا تجوز الرواية بها على الصحيح.

ت -ألفاظ الأداء: الأحسن: أن يقول: "ناولني" أو "ناولني" وأجاز لي" إن كانت المناولة مقرونة بالإجازة. ويجوز بعبارات السماع والقراءة مقيدة مثل "حدثنا مناولة" أو "أخبرنا مناولة وإجازة".

● الكتابة:

أ -صورتها: أن يكتب الشيخ مَسْمُوْعَهُ لحاضر أو غائب بخطه أو أمره.

ب -أنواعها: وهي نوعان: مقرونة بالإجازة: كأجزتك ما كتبت لك أو إليك، ونحو ذلك .ومُجَرَّدة عن الإجازة: كأن يكتب له بعض الأحاديث ويرسلها له، ولا يجيزه بروايتها.

ت -حكم الرواية بها: أما المقرونة بالإجازة: فالرواية بها صحيحة، وهي في الصحة والقوة كالمناولة المقرونة. وأما المُجَرَّدَة عن الإجازة: فمنع الرواية بها قوم، وأجازها آخرون، والصحيح الجواز عند أهل الحديث لإشهارها بمعنى الإجازة.

ث -هل تُشْتَرَط البَيِّنَةُ لاعتماد الخَطِّ ؟ اشترط بعضهم البينة على الخط، وادعوا أن الخط يشبه الخط، وهو قول ضعيف. ومنهم من قال: يكفي معرفة المكتوب إليه خَطَّ الكاتب، لأن خط الإنسان لا يشتبه بغيره، وهو الصحيح.

ج -ألفاظ الأداء: التصريح بلفظ الكتابة: كقوله:" كتب إلى فلان". أو الإتيان بألفاظ السماع والقراءة مقيدة: كقوله "حدثني فلان أو أخبرني كتابة".

● الإعلام:

أ -صورته: أن يخبر الشيخ الطالب أن هذا الحديث أو هذا الكتاب سماعه.

ب -حكم الرواية به: اختلف العلماء في حكم الرواية بالإعلام على قولين: الجواز، وهو قول كثير من أصحاب الحديث والفقه والأصول. وعدم الجواز: وهو قول غير واحد من المحدثين وغيرهم، وهو الصحيح؛ لأنه قد يعلم الشيخ أن هذا الحديث روايته، لكن لا تجوز رويته لخلل فيه، نعم لو أجازه بروايته جازت روايته.

ت -ألفاظ الأداء: يقول في الأداء:" أعلمني شيخي بكذا".

● الوصية:

أ -صورتها: أن يوصي الشيخ عند موته أو سفره لشخص بكتاب من كتبه التي يرويها.

ب -حكم الرواية بها: الجواز، وهو قول لبعض السلف، وهو غلط؛ لأنه أوصى له بالكتاب ولم يوص له بروايته، والقول الثاني: عدم الجواز، وهو الصواب.

ت -ألفاظ الأداء: يقول:" أوصى إلى فلان بكذا" أو "حدثني فلان وصية".

● **الوِجَادَة:** بكسر الواو، مصدر "وَجَدَ" وهذا المصدر مولد غير مسموع من العرب. وصورتها: أن يجد الطالب أحاديث بخط شيخ يرويها، يعرفه الطالب، وليس له سماع منه ولا إجازة. وحكم الرواية بها: الرواية بالوجادة من باب بالمنقطع، لكن فيها نوع اتصال. وألفاظ الأداء: يقول الواجد:" وجَدْتُ بخط فلان أو قرأت بخط فلان كذا" ثم يسوق الإسناد والمتن.

المبحث الثالث: كتابة الحديث وضبطه والتصنيف فيه

سأبحث هذا الموضوع باختصار، لأن كثيراً من قواعد الكتابة والتصحيح سارت من مهمة المحقق والطابع في هذا الزمان، وتبقى تلك التفصيلات للمتخصصين في هذا الفن لمعرفة اصطلاح القوم في كتابة النسخ المخطوطة القديمة وغير ذلك من الاعتبارات".

●**حكم كتابة الحديث:** اختلف السلف من الصحابة والتابعين في كتابة الحديث على أقوال: كرهها بعضهم، منهم ابن عمر، وابن مسعود، وزيد بن ثابت. وأباحها بعضهم: منهم عبدالله بن عمرو، وأنس وعمر بن عبدالعزيز وأكثر الصحابة. ثم أجمعوا بعد ذلك على جوازها: وزال الخلاف. ولو لم يُدَوَّن الحديث في الكتب لضاع في الإعصار المتأخرة لاسيما في عصرنا.

● **سبب الاختلاف في حكم كتابته:** وسبب الخلاف في حكم كتابته أنه وردت أحاديث متعارضة في الإباحة والنهي، فمنها: حديث النهي: ما رواه مسلم أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: "لا تكتبوا عني شيئاً إلا القرآن، ومن كتب عني شيئاً غير القرآن فْليَمْحُهُ". حديث الإباحة: ما أخرجه الشيخان أن رسول الله ﷺ قال:" اكتبوا لأبي شَاهٍ" وهناك أحاديث أخرى في إباحة الكتابة منها الإذن لعبدالله بن عمرو.

● **الجمع بين أحاديث الإباحة والنهي:** لقد جمع العلماء بين أحاديث النهي والإباحة على وجوه منها: قال بعضهم: الإذن بالكتابة لمن خِيْفَ نسيانه للحديث. والنهي لمن أمن النسيان وخيف عليه اتكاله على الخط إذا كتب. وقال بعضهم: جاء النهي حين خيف اختلاطه بالقرآن، ثم جاء الإذن بالكتابة حين أُمِنَ ذلك، وعلى هذا يكون النهي منسوخاً.

● **ماذا يجب على كاتب الحديث؟** ينبغي على كاتب الحديث أن يصرف همته إلى ضبطه وتحقيقه، شَكْلاً ونَقْطاً يُؤمَنُ معهما اللَّبس، ويُشْكل المُشْكِل لاسيما أسماء الأعْلام، لأنها لا تُدْرَك بما قبلها ولا بما بعدها. وأن يكون خطه واضحاً على قواعد الخط المشهورة، وألا يصطلح لنفسه اصطلاحاً خاصاً برمز لا يعرفه الناس، وينبغي أن يحافظ على كتابة الصلاة والتسليم على النبي ﷺ كلما جاء ذكره، ولا يسأم من تكرار ذلك، ولا يتقيد في ذلك بما في الأصل إن كان ناقصاً، وكذلك الثناء على الله سبحانه وتعالى كـ " عَزَّ وجَلَّ "وكذلك الترضي والترحم على الصحابة والعلماء، ويكره الاقتصار على الصلاة وحدها أو التسليم وحده، كما يكره الرمز إليهما بـ "ص" ونحوه مثل "صلعم" وعليه أن يكتبهما كاملتين.

●**المقابلة وكيفيتها:** يجب على كتاب الحديث بعد الفراغ من كتابته مقابلة كتابه بأصل، "أي نسخة شيخه الأصلية التي أخذ منها شيخه"، ولو أخذه عنه بطريق الإجازة. وكيفية المقابلة أن

يمسك هو وشيخه كتابيهما حال التسميع، ويكفي أن يقابل له ثقة آخر في أي وقت حال القراءة أو بعدها، كما يكفي مقابلته بفَرْع مُقَابَل بأصل الشيخ.

●**اصطلاحات في كتابة ألفاظ الأداء وغيره:** غلب على كثير من كُتَّاب الحديث الاقتصار على الرمز في ألفاظ الأداء فمن ذلك أنهم يكتبون: حدثنا: "ثنا" أو "نا" أخبرنا: "أنا" أو "أرنا". وتحويل الإسناد إلى إسناد آخر: يرمزون له بـ "ح" وينطق القارئ بها هكذا "حا". وجرت العادة بحذف كلمة "قال" ونحوها بين رجال الإسناد خَطًّا، وذلك لأجل الاختصار، لكن ينبغي للقارئ التلفظ بها، مثل "حدثنا عبدالله بن يوسف أخبرنا مالك" فينبغي على القارئ أن يقول:" قال أخبرنا مالك" كما جرت العادة بحذف "أَنَّهُ" في أواخر الإسناد اختصارًا، مثل "عن أبي هريرة قال". فينبغي للقارئ النطق بـ "أنه" فيقول "أنه قال" وذلك تصحيحاً للكلام من حيث الإعْراب.

●**الرحلة في طلب الحديث:** لقد اعتنى سلفنا بالحديث عناية ليس لها نظير، وصرفوا في جمعه وضبطه من الاهتمام والجهد والوقت ما لا يكاد يصدقه العقل، فبعد أن يجمع أحدهم الحديث من شيوخ بلده، يرحل إلى بلاد وأقطار أخرى قريبة أو بعيدة؛ ليأخذ الحديث من شيوخ تلك البلاد، ويتجشم مشاق السفر وشظف العيش بنفس راضية، وقد صنف الخطيب البغدادي كتاباً سماه "الرحلة في طلب الحديث"، جمع فيه من أخبار الصحابة والتابعين، فمن بعدهم، في الرحلة في طلب الحديث ما يعجب الإنسان لسماعه، فمن أحب سماع تلك الأخبار الشيقة فعليه بذلك الكتاب، فانه مُنَشِّط لطلاب العلم، شاحذ لهممهم مُقَوٍّ لعزائمهم.

●**أنواع التصنيف في الحديث:** يجب على من يجد في نفسه المقدرة على التصنيف في الحديث وغيره، أن يقوم بالتصنيف، وذلك لجمع المتفرق، وتوضيح المشكل، وترتيب غير المرتب، وفهرسة غير المفهرس مما يسهل على طلبة الحديث الاستفادة منه بأيسر طريق وأقرب وقت، وليحذر إخراج كتابه قبل تهذيبه وتحريره وضبطه، وليكن تصنيفه فيما يعم نفعه، وتكثر فائدته. **هذا وقد صنف العلماء الحديث على أشكال متنوعة، فمن أشهر أنواع التصنيف في الحديث ما يلي:**

-**الجوامع**، الجامع كل كتاب يجمع فيه مؤلفه جميع الأبواب من العقائد والعبادات والمعاملات والسير والمناقب والرقاق والفتن وأخبار يوم القيامة مثل "الجامع الصحيح للبخاري".

-**المسانيد**، المُسْنَد: كل كتاب جمع فيه مرويات كل صحابي على حِدَة من غير النظر إلى الموضوع الذي يتعلق فيه الحديث، مثل مسند الإمام أحمد بن حنبل.

-**السنن**، وهي الكتب المصنفة على أبواب الفقه، لتكون مصدراً للفقهاء في استنباط الأحكام، وتختلف عن الجوامع بأنها لا يوجد فيها ما يتعلق بالعقائد والسير والمناقب وما إلى ذلك، بل هي مقصورة على أبواب الفقه وأحاديث الأحكام، مثل "سنن أبي داود".

-**المعاجم،** المُعْجم كل كتاب جمع فيه مؤلفه الحديث مرتباً علي أسماء شيوخه على ترتيب حروف الهجاء غالباً، مثل "المعاجم الثلاثة" الطبراني، وهي المعجم الكبير والأوسط والصغير.

-**العلل،** كتب العلل هي الكتب المشتملة على الأحاديث المعلولة مع بيان عللها، وذلك مثل "العلل لابن أبي حاتم" و"العلل للدارقطني".

-**الأجزاء،** الجزء: كل كتاب صغير جُمِع فيه مرويات راو واحد من رواة الحديث، أو جُمِع فيه ما يتعلق بموضوع واحد على سبيل الاستقصاء، مثل:" جزء رفع اليدين في الصلاة" للبخاري.

-**الأطراف:** كل كتاب ذكر فيه مصنفه طرف كل حديث الذي يدل على بقيته، ثم يذكر أسانيد كل متن من المتون إما مستوعباً أو مقيداً لها ببعض الكتب، مثل "تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف" للمِزي.

-**المُسْتَدْرَكات**، المُسْتَدرك كل كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث التي استدركها على كتاب آخر مما فاتته على شرطه، مثل "المستدرك على الصحيحين" لأبي عبدالله الحاكم.

-**المُسْتَخرَجات:** المُسْتَخرج كل كتاب خَرَّج فيه مؤلفه أحاديث كتاب لغيره من المؤلفين بأسانيد لنفسه من غير طريق المؤلف الأول، وربما اجتمع معه في شيخه أو من فوقه مثل "المستخرج على الصحيحين" لأبي نُعَيْم الأصبهاني .

الفوائد:

....

....

....

<u>المَبْحَثُ الرَابع: صفة رواية الحديث</u>

سأبحث هذا الموضوع باختصار أيضا لأن بعض جزئياته كانت ضرورية في عصر الرواية أما في هذه الأزمان فتعتبر دراستها من باب دراسة تاريخ الرواية وهي لازمة لذوي الاختصاص في هذا الفن."

●**المراد بهذه التسمية:** المراد بهذا العنوان بيان الكيفية التي يُرْوَى بها الحديث والآداب التي ينبغي التحلي بها وما يتعلق بذلك، وقد تقدم شيء من ذلك في المباحث السابقة، وإليك ما بقي: هل تجوز رواية الراوي من كتابه إذا لم يحفظ ما فيه؟ هذا أمر اختلف فيه العلماء، فمنهم من شدد فأفرط، ومنه من تساهل ففرَّط ومنهم من اعتدل فتوسط. فأما المتشددون: فقالوا:" لا حجة إلا فيما رواه الراوي من حفظه" روى ذلك عن مالك وأبي حنيفة وأبي بكر الصيدلاني الشافعي. وأما المتساهلون: فقوم رووا من نُسَخ غير مقابلة بأصولها، منهم ابن لَهيعة. وأما المعتدلون المتوسطون:

(وهم الجمهور) فقالوا: إذا قام الراوي في التحمل والمقابلة بما تقدم من الشروط جازت الرواية من الكتاب، وان غاب عنه الكتاب، إذا كان الغالب على الظن سلامته من التغيير والتبديل لاسيما إن كان ممن لا يخفي عليه التغيير غالباً.

●**حكم رواية الضرير الذي لا يحفظ ما سمعه:**

إذا استعان الضرير، الذي لا يحفظ ما سمعه، بثقة في كتابه الحديث الذي سمعه وضبطه والمحافظة على الكتاب، واحتاط عند القراءة عليه، بحيث يغلب على ظنه سلامته من التغيير، صحت روايته عند الأكثر، ويكون كالبصير الأمِّي الذي لا يحفظ.

●**رواية الحديث بالمعنى وشروطها:** اختلف السلف في رواية الحديث بالمعنى، فمنهم من منعها ومنهم من جوزها، فمنعها طائفة من أصحاب الحديث والفقه والأصول، منهم ابن سيرين وأبو بكر الرازي .وأجازها جمهور السلف والخلف من المحدثين وأصحاب الفقه والأصول، منهم الأئمة الأربعة لكن إذا قطع الراوي بأداء المعنى. ثم إن مَن أجاز الراوية بالمعنى اشترط لها شروطًا، وهي: أن يكون الراوي عالماً بالألفاظ ومقاصدها. أن يكون خبيراً بما يُحيل معانيها. هذا كله في غير المصنَّفات، أما الكتب المصنَّفة فلا يجوز رواية شيء منها بالمعنى، وتغيير الألفاظ التي فيها، وإن كان بمعناها لأن جواز الرواية بالمعنى كان للضرورة، إذا غابت عن الراوي كلمة من الكلمات، أما بعد تثبيت الأحاديث في الكتب فليس هناك ضرورة لرواية ما فيها بالمعني. هذا وينبغي للراوي بالمعنى أن يقول بعد روايته الحديث: "أو كما قال" أو "أو نحوه" أو "أو شبهه".

●**اللحن في الحديث وسببه:** اللحن في الحديث، أي الخطأ في قراءته، وأبرز أسباب اللحن:

١ -عدم تعلم النحو واللغة: فعلى طالب الحديث أن يتعلم من النحو واللغة ما يسلم به من اللحن والتصحيف، فقد روى الخطيب عن حماد بن سلمة قال:" مَثَلُ الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو مثل الحِمَار عليه مِخّلاة لا شعير فيها".

٢ -الأخذ من الكتب والصحف، وعدم التلقي عن الشيوخ: مر بنا أن لتلقي الحديث وتحمله عن الشيوخ طرقاً بعضها أقوي من بعض، وأن أقوي تلك الطرق السماع من لفظ الشيخ أو القراءة عليه، فعلى المشتغل بالحديث أن يتلقي حديث رسول الله ﷺ، من أفواه أهل المعرفة والتحقيق حتى يسلم من التصحيف والخطأ، ولا يليق بطالب الحديث أن يعمد إلى الكتب والصحف، فيأخذ منها ويروي عنها ويجعلها شيوخَهُ، فإنه تكثر أخطاؤه وتصحيفاته، لذا قال العلماء قديمًا:" لا تأخذ القرآن من مُصْحَفِيّ ولا الحديث من صُحُفِيّ". المُصْحفي: الذي يأخذ القرآن من المصحف، ولا يتلقَّى القرآن عن القراء والشيوخ، والصُحُفي: الذي يأخذ الحديث من الصحب، ولا يتلقاه عن الشيوخ.

غريب الحديث

●**تعريفه:** الغريب لغة: البعيد عن أقاربه، والمراد به هنا: الألفاظ التي خفي معناها. واصطلاحاً: هو ما وقع في متن الحديث من لفظة غامضة بعيدة من الفهم؛ لقلة استعمالها.

●**أهميته وصعوبته:** هو فن مهم جداً، يَقْبُحُ جهلهُ بأهل الحديث، لكن الخوض فيه صعب، فليتحَرَّ خائضه، وليتق الله أن يُقْدِمَ على تفسير كلام نبيه ﷺ بمجرد الظنون، وكان السلف يتثبتون فيه أشد التثبت.

●**أجود تفسيره:** وأجود تفسيره ما جاء مفسَّراً في رواية أخرى، مثل حديث عِمْرَانَ بن حُصَيْن رضي الله عنه في صلاة المريض: " صَلِّ قائماً، فان لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جَنْبٍ" البخاري. وقد فَسَّر قولَهُ "عَلَى جَنْبٍ" حديثُ عَليّ رضي الله عنه، ولفظه:" على جَنْبِه الأيمن مستقبل القِبْلة بوجهة" سنن الدارقطني.

●**أشهر المصنفات في الغريب:** غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سَلاَّم. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، وهو أجود كتب الغريب. الدر النَّثِير للسيوطي، وهو تلخيص للنهاية. والفائق للزمخشري.

الفوائد:

....

....

....

الفصل الثاني:

المَبْحَثُ الأول: آداب المحدث

●**مقدمة:** بما أن الاشتغال بالحديث من أفضل القربات إلى الله تعالى وأشرف الصناعات، فينبغي على من يشتغل به وينشره بين الناس أن يتحلي بمكارم الأخلاق ومحاسن الشِّيم، ويكون مثالا صادقاً لما يعلمه الناس، مطبقاً له على نفسه قبل أن يأمر به غيره.

●**ابرز ما ينبغي أن يتحلي به المحدث:**

أ -تصحيح النية وإخلاصها، وتطهير القلب من أغراض الدنيا، كحب الرئاسة أو الشهرة.

ب -أن يكون أكبر همه نشر الحديث، والتبليغ عن رسول الله صلي الله عليه وسلم مبتغياً جزيل الأجر.

ج -ألا يحدث بحضرة من هو أولى منه، لِسِنِّه أو عِلْمِه.

د -أن يرشد من سأله عن شيء من الحديث -وهو يعلم أنه موجود عند غيره - إلى ذلك الغير.

هـ -ألا يمتنع من تحديث أحد لكونه غير صحيح النية، فانه يُرجَى له صحتها.

و -أن يعقد مجلساً لإملاء الحديث وتعليمه إذا كان أهلا لذلك، فان ذلك أعلى مراتب الراوية.

●**ما يستحب فعله إذا أراد حضور مجلس الإملاء:**

أ -أن يتطهر ويتطيب ويسرح لحيته.

ب -أن يجلس متمكناً بوقار وهيبة، تعظيماً لحديث رسول الله ﷺ.

ج -أن يُقْبِل على الحاضرين كلهم، ولا يخص بعنايته أحداً دون أحد.

د -أن يفتتح مجلسه ويختمه بتحميد الله تعالى والصلاة على النبي ﷺ ودعاء يليق بالحال.

هـ -أن يتجنب ما لا تحتمله عقول الحاضرين أو ما لا يفهمونه من الحديث.

و -أن يختم الإملاء بحكايات ونوادر، لترويح القلوب وطرد السَّأم.

●**ما السِّنُّ التي ينبغي للمحدث أن يتصدَّى للتحديث فيها؟** اختلف في ذلك: فقيل خمسون، وقيل أربعون، وقيل غير ذلك. والصحيح أنه متى تأهل واحتيج إلى ما عنده جلس للتحديث في أي سن كان.

●**أشهر المصنفات فيه:** "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" للخطيب البغدادي. "جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغي في روايته وحمله" لابن عبد البر.

الفوائد:

....

....

....

<u>المَبْحَثُ الثَّاني: آداب طالب الحديث</u>

● **مقدمة:** المراد بآداب طالب الحديث، ما ينبغي أن يتصف به الطالب من الآداب العالية والأخلاق الكريمة التي تناسب شرف العلم الذي يطلبه، وهو حديث رسول الله ﷺ، فمن هذه الآداب ما يشترك فيها مع المحدث، ومنها ما ينفرد بها عنه.

●**الآداب التي يشترك فيها مع المحدث:** أ -تصحيح النية والإخلاص لله تعالى في طلبه. ب -الحذر من أن تكون الغاية من طلبه التوصل إلى أغراض الدنيا، فقد أخرج أبو داود وابن ماجة من حديث

أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "من تعلم علماً مما يُبْتَغَي به وجهُ الله تعالى، لا يتعلمه إلا ليصيب به غَرَضاً من الدنيا لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة". ٣ -العمل بما يسمعه من الأحاديث.

- **الآداب التي ينفرد بها عن المحدث:**

أ -أن يسأل الله تعالى التوفيق والتسديد والتيسير والإعانة على ضبطه الحديث وفهمه.

ب -أن ينصرف إليه بكليته، ويفرغ جهد، في تحصيله.

ج -أن يبدأ بالسماع من أرجح شيوخ بلده إسناداً وعلماً وديناً.

د -أن يعظم شيخه، ومَنْ يسمع منه ويوقِّره، فذلك من إجلال العلم وأسباب الانتفاع، وأن يتحرَّى رضاه، ويصبر على جفائه لو حصل.

هـ -أن يرشد زملاءه وإخوانه في الطلب إلى ما ظفر به من فوائد، ولا يكتمها عنهم، فان كتمان الفوائد العلمية على الطلبة لُؤْم يقع فيه جهلة الطلبة الوُضَعاء، لأن الغاية من طلب العلم نشره.

و -ألا يمنعه الحياء أو الكِبْر من السعي في السماع والتحصيل وأخذ العلم ولو ممن دونه في السن أو المنزلة.

ز -عدم الاقتصار على سماع الحديث وكتابته دون معرفته وفهمه، فيكون قد أتعب نفسه دون أن يظفر بطائل.

ح -أن يقدم في السماع والضبط والتفهم الصحيحين، ثم سنن أبي داود والترمذي والنسائي، ثم السنن الكبرى للبيهقي، ثم ما تمس الحاجة إليه من المسانيد والجوامع، كمسند أحمد وموطأ مالك، ومن كتب العلل، علل الدارقطني، ومن الأسماء التاريخ الكبير للبخاري والجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ومن ضبط الأسماء كتاب ابن ماكولا، ومن غريب الحديث النهاية لابن الأثير.

الفوائد:

....

....

....

الباب الرابع:الفصل الأول: لطائف الإسناد

الإسناد العالي والنازل. المسلسل. رواية الأكابر عن الأصاغر. رواية الآباء عن الأبناء. رواية الأبناء عن الآباء. المُدَبجَّ ورواية الأقْران. السابق واللاحِق. الإسناد العَالي والنَّازل.

●**تمهيد:** الإسناد خَصيصة فاضلة لهذه الأمة، وليست لغيرها من الأمم السابقة، وهو سنة بالغة مؤكدة، فعلى المسلم أن يعتمد عليه في نقل الحديث والأخبار، قال ابن المبارك:" الإسناد من الدِّين، ولولا الإسناد لقال مَنْ شاء ما شاء". وقال الثوري:" الإسناد سلاح المؤمن". كما أن طلب العُلوُ فيه سنةٌ أيضاً، قال أحمد بن حنبل:" طلب الإسناد العالي سُنَّة عمن سَلَف"، وكان أصحاب عبدالله ابن مسعود كانوا يرحلون من الكوفة إلى المدينة، فيتعلمون من عمر ويسمعون منه، ولذلك استحبت الرحلة في طلب الحديث، ولقد رحل غير واحد من الصحابة في طلب علو الإسناد، منهم أبو أيوب وجابر رضي الله عنهما.

●**تعريفه:** لغة: العالي اسم فاعل من "العُلُوّ" ضد النزول، النازل: اسم فاعل من "النزول".

واصطلاحاً:

الإسناد العالي: هو الذي قَلَّ عدد رجاله بالنسبة إلى سند آخر يَرِدُ به ذلك الحديث بعدد أكثر.

الإسناد النازل: هو الذي كثر عدد رجاله بالنسبة إلى سند آخر يَرِدُ به ذلك الحديث بعدد أقل.

●**أقسام العلو:** يقسم العلو إلى خمسة أقسام، واحد منها علو مُطْلَق، والباقي علو نِسْبي وهي:

أ -القُرْب من رسول الله ﷺ بإسناد صحيح نظيف، وهذا هو العلو المطلق، وهو أجَلُّ أقسام العلو.

ب -القرب من إمام من أئمة الحديث: وإن كثر بعده العدد إلى رسول الله ﷺ، مثل القرب من الأعمش أو ابن جُرَيْج أو مالك أو غيرهم ، مع الصحة ونظافة الإسناد أيضاً.

ج -القرب بالنسبة إلى رواية أحد الكتب الستة أو غيرها من الكتب المعتمدة: وهو ما كثر اعتناء المتأخرين به من الموافقة والإبدال والمساواة والمصافحة.

-فالموافقة: هي الوصول إلى شيخ أحد المصنِّفين من غير طريقه بعدد أقل مما لو رَوَى من طريقه عنه. ومثاله: ما قاله ابن حجر في شرح النخبة " روى البخاري عن قتيبة عن مالك حديثا، فلو رويناه من طريقه -أي من طريق البخاري - كان بيننا وبين قتيبة ثمانية، ولو روينا ذلك الحديث بعينه من طريق أبي العباس السراج -أحد شيوخ البخاري - عن قتيبة مثلا لكان بيننا وبين قتيبة فيه سبعة، فقد حصلت لنا الموافقة مع البخاري في شيخه بعينه مع علو الإسناد على الإسناد إليه".

-البَدَل: هو الوصول إلى شيخ شيخِ أحد المصنِّفين من غير طريقه بعدد أقل مما لو روي من طريقه عنه. ومثاله ما قاله ابن حجر:" كأَنْ يقع لنا ذلك الإسناد بعينه، من طريق أخرى إلى القَعْنَبي (القعنبي هو شيخ شيخ البخاري) عن مالك، فيكون القَعْنَبي فيه بدلا من قتيبة.

-المساواة: هي استواء عدد الإسناد من الراوي إلى آخره مع إسناد أحد المصنِّفين. ومثاله: ما قاله ابن حجر:" كأَنْ يَرْوي النسائي مثلاً حديثاً يقع بينه وبين النبي ﷺ فيه أَحَدَ عشر نَفْساً، فيقع لنا

ذلك الحديث بعينه بإسناد آخر، بيننا وبين النبي ﷺ فيه أَحَدَ عشر نفسا، فنساوي النسائيَّ من حيث العدَد".

-المصافحة: هي استواء عدد الإسناد من الراوي إلى آخره مع إسناد تلميذ أحد المصنِّفين. وسُمِّيَتْ مصافحةً لأن العادة جرت في الغالب بالمصافحة بين من تَلَاقَيا.

د -العلو بتقدّم وفاة الراوي: ومثاله ما قاله النووي:" فما أرويه عن ثلاثة عن البيهقي عن الحاكم أعلى من أن أرويه عن ثلاثة عن أبي بكر بن خَلَفَ عن الحاكم، لتقدم وفاة البيهقي عن ابن خلف ". هذا وقد توفي البيهقي سنة ٤٥٨هـ وتوفي ابن خلف سنة ٤٨٧هـ".

هـ -العلو بتقدم السماع: أي بتقدم السماع من الشيخ، فمن سمع منه متقدماً كان أعلى ممن سمع منه بعده. ومثاله: أن يسمع شخصان من شيخ، وسماع أحدهما منذ ستين سنة مثلاً، والآخر منذ أربعين سنة، وتَسَاوى العدد إليهما، فالأول أعلى من الثاني، ويتأكد ذلك في حق من اختلط شيخه أو خَرِفَ.

●**أقسام النزول:** أقسام النزول خمسة، وتعرف من ضدها، فكل قسم من أقسام العلو ضده قسم من أقسام النزول.

●**هل العلو أفضل أو النزول؟**

أ - العلو أفضل من النزول على الصحيح الذي قاله الجمهور، لأنه يُبْعِدُ كثرةَ احتمال الخَلَل عن الحديث، والنزول مرغوب عنه، قال ابن المديني:" النزول شؤم" وهذا إذا تساوي الإسناد في القوة.

ب - ويكون النزول أفضل إذا تميز الإسناد النازل بفائدة:" كأن يكون رجاله أوثق من رجال الإسناد العالي أو أحفظ أو أفقه".

●**أشهر المصنفات فيه:** لا توجد مصنفات خاصة في الأسانيد العالية أو النازلة بشكل عام، لكن أفرد العلماء بالتصنيف أجزاء أطلقوا عليها اسم "الثُلاثيات" ويعنون بها الأحاديث التي فيها بين المصنِّف وبين رسول الله ﷺ ثلاثة أشخاص فقط، وفي ذلك إشارة إلى اهتمام العلماء بالأسانيد العوالي، فمن تلك الثلاثيات: ثلاثيات البخاري، لابن حجر. ثلاثيات أحمد بن حنبل، للسَّفَّاريني.

الفوائد:

....

....

....

المسَلْسَل

●**تعريفه:** لغة: اسم مفعول من "السَّلْسَلَة"، وهي اتصال الشيء بالشيء، ومنه سِلْسِلَة الحديد، وكأنه سمى بذلك لشبهه بالسِّلْسِلة من ناحية الاتصال والتماثل بين الأجزاء. واصطلاحاً: هو تتابع رجال إسناده على صفة أو حالة للرواة تارة، وللرواية تارة أخرى.

●**شرح التعريف:** أي أن المسلسل هو ما تَوَالى رواة إسناده على: الاشتراك في صفة واحدة لهم، أو الاشتراك في حالة واحدة لهم أيضاً، أو الاشتراك في صفة واحدة للرواية.

●**أنواعه:** يتبين من شرح التعريف أن أنواع المسلسل ثلاثة أنواع: المسلسل بأحوال الرواة، والمسلسل بصفات الرواة، والمسلسل بصفات الرواية:

١ -المسلسل بأحوال الرواة: وأحوال الرواة: إما أقوال أو أفعال، أو أقوال وأفعال معاً.

-المسلسل بأحوال الرواة القولية: مثل حديث معاذ ابن جبل أن النبي ﷺ قال له:" يا معاذ إني أحبك فقل في دُبُر كل صلاة: اللهم أَعِنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك". فقد تسلسل بقول كلٍ من رواته:" وأنا أحبك، فَقُلْ" أخرجه أبو داود.

-المسلسل بأحوال الرواة الفعلية: مثل حديث أبي هريرة قال:" شَبَّكَ بيدي أبو القاسم ﷺ وقال: "خلق الله الأرض يوم السبت" فقد تسلسل بتشبيك كل من رواته بيد مَنْ رواه عنه، أخرجه الحاكم مسلسلا في معرفة علوم الحديث.

-المسلسل بأحوال الرواة القولية والفعلية معاً: مثل حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ:" لا يجد العبد حلاوة الإيمان حتى يؤمن بالقدر، خيره وشره، حُلْوِهِ ومُرِّهِ، وقبض رسول الله ﷺ على لحيته، وقال: آمنت بالقَدَر خيره وشره حلوه ومره" أخرجه مسلسلا الحاكم في معرفة علوم الحديث.

تسلسل بقبض كل راو من رواته على لحيته، وقوله: آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره.

٢ -المسلسل بصفات الرواة: وصفات الرواة: أما قولية أو فعلية.

-المسلسل بصفات الرواة القولية: مثل الحديث المسلسل بقراءة سورة الصَّفِّ فقد تسلسل بقول كل راو: "فقرأها فلان هكذا" هذا وقد قال العراقي:" وصفات الرواة القولية وأحوالهم القولية متقاربة بل متماثلة".

-المسلسل بصفات الرواة الفعلية: كاتفاق أسماء الرواة، كالمسلسل بـ" المُحَمَّدِيْنَ" أو اتفاق اسمائهم، كالمسلسل بالفقهاء أو الحفاظ أو اتفاق نِسْبَتِهِم كالدمشقيين أو المصريين.

٣ -المسلسل بصفات الرواية: وصفات الراوية إما أن تتعلق بصِيَغ الأداء، أو بزمن الرواية، أو مكانها:

-المسلسل بصِيَغ الأداء: مثل حديث مسلسل بقول كل من رواته "سمعت" أو "أخبرنا".

-المسلسل بزمان الرواية: كالحديث المسلسل بروايته يوم العِيد.

-المسلسل بمكان الرواية: كالحديث المسلسل بإجابة الدعاء في المُلْتَزِم.

●**أفضله:** ما دل على الاتصال في السماع وعدم التدليس.

●**من فوائده:** اشتماله على زيادة الضبط من الرواة.

●**هل يشترط وجود التسلسل في جميع الإسناد؟** لا يشترط ذلك، فقد ينقطع التسلسل في وسطه أو آخره، لكن يقولون في هذه الحالة:" هذا مسلسل إلى فلان".

●**ارتباط بين التسلسل والصحة:** فقَلَّمَا يسلم المسلسل من خلل في التسلسل، أو ضعف، وإن كان أصل الحديث صحيحاً من غير طريق التسلسل.

●**أشهر المصنفات فيه:** المُسَلْسَلات الكبرى للسيوطي، وقد اشتملت على/٨٥/ حديثاً. والمناهل السَّلْسَلَة في الأحاديث المُسلْسِلَة، لمحمد عبدالباقي الأيوبي، وقد اشتملت على/٢١٢/ حديثاً.

رواية الأكابر عن الأصاغر

●**تعريفه:** لغة: الأكابر جمع "أَكَبْرَ" والأصاغر جمع "أَصْغَر"، والمعنى: رواية الكبار عن الصغار. واصطلاحاً: رواية الشخص عمن هو دونه في السن والطبقة، أو في العلم والحفظ.

●**شرح التعريف:** أي أن يروي الراوي عن شخص هو أصغر منه سناً وأدنى طبقة، والدُّنُوُّ في الطبقة كراوية الصحابة عن التابعين ونحو ذلك. أو يروي عمن هو أقل منه علماً وحفظاً، كرواية عالم حافظ عن شيخ، ولو كان ذاك الشيخ كبيراً في السن، هذا وينبغي التنبه إلى أن الكِبَر في السن أو القِدَم في الطبقة وحده، أي بدون المساواة في العلم عمن يروي عنه لا يكفي لأن يُسَمَّي رواية أكابر عن أصاغر، والأمثلة التالية توضح ذلك.

●**أقسامه وأمثلتها:** يمكن تقسيم رواية الأكابر عن الأصاغر إلى ثلاثة أقسام: أ -أن يكون الراوي أكبر سناً وأقدم طبقة من المَرْوِيِّ عنه (مع العلم والحفظ أيضاً).

ب -أن يكون الراوي أكبر قَدْراً -لا سناً - من المروي عنه، كحافظ عالم عن شيخ كبير غير حافظ. مثل: رواية مالك عن عبدالله بن دينار. فمالك إمام حافظ، وعبدالله بن دينار شيخ راو فقط، وان كان أكبر سناً من مالك.

ت -أن يكون الراوي أكبر سناً وقَدْراً من المروي عنه، (أكبر وأعلم منه). مثل: رواية البَرْقاني عن الخطيب؛ فالبرقاني أكبر سنًّا من الخطيب، وأعظم قدراً منه؛ لأنه شيخه ومعلمه وأعلم منه.

●**من رواية الأكابر عن الأصاغر:**

أ -رواية الصحابة عن التابعين: كرواية العَبَادِلة وغيرهم عن كعب الأحبار.

ب -رواية التابعي عن تابِعِيِّهِ: كرواية يحيي بن سعيد الأنصاري عن مالك.

●**من فوائده:**

أ - إلا يُتَوَهَّم أنَّ المروِي عنه أفضل وأكبر من الراوي لكونه الأغلب.

ب - إلا يُظَنَّ أن في السند انقلاباً، لأن العادة جرت برواية الأصاغر عن الأكابر.

●**أشهر المصنفات فيه:** كتاب "ما رواه الكبار عن الصغار والآباء عن الأبناء" للحافظ أبي يعقوب اسحق بن إبراهيم الورَّاق المتوفى سنة ٤٠٣هـ.

رواية الآباء عن الأبناء

●**تعريفه:** أن يوجد في سند الحديث أَبٌ يروي الحديث عن ابنه.

● **مثاله:** حديث رواه العباس بن عبد المطلب عن أبنه الفضل أن رسول الله صلي الله عليه وسلم جمع بين الصلاتين بالمزدلفة.

●**من فوائده:** ألا يُظَنَّ أن في السند انقلاباً أو خطأ، لأن الأصل أن يروي الابن عن أبيه، وهذا النوع مع النوع الذي قبله يدل على تواضع العلماء، وأخْذِهِمُ العلم من أي شخص، وإن كان دونهم في القَدْر والسن.

●**أشهر المصنفات فيه:** كتاب "رواية الآباء عن الأبناء" للخطيب البغدادي.

رواية الأبناء عن الآباء

●**تعريفه:** أن يوجد في سند الحديث ابْنٌ يروي الحديث عن أبيه فقط، أو عن أبيه عن جده.

●**أهميته:** أهم هذا النوع ما لم يُسَمَّ فيه الأبُ أو الجَدُ؛ لأنه يحتاج إلى البحث لمعرفة اسمه.

●**أنواعه:**

أ -رواية الراوي عن أبيه فحسب (أي بدون الرواية عن الجَد) وهو كثير. مثاله: رواية أبي العُشَرَاء عن أبيه "اختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال، أشهرها أنه اسامه بن مالك".

ب -رواية الراوي عن أبيه عن جده، أو عن أبيه عن جده فما فوقه. مثاله: رواية عَمرو بن شُعَيْب عن أبيه عن جده. عمرو هذا نسبة هكذا"عمرو بن شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاصي" فجده عمرو هو محمد، لكن العلماء وجدوا من التتبع والاستقراء أن الضمير في "جده" يعود على شعيب فيكون المراد في "جده" عبدالله بن عمرو الصحابي المشهور.

●**من فوائده:**

أ -البحث لمعرفة اسم الأب أو الجَد إذا لم يُصَرَّحْ باسمه.

ب -بيان المراد من الجَدَّ، هل هو جَدَّ الابن أو جد الأب.

●**أشهر المصنفات فيه:**

أ -رواية الأبناء عن آبائهم، لأبي نصر عبيد الله بن سعيد الوائلي.

ب -جزء من روي عن أبيه عن جده، لابن أبي خَيْثَمَةَ.

ج -كتاب الوَشْيُ المعلم فيمن روى عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ، للحافظ العلائي.

المُدَبَّج ورواية الأقْران

●**تعريف الأقْران:** الأقران لغة: جمع قَرِين، بمعنى المَصَاحِب، كما في القاموس، واصطلاحاً: المتقاربون في السن والإسناد. والتقارب في الإسناد: أن يكونوا قد أخذوا عن شيوخ من طبقة واحدة.

●**تعريف رواية الأقران:** أن يروي أحد القريتين عن الآخر. مثل: رواية سليمان التَّيْمي عن مِسعَر بن كِدَام، فهما قرينان، لكن لا نعلم لِمسْعَرٍ رواية عن التَّيْمي.

●**تعريف المُدَبَّج:** لغة: اسم مفعول من "التَّدْبِيْج" بمعنى التزيين والتدبيج مشتق من دِيْباجَتي الوجه أي الخدين، وكأن المُدَبَّج سُمى بذلك لتساوي الراوي والمروي عنه، كما يتساوى الخَدَّان، واصطلاحاً: أن يروي القرينان كل واحد منهما عن الآخر.

●**أمثلة المدبج:** في الصحابة: في رواية عائشة عن أبي هريرة، ورواية أبي هريرة عن عائشة. في التابعين: رواية الزهري عن عمر بن عبدالعزيز ورواية عمر بن عبدالعزيز عن الزهري. في أتباع التابعين: رواية مالك عن الأوزاعي، ورواية الأوزاعي عن مالك .

●**من فوائده:**

أ -ألا يظن الزيادة في الإسناد؛ لأن الأصل أن يروي التلميذ عن شيخه، فإذا روى عن قرينه ربما ظن من لم يدرس هذا النوع أنَّ ذِكرَ القرين المروي عنه زيادة من الناسخ.

ب -ألا يظن إبدال "عن" بـ "الواو". أي ألا يتوهم السامع أو القارئ لهذا الإسناد أن أصل الرواية: حدثنا فلان وفلان، فأخطأ فقال، حدثنا فلان عن فلان.

●**أشهر المصنفات فيه:** أ - المدبج، للدارقطني . ب - رواية الأقران، لأبي الشيخ الأصبهاني.

الفوائد:

....

....

....

السَّابق واللاحق

●**تعريفه:** لغة: السابق اسم فاعل من "السَّبْق" بمعني المتقدم، واللاحق اسم فاعل من "اللَّحَاق" بمعنى المتأخر، والمراد بذلك الراوي المتقدم موتاً، والراوي المتأخر موتاً. واصطلاحاً: أن يشترك في الرواية عن شيخ اثنان تَبَاعد ما بين وفاتيهما. **ومثاله:**

أ -محمد بن إسحق السراج، ولد السراج سنة٢١٦هـ، وتوفي سنة ٣١٣وعاش٩٧ سنة، اشترك في الرواية عنه البخاري والخَفاف، وبين وفاتيهما مائة وسبع وثلاثون سنة أو أكثر، توفي البخاري سنة٢٥٦هـ،

وتوفي أبو الحسين أحمد بن محمد الخفاف النيسابوري سنة٣٩٣هـ، وقيل: أربع، وقيل: خمس وتسعون وثلاثمائة".

ب -الإمام مالك: اشترك في الرواية عنه الزهري وأحمد بن إسماعيل السَّهْمِي، وبين وفاتيهما مائة وخمس وثلاثون سنة، لأن الزهري توفي سنة ١٢٤، وتوفي السهمي سنة ٢٥٩. وتوضيح ذلك أن الزهري أكبر سناً من مالك؛ لأنه من التابعين، ومالك من أتباع التابعين، فرواية الزهري عن مالك تعتبر من باب رواية الأكابر عن الأصاغر كما مر، على حين أن السهمي أصغر سنًّا من مالك، هذا بالإضافة إلى أن السهمي عُمِّر طويلا، إذ بلغ عمره نحو مائة سنة، لذلك كان هذا الفرق الكبير بين وفاته ووفاة الزهري. وبتعبير أوضح فان الراوي السابق يكون شيخاً لهذا المروي عنه، والراوي اللاحق يكون تلميذاً له، ويعيش هذا التلميذ طويلاً.

●**من فوائده:** تقرير حلاوة علو الإسناد في القلوب، وألا يظن انقطاع سند اللاحق.

●**أشهر المصنفات فيه:** كتاب السابق واللاحق، للخطيب البغدادي.

الفوائد:

....

....

....

الفصل الثاني: معرفة الرواة -معرفة الصحابة

●**تعريف الصحابي:** الصحابة لغة: مصدر بمعنى الصحبة، ومنه الصحابي، والصاحب، ويجمع على أصحاب وصَحْب، وكثر استعمال "الصحابة" بمعنى الأصحاب. واصطلاحاً: من لقي النبي ﷺ مسلماً ومات على الإسلام، ولو تخللت ذلك ردة على الأصح.

●**أهميته وفائدته:** معرفة الصحابة علم كبير مهم عظيم الفائدة، ومن فوائده معرفة المتصل من المرسل.

●**تعرف الصُّحبة بأحد أمور خمسة:**

أ -التواتر: كأبي بكر وعمر، وبقية العشرة المبشرين بالجنة ﷺ. ب -الشهرة: كضِمَام بن ثَعْلَبة، وعُكاشة بن مِحْصَن. ج -إخبار صحابي. د -إخبار ثقة من التابعين. هـ - إخبارُه عن نفسه إن كان عَدْلا، وكانت دعواه مُمْكِنة "وذلك كأن يدعي الصحبة قبل مائة سنة من بعد وفاته ﷺ، أما إذا ادعاها في زمن متأخر فلا يقبل خبره مثل "رتن الهندي" فإنه ادعى الصحبة بعد الستمائة للهجرة، وهو في الحقيقة شيخ دجال كما قال عنه الذهبي في الميزان.

●**تعديل جميع الصحابة:** الصحابة ﷺ كلهم عدول، سواء من لابس الفتن منهم أو لا، وهذا بإجماع من يُعتد به. ومعنى عدالتهم: أي تجنبهم عن تعمد الكذب في الرواية والانحراف فيها، بارتكاب ما يوجب عدم قبولها، فينتج عن ذلك قبول جميع رواياتهم، من غير تكلُّف البحث عن عدالتهم، ومن لابس الفتن منهم يحمل أمره علي الاجتهاد المأجور فيه لكل منهم؛ تحسيناً للظن بهم؛ لأنهم حملة الشريعة وخير القرون.

●**أكثرهم حديثاً:** ستة من المكثرين، وهم علي التوالي:

أ -أبو هريرة: روى/ ٥٣٧٤ / حديثاً، وروى عنه أكثر من ثلاثمائة رجل. **ب** -ابن عمر: روى/٢٦٣٠/ حديثاً. **ت** -أنس بن مالك: روي /٢٢٨٦/ حديثاً. **ث** -عائشة أم المؤمنين: روت /٢٢١٠/ أحاديث. **ج** -ابن عباس: روى /١٦٦٠/ حديثاً. **ح** -جابر بن عبدالله: روى /١٥٤٠/ حديثاً.

أكثرهم فتيا: وأكثرهم فتيا تُروى هو ابن عباس، ثم كبار علماء الصحابة، وهم ستة كما قال مسروق:" انتهى علم الصحابة إلى ستة: عمر وعلي وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبي الدرداء وابن مسعود، ثم انتهى علم الستة إلى علي وعبد الله بن مسعود".

●**العبادلة:** المراد بالعبادلة بالأصل من اسمهم "عبدالله" من الصحابة، ويبلغ عددهم نحو ثلاثمائة صحابي، لكن المراد بهم هنا أربعة من الصحابة، وهم: عبدالله بن عمر، عبدالله بن عباس، عبدالله بن الزبير، عبدالله بن عمرو بن العاص. والميزة لهؤلاء أنهم من علماء الصحابة الذين تأخرت وفاتهم حتى احتيج إلى علمهم، فكانت لهم المزية والشهرة، فإذا اجتمعوا على شيء من الفتوى قيل هذا قول العبادلة.

●**عدد الصحابة:** ليس هناك إحصاء دقيق لعدد الصحابة، لكن هناك أقوال لأهل العلم يستفاد منها أنهم يزيدون على مائة ألف صحابي، وأشهر هذه الأقوال قول أبي زرعة الرازي:" قبض رسول الله ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة ممن روى عنه، وسمع منه" التقريب مع التدريب.

●**عدد طبقاتهم:** اختلف في عدد طبقاتهم، فمنهم من جعلها باعتبار السبق إلى الإسلام، أو الهجرة أو شهود المشاهد الفاضلة، ومنهم من قسمهم باعتبار آخر، فكل قسمهم حسب اجتهاده. فقسمهم ابن سعد خمس طبقات، وقسمهم الحاكم اثنتي عشرة طبقة.

●**أفضلهم:** أفضلهم علي الإطلاق أبو بكر الصديق ثم عمر رضي الله عنهما بإجماع أهل السنة، ثم عثمان ثم علي، علي قول جمهور أهل السنة، ثم تمام العشرة، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم أهل بيعة الرضوان.

●**أولهم إسلاماً:** من الرجال الأحرار: أبو بكر الصديق. ,من الصبيان: علي بن أبي طالب. ومن النساء: خديجة أم المؤمنين. ومن الموالي: زيد بن حارثة. ومن العبيد: بلال بن رباح ﷺ.

●**آخرهم موتاً:** أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي، مات سنة مائة بمكة المكرمة، وقيل أكثر من ذلك، ثم آخرهم موتاً قبله أنس بن مالك توفي سنة ثلاث وتسعين بالبصرة.

● **أشهر المصنفات فيه:** الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني. وأسد الغابة في معرفة الصحابة، لعلي بن محمد الجزري المشهور بابن الأثير. والاستيعاب في أسماء الأصحاب، لابن عبد البر.

معرفة التابعين

●**تعريف التابعي:** لغة: التابعون جمع تابعي أو تابع، والتابع اسم فاعل من "تبعه" بمعنى مشى خلفه. واصطلاحاً: هو من لقي صحابيًّا مسلمًا، ومات على الإسلام، وقيل هو من صحب الصَّحابي.

●**من فوائده:** تمييز المرسل من المتصل.

●**طبقات التابعين:** اختلف في عدد طبقاتهم، فقسمهم العلماء كل حسب وجهته: أ -جعلهم مسلم ثلاث طبقات. ب -وجعلهم ابن سعد أربع طبقات. ج -وجعلهم الحاكم خمس عشرة طبقة، الأولى منها من أدرك العشرة من الصحابة.

●**المخضرمون:** واحدهم "مخضرم". والمخضرم: هو الذي أدرك الجاهلية وزمن النبي ﷺ ولم يره. والمخضرمون من التابعين على الصحيح. وعدد المخضرمين نحو عشرين شخصاً، كما عدهم الإمام مسلم، والصحيح أنهم أكثر من ذلك، ومنهم أبو عثمان النهدي، والأسود بن يزيد النخعي.

●**الفقهاء السبعة:** من أكابر التابعين الفقهاء السبعة، وهم كبار علماء التابعين، وكلهم من أهل المدينة وهم:" سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد، وعروة بن الزبير، وخارجة بن زيد، وأبو سلمة بن عبدالرحمن، وعبيد الله بن عبدالله بن عتبة، وسليمان بن يسار". جعل ابن المبارك "سالم بن عبدالله بن عمر" بدل "أبي سلمة" وجعل أبو الزناد بدلهما أي بدل "سالم وأبي سلمة" "أبا بكر بن عبد الرحمن".

●**أفضل التابعين:** هناك أقوال للعلماء في أفضلهم، والمشهور أن أفضلهم سعيد بن المسيب، وقال أبو عبدالله محمد بن خفيف الشيرازي:" أهل المدينة يقولون: أفضل التابعين سعيد بن المسيب. وأهل الكوفة يقولون: أويس القرني. وأهل البصرة يقولون: الحسن البصري.

●**أفضل التابعيات:** قال أبو بكر بن أبي داود:" سيدتا التابعيات حفصة بنت سيرين، وعَمْرَة بنت عبدالرحمن، وتليهما أم الدرداء". أم الدرداء هذه هي أم الدرداء الصغرى، واسمها هجيمة ويقال جهيمة، وهي زوجة أبي الدرداء، وأم الدرداء الكبرى هي زوجة أبي الدرداء أيضاً، واسمها خيرة، ولكنها صحابية.

●**أشهر المصنفات فيه:** كتاب "معرفة التابعين" لأبي المطرف بن فطيس الأندلسي.

معرفة الأخوة والأخوات

●**توطئة:** هذا العلم هو إحدى معارف أهل الحديث التي اعتنوا بها وأفردوها بالتصنيف، وهو معرفة الأخوة والأخوات من الرواة في كل طبقة، وإفراد هذا النوع بالبحث والتصنيف يدل على مدي اهتمام علماء الحديث بالرواة، ومعرفة أنسابهم وإخوتهم، وغير ذلك، كما سيأتي من الأنواع بعده.

●**من فوائده:** من فوائده ألا يظن من ليس بأخ أخاً عند الاشتراك في اسم الأب. مثل:" عبدالله بن دينار" و "عمرو بن دينار" فالذي لا يدري يظن أنهما أخوان مع أنهما ليسا بأخوين، وإن كان اسم أبيهما واحداً.

●**أمثلة:** مثال للاثنين: في الصحابة، عمر وزيد ابنا الخطاب. ومثال للثلاثة: في الصحابة، علي وجعفر وعقيل بنو أبي طالب. ومثال للأربعة: في أتباع التابعين، سهيل وعبدالله ومحمد وصالح بنو أبي صالح. ومثال للخمسة: في أتباع التابعين، سفيان وآدم وعمران ومحمد وإبراهيم بنو عيينة. ومثال الستة: في التابعين، محمد وأنس ويحيى ومعبد وحفصة وكريمة بنو سيرين. ومثال السبعة: في الصحابة، النعمان ومعقل وعقيل وسريد وسنان وعبدالرحمن وعبدالله بنو مقرن. وهؤلاء السبعة كلهم صحابة مهاجرون لم يشاركهم في هذه المكرمة أحد "أي لم يوجد سبعة أخوة من الصحابة كلهم مهاجرون إلا هؤلاء الأخوة السبعة"، وقيل إنهم حضروا غزوة الخندق كلهم.

●**أشهر المصنفات فيه:** كتاب الأخوة لأبي المطرف بن فطيس الأندلسي، كتاب الأخوة لأبي العباس السراج. (السراج نسبة لعمل السروج، وكان من أجداده من يعملها، وهو أبو العباس محمد بن إسحق بن إبراهيم الثقفي مولاهم، محدث عصره بنيسابور، وروى عنه الشيخان، وتوفي سنة ٣١٣هـ).

الفوائد:

....

....

....

المُتفِق المُفْتَرِق

●**تعريفه:** لغة: المُتفق: اسم فاعل من (الاتفاق)، والمُفترق: اسم فاعل من "الافتراق" ضد الاتفاق. واصطلاحاً: أن تتفق أسماء الرواة وأسماء آبائهم فصاعداً خطاً ولفظاً، وتختلف أشخاصهم، ومن ذلك أن تتفق أسماؤهم وكناهم، أو أسماؤهم ونسبتهم، ونحو ذلك. وأما الاتفاق في الاسم فقط، فالإشكال فيه قليل نادر، والتعريف إنما يكون على الغالب الذي هو مثال الاشكار، ويذكر ذلك في المطولات، وهو إلى نوع المهمل أقرب.

●**أمثلة:** الخليل بن أحمد: ستة أشخاص اشتركوا في هذا الاسم، أولهم شيخ سيبويه. أحمد بن جعفر بن حمدان: أربعة أشخاص في عصر واحد. عمر بن الخطاب: ستة أشخاص.

●**أهميته وفائدته:** معرفة هذا النوع مهم جداً، فقد زلق بسبب الجهل به غير واحد من أكابر العلماء. ومن فوائده: أ -عدم ظن المشتركين في الاسم واحداً، مع أنهم جماعة. وهو عكس "المُهمل" الذي يُخشى منه أن يُظن الواحد اثنين. ب -التمييز بين المشتركين في الاسم، فربما يكون أحدهما ثقة والآخر ضعيفاً، فيضعف ما هو صحيح أو بالعكس.

●**متى يَحْسُنُ إيرادهُ؟** ويحسن إيراد المثال فيما إذا اشترك الراويان أو الرواة في الاسم، وكانوا في عصر واحد، واشتركوا في بعض الشيوخ أو الرواة عنهم، أما إذا كانوا في عصور متباعدة فلا إشكال في أسمائهم.

●**أشهر المصنفات فيه:** كتاب "المُتَّفِق والمُفْترِق" للخطيب البغدادي، وهو كتاب حافل نفيس، يوجد منه نسخة مخطوطة غير كاملة في استانبول، مكتبة أسعد أفندي، وهي من أول الجزء العاشر إلى آخر الجزء الثامن عشر، وهو آخر الكتاب، ويوجد قسم منه عند الشيخ عبدالله بن حميد من أول الجزء الثالث إلى نهاية الجزء التاسع. وكتاب "الأنساب المتفِقة" للحافظ محمد بن طاهر المتوفى سنة ٥٠٧هـ وهو لنوع خاص من المتفق.

الفوائد:

....

....

....

المُؤْتَلف والمُخْتَلف

●**تعريفه:** لغة: المُؤتلف اسم فاعل من الائتلاف، بمعنى الاجتماع والتلاقي، وهو ضد النُفْرة. والمُخْتَلِف اسم فاعل من "الاختلاف" ضد الاتفاق. واصطلاحاً: أن تتفق الأسماء أو الألقاب أو الكُنى أو الأنساب خطاً، وتختلف لفظاً، سواء كان مرجع الاختلاف في اللفظ النقط أو الشكل.

●**أمثلته:** أ -"سَلام" و"سَلاَّم" الأول بتخفيف اللام، والثاني بتشديد اللام. ب -"مِسْوَر" و"مُسَوَّر" الأول بكسر الميم وسكون السين وتخفيف الواو. والثاني بضم الميم وفتح السين وتشديد الواو. ج - "البَزَّاز" و"البَزَّار" الأول آخره زاي، والثاني آخره راء. د -"الثَّوْري" و"التَّوَّزي" الأول بالثاء والراء، والثاني بالتاء والزاي.

●**هل له ضابط؟**

أ -أكثره لا ضابط له، لكثرة انتشاره، وإنما يُضبط بالحفظ كل اسم بمفرده.

ب -ومنه ما له ضابط، وهو قسمان:

-ما له ضابط بالنسبة لكتاب خاص أو كتب خاصة، مثل أن نقول: إن كل ما وقع في الصحيحين والموطأ "يَسَار" فهو بالمثناة ثم المهملة إلا محمد بن "بشار" فهو بالموحدة ثم المعجمة.

-ما له ضابط على العموم: أي لا بالنسبة لكتاب أو كتب خاصة. مثل أن نقول "سلام" كله مشدد اللام إلا خمسة، ثم نذكر تلك الخمس.

●**أهميته وفائدته:**

معرفة هذا النوع من مهمات علم الرجال، حتى قال على بن المديني "أشد التصحيف ما يقع في الأسماء" لأنه شيء لا يدخله القياس، ولا قبله شيء يدل عليه ولا بعده، انظر النخبة ص ٦٨.

وفائدته تكمن في تجنب الخطأ وعدم الوقوع فيه.

●**أشهر المصنفات فيه:** المُؤْتلف والمُخْتلف" لعبد الغني بن سعيد "الإِكْمَال" لابن ماكُولا، وذيله، لأبي بكر بن نُقطة.

المُتَشَابه

وهو يتركب من النوعين قبله، أي من نوعي" المتفق والمفترق" و" المؤتلف والمختلف".

● **تعريفه:** لغة: اسم فاعل من "التشابه" بمعنى "التماثل"، ويراد بالمتشابه هنا "الملتبس" ومنه " المتشابه" من القرآن أي الذي يلتبس معناه، واصطلاحاً: أن تتفق أسماء الرواة لفظاً وخطاً، وتختلف أسماء الآباء لفظاً لا خطاً، أو بالعكس. كأن تختلف أسماء الرواة نطقاً، وتتفق أسماء الآباء خطاً ونطقاً.

●**أمثلته:**

أ -"محمد بن عُقيل" بضم العين و"محمد بن عَقيل" بفتح العين، اتفقت أسماء الرواة، واختلفت أسماء الأبناء.

ب -"شريح بن النعمان" و"سريح بن النعمان" اختلفت أسماء الرواة، واتفقت أسماء الآباء.

●**فائدته:** تكمن فائدته في ضبط أسماء الرواة، وعدم الالتباس في النطق بها، وعدم الوقوع في التصحيف والوهم.

●**أنواع أخرى من المتشابه:** هناك أنواع أخرى من المتشابه، أذكر أهمها:

أ -أن يحصل الاتفاق في الاسم واسم الأب إلا في حرف أو حرفين مثل: محمد بن حُنَين" و"محمد بن جُبَيْر".

ب -أو يحصل الاتفاق في الاسم واسم الأب خطاً ولفظاً، لكن يحصل الاختلاف في التقديم والتأخير. إما في الاسمين جملة مثل: "الأسود بن يزيد" و"يزيد بن الأسود"، وهذا النوع يسميه بعضهم "المشتبه المقلوب". وهو مما يقع فيه الاشتباه في الذهن، لا في الخط. وربما انقلب اسمه على بعض الرواة، وقد صنف الخطيب في هذا النوع كتاباً سماه "رافع الارتياب في المقلوب من الأسماء والأنساب". أو في بعض الحروف مثل: "أيوب بن يسار" و"أيوب ابن يسار".

●**أشهر المصنفات فيه:**

أ -"تلخيص المتشابه في الرَّسم، وحماية ما أَشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم" للخطيب البغدادي.

ب -"تالي التلخيص" للخطيب أيضاً، وهو عبارة عن تتمة أو ذيل للكتاب السابق، وهما كتابان نفيسان لم يُصنف مثلهما في هذا الباب، توجد منهما نسختان كاملتان في دار الكتب المصرية وعندي صورة عنهما.

الفوائد:

....

....

....

المُهْمَل

●**تعريفه:** لغة: اسم مفعول من "الإهمال" بمعنى "الترك"، كأن الراوي ترك الاسم بدون ذكر ما يميزه عن غيره. واصطلاحاً: أن يروي الراوي عن شخصين متفقين في الاسم فقط أو مع اسم الأب أو نحو ذلك، ولم يتميزا بما يَخُص كل واحد منهما.

●**متى يَضُرُّ الإهمال؟** إن كان أحدهما ثقة والآخر ضعيفاً، لأنه لا ندرى من الشخص المروي عنه هنا، فربما كان الضعيف منهما، فيضعف الحديث. أما إذا كانا ثقتين، فلا يضر الإهمال بصحة الحديث، لأن أياً منهما كان المروي عنه فالحديث صحيح.

●**مثاله:** إذا كانا ثقتين: ما وقع للبخاري من روايته عن "أحمد". غير منسوب. عن ابن وهب فإنه إما أحمد بن صالح أو أحمد بن عيسي، وكلاهما ثقة. إذا كان أحدهما ثقة والآخر ضعيفاً: "سليمان بن داود" و "سليمان بن داود" فان كان "الخولاني" فهو ثقة . وان كان "اليمامي" فهو ضعيف.

●**الفرق بينه وبين المُبهم:** والفرق بينهما أن المُهْمل ذُكر اسمه والْتَبَسَ تعيينه، والمُبْهم لم يُذكر اسمه.

●**أشهر المصنفات فيه:** كتاب "المُكمل في بيان المُهْمل" للخطيب.

معرفة المُبهمات

●**تعريفه:** لغة: المُبَهمات جمع "مُبْهَم" وهو اسم مفعول من "الإبْهام" ضد الإيضاح. واصطلاحاً: هو من أُبْهم اسمه في المتن أو الإسناد من الرواة أو ممن له علاقة بالرواية.

●**من فوائد بحثه:** فإن كان الإبهام في السند: معرفة الراوي إن كان ثقة أو ضعيفاً للحكم على الحديث بالصحة أو الضعف. وإن كان في المتن: فله فوائد كثيرة أبرزها معرفة صاحب القصة أو السائل حتى إذا كان في الحديث منقبة له عرفنا فضله، وان كان عكس ذلك، فيحصل بمعرفته السلامة من الظن بغيره من أفاضل الصحابة.

●**كيف يُعْرَف المُبهم؟** يعرف بأحد أمرين : بوروده مُسَمى في بعض الروايات الأخرى. بتنصيص أهل السير على كثير منه.

●**أقسامه:** يقسم المُبْهم بحسب شدة الإبهام أو عدم شدته إلى أربعة أقسام، وأبدأ بأشدها إبهاماً:

- رجل أو امرأة: كحديث ابن عباس أن "رجلا" قال يا رسول الله، الحج كل عام؟ هذا الرجل هو الأقرع ابن حابس.

- الابن والبنت: ويلحق به الأخ والأخت وابن الأخ وابن الأخت وبنت الأخ وبنت الأخت، كحديث أم عطية في غسل "بنت" النبي ﷺ بماء وسِدْر هي زينب رضي الله عنهما.

- العم والعم: ويلحق به الخال والخالة وابن أو بنت العم والعمة وابن أو بنت الخال والخالة، كحديث رافع بن خديج عن "عمه" في النهي عن المُخَابَرَة، اسم عمه ظُهَير بن رافع، وكحديث "عمة" جابر التي بكت أباه لما قُتل يوم أُحُد، اسم عمته فاطمة بنت عمرو.

- الزوج والزوجة: كحديث الصحيحين في وفاة "زوج" سُبَيعة، اسم زوجها سعد بن خَوْلَة وكحديث "زوجة" عبد الرحمن بن الزبير التي كانت تحت رفاعة القُرظي، فطلقها، اسمها تميمة بنت وهب.

●**أشهر المصنفات فيه:** صنف في هذا النوع عدد من العلماء، منهم عبد الغني بن سعيد والخطيب والنووي، وأحسنها وأجمعها كتاب "المُسْتَفاد من مبهمات المتن والإسناد" لولي الدين العراقي.

معرفة الوُحْدان

●**تعريفه:** لغة: الوُحْدان بضم الواو جمع واحد، واصطلاحًا: هم الرواة الذين لم يروِ عن كل واحد منهم إلا راوٍ واحدٌ.

●**فائدته:** معرفة مجهول العين، ورد روايته إذا لم يكن صحابياً.

●**أمثلته:** من الصحابة: عروة بن مُضَرِس، لم يرو عنه غير الشعبي، والمسيب بن حزن، لم يرو عنه غير ابنه سعيد. ومن التابعين: أبو العُشَراء، لم يرو عنه غير حماد بن سلمة.

●**هل أخرج الشيخان في صحيحيهما عن الوُحْدان؟**

أ -ذكر الحاكم في "المَدْخَل" أن الشيخين لم يخرجا من رواية هذا النوع شيئاً.

ب -لكن جمهور المحدثين قالوا إن في الصحيحين أحاديث كثيرة عن الوُحْدان من الصحابة، منها: حديث "المُسَيب" في وفاة أبي طالب، أخرجه الشيخان. وحديث "قيس بن أبي حازم" عن "مرداس الأسلمي" يذهب الصالحون الأول فالأول، ولا راوي "لمرداس" غير قيس. والحديث أخرجه البخاري.

●**أشهر المصنفات فيه:** كتاب "المنفردات والوُحْدان" للإمام مسلم.

معرفة من ذكر بأسماء أو صفات مختلفة

●**تعريفه:** هو راو وُصِف بأسماء أو ألقاب أو كنى مختلفة، من شخص واحد أو من جماعة. **ومثاله:**" محمد بن السائب الكلبي" سماه بعضهم "أبا النضر" وسماه بعضهم "حماد بن السائب" وسماه بعضهم "أبا سعيد ".

●**من فوائده:** أ -عدم الالتباس في أسماء الشخص الواحد، وعدم الظن بأنه أشخاص متعددون.

ب -كشف تدليس الشيوخ.

●**استعمال الخطيب كثيراً من ذلك في شيوخه:** فيروي في كتبه مثلا عن أبي القاسم الأزهري، وعن عبيد الله بن أبي الفتح الفارسي، وعن عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي، والكل واحد.

●**أشهر المصنفات فيه:** أ -إيضاح الإشكال، للحافظ عبد الغني بن سعيد. ب -موضح أوهام الجمع والتفريق، للخطيب البغدادي.

معرفة المفردات من الأسماء والكنى والألقاب

●**المراد بالمفردات:** أن يكون لشخص من الصحابة أو الرواة عامة أو أحد العلماء اسم أو كنية أو لقب لا يشاركه فيه غيره من الرواة والعلماء، وغالبًا ما تكون تلك المفردات أسماء غريبة يصعب النطق بها.

●**فائدة معرفته:** عدم الوقوع في التصحيف والتحريف في تلك الأسماء المفردة الغريبة.

●**أمثلته:**

أ -الأسماء: من الصحابة:" أجمد بن عجيان" كسفيان، أو كعليان، و"سندر" بوزن جعفر. من غير الصحابة:" أوسط" بن عمرو، "ضريب" ابن نقير بن سمير.

ب -الكنى: من الصحابة: "أبو الحمراء" مولى رسول الله ﷺ، واسمه هلال بن الحارث. من غير الصحابة: "أبو العبيدين" واسمه معاوية ابن سبرة.

ج -الألقاب: من الصحابة: "سفينة" مولى رسول الله ﷺ، واسمه مهران. من غير الصحابة: "مَنْدَل" واسمه عمرو بن علي الغزي الكوفي.

●**أشهر المصنفات فيه:** أفرده بالتصنيف الحافظ أحمد بن هارون البرديجي في كتاب سماه "الأسماء المفردة". ويوجد في أواخر الكتب المصنفة في تراجم الرواة كثير منه، ككتاب "تقريب التهذيب" لابن حجر.

معرفة أسماء من اشتهروا بكناهم

●**المراد بهذا البحث:** المراد بهذا البحث أن نفتش عن أسماء من اشتهروا بكناهم حتى نعرف الاسم غير المشهور لكل منهم.

●**من فوائده:** وفائدة معرفة هذا البحث هو ألا يظن الشخص الواحد اثنين، إذ ربما يذكر هذا الشخص مرة باسمه غير المشهور، ومرة بكنيته التي اشتهر بها. فيشتبه الأمر على من لا معرفة له بذلك فيظنه شخصين، وهو شخص واحد.

●**طريقة التصنيف فيه:** المصنف في الكنى يبوب تصنيفه على ترتيب حروف المعجم في الكنى، ثم يذكر أسماء أصحابها، فمثلا يذكر في باب الهمزة "أبا إسحق" ويذكر اسمه، وفي باب الباء "أبا بشر" ويذكر اسمه، وهكذا.

●**أقسام أصحاب الكنى وأمثلتها:**

أ -من اسمه كنيته، ولا اسم له غيرها، كأبي بلال الأشعري، اسمه وكنيته واحد.

ب -من عرف بكنيته، ولم يُعرف أله اسم أم لا؟ كـ "أبي أناس" صحابي.

ج -من لقب بكنية، وله اسم وله كنية غيرها: كـ "أبي تراب" وهو لقب لعلي بن أبي طالب، وكنيته أبو الحسن.

د -من له كنيتان أو أكثر: كـ "ابن جريج" يكني بأبي الوليد وأبي خالد.

هـ -من اختلف في كنيته: كـ "أسامة بن زيد" قيل "أبو محمد" وقيل "أبو عبدالله" وقيل "أبو خارجة".

و -من عرفت كنيته واختلف في اسمه: كـ "أبي هريرة" اختلف في اسمه واسم أبيه على ثلاثين قولا، أشهرها أنه "عبد الرحمن بن صخر".

ز -من اختلف في اسمه وكنيته: كـ "سفينة" قيل اسمه "عُمير" وقيل "صالح" وقيل "أبو البختري".

ح -من عرف باسمه وكنيته، واشتهر بهما معاً: كآباء عبدالله "سفيان الثوري، ومالك، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل"، وكأبي حنيفة النعمان بن ثابت.

ط -من اشتهر بكنيته مع معرفة اسمه: كـ "أبي إدريس الخولاني" اسمه عائذ الله.

ي -من اشتهر باسمه مع معرفة كنيته: كـ "طلحة بن عبيد الله التيمي" و "عبد الرحمن بن عوف" و"الحسن بن علي بن أبي طالب" كنيتهم جميعاً "أبو محمد".

●**أشهر المصنفات فيه:** لقد صنف العلماء في الكني مصنفات كثيرة، وممن صنف فيه علي بن المديني ومسلم والنسائي، وأشهر هذه المصنفات المطبوعة: كتاب "الكني والأسماء" للدولابي أبي بشر محمد بن احمد المتوفى سنة ٣١٠هـ.

معرفة الألقاب

●**تعريفه لغة:** الألقاب جمع لقب، واللقب كل وصف أشعر برفعة أو ضعة، أو ما دل علي مدح أو ذم

.**والمراد بهذا البحث:** هو التفتيش والبحث عن ألقاب المحدثين ورواة الحديث لمعرفتها وضبطها.

●**فائدته:** وفائدة معرفة الألقاب أمران:

أ -عدم ظن الألقاب أسامي، واعتبار الشخص الذي يُذْكَر تارة باسمه، وتارة بلقبه شخصين، وهو شخص واحد.

ب -معرفة السبب الذي من أجله لقب هذا الراوي بذاك اللقب، فيعرف عندئذ المراد الحقيقي من اللقب الذي يخالف في كثير من الأحيان معناه الظاهر.

●**أقسامه:** الألقاب قسمان: أ -لا يجوز التعريف به: وهو ما يكرهه الملقب به.

ب -يجوز التعريف به: وهو مالا يكرهه الملقب به.

●**أمثلته:**

أ -"الضال" لقب لمعاوية بن عبدالكريم الضال، لُقب به؛ لأنه ضل في طريق مكة.

ب -"الضعيف": لقب عبدالله بن محمد الضعيف، لُقب به؛ لأنه كان ضعيفاً في جسمه لا في حديثه. قال عبد الغني ابن سعيد:" رجلان جليلان لزمهما لقبان قبيحان، الضال والضعيف".

ج -"غندر" ومعناه المُشَغب في لغة أهل الحجاز، وهو لقب محمد بن جعفر البصري صاحب شعبة، وسبب تلقيبه بهذا اللقب أن ابن جريج قدم البصرة، فحدث بحديث عن الحسن البصري، فأنكروه عليه، فقال له "اسكت يا غندر".

د -"غنجار": لقب عيسى بن موسي التيمي، لُقب بـ "غنجار" لحمرة وجنتيه.

هـ -"صاعقة": لقب محمد بن إبراهيم الحافظ روى عنه البخاري، ولقب بذلك لحفظه وشدة مذاكرته.

و -"مُشْكُدَانة": لقب عبدالله بن عمر الأموي، ومعناه بالفارسية "حبة المسك أو وعاء المسك".

ز -"مُطَين": لقب أبي جعفر الحضرمي، ولُقِّب به؛ لأنه كان وهو صغير يلعب مع الصبيان في الماء، فيُطينون ظهره، فقال له أبو نُعَيم: يا مُطَين لم لا تحضر مجلس العلم؟

●**أشهر المصنفات فيه:** صنف في هذا النوع جماعة من العلماء المتقدمين والمتأخرين، وأحسن هذه الكتب وأخصرها كتاب "نزهة الألباب" للحافظ ابن حجر.

معرفة المنسوبين إلى غير آبائهم

●**المراد بهذا البحث:** معرفة من اشتهر نسبه إلى غير أبيه، من قريب، كالأم والجد، أو غريب، كالمربي ونحوه، ثم معرفة اسم أبيه.

●**فائدته:** دفع توهم التعدد عند نسبتهم إلى آبائهم.

●**أقسامه وأمثلتها:** من نُسِبَ إلى أمه: مثل: مُعاذ ومُعوذ بنو عَفْراء، وأبوهم الحارث. ومثل بلال بن حمامة، أبوه رباح، ومحمد بن الحنفية، أبوه علي بن أبي طالب. من نُسِبَ إلى جدته: العليا أو الدنيا، مثل يَعْلَي بن منية، ومنية أم أبيه، وأبوه أمية، بشير بن الخصاصية، وهي أم الثالث من أجداده، وأبوه مَعْبَد. من نُسِبَ إلى جده: مثل أبو عُبيدة بن الجراح، اسمه عامر بن عبدالله بن الجراح. أحمد بن حنبل، هو أحمد بن محمد بن حنبل.

من نُسِبَ إلى أجنبي لسبب: مثل المقداد بن عمرو الكندي، يقال له المقداد بن الأسود، لأنه كان في حِجْر الأسود بن عبد يغوث، فتبناه.

●**أشهر المصنفات فيه:** لا أعرف مصنفاً خاصاً في هذا الباب، لكن كتب التراجم عامة، تذكر نسب كل راو، لاسيما كتب التراجم الموسعة

معرفة النسب التي على خلاف ظاهرها

●**تمهيد:** هناك عدد من الرواة نسبوا إلى مكان أو غزوة أو قبيلة أو صنعة، ولكن الظاهر المتبادر إلى الذهن من تلك النسب ليس مراداً، والواقع أنهم نسبوا إلى تلك النسب لعارض، عرض لهم من نزولهم ذلك المكان أو مجالستهم أهل تلك الصَّنعة، ونحو ذلك.

●**فائدة هذا البحث:** وفائدة هذا البحث هو معرفة أن هذه النسب ليست حقيقية، وإنما نسب إليها صاحبها لعارض، ومعرفة العارض أو السبب الذي من أجله نسب إلى تلك النسبة.

●**أمثلة:** أ-أبو مسعود البدري، لم يشهد بدراً، بل نزل فيها، فنسب إليها. ب -يزيد الفقير، لم يكن فقيراً، وإنما أصيب في فقار ظهره. ج -خالد الحذَّاء، لم يكن حذاء، وإنما كان يجالس الحذَّائين.

●**أشهر المصنفات في الأنساب:** كتاب "الأنساب" للسمعاني، وقد لخصه ابن الأثير في كتاب سماه "اللباب في تهذيب الأنساب" ولخص الملخص هذا السيوطي في كتاب سماه "لُبُّ اللباب".

معرفة تواريخ الرواة

●**تعريفه:** لغة: تواريخ جمع تاريخ، وهو مصدر "أَرَّخَ"، وسهلت الهمزة فيه. واصطلاحاً: هو التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من المواليد والوفيات والوقائع وغيرها.

●**المراد به هنا:** معرفة تاريخ مواليد الرواة وسماعهم من الشيوخ، وقدومهم لبعض البلاد، ووفياتهم.

●**أهميته وفائدته:** هو فن مهم، قال سفيان الثوري:" لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ"، ومن فوائده معرفة اتصال السند أو انقطاعه. وقد ادعى قوم الرواية عن قوم فنظر في التاريخ، فظهر أنهم زعموا الرواية عنهم بعد وفاتهم بسنين.

●**أمثلة من عيون التاريخ:**

أ – الصحيح في سن سيدنا محمد ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ثلاث وستون. وقُبض رسول الله ﷺ ضحى الاثنين لثنتي عشرة خلت من ربيع الأول سنة ١١ هـ. وقُبض أبو بكر رضي الله عنه في جُمادي الأولى سنة ١٣هـ. وقُبض عمر رضي الله عنه في ذي الحجة سنة ٢٣ هـ. وقُتل عثمان رضي الله عنه في ذي الحجة سنة ٣٥هـ وعمره/٨٢/ سنة، وقيل ابن /٩٠/ سنة. وقُتل علي رضي الله عنه في شهر رمضان سنة ٤٠ هـ، وهو ابن/ ٦٣ /سنة

ب –صحابيان عاشا ستين سنة في الجاهلية وستين في الإسلام، وماتا بالمدينة سنة /٥٤/، وهما: حكيم بن حزام وحسان بن ثابت.

ج –أصحاب المذاهب المتبوعة: النعمان بن ثابت: (أبو حنيفة) ولد سنة ٨٠، وتوفي سنة ١٥٠. مالك بن أنس ولد سنة ٩٣، وتوفي سنة ١٧٩. محمد بن إدريس الشافعي ولد سنة ١٥٠، وتوفي سنة ٢٠٤. احمد بن حنبل ولد سنة ١٦٤، وتوفي سنة ٢٤١.

د –أصحاب كتب الحديث المعتمدة: محمد بن إسماعيل البخاري ولد سنة ١٩٤، وتوفي سنة ٢٥٦. مسلم بن الحجاج النيسابوري ولد سنة ٢٠٤، وتوفي سنة ٢٦١. أبو داود السجستاني ولد سنة ٢٠٢، وتوفي سنة ٢٧٥. أبو عيسى الترمذي اختلف في سنة ولادته، وأكثر المؤرخين لم يحددوا السنة التي ولد فيها وإنما ذكروا أن ولادته كانت في العقد الأول من القرن الثالث، لكن بعض المتأخرين ذكروا أنه ولد سنة ٢٠٩ هـ منهم شارح الشمائل محمد بن قاسم جسوس، وتوفي سنة ٢٧٩. أحمد بن شعيب النسائي ولد سنة ٢١٤، وتوفي سنة ٣٠٣. ابن ماجه القزويني ولد سنة ٢٠٧، وتوفي سنة ٢٧٥.

●**أشهر المصنفات فيه:** كتاب "الوَفَيَات" لابن زَبْر محمد بن عبيد الله الربعي محدث دمشق المتوفى سنة ٣٧٩هـ، وهو مرتب على السنين. ذيول على الكتاب السابق منها للكتاني ثم للأكفاني ثم للعراقي، وغيرهم.

معرفة من اُخْتُلِطَ من الثقات

●**تعريف الاختلاط:** الاختلاط لغة: فساد العقل، واصطلاحاً: فساد العقل، أو عدم انتظام الأقوال بسبب خَرَف أو عَمَي أو احتراق كتب أو غير ذلك.

●**أنواع المُخْتَلَطين:** من اختلط بسبب الخَرَف: مثل عطاء بن السائب الثقفي الكوفي. ومن اختلط بسبب ذهاب البصر: مثل عبد الرزاق بن همام الصنعاني، فكان بعد أن عَمِيَ يُلَقَّنُ فَيَتَلَقَّنُ. ومن اختلط بأسباب أخرى: كاحتراق الكتب، مثل عبدالله بن لهيعة المصري.

●**حكم رواية المختلط:**

أ -يقبل منها ما روي عنه قبل الاختلاط.

ب -لا يقبل منها ما روي عنه بعد الاختلاط، وكذا ما شُك فيه أنه قبل الاختلاط أو بعده.

●**أهميته وفائدته:** هو فن مهم جداً، وتكمن فائدته في تمييز أحاديث الثقة التي حدث بها بعد الاختلاط لردها وعدم قبولها.

●**هل أخرج الشيخان في صحيحيهما عن ثقات أصابهم الاختلاط؟** نعم، ولكن مما عُرف أنهم حدثوا به قبل الاختلاط.

●**أشهر المصنفات فيه:** صنف فيه عدد من العلماء، كالعلائي والحازمي، ومن هذه المصنفات كتاب "الاغتباط بمن رُمي بالاختلاط" للحافظ إبراهيم بن محمد سِبْط ابن العجمي المتوفى سنة ٨٤١هـ.

معرفة طبقات العلماء والرواة

●**تعريف الطبقة:** لغة: القوم المتشابهون، واصطلاحاً: قوم تقاربوا في السن والإسناد أو في الإسناد فقط. ومعنى التقارب في الإسناد: أن يكون شيوخ هذا هم شيوخ الآخر أو يقاربوا شيوخه.

●**من فوائد معرفته:**

أ - الأمن من تداخل المتشابهين في اسم أو كنية ونحو ذلك، لأنه قد يتفق اسمان في اللفظ فيظن أن أحدهما هو الآخر، فيتميز ذلك بمعرفة طبقاتهما.

ب -الوقوف على حقيقة المراد من العنعنة.

●**قد يكون الراويان من طبقة باعتبار، ومن طبقتين باعتبار آخر:** مثل أنس بن مالك وشبهه من أصاغر الصحابة، فهم مع العشرة في طبقة واحدة باعتبار أنهم كلهم صحابة، وعلى هذا فالصحابة

كلهم طبقة واحدة. وباعتبار السوابق إلى الدخول في الإسلام، تكون الصحابة بضع عشرة طبقة كما تقدم في نوع "معرفة الصحابة" فلا يكون أنس بن مالك وشبهه في طبقة العشرة من الصحابة.

●**ماذا ينبغي على الناظر فيه:** ينبغي على الناظر في علم الطبقات أن يكون عارفاً بمواليد الرواة ووفياتهم، ومن رووا عنه، ومن روى عنهم.

●**أشهر المصنفات فيه:**

أ -كتاب "الطبقات الكبرى" لابن سعد. **ب** -كتاب "طبقات القراء" لأبي عمرو الداني. **ج** - كتاب "طبقات الشافعية الكبرى" لعبد الوهاب السبكي. **د** -تذكرة الحفاظ للذهبي.

معرفة الموالي من الرواة والعلماء

●**تعريف المولى:** لغة: الموالي جمع مولى، والموالي من الأضداد فيطلق علي المالك والعبد، والمُعْتِق والمُعْتَق. واصطلاحاً: هو الشخص المحالف، أو المعتق، أو الذي أسلم علي يد غيره.

●**أنواع الموالي:** أنواع الموالي ثلاثة وهي:

أ -مولى الحِلْف: مثل الإمام مالك بن أنس الأصبحي التيمي، فهو أصبحي صليبة، تيمي بولاء الحلف، وذلك لأن قومه "أصبح" موالي لتيم قريش بالحِلف.

ب -مولى العَتَاقة: مثل أبو البختري الطائي التابعي، واسمه سعيد بن فيروز، هو مولى طيء، لأن سيده كان من طيء فأعتقه.

ج -مولى الإسلام: مثل محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، لأن جده المغيرة كان مجوسياً فأسلم علي يد اليمان بن أخنس الجعفي، فنسب إليه.

●**من فوائده:** الأمن من اللبس. ومعرفة المنسوب إلى القبيلة نسباً أو ولاء. ومن ثم ليتميز المنسوب إلى القبيلة ولاء عمن يشاركه في اسمه من تلك القبيلة نسباً.

●**أشهر المصنفات فيه:** صنف في ذلك أبو عمر الكِنْدي بالنسبة إلى المصريين فقط.

معرفة الثقات والضعفاء من الرواة

●**تعريف الثقة والضعيف:** الثقة لغة: المُؤتمَن. والضعيف ضد القوي. ويكون الضعف حسياً ومعنوياً. واصطلاحاً: الثقة: هو العدل الضابط والضعيف: هو اسم عام يشمل من فيه طعن في ضبطه أو عدالته.

●**أهميته وفائدته:** هو من أَجَلّ أنواع علوم الحديث؛ لأنه بواسطته يُعْرَف الحديث الصحيح من الضعيف.

●**أشهر المصنفات فيه وأنواعها:**

أ -مصنَّفات مفْرَدَة في الثقات: كتاب الثقات لابن حِبَّان، وكتاب الثقات للعِجْلي.

ب -مصنفات مُفْرَدَة في الضعفاء: كثيرة جداً. كالضعفاء للبخاري والنسائي والعُقَيْلي والدارقطني. ومنها كتاب "الكامل في الضعفاء" لابن عدي. وكتاب "المغني في الضعفاء" للذهبي.

ج -مصنفات مشتركة بين الثقات والضعفاء: وهي كثيرة، منها: كتاب "تاريخ البخاري الكبير"، ومنها كتاب "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم، وهي كتب عامة للرواة. ومنها كتب خاصة ببعض كتب الحديث، ككتاب "الكمال في أسماء الرجال" لعبد الغني المقدسي، وتهذيباته المتعددة، للمِزي والذهبي وابن حجر والخزرجي.

معرفة أوطان الرواة وبلدانهم

●**المراد بهذا البحث:** الأوطان جمع وطن. وهو الإقليم أو الناحية التي يولد الإنسان أو يقيم فيها، والبلدان جمع بلد، وهي المدينة أو القرية التي يولد الإنسان أو يقيم فيها. والمراد بهذا البحث هو معرفة أقاليم الرواة ومدنهم التي ولدوا فيها أو أقاموا فيها.

●**من فوائده:** ومن فوائده التمييز بين الاسمين المتفقين في اللفظ إذا كان من بلدين مختلفين وهو مما يُحتاج إليه حفاظ الحديث في تصرفاتهم ومصنفاته.

●**إلى أي شيء يَنْتَسب كلٌ من العرب والعجم؟**

أ -لقد كانت العرب قديماً تنتسب إلى قبائلها، لأن غالبيتهم كانوا بدواً رحلاً، وكان ارتباطهم بالقبيلة أوثق من ارتباطهم بالأرض، فلما جاء الإسلام، وغلب عليهم سكنى البلدان والقرى انتسبوا إلى بلدانهم وقراهم.

ب -أما العجم فإنهم ينتسبون إلى مدنهم وقراهم من القديم.

● **كيف ينتسب من انتقل عن بلده؟**

أ -إذا أراد الجَمع بينهما في الانتساب: فليبدأ بالبلد الأول، ثم بالثاني المنتقل إليه، ويحسن أن يُدخل على الثاني حرف "ثم" فيقول مَنْ وُلد في حَلَبَ وانتقل إلى المدينة المنورة: "فلان الحلبي ثم المدني" وعلى هذا عملُ أكثر الناس.

ب -وإذا لم يَرِدِ الجمع بينهما: له أن ينتسب إلى أيهما شاء، وهذا قليل.

●**كيف ينْتسب من كان من قرية تابعة لبلدة؟**

أ -له أن ينتسب إلى تلك القرية.

ب -وله أن ينتسب إلى البلدة التابعة لها تلك القرية.

ج -وله أن ينتسب إلى تلك الناحية التي منها تلك البلدة أيضاً. ومثال ذلك: إذا كان شخص من "الباب"، وهي تابعة لمدينة "حلب"، وحلب من "الشام"، فله أن يقول في انتسابه: فلان البابي أو فلان الحلبي، فلان الشامي.

- **كم المدة التي إن أقامها الشخص في بلد نُسِبَ إليها؟** أربع سنين، وهو قول عبدالله بن المبارك.
- **أشهر المصنفات فيه:**

أ -يمكن أن نعتبر كتاب "الأنساب" للسمعاني الذي تقدم من مصنفات هذا النوع لأنه يذكر الانتساب إلى الأوطان وغيرها.

ب -ومن مظان ذكر أوطان الرواة وبلدانهم كتاب "الطبقات الكبرى" لابن سعد.

الفوائد:

....
....
....
....
....
....
....
....
....

المراجع :

- تيسير مصطلح الحديث للطحان
- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير

مقرر مادة السيرة النبوية

مقدمة

لقد أرسل الله تعالى محمداً عليه الصلاة والسلام رسولاً وأسوة للعالمين وقدوةً لهم ؛ وأمرهم بالاقتداء به وسلوكِ هديه صلى الله عليه وسلم، وهذا متوقفٌ على معرفة سيرته العطرة وشمائله الكريمة التي تُعدُّ منهج حياة لكلِّ مسلم ومسلمة، فقد كان عليه الصلاة والسلام قرآناً يمشي على الأرض، وحياته كلها مدرسة؛ في التعليم والدعوة والتضحية والجهاد والعبادة..

فتعلم السيرة مرتكز هام في حياة المسلم، وسبيلٌ قويٌ في تعميق محبته واتباعه..

ونقدم في هذا المقرر لمحة عامة عن سيرته عليه الصلاة والسلام بصورة مختصرة ومفيدة..

.

محمد ﷺ أصله، ونشأته، وأحواله قبل النبوة

النسب الشريف: هو أكرم خلق الله، وأفضل رسله، وخاتم أنبيائه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وعدنان من ذرية إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام - بالاتفاق، ولكن لم يعرف بالضبط عدد ولا أسماء من بينه وبين إسماعيل عليه السلام. أما أمه ﷺ فهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب. وكلاب هو الجد الخامس للنبي ﷺ من جهة أبيه، فأبوه وأمه من أصل واحد ، يجتمعان في كلاب، واسمه حكيم. وقيل: عروة لكنه كان كثير الصيد بالكلاب فعرف بها.

قبيلته ﷺ: وقبيلته ﷺ هي قبيلة قريش المشهود لها بالشرف، ورفعة الشأن، والمجد الأصيل، وقداسة المكان بين سائر العرب، وهو لقب فهر بن مالك أو النضر بن كنانة. وكل من رجالات هذه القبيلة كانوا سادات وأشرافاً في زمانهم، وقد امتاز منهم قصي —واسمه زيد— بعدة ميزات، فهو أول من تولى الكعبة من قريش، فكانت إليه حجابتها وسدانتها، أي كان بيده مفتاح الكعبة يفتحها لمن شاء ومتى شاء، وهو الذي أنزل قريشاً ببطن مكة، وأسكنهم في داخلها، وكانوا قبل ذلك في ضواحيها وأطرافها، متفرقين بين قبائل أخرى، وهو الذي أنشأ السقاية والرفادة. والسقاية. ماء عذب من نبيذ التمر أو العسل أو الزبيب ونحوه، كان يعده في حياض من الأديم يشربه الحجاج. والرفادة: طعام كان يصنع لهم في الموسم. وقد بنى قصي بيتاً بشمالي الكعبة، عرف بدار الندوة. وهي دار شورى قريش، ومركز تحركاتهم الاجتماعية، فكان لا يعقد نكاح، ولا يتم أمر إلا في هذه الدار، وكان بيده اللواء والقيادة، فلا تعقد راية حرب إلا بيده، وكان كريماً وافر العقل، صاحب كلمة نافذة في قومه.

أسرته ﷺ: أما أسرته ﷺ فتعرف بالأسرة الهاشمية، نسبة إلى جدة الثاني هاشم، وقد ورث هاشم من مناصب قصي: السقاية والرفادة، ثم ورثهما أخوه المطلب، ثم أولاد هاشم إلى أن جاء الإسلام وهم على ذلك، وكان هاشم أعظم أهل زمانه، كان يهشم الخبز، أي يفتته في اللحم، فيجعله ثريداً، ثم يتركه يأكل الناس، فلقب بهاشم، واسمه عمرو. وهو الذي سن الرحلتين: رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام، وكان يعرف بسيد البطحاء. ومن حديثه: أنه مر بيثرب، وهو في طريق

تجارته إلى الشام، فتزوج سلمى بنت عمرو من بني عدي بن النجار، وأقام عندها فترة، ثم مضى إلى الشام وهي حامل، فمات بغزة من أرض فلسطين، وولدت سلمى ابناً بالمدينة سمته: شيبة، لشيب في رأسه، ونشأ هذا الطفل بين أخواله في المدينة، ولم يعلم به أعمامه بمكة حتى يبلغ نحو سبع سنين أو ثماني سنين، ثم علم به عمه المطلب، فذهب به إلى مكة، فلما رآه الناس ظنوه عبده فقالوا: عبد المطلب، فاشتهر بذلك. وكان عبد المطلب أوسم الناس، وأجملهم، وأعظمهم قدراً. وقد شرف في زمانه شرفاً لم يبلغه أحد، كان سيد قريش وصاحب عير مكة، شريفاً مطاعاً جواداً يسمى بالفياض لسخائه، كان يرفع من مائدته للمساكين والوحوش والطيور، فكان يلقب بمطعم الناس في السهل، والوحوش والطيور في رؤوس الجبال. قد تشرف بحفر بئر زمزم بعد أن كان قد درسها جرهم عند جلائهم عن مكة، وكان قد أمر بحفرها في المنام، ووصف له موضعها فيه. وفي عهده وقعت حادثة الفيل، جاء أبرهة الأشرم من اليمن بستين ألف جندي من الأحباش، ومعه بعض الفيلة، ليهدم الكعبة، فلما وصل إلى وادي محسر بين المزدلفة ومنى، وتهيأ للهجوم على مكة أرسل الله عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول، وكان ذلك قبل مولد النبي ﷺ بأقل من شهرين فقط. أما والده ﷺ عبدالله فكان أحسن أولاد عبد المطلب، وأعفهم، وأحبهم إليه، وهو الذبيح، وذلك أن عبد المطلب لما حفر بئر زمزم، وبدت آثارها نازعته قريش، فنذر لئن آتاه الله عشرة أبناء، وبلغوا أن يمنعوه، ليذبحن أحدهم. فلما تم له ذلك أقرع بين أولاده، فوقعت القرعة على عبدالله، فذهب إلى الكعبة ليذبحه، فمنعته قريش، ولا سيما إخوانه وأخواله، ففداه بمائة من الإبل، فالنبي ﷺ ابن الذبيحين: إسماعيل عليه السلام وعبد الله، وابن المفديين، فدي إسماعيل عليه السلام بكبش، وفدي عبد الله بمائة من الإبل. واختار عبد المطلب لابنه عبد الله آمنه بنت وهب، وكانت أفضل نساء قريش شرفاً وموضعاً، وكان أبوها وهب سيد بني زهرة نسباً وشرفاً، فتمت الخطبة والزواج، وبنى بها عبد الله بمكة فحملت برسول الله ﷺ. وبعد فترة أرسله عبد لمطلب إلى المدينة -أو الشام في تجارة- فتوفي بالمدينة -راجعاً من الشام- ودفن في الدار النابغة الذبياني، وذلك قبل ولادته ﷺ على الأصح.

المولد: ولد رسول الله ﷺ بشعب بني هاشم في مكة، صبيحة يوم الاثنين، التاسع -ويقال: الثاني عشر- من شهر ربيع الأول عام الفيل -والتاريخ الأول أصح والثاني أشهر- وهو يوافق اليوم الثاني والعشرون من شهر أبريل سنة ٥٧١م. وكانت قابلته أي دايته: الشفاء بنت عمرو أم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ولما ولدته أمه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام. وأرسلت إلى جده عبد المطلب تبشره بولادته ﷺ فجاء عبد المطلب مستبشراً مسروراً، وحمله، فأدخله الكعبة، وشكر الله،

ودعاه، وسماه محمداً، رجاء أن يحمد، وعق عنه، وختنه يوم سابعه، وأطعم الناس كما كان العرب يفعلون. وكانت حاضنته أم أيمن: بركة الحبشية، مولاة والده عبد الله، وقد بقيت حتى أسلمت، وهاجرت، وتوفيت بعد النبي ﷺ بخمسة أشهر، أو بستة أشهر.

الرضاع: وأول من أرضعته ﷺ بعد أمه ثويبة: مولاة أبي لهب بلبن ابن لها، يقال له مسروح، وكانت قد أرضعت قبله ﷺ حمزة بن عبد المطلب وبعده ﷺ أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي، فهم إخوته ﷺ من الرضاعة. وقد أعتق أبو لهب أمته هذه فرحاً بولادة رسول الله ﷺ ولكنه صار من ألد أعدائه حينما قام بالدعوة إلى الإسلام.

في بني سعد: كان من عادة العرب أن يلتمسوا المراضع لمواليدهم في البوادي، إبعاداً لهم عن أمراض الحواضر حتى تشتد أعصابهم، وليتقنوا اللسان العربي في مهدهم. وقدر الله أن جاءت نسوة من بني سعد بن بكر بن هوزان يطلبن الرضعاء فعرض النبي ﷺ عليهن كلهن، فأبين أن يرضعنه لأجل يتمه. ولم تجد إحدى النسوة -وهي حليمة بنت أبي ذويب - رضيعاً فأخذته ﷺ وحظيت به حظوة اغتبط لها الآخرون. واسم أبي ذويب والد حليمة: عبد الله بن الحارث، واسم زوجها: الحارث ابن عبد العزى، وكلاهما ن سعد بن بكر بن هوازن. وأولاد الحارث بن عبد العزى، إخوته ﷺ من الرضاعة هم: عبد الله وأنيسة وجدامة، وهي الشيماء، لقب غلب على اسمها، وكانت تحضن رسول الله ﷺ.

بركات في بيت الرضاعة: وقد درت البركات على أهل هذا البيت مدة وجوده ﷺ بينهم. ومما روي من هذه البركات: أن حليمة لما جاءت إلى مكة كانت الأيام أيام جدب وقحط، وكانت معها أتان كانت أبطأ دابة في الركب مشياً لأجل الضعف والهزال، وكانت معها ناقة لا تدر بقطرة من لبن، وكان لها ولد صغير يبكي ويصرخ طول الليل لأجل الجوع، ولا ينام، ولا يترك أبويه ينامان. فلما جاءت حليمة بالنبي ﷺ إلى رحلها، ووضعته في حجرها أقبل عليه ثدياها بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه ابنها الصغير حتى روى، ثم ناما. وقام زوجها إلى الناقة فوجدها حافلاً باللبن، فحلب منها ما انتهيا بشربه رياً وشبعاً، ثم باتا بخير ليلة. ولما خرجا راجعين إلى بادية بني سعد ركبت حليمة تلك الأتان، وحملت معها النبي ﷺ فأسرعت الأتان حتى قطعت بالركب، ولم يستطع لحوقها شئ من الحمر. ولما قدما في ديارهما: ديار بني سعد -وكان أجدب أرض الله - كانت غنمهما تروح عليهما شباعاً ممتلئة الخواصر بالعلف، ممتلئة الضروع باللبن. فكانا يحلبان

ويشربان، وما يحلب إنسان قطرة لبن. فلم يزالا يعرفان من الله الزيادة والخير حتى اكتملت مدة الرضاعة ومضت سنتان ففطمته حليمة، وقد اشتد وقوي في هذه الفترة.

بقاء النبي ﷺ في بني سعد بعد الرضاعة: وكانت حليمة تأتي بالنبي ﷺ إلى آمه وأسرته كل ستة أشهر، ثم ترجع به إلى باديتها في بني سعد، فلما اكتملت مدة الرضاعة وفطمته، وجاءت به إلى أمه حرصت على بقائه ﷺ عندها، لما رأت من البركة والخير. فطلبت من أم النبي ﷺ أن تتركه عندها حتى يغلظ، فإنها تخاف عليه وباء مكة، فرضيت أمه ﷺ بذلك، ورجعت به حليمة إلى بيتا مستبشرة مسرورة، وبقي النبي ﷺ عندها بعد ذلك نحو سنتين، ثم وقعت حادثة غريبة أحدثت خوفاً في حليمة وزوجها حتى ردا النبي ﷺ إلى أمه. وتلك الحادثة هي شق صدره ﷺ وإليكم بيان ذلك.

شق الصدر: قال أنس بن مالك ﷺ: إن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع لغلمان فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه. فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك. ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه -أي ضمه وجمعه - ثم أعاده في مكانه. وجاء الغلمان يسعون إلى أمه -يعني ظئره (وهي المرضعة) - فقالوا إن محمداً قد قتل. فاستقبلوه وهو منتقع اللون. أي متغير اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره.

إلى أمه الحنون: ورجع النبي ﷺ بعد هذا الحادث إلى مكة، فبقي عند أمه وفي أسرته نحو سنتين، ثم سافرت معه أمه إلى المدينة، حيث قبر والده وأخوال جده بنو عدي بن النجار، وكان معها قيمها عبد المطلب، وخادمتها أم أيمن، فمكثت شهراً ثم رجعت، وبينما هي في الطريق لحقها المرض، واشتد حتى توفيت بالأبواء بين مكة والمدينة، ودفنت هناك.

إلى جده العطوف: وعاد به ﷺ جده عبد المطلب إلى مكة، وهو يشعر بأعماق قلبه شدة ألم المصاب الجديد. فرق عليه رقة لم يرقها لى أحد من أولاده، فكان يعظم قدره، ويقدمه على أولاده، ويكرمه غاية الإكرام، ويجلسه على فراشه الخاص الذي لم يكن يجلس عليه غيره. ويمسح ظهره، ويسر بما يراه يصنع. ويعتقد أن له شأناً عظيماً في المستقبل، ولكنه توفي بعد سنتين حين كان عمره ﷺ ثماني سنوات وشهرين وعشرة أيام.

إلى عمه الشفيق: وقام بكفالته ﷺ عمه أبو طالب شقيق أبيه، واختصه بفضل الرحمة والمودة، وكان مقلا من المال. فبارك الله في قليله، حتى كان طعام الواحد يشبع جميع أسرته، وكان الرسول -صلى الله عليه وسلم - مثال القناعة والصبر، يكتفي بما قدر الله له.

سفره إلى الشام وبحيرا الراهب: وأراد أبو طالب أن يخرج بتجارة إلى الشام في عير قريش، وكان عمره ﷺ اثنتي عشرة سنة - وقيل: وشهرين وعشرة أيام - فاستعظم رسل الله ﷺ فراقه، فرق عليه وأخذه معه، فلما نزل الركب قريباً من مدينة بصرى على مشارف الشام خرج إليهم أحد كبار رهبان النصارى -وهو بحيرا الراهب - فتخلل في الركب حتى وصل إلى النبي ﷺ فأخذ بيده، وقال:" هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين". قالوا: وما علمك بذلك؟ قال:" إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجداً، ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة، وإنا نجده في كتبنا". ثم أكرمهم بالضيافة، وسأل أبا طالب، أن يرده ولا يقدم به إلى الشام خوفاً من اليهود والرومان، فرده أبو طالب إلى مكة.

حرب الفجار: وحين كان عمره ﷺ عشرين سنة وقعت في السوق عكاظ حرب بين قبائل قريش وكنانة من جهة، وبين قبائل قيس عيلان من جهة أخرى. اشتد فيها البأس، وقتل عدد من الفريقين، ثم اصطلحوا على أن يحصوا قتلى الفريقين، فمن وجد قتلاه أكثر أخذ دية الزائد، ووضعوا الحرب، وهدموا ما وقع بينهم من العداوة والشر. وقد حضر هذه الحرب رسول لله ﷺ وكان ينبل على أعمامه، أي يجهز لهم النبل للرمي. وسميت هذه الحرب بحرب الفجار لأنهم انتهكوا فيها حرمة حرم مكة والشهر الحرام، والفجار أربعة: كل في سنة، وهذه آخرها، وانتهت الثلاثة الأولى بعد خصام واشتجار طفيف، ولم يقع القتال إلا في الرابع فقط.

حلف الفضول: وفي شهر ذي القعدة على إثر هذه الحرب تم حلف الفضول بين خمسة بطون من قبيلة قريش وهم: بنو هاشم، وبنو المطلب، وبنو أسد، وبنو زهرة، وبنو تيم. وسببه أن رجلاً من زبيد جاء بسلعة إلى مكة، فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي، وحبس عنه حقه، فاستعدي عليه ببني عبد الدار، وبني مخزوم، وبني جمح، وبني سهم، وبني عدي، فلم يكترثوا له، فعلا جبل أبي قبيس، وذكر ظلامته في أبيات، ونادى من يعينه على حقه، فمشى في ذلك الزبير بن عبد المطلب حتى اجتمع الذين مضى ذكرهم في دار عبد الله بن جدعان رئيس بني تيم، وتحالفوا وتعاقدوا على أن لا

يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم إلا قاموا معه حتى ترد عليه مظلمته، ثم قاموا إلى العاص بن وائل السهمي، فانتزعوا منه حق الزبيدي، ودفعوه إليه. وقد حضر رسول الله ﷺ هذا الحلف مع أعمامه، وقال بعد أن شرفه الله بالرسالة:" لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت".

حياة العمل: معلوم أن النبي ﷺ ولد يتيماً ونشأ في كفالة جده ثم عمه، ولم يرث عن أبيه شيئاً يغنيه، فلما بلغ سنا يمكن العمل فيه عادة رعى الغنم مع إخوته من الرضاعة في بني سعد، ولما رجع؛ إلى مكة رعاها لأهلها على قراريط، والقيراط جزء يسير من الدينار: نصف العشر أو ثلث الثمن منه. قيمته في هذا الزمان عشرة ريالات تقريباً. ورعى الغنم من سنن الأنبياء في أوائل حياتهم. فقد قال ﷺ مرة بعد أن أكرمه الله بالنبوة:" ما من نبي إلا ورعاها". ولما شب النبي ﷺ وبلغ الفتوة فكأنه كان يتجر، فقد ورد أنه كان يتجر مع السائب بن أبي السائب، فكان خير شريك له، لا يجاري ولا يماري. وعرف ﷺ في معاملاته بغاية الأمانة والصدق والعفاف. وكان هذا هديه ﷺ في جميع مجالات الحياة حتى لقب بالأمين.

سفره إلى الشام وتجارته في مال خديجة: وكانت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها من أفضل نساء قريش شرفاً ومالاً، وكانت تعطي مالها للتجار يتجرون فيه على أجرة، فلما سمعت عن النبي ﷺ عليها مالها ليخرج فيه إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ما أعطته غيره. وخرج رسول الله ﷺ مع غلامها ميسرة إلى الشام، فباع وابتاع وربح ربحاً عظيماً، وحصل في مالها من البركة ما لم يحصل من قبل، ثم رجع إلى مكة، وأدى الأمانة.

زواجه بخديجة: ورأت خديجة من الأمانة والبركة ما يبهر القلوب، وقص عليها ميسرة ما رأى في النبي ﷺ من كرم الشمائل وعذوبة الخلال -يقال: وبعض الخوارق، مثل تظليل الملكين له في الحر -فشعرت خديجة بنيل بغيتها فيه. فأرسلت إليه إحدى صديقاتها تبدى رغبتها في الزواج به، ورضي النبي ﷺ بذلك، وكلم أعمامه، فخطبوها له إلى عمها عمرو بن أسد، فزوجها عمها بالنبي ﷺ في محضر من بني هاشم ورؤساء قريش على صداق قدره عشرون بكرة، وقيل ست بكرات، وكان الذي ألقى خطبة النكاح هو عمه أبو طالب: فحمد الله، وأثنى عليه، ثم ذكر شرف النسب وفضل النبي ﷺ، ثم ذكر كلمة العقد وبين الصداق. تم هذا الزواج بعد رجوعه ﷺ من الشام بشهرين وأيام، وكان عمره إذ ذاك خمساً وعشرين سنة، أما خديجة فالأشهر أن سنها كانت أربعين سنة.

وقيل: ثمان وعشرين سنة، وقيل غير ذلك، وكانت أولاً متزوجة بعتيق بن عائذ المخزومي، فمات عنها، فتزوجها أبو هالة التيمي، فمات عنها أيضاً بعد أن ترك له منها ولداً، ثم حرص على زواجها كبار رؤساء قريش فأبت حتى رغبت في رسول الله ﷺ وتزوجت به. فسعدت به سعادة يغبط عليها الأولون والآخرون. وهي أول أزواجه ﷺ لم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت، وكل أولاده ﷺ منها إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية.

أولاده ﷺ من خديجة: هم: القاسم، ثم زينب، ثم رقية، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم عبدالله، وقيل غير ذلك في عددهم وترتيبهم، وقد مات البنون كلهم صغاراً. أما البنات فقد أدركن كلهن زمن النبوة، فأسلمن وهاجرن، ثم توفاهن الموت قبل النبي ﷺ إلا فاطمة رضي الله عنها، فإنها عاشت بعده ﷺ ستة أشهر.

بناء البيت وقصة التحكيم: ولما بلغت سنة ﷺ خمساً وثلاثين سنة جاء سيل جارف صدع جدران الكعبة. وكانت قد وهنت من قبل لأجل حريق، فاضطرت قريش إلى بنائها من جديد، وقرروا أن لا يدخلوا في نفقتها إلا طيباً، فلا يدخلوا فيها مهر بغى، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد، وهابوا عقاب الله على هدمها، فقال الوليد بن المغيرة: إن الله لا يهلك المصلحين، ثم بدأ يهدم، فتبعوه في هدمها حتى وصلوا بها إلى قواعد إبراهيم. ثم أخذوا في بناء وخصصوا لكل قبيلة جزءاً منها، وكان الأشراف يحملون الحجارة على أعناقهم، وكان رسوا الله ﷺ وعمه العباس فيمن يحمل. وتولى البناء بناء رومي اسمه: باقوم. وضاقت بهم النفقة الطيبة عن إتمامها على قواعد إبراهيم، فأخرجوا منها نحو ستة أذرع من جهة الشمال، وبنوا عليها جداراً قصيراً علامة أنه من الكعبة. وهذا الجزء و المعروف بالحجر والحطيم. ولما وصل البنيان إلى موضع الحجر الأسود أراد كل رئيس أن يتشرف بوضعه في مكانه، فوقع بينهم التنازع والخصام، واستمر أربعة أيام أو خمسة، وكاد يتحول إلى حرب. دامية في الحرم، إلا أن أبا أمية بن المغيرة المخزومي تداركها بحكمة —وكان أسن رجل في قريش— فاقترح عليهم أن يحكموا أول رجل يدخل عليهم من باب مسجد، فقبلوا ذلك، واتفقوا عليه. وكان من قدر الله أن أول من دخل بعد هذا القرار هو رسول الله ﷺ فلما رأوه هتفوا، وقالوا: هذا الأمين رضيناه، هذا محمد. فلما انتهى إليهم، وأخبروه الخبر، أخذ رداءً، ووضع فيه الحجر الأسود، وأمرهم أن يمسك كل واحد منهم بطرف من الرداء ويرفعه، فلما وصل الحجر الأسود إلى موضعه أخذه النبي ﷺ بيده ووضعه في مكانه. وكان حلاً حصيفاً رضي به الجميع. والحجر الأسود يرتفع عن أرض المطاف متراً ونصف متر. أما الباب فقد رفعوه نحو مترين حتى لا يدخل إلا من أرادوا وأما الجدران فرفعوها

ثمانية عشر ذراعاً، وكانت على نصف من ذلك، ونصبوا في داخل الكعبة ستة أعمدة في صفين ثم سقفوها على ارتفاع خمسة عشر ذراعاً وكانت من قبل بدون سقف ولا عمود.

سيرته ﷺ قبل البعثة: نشأ ﷺ منذ صباه سليم العقل، وافر القوى، نزيه الجانب، فترعرع، وشب، ونضج، وهو جامع للصفات الحميدة والشيم النبيلة، فكان طرازاً رفيعاً من الفكر الصائب والنظر السديد، ومثالاً نهائياً في مكارم الأخلاق ومحاسن الخصال، امتاز بالصدق والأمانة، والمروءة، والشجاعة، والعدل، والحكمة، والعفة، والزهد، والقناعة، والحلم، والصبر والشكر، والحياء والوفاء، والتواضع والتناصح. وكان على أعلى قمة من البر والإحسان كما قال عمه أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وكان وصولاً للرحم، حمولاً لما يثقل كواهل الناس، يساعد من أعدم العيش حتى يصيب الكسب، وكان يقري الضيف، وبغض إليه ما كان في قومه من خرافة وسوء، فلم يشهد أعياد الأوثان واحتفالات الشرك، ولم يأكل مما ذبح على النصب أو أهل به لغير الله. وكان لا يصبر على سماع الحلف باللات والعزى فضلاً عن مس الأصنام أو التقرب إليها. وكان أبعد لناس من شرب الخمر وشهود الملاهي حتى لم يحضر مجالس اللهو والسمر ونواديها التي كانت منتزه الشباب وملتقى الأحبة في مكة.

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

النبـــوة والدعـــوة

مقدمات النبوة وتباشير السعادة: وبما تقدم ذكره اتسعت الشقة الفكرية والعلمية بين النبي ﷺ وبين قومه، وطفق يقلق مما يراهم عليه من الشقاوة والفساد، ويرغب في الاعتزال عنهم والخلوة بنفسه مع تفكيره في سبيل ينجيهم من التعاسة والبوار. واشتد هذا القلق، وقويت هذه الرغبة مع تقدم السن حتى كأن حادياً يحدوه إلى الخلوة والانقطاع . فأخذ يخلو بغار حراء، يتعبد الله فيه على بقايا دين إبراهيم –عليه السلام– وذلك من كل سنة شهراً. وهو شهر رمضان، فإذا قضى جواره بتمام هذا الشهر انصرف إلى مكة صباحاً، فيطوف بالبيت، ثم يعود إلى داره، وقد تكرر ذلك منه ﷺ ثلاث سنوات. فلما تكامل له أربعون سنة –وهي سن الكمال، ولها بعثت الرسل غالباً – بدأت طلائع النبوة وتباشير السعادة في الظهور، فكان يرى رؤيا صالحة تقع كما يرى، وكان يرى الضوء ويسمع الصوت وقال:" إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلِّم عليَّ قبل أن أبعث".

بداية النبوة ونزول الوحي: فلما كان في رمضان من السنة الحادية والأربعين وهو معتكف بغار حراء، يذكر الله ويعبده، فجاءه جبريل عليه السلام بالنبوة والوحي، ولنستمع إلى عائشة –رضي الله عنها – تروي لنا هذه القصة بتفاصيلها، قالت عائشة –رضي الله عنها -: أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث –أي يتعبد – فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك، فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ قال: فأخذني، فغطَّني حتى بلغ مني جهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني، فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني. فغطني الثالثة. ثم أرسلني فقال:(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ). فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد –رضي الله عنها – فقال: زملوني. فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة –وأخبرها الخبر -: لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة: كلا، والله ما يخزيك الله أبداً. أنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي، ابن عم خديجة، وكان امرأً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل

بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً قد عمى. فقالت له خديجة: يا ابن العم اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى. يا ليتني فيها جزعاً -أي قوياً جلداً - ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ثم لم يلبث ورقة أن توفى، وفتر الوحي.

تاريخ بدء النبوة ونزول الوحي: تلك هي القصة بداية النبوة ونزول الوحي على النبي ﷺ لأول مرة، وقد كان ذلك في رمضان في ليلة القدر، قال الله تعالى:(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ)، وقال:(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)، وقد أفادت الأحاديث الصحيحة أن ذلك كان ليلة يوم الاثنين قبل أن يطلع الفجر. وحيث إن ليلة القدر تقع في وتر من ليالي العشر الأواخر من رمضان، وقد ثبت علمياً أن يوم الاثنين في رمضان من تلك السنة إنما بدأت في الليلة الحادية والعشرين من رمضان سنة إحدى وأربعين من مولده ﷺ وهي توافق اليوم العاشر من شهر أغسطس سنة ٦١٠م وكان عمره ﷺ إذ ذاك أربعين سنة قمرية وستة أشهر واثنى عشر يوماً. وهو يساوي تسعاً وثلاثين سنة شمسية وثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوماً، فكانت بعثته على رأس أربعين سنة شمسية.

فترة الوحي ثم عودته: وكان الوحي قد فتر وانقطع بعد أول نزوله في غار حراء -كما سبق - ودام هذا الانقطاع أياماً، وقد أعقب ذلك في النبي ﷺ شدة الكآبة والحزن، ولكن المصلحة كانت في هذا الانقطاع، فقد ذهب عنه الروع، وتثبت من أمره، وتهيأ لاحتمال مثل ما سبق حين يعود، وحصل له التشوف والانتظار، وأخذ يرتقب مجيء الوحي مرة أخرى. وكان ﷺ قد عاد من عند ورقة بن نوفل إلى حراء ليواصل جواره في غاره، ويكمل ما تبقى من شهر رمضان، فلما انتهى شهر رمضان وتم جواره نزل من حراء صبيحة غرة شوال ليعود إلى مكة حسب عادته. قال ﷺ: فلما استبطنت الوادي -أي دخلت في بطنه - نوديت، فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت إلى شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً، فإذا الملك جاءني بحراْ جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجثيت منه رعباً حتى هويت إلى الأرض، فأتيت خديجة، فقلت: زملوني، زملوني، دثروني، وصُبوا على ماء بارداً، فدثروني وصبوا على ماء بارداً، فنزلت(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ* قُمْ فَأَنذِرْ* وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ* وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ* وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ).

وذلك قبل أن تفرض الصلاة ثم حمي الوحي وتتابع. وهذه الآيات هي بدء رسالته ﷺ وهي متأخرة عن النبوة بمقدار فترة الوحي، وتشتمل على نوعين من التكليف مع بيان ما يترتب عليه:

أما النوع الأول فهو تكليفه ﷺ بالبلاغ والتحذير، وذلك في قوله تعالى:(قُمْ فَأَنذِرْ) . فإن معناه: حذر الناس من عذاب الله إن لم يرجعوا عما هما فيه من الغي والضلال، وعبادة غير الله المتعال، والإشراف به في الذات والصفات والحقوق والأفعال.

وأما النوع الثاني فتكليفه ﷺ بتطبيق أوامر الله ﷻ والالتزام بها في نفسه، ليحذر بذلك مرضاة الله ، ويصير أسوة لمن آمن بالله. وذلك في بقية الآيات، فقوله:(وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) . معناه: خصه بالتعظيم، ولا شرك به في ذلك أحداً غيره، وقوله:(وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) . المقصود الظاهر منه تطهير الثياب والجسد، إذ ليس لمن يكبر الله ويقف بين يديه أن يكون نجساً مستقذراً، وقوله:(وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) . معناه. ابتعد عن أسباب سخط الله وعذابه ، وذلك بطاعته وترك معصيته، وقوله:(وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ) . أي لا تحسن إحساناً تريد أفضل منه في هذه الدنيا. أما الآية الأخيرة فأشار فيها إلى ما يلحقه من أذى قومه، حين يفارقهم في الدين، ويقوم بدعوتهم إلى الله وحده، فقال:(وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) .

القيام بالدعوة: وقام رسول الله ﷺ على أثر نزول هذه الآيات بالدعوة إلى الله ﷻ وحيث إن قومه كانوا جفاة لا دين لهم إلا عبادة الأصنام والأوثان، ولا حجة لهم إلا أنهم ألفوا إباءهم على ذلك، ولا أخلاق لهم إلا الأخذ بالعزة والأنفة، ولا سبيل لهم في حل المشاكل إلا سيف، فقد اختار الله أن يقوم بالدعوة سراً، ولا يواجه بها إلا من يعرفه بالخير وحب الحق، ويثق به ويطمئن إليه، وان يقدم أهله وعشيرته وأصدقاءه وندماءه على غيرهم.

الرعيل الأول: فلما بدأ النبي ﷺ دعوته بادر إلى الإيمان به عدد ممن كتب الله له السبق إلى السعادة والخير.

١ -وكانت أولهم على الإطلاق أم المؤمنين خديجة بنت خويلد –رضي الله تعالى عنها -، وكانت قد علمت البشارات، وسمعت عن الإرهاصات، وأبصرت ملامح النبوة، وشاهدت تباشير الرسالة، وتوقعت أن يكون رسول الله ﷺ هو نبي هذه الأمة، ثم تأكد لها من حديث ورقة ان الذي نزل في حراء هو جبريل عليه السلام وأن الذي جاء به هو وحي النبوة، ثم شاهدت بنفسها ما مر به النبي ﷺ عند نزول أول المدثر، فكان من الطبيعي أن تكون هي أول المؤمنين.

٢ -وبادر النبي ﷺ إلى صديقه الحميم أبي بكر الصديق رضي الله عنه ليخبره بما أكرمه الله به من النبوة والرسالة، ويدعوه إلى الإيمان به، فآمن أول من آمن به على الإطلاق أومن من الرجال، وكان أصغر منه ﷺ بسنتين، وصديقاً له منذ عهد قديم، عارفاً بسره وعلانيته، فكان إيمانه أعدل شاهد على صدقه ﷺ.

٣ -ومن أول من آمن به علي بن أبي طالب ﷺ كان تحت كفالته ﷺ مقيماً عنده، يطعمه ويسقيه، ويقوم بأمره، لأن قريشاً أصابتهم مجاعة، وكان أبو طالب مقلاً كثير الأولاد، فكفل العباس ابنه جعفراً، وكفل النبي ﷺ علياً، فكان كأحد أولاده إلى أن جاءت النبوة وقد ناهز البلوغ، -يقال: كان عمره عشر سنين - وكان يتبعه في كل أعماله، فلما دعاه إلى الإسلام أجاب إليه، وهو أول من آمن به من الصبيان.

ومن أول من آمن به مولاه زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، كان قد أسر أيام الجاهلية وبيع، فاشتراه حكيم بن حزام. ووهبه لعمته خديجة، فوهبته خديجة لرسول ﷺ وعلم به أبوه وعمه فجاءا إلى رسول الله ﷺ وكلماه ليحسن إليهما في فدائه، فدعا رسول الله ﷺ زيداً، وخيره بين أن يذهب مع أبيه وعمه وبين أن يبقى عنده، فاختاره عليهما، وعندئذ ذهب رسول الله إلى الملأ من قريش، وقال: اشهدوا أن هذا ابني وارثاً وموروثاً، وذلك قبل النبوة، فكان يدعى زيد بن محمد حتى جاء الإسلام وأبطل التبني، فدعي زيد بن الحارثة. هؤلاء الأربعة كلهم أسلموا في يوم واحد، يوم أمر رسول الله ﷺ بالإنذار، وقام بالدعوة إلى الله، وقد عن كل واحد منهم إنه أول من أسلم.

ثم نشط للدعوة إلى الله أبو بكر ﷺ وصار الساعد الأيمن للنبي ﷺ في مهمة رسالته، وكان رجلاً عفيفاً، مألفاً محبباً، سهلاً كريماً، جواداً، معظماً، أعلم الناس بأنساب العرب وأخبارها، يقصده رجال قومه لخلقه ومعروفه، وعلمه وفضله، وتجارته وجوده، وحسن معاملته ومجالسته. فدعا إلى الإسلام من توسم فيه الخير ووثق به من قومه ، فأجابه جمع من فضلاء الناس، في مقدمتهم عثمان بن عفان الأموي، والزبير بن العوام الأسدي، وعبد الرحمن بن عوف الزهري، وسعد بن أبي وقاص الزهري، وطلحة بن عبيد الله التيمي، بين لهم أبو بكر ﷺ الإسلام، وأتى بهم إلى النبي ﷺ فأسلموا جميعاً.

ثم تلا هؤلاء أمين هذه الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وامرأته أم سلمة، والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان بن مظعون، وأخواه قدامة وعبدالله ابنا مظعون، وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، وسعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل، وامرأته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب، وخباب بن الأرت، وجعفر بن أبي طالب، وامرأته بنت عميس، وخالد بن سعيد بن العاص، وحاطب بن حارث، وامرأته فاطمة بنت المجلل، وأخوه حطاب بن حارث، وامرأته فكيهة بنت أبي عوف، ونعيم بن عبد الله بن أسيد النحام، وهؤلاء كلهم قرشيون من بطون وأفخاذ شتى من قريش.

ومن السابقين الأولين إلى الإسلام من غير قريش: عبدالله بن مسعود الهذلي، ومسعود بن ربيعة القاري، وعبدالله بن جحش، وأخوه أبو أحمد بن جحش، وصهيب بن سنان الرومي، وعمار بن

ياسر العنسي، وأبوه ياسر، وأمه سمية، وعامر ابن فهيرة. وممن سبق إلى الإسلام من نساء من غير من تقدم ذكرهن: أم أيمن بركة الحبشية، مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية ، زوج العباس بن عبد المطلب، وأسماء بنت أبي بكر الصديق. وقد عرف هؤلاء الأقدمون ومن أسلم معهم بلقب السابقين الأولين، ويظهر بعد التتبع والاستقراء أن عدد من قيل فيه: أنه قديم الإسلام، أو قيل فيه: إنه من السابقين الأولين، يصل إلى مائة وثلاثين صحابياً تقريباً. ولكن لا يعرف بالضبط أنهم أسلموا قبل الجهر بالدعوة. أو تأخر إسلام بعضهم إلى الجهر بها.

عبادة المؤمنين وتربيتهم: أما الوحي فقد تتابع نزوله بعد أوائل المدثر. ويقال: إن أول ما نزل بعدها هي سورة الفاتحة، وهي سورة تجمع بين الحمد والدعاء، وتشتمل على جميع المقاصد المهمة من القرآن والإسلام، كما أن أول ما أمر به النبي ﷺ من العبادات الصلاة: ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي، نزل بذلك جبريل فعلمه الوضوء والصلاة. فكانت الطهارة الكاملة هي سمة المؤمنين، والوضوء شرط الصلاة، والفاتحة أصل الصلاة، والحمد والتسبيح من أوراد الصلاة، وكانت الصلاة هي عبادة المؤمنين، يقيمونها، ويقومون بها في أماكن بعيدة عن الأنظار، وربما كانوا يقصدون بها الأودية والشعاب. ولا تعرف لهم عبادات وأوامر ونواه أخرى في أوائل أيام الإسلام، وإنما كان الوحي يبين لهم جوانب شتى من التوحيد، ويرغبهم في تزكية النفوس، ويحثهم على مكارم الأخلاق، ويصف لهم الجنة والنار، ويعظهم مواعظ بليغة تشرح الصدور وتغذي الأرواح. وكان النبي ﷺ يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويحدو بهم إلى منازل نقاء القلوب، ونظافة الأخلاق، وعفة النفوس، وصدق المعاملات، وبالجملة كان يخرجهم من الظلمات إلى النور. ويهديهم إلى صراط مستقيم، ويربيهم على التمسك بدين الله والاعتصام بحبل الله، والثبات في أمر الله، والاستقامة عليه. وهكذا مرت ثلاثة أعوام، والدعوة لم تزل مقصورة على الأفراد، لم يجهر بها النبي ﷺ في المجامع والنوادي، إلا أنها صارت معروفة لدى قريش، وقد تنكر لهم بعضهم أحياناً، واعتدوا على بعض المؤمنين، ولكنهم لم يبالوا بها بصفة عامة، حيث لم يتعرض رسول الله ﷺ لدينهم ولم يتكلم في آلهتهم.

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

الجهـر بالدعـوة

الدعوة في الأقربين: وبعد أن قضى رسول الله ﷺ ثلاث سنوات في سبيل الدعوة الفردية، ووجد لها آذاناً صاغية، ورجالاً صالحين من صميم قريش وغيرها، وتمهدت لها السبل، وتهيأ لظهورها الجو أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ:(وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ* وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ* فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ) فجمع النبي ﷺ عشيرته الأقربين، وهم بنو هاشم ، ومعهم نفر من بني المطلب، فقال بعد الحمد وشهادة التوحيد:" إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم، والله الذي لا إلا هو أني لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً. وإنها الجنة أبداً أو النار أبداً". فتكلم القوم كلاماً ليناً غير عمه أبي لهب. فإنه قال: خذوا على يديه قبل أن تجتمع عليه العرب، فإن سلمتموه إذن ذللتم. وإن منعتموه قتلتم. فقال أبو طالب: والله لنمنعنه ما بقينا، وقال أيضاً: أمض لما أمرت به، فو الله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب.

على جبل الصفا: وفي غضون ذلك نزل أيضاً قوله تعالى:(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) فصعد رسول الله ﷺ ذات يوم على الصفا فعلا أعلاها حجراً، ثم هتف:" يا صباحاه". وكانت كلمة إنذار تخبر عن هجوم جيش أو وقع أمر عظيم ثم جعل ينادي بطون قريش، ويدعوهم قبائل قبائل: يا بني فهر! يا بني عدي ! يا بني فلان! يا بني فلان، يا بني عبد مناف! يا بني عبد المطلب! فلما سمعوا قالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد. فأسرع الناس إليه، حتى إن الرجل إذا لم يستطع أن يخرج إليه أرسل رسولاً لينظر ما هو؟ فلما اجتمعوا قال:" أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي بسفح هذا الجبل، تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم. ما جربنا عليك كذباً. ما جربنا عليك إلا صدقاً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله -أي يتطلع وينظر لهم من مكان مرتفع لئلا يدهمهم العدو - فخشي أن يسبقوه، فجعل ينادي: يا صباحاه". ثم دعاهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وبين لهم أن هذه الكلمة هي ملاك الدنيا ونجاة الآخرة. ثم حذرهم وأنذرهم عذاب الله إن بقوا على شركهم، ولم يؤمنوا بما جاء به من عند الله، وأنه مع كونه رسولاً

لا ينقذهم من العذاب ولا يغنيهم من الله شيئاً. وعم هذا الإنذار وخص فقال:" يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً، ولا أغني عنكم من الله شيئاً. يا بني كعب بن لؤي! أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً. يا بني مرة بن كعب! أنقذوا أنفسكم من النار. يا معشر بني قصي! أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً. يا بني عبد شمس! أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد مناف! أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً. يا بني هاشم! أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد المطلب! أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً، ولا أغني عنكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم، ولا أملك لكم من الله شيئاً. يا عباس بن عبد المطلب! لا أغني عنك من الله شيئاً. يا صفية بنت عبد المطلب: عمة رسول الله! لا أغني عنك من الله شئياً. يا فاطمة بنت محمد رسول الله! سليني بما شئت، أنقذي نفسك من النار، لا أغني عنك من الله شيئاً. غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها -أي سأصلها حسب حقها - لما أتم هذا الإنذار انفض الناس وتفرقوا، ولا يذكر عنهم أنهم أبدوا أي معارضة أو تأييد لما سمعوه، سوى ما ورد عن أبي لهب أنه واجه النبي ﷺ بالسوء، فقال: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ).

أما عامة قريش فكأنهم قد أصابتهم الدهشة والاستغراب حين فوجئوا بهذا الإنذار، ولم يستطيعوا أن يختاروا أي موقف تجاه ذلك، ولكنهم لما رجعوا إلى بيوتهم، واستقرت أنفسهم، وأفاقوا من دهشتهم، واطمأنوا، استكبروا في أنفسهم، وتناولوا هذه الدعوة والإنذار بالاستخفاف والاستهزاء، فكان النبي ﷺ إذا مر على ملأ منهم سخروا منه وقالوا: أهذا الذي بعث الله رسولاً؟ أهذا ابن أبي كبشة. يُكلَّم من السماء. أمثال ذلك.

وأبو كبشة اسم لأحد أجداده ﷺ من جهة الأم، كان قد خالف دين قريش، واختار النصرانية، فلما خالفهم النبي ﷺ في الدين نسبوه إليه، وشبهوه به، تعييراً واحتقاراً له وطعناً فيه. واستمر النبي ﷺ في دعوته وبدأ يجهر في نواديهم ومجامعهم، يتلو عليهم كتاب الله، ويدعوهم إلى ما دعت إليه الرسل:(يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ) وبدأ يعبد الله أمام أعينهم، فكان يصلي بفناء الكعبة نهارًا جهاراً وعلى رؤوس الأشهاد. وقد نالت دعوته بعض القبول، ودخل عدد من الناس في دين الله واحداً بعد واحد، وحصل بين هؤلاء المسلمين وبين من لم يسلم من أهل بيتهم التباغض والتباعد.

مشاورة قريش لكف الحُجَّاج عن الدعوة: واشمأزت قريش من كل ذلك، وساءهم ما رأوه، وما هي إلا أيام حتى اقترب موعد الحج، وأهمهم أمر الحجاج، فاجتمع نفر منهم إلى الوليد بن المغيرة

-وكان ذا سن وشرف فيهم - فقال لهم: يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا، فيكذب بعضكم بعضاً. قالوا: أنت فقل، وأقم لنا رأياً نقول به . قال: لا بل أنتم فقولوا أسمع. قالوا: نقول: كاهن. قال: ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان، فلما هو بزمزمة الكهان ولا بسجعهم. قالوا: فنقول مجنون. قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. قالوا: فنقول: شاعر. قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله، رجزه وهجزه وقريضه ومقبوضة ومبسوطة. فما هو بالشعر. قالوا: فنقول: ساحر. قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثه ولا بعقده. قالوا: فماذا نقول؟ قال: والله إن لقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجناة. وما أنتم بقائلين من هذا أنتم شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول أن تقولوا: هو ساحر، وقوله سحر، يفرق به بين المرء وأبيه. وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته.

فتفرقوا عنه بذلك، وجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا للموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذروه وذكروا له أمره ﷺ فعرف الناس أمره قبل أن يروه أو يسمعوا منه. وجاءت أيام الحج فخرج النبي ﷺإلى مجامع الحجاج ورحالهم ومنازلهم، ودعاهم إلى الإسلام، وقال لهم:" يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا". وتبعه أبو لهب يكذبه ويؤذيه، فصدرت العرب من ذلك الموسم وقد عرفوا أمر رسول الله ﷺ وانتشر ذكره في بلاد العرب كلها.

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

سبل شتى لمواجهة الدعوة:

ولما انتهى الحج، وعادت قريش إلى بيوتهم، واطمأنوا كأنهم رأوا أن يعالجوا هذه المشكلة التي نشأت لأجل قيام رسول الله ﷺ بالدعوة إلى الله وحده، ففكروا واستشاروا، ثم اختاروا سبلاً شتى لمواجهة هذه الدعوة والقضاء عليها، نذكرها فيما يلي بإيجاز:

الأول: مواصلة السخرية والاستهزاء والإكثار منها: والقصد من ذلك تخذيل رسول الله ﷺ والمسلمين، وتوهين قواهم المعنوية، فكانوا يتهمون رسول الله ﷺ بأنه رجل مسحور، شاعر مجنون، كاهن يأتيه الشيطان، ساحر كذاب، مفتر متقول، وغير ذلك من التهم والشتائم، وكانوا إذا رأوه يجئ ويذهب ينظرون إليه نظر الغضب والنقمة، كما قال الله تعالى: (وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) وكانوا إذا رأوه يتهكمون به، ويقولون: (أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ) . وإذا رأوا ضعفاء الصحابة قالوا: قد جاءكم ملوك الأرض(أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) وكما قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ* وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ* وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ* وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاء لَضَالُّونَ) . وقد أكثروا من السخرية والاستهزاء، ومن الطعن والتضحيك حتى أثر ذلك في نفس النبي ﷺ كما قال الله تعالى: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ) ثم ثبته الله – تعالى – وبين له ما يذهب بهذا الضيق، فقال: (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ* وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) ، وقد بين له قبل ذلك ما فيه التسلية، حيث قال: (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ* الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللّهِ إِلـهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) (الحجر ٩٥ –٩٩) وأخبره أن فعلهم هذا سوف ينقلب وبالاً عليهم، فقال: (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) (الأنعام ١٠، الأنبياء ٤١)

الثاني: الحيلولة بين الناس وبين الاستماع إلى النبي ﷺ: فقد قرروا أن يثيروا الشغب، ويرفعوا الضوضاء، ويطردوا الناس كلما رأوا النبي ﷺ يستعد ليقوم بالدعوة إلى الله فيما بينهم. وأن لا يتركوا له فرصة ينتهزها لبيان ما يدعو إليه، وقد تواصوا بذلك فيما بينهم. قال الله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) . وقد ظلوا قائمين بذلك بكل شدة وصلابة، حتى إن أول قرآن تمكن النبي ﷺ من تلاوته في مجامعهم هو سورة النجم –وذلك في

رمضان في السنة الخامسة من النبوة -. وكانوا إذا سمعوا النبي ﷺ يتلو القرآن في صلاته - وأكثر ما كان يتلوه في صلاته بالليل - سبوا القرآن، ومن أنزله، ومن جاء به، حتى أنزل الله - تعالى -:(وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً).

وذهب النضر بن الحارث إلى الحيرة والشام، فتعلم منهم قصصاً شعبية، كانوا يحكونها عن ملوكهم وأمرائهم مثل: رستم وإسفندريار، فلما رجع أخذ يعقد النوادي والمجالس، يقص هذه القصص ويصرف بها الناس عن الاستماع إلى النبي ﷺ وإذا سمع بمجلس جلس فيه رسول الله ﷺ للتذكير بالله، خلفه في ذلك المجلس، ويقص عليهم من تلك القصص، ثم يقول بماذا محمد أحسن حديثاً مني. ثم تقدم خطوة أخرى، فاشترى جارية مغنية، فكان لا يسمع بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى تلك المغنية، ويقول: أطعميه واسقيه وغنيه. هذا خير مما يدعوك إليه محمد. وفي ذلك أنزل الله تعالى:(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) [لقمان: ٦].

الثالث: إثارة الشبهات تكثيف الدعايات الكاذبة: فقد أكثروا من ذلك وتفننوا فيه، فربما كانوا يقولون عن القرآن: إنه (أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ) أي أحلام كاذبة يراها محمد ﷺ بالليل، فيتلوها بالنهار، وأحياناً كانوا يقولون:" افتراه من عند نفسه"، وأحياناً كانوا يقولون:(إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ) [١٦ -١٠٣] وربما قالوا:(إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) [٢٥ -٤] أي اشتراك هو وزملاؤه في اختلاقه (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) [٢٥ - ٥].

وأحياناً قالوا: أن له جناً أو شيطاناً يتنزل عليه بالقرآن مثل ما ينزل الجن والشياطين على الكهان. قال ﷻ ردًّا عليهم:(هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ* تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) أي إنها تنزل على الكذاب الفاجر المتلطخ بالذنوب، وما جربتم علي كذباً. ولا وجدتم في فسقاً، فكيف تقولون إن القرآن من تنزيل الشيطان؟ وأحياناً كانوا يقولون عن النبي ﷺ إنه قد أصابه نوع من الجنون، فهو يتخيل المعاني ثم يصوغها في كلمات بديعة رائعة. كما يصوغ الشعراء، فهو شاعر وكلامه شعر، قال ﷻ رداً عليهم:(وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ* أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ* وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) فهذه ثلاث خصائص يتصف بها الشعراء، ولا توجد واحدة منها في النبي ﷺ فالذين اتبعوه هداة، متقون، صالحون في دينهم، وخلقهم، وأفعالهم، وتصرفاتهم، ومعاملاتهم، ولا توجد عليهم مسحة من الغواية في أي شأن من شئونهم. وهو لا يهيم في الأودية كلها كما يهيم الشعراء، بل يدعو إلى رب واحد، ودين واحد، وصراط واحد. وهو لا يقول إلا ما يفعل، ولا يفعل إلا ما يقول، فأين هو من الشعر والشعراء؟ وأين الشعر والشعراء منه؟

الرابع: النقاش والجدال: وكانت ثلاث قضايا استغربها المشركون جداً، وكانت هي الأساس في الخلاف الذي حصل بينهم وبين المسلمين في أمر الدين، وهي: التوحيد، والرسالة. والبعث بعد الموت. فكانوا يناقشون في هذه القضايا، ويجادلون حولها. فأما البعث بعد الموت فلم يكن عندهم في ذلك إلا التعجب والاستغراب، والاستبعاد العقلي فقط، فكانوا يقولون:(أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ* أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ) [الصافات: ١٧] وكانوا يقولون:(ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) [ق: ٣]. وكانوا يقولون:(هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ* أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَم بِهِ جِنَّةٌ) [سبأ: ٧ -٨]. وقال قائلهم:

أموتٌ ثم بعثٌ ثم حشرٌحديثُ خرافةٍ يا أمَّ عمرِو

وقد رد الله عليهم بأنواع من الردود، حاصلها أنهم يشاهدون في الدنيا أن الظالم يموت دون أن يلقى جزاء ظلمه، والمظلوم يموت دون أن يأخذ حقه من ظالمه، والمحسن الصالح يموت قبل أن يلقى جزاء إحسانه وصلاحه، والمسيء يموت قبل أن يعاقب على سيئاته، فإن لم يكن بعد الموت يوم يبعث فيه الناس. فيؤخذ من الظالم للمظلوم، ويجزي المحسن الصالح، ويعاقب المسيء الفاجر، لاستوى الفريقان، ولا يكون بينهما فرق، بل يصير الظالم والمسيء أسعد من المظلوم والمحسن التقي. هذا غير معقول إطلاقاً، وليس من العدل في شيء، ولا يتصور من الله —سبحانه— أن يبني نظام خلقه على مثل هذا الظلم والفساد. قال تعالى:(أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ* مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) [القلم: ٣٥ - ٣٦]. وقال:(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ) [الجاثية: ٢١]. وأما الاستبعاد العقلي، فقال رداً عليهم في ذلك:(أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاء) [النازعات: ٢٧] وقال:(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [الأحقاف: ٣٣] وقال:(وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ) [الواقعة: ٦٢] وقال (:كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) [الأنبياء: ١٠٤]. وذكرهم ما هو معتاد لديهم، وهو أن الإعادة (أَهْوَنُ عَلَيْهِ) [الروم: ٢٧] وقال:(أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) [ق:١٥]. وأما رسالة النبي ﷺ فكانت لهم حولها شبهات مع معرفتهم واعترافهم بصدق النبي ﷺ وأمانته وغاية صلاحه وتقواه، وذلك أنهم كانوا يعتقدون أن منصب النبوة والرسالة أعظم وأجل من أن يعطى لبشر. فالبشر لا يكون رسولاً، والرسول لا يكون بشراً، حسب عقيدتهم، فلما أعلن رسول الله ﷺ عن نبوته ورسالته، ودعا إلى الإيمان به تحير المشركون، وتعجبوا، وقالوا:(مَالِ هَذَا الرَّسُولِ

يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ).وقال تعالى -:(بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُم مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ) [ق٢]. وقالوا:(مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ).

وقد أبطل الله عقيدتهم هذه، وقال رداً عليهم:(قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ) [الأنعام: ٩١]. وقص عليهم قصص الأنبياء والرسل، وما جرى بينهم وبين قومهم من الحوار، وأن قومهم قالوا إنكاراً لرسالتهم:(إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) [إبراهيم: ١٠ -١١]. فالأنبياء والرسل كلهم كانوا بشراً.

وأما أن يكون الرسول ملكاً فإن ذلك لا يفي بغرض الرسالة ومصلحتها، إذ البشر لا يستطيع أن يتأسى بالملائكة، ثم تبقى الشبهة كما هي، قال تعالى:(وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ) [الأنعام: ٩].

وحيث إن المشركين كانوا يعترفون أن إبراهيم وإسماعيل وموسى عليهم السلام كانوا رسلاً وكانوا بشراً، فإنهم لم يجدوا مجالاً للإصرار على شبهتهم هذه، ولكنهم أبدوا شبهة أخرى قالوا: ألم يجد الله لحمل رسالته إلا هذا اليتيم المسكين؟ ما كان الله ليترك العظماء الكبار من أشراف قريش وثقيف، ويرسل هذا،(وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) أي من مكة والطائف، قال تعالى رداً عليهم:(أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ) [الزخرف:٣١ -٣٢].

يعني أن الوحي والقرآن والنبوة والرسالة رحمة من الله، والله يعلم كيف يقسم رحمته، وأين يضعها، فمن يعطيها، ومن يحرمها، قال تعالى:(اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) [الأنعام: ١٢٤]. فانتقلوا بعد ذلك إلى شبهة أخرى قالوا: إن من يكون رسولاً لملك من ملوك الدنيا يوفر له الملك أسباب الحشمة والجاه من الخدم، والحشم، والضيعة، والمال، والأبهة، والجلال، وغير ذلك، وهو يمشي في موكب من الحرس والمرافقين أصحاب العز والشرف، فما بال محمد يدفع في الأسواق للقمة عيش ويدعى إنه رسول الله؟ (لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً * أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَّسْحُوراً) [الفرقان: ٧:٨]. ومعلوم أن النبي ﷺ كان قد أرسل إلى جميع أنواع البشر: صغارهم وكبارهم، وضعافهم وأقويائهم، وأذنابهم وأشرافهم، وعبيدهم وأحرارهم، فلو حصل له ما تقدم من الأبهة، والجلال، ومواكبة الخدم، والحشم، والكبار، لم يكن يستفيد به ضعفاء الناس وصغارهم، وهم جمهور البشر، وإذن لفاتت مصلحة الرسالة، ولم تعد لها فائدة تذكر. ولذلك أجيب المشركون على طلبهم هذا بأن محمداً ﷺ رسول، يعني يكفي لدحض شبهتكم هذه أنه رسول، الذي طلبتموه له من الحشمة والجاه والموكب والمال، ينافي تبليغ الرسالة في عامة الناس، بينما هم مقصودون بالرسالة. فلما ردَّ على شبهتهم هذه تقدموا خطوة أخرى، وأخذوا يطالبون بالآيات عناداً وتعجيزاً، فدار بينهم وبين النبي ﷺ نقاش وحوار، وسنأتي على شيء منه إن

شاء الله. أما قضية التوحيد فكانت رأس القضايا وأصل الخلاف، وكان المشركون يقرون بتوحيد الله ﷻ في ذاته وصفاته وأفعاله، فكانوا يعترفون بأن الله -تعالى- هو الخالق الذي خلق السموات والأرض وما بينهما، وهو خالق كل شيء، وهو المالك الذي بيده ملكوت السموات والأرض وما بينهما، وملكوت كل شيء، وهو الرازق الذي يرزق الناس والدواب والأنعام، ويرزق كل حي، وهو المدبر الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ويدبر أمر كل صغير وكبير حتى الذرة والنملة، وهو رب السماوات والأرض وما بينهما ورب العرش العظيم، ورب كل شيء، سخر الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب والجن والإنس والملائكة، كل له خاضعون، يجبر من يشاء على من يشاء ولا يجار عليه أبداً، يحيي ويميت، ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ولا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه.

وهم بعد هذا الإقرار الصريح لتوحيد الله -سبحانه وتعالى- في ذاته وصفاته وأفعاله كانوا يقولون: إن الله تعالى أعطى بعض عبادة المقربين -كالأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين- شيئاً من التصرف في بعض أمور الكون، فهم يتصرفون فيه بإذنه مثل: هبة الأولاد، ودفع الكربات، وقضاء الحوائج، وشفاء المرضى، وأمثال ذلك. وأن الله إنما أعطاهم ذلك لقربهم من الله، ولجاههم عند الله. فهم لأجل أن الله منحهم هذا التصرف وهذا الخيار يقضون بعض حاجات العباد عن طريق الغيب، فيكشفون عنهم بعض الكربات، ويدفعون بعض البليات، ويقربون إلى الله من يرضون به، ويشفعون له عنده. والمشركون على أساس زعمهم هذا جعلوا هؤلاء الأنبياء والأولياء والصالحين وسيلة فيما بينهم وبين الله، واخترعوا أعمالاً يتقربون بها إليهم، ويبتغون بها رضاهم، فكانوا يأتون بتلك الأعمال ثم يتضرعون إليهم، ويدعونهم لقضاء حوائجهم، ويستغيثون بهم في شدائدهم، ويستعيذون بهم في مخاوفهم.

أما الأعمال التي اخترعوها للتقرب إليهم فهي أنهم خصصوا لهؤلاء الأنبياء أو الأولياء والصالحين أماكن، وبنوا لهم فيها البيوت، ووضعوا فيها تماثيلهم التي نحتوها طبق صورهم الحقيقية أو الخيالية، وربما وجدوا قبور بعض الأولياء والصالحين حسب زعمهم، فبنوا عليها البيوت دون أن ينحتوا لهم التماثيل، ثم كانوا يقصدون هذه التماثيل وتلك القبور، فكانوا يمسحونها ويتبركون بها، ويطوفون حولها، ويقومون لها بالإجلال والتعظيم، ويقدمون إليها النذور والقرابين، ليتقربوا بها إليهم، ويبتغوا بها من فضلهم، وكانوا ينذرون لهم مما كان يرزقهم الله من الحرث والزرع والطعام والشراب والدواب والأنعام والذهب والفضة والمتعة والأموال.

فأما الحرث والزرع والطعام والشراب والذهب والفضة والأمتعة والأموال فكانوا يقدمونها إلى أماكن وقبور هؤلاء الصالحين، أو إلى تماثيلهم، بواسطة سدنة وحجاب كانوا يجاورون تلك القبور والبيوت، ولم يكن يقدم إليها شئ إلا بواسطتهم في معظم الأحوال. وأما الدواب والأنعام فكان لهم

فيها طرق. فربما كانوا يسيبونها باسم هؤلاء الأولياء والصالحين، من أصحاب القبور أو التماثيل، تقرباً إليهم وإرضاءً لهم، فكانوا يقدسون هذه الدواب، ولا يتعرضون لها بسوء أبداً، ترتع ما شاءت، وتتجول أين شاءت. وربما كانوا يذبحونها على أنصاب هؤلاء الأولياء -أي على قبورهم وأماكنهم المخصصة لهم - وربما كانوا يذبحونها في أي مكان آخر، ولكن كانوا يذكرون أسماءهم بدل اسم الله سبحانه وتعالى.

وكان من جملة أعمالهم أنهم كانوا يحتفلون بهؤلاء الأولياء والصالحين مرة أو مرتين في السنة، فكانوا يقصدون قبورهم وأماكنهم من كل جانب، فيجتمعون عندها في أيام خاصة، ويقيمون لها أعياداً، يفعلون فيها كل ما تقدم من التبرك والمسح والطواف وتقديم النذور والقرابين وغير ذلك، وكان كالموسم يحضره الداني والقاصي، والشريف والوضيع، حتى يقدم كل أحد نذره، وينال بغيته.

كان المشركون يفعلون كل ذلك بهؤلاء الأولياء والصالحين تقرباً إليهم وإرضاءً لهم، ليجعلوهم وسطاء بينهم وبين الله، وليتوسلوا بهم إلى الله، معتقدين إنهم يقربونهم إلى الله زلفى، ويشفعون لهم عند الله، ثم كانوا يدعونهم لقضاء حوائجهم ودفع كرباتهم، معتقدين أنهم يسمعون لما قالوا، ويستجيبون لما دعوا وطلب منهم، فيقضون حوائجهم، ويكشفون كرباتهم، إما بأنفسهم، وإما بشفاعتهم لذلك عند الله.

فكان هذا هو شركهم بالله، وعبادتهم لغير الله، واتخاذهم آلهة من دون الله، وجعلهم شركاء لله، وكان هؤلاء الأولياء والصالحون وأمثالهم هم آلهة المشركين.

فلما قام النبي ﷺ بالدعوة إلى التوحيد الله، وخلع كل ما اتخذوه إلهاً من دون الله، شق ذلك على المشركين، وأعظموه، وأنكروه، وقالوا: إنها مؤامرة أريد بها غير ما يقال، وقالوا:(أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ* وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ* مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ).

ثم لما تقدمت الدعوة وقرر المشركون الدفاع عن شركهم، والدخول في النقاش والجدال ومناظرة المسلمين ليكفوا بذلك الدعوة إلى الله، ويبطلوا أثرها في المسلمين، أقيمت عليهم الحجة من عدة جوانب، فقيل لهم: من أين علمتم أن الله تعالى أعطى عباده المقربين التصرف في الكون، وأنهم يقدرون على ما تزعمون من قضاء الحوائج وكشف الكربات؟ هل اطلعتم على الغيب؟ أو وجدتم ذلك في الكتاب ورثتموه من الأنبياء أو أهل العلم؟ قال تعالى:(أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ). وقال:(ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) [الأحقاف ٤]. وقال:(قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ) [الأنعام:١٤٨].

وكان من الطبيعي أن يعترف المشركون بأنهم لم يطلعوا على الغيب، ولا وجدوا ذلك في كتاب من كتب الأنبياء، ولا أخذوه من أهل العلم، فقالوا:(بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا) [لقمان: ٢١] وقال:(إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ) [الزخرف:٢٢].

وبهذا الجواب تبين عجزهم وجهلهم معا، فقيل لهم: إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون، فاسمعوا منه ﷻ ما يقوله ويخبر به عن حقيقة شركائكم هؤلاء يقول تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ) [الأعراف: ١٩٤]. أي إنهم لا يقدرون على شيء مما يختص بالله ﷻ كما أنكم لا تقدرون عليه، فأنتم وهم سواء في العجز وعدم القدرة، ولذلك تحداهم بقوله:(فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) [الأعراف: ١٩٤]. وقال تعالى:(وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ) أي بقدر ما يكون من القشرة الرقيقة فوق النواة(إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) [فاطر: ١٣،١٤] وقال تعالى:(وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) [النحل: ٢٠،٢١].وقال تعالى:(أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ* وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ) [الأعراف: ١٩١،١٩٢] وقال:(وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً)[الفرقان:٣].

ثم رتب على عجز هؤلاء الآلهة، وعدم قدرتهم على ما كانوا يزعمون، وأن دعاءهم والرجاء منهم لغو وباطل لا فائدة فيه إطلاقاً، وذكر لذلك بعض الأمثلة الرائعة، وذلك مثلاً قال تعالى:(وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ) [الرعد: ١٤]. ثم دعا المشركين إلى قليل من التفكير، وحيث إنهم كانوا يعترفون بأن الله ﷻ هو خالق كل شيء، وأن آلهتهم لم يخلقوا شيئاً، ولا يستطيعون أن يخلقوا شيئاً، بل هم أنفسهم مخلوقون لله، فقيل لهم: فكيف سويتم بين الله الخالق القادر وبين هؤلاء المخلوقين العجزة؟ كيف سويتم بينهما في العبادة والدعاء؟ فإنكم تعبدون الله وتعبدون هؤلاء، وتدعون الله وتدعون هؤلاء(أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ). فلما وجه إليهم هذا السؤال بهتوا، وذهبت عنهم حجتهم، فسكتوا وندموا، ثم تشبثوا بأمر باطل، قالوا: إن آباءنا كانوا من أعقل البشر، معروفين بذلك فيما بين الناس، قد اعترف بفضل عقولهم الداني والقاصي، وهم كلهم كانوا على هذا الدين، فكيف يمكن أن يكون هذا الدين ضلالاً وباطلاً؟ ولا سيما وآباء النبي ﷺ وآباء المسلمين أيضاً كانوا على هذا الدين. فرد عليهم بأنهم كانوا مهتدين، ولم يعرفوا سبيل الحق، ولا سلكوه ويستلزم هذا أنهم كانوا ضالين، لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون، وقد قيل لهم بذلك أحياناً بالإشارة والكناية ، وأحيانا بالصراحة الكاملة، مثل قوله تعالى:(إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءهُمْ ضَالِّينَ*

فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ) [الصافات: ٦٩ -٧٠]. هذه من جهة، ومن جهة أخرى أخذ المشركون يخوفون النبي ﷺ والمسلمين من آلهتهم، يقولون: إنكم أسأتم الأدب إلى آلهتنا ببيان عجزهم، فهم سوف يغضبون عليكم، فتهلككم أبو تخبطكم لأجل ذلك، وهذا كما كان الأولون يقولون لرسلهم:(إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ).

ورد على ذلك بتذكير المشركين وإلزامهم بما كانوا يشاهدونه ليلاً ونهاراً، وهي أن هذه الآلهة لا تستطيع أن تتحرك من أماكنها، وتتقدم أو تتأخر شيئاً، أو تدفع عن نفسها شراً، فكيف تستطيع أن تضر المسلمين وتهلكهم؟ (أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ) [الأعراف: ١٩٥]. وضرب لهم بمثل هذه المناسبة بعض الأمثال الصريحة، مثل قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) [الحج :٧٣] ومثل قوله تعالى: مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [العنكبوت: ٤١]

وقد بين بعض المسلمين عجزهم هذا بقوله:

أربٌّ يبول الثعلبان برأسه   لقد ذلَّ من بالت عليه الثعالب

فلما وصلت النوبة إلى مثل هذه المصارحة هاج المشركون وما جوا، وسبوا المسلمين حتى سبوا ربهم الله ﷻ فأما المسلمون فقد نهاهم الله ﷻ عن معاودة ما يسبب ذلك، وقال:(وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ). وأما المشركون فقد قرروا إحباط الدعوة، والصد عن سبيل الله بالضغط والقوة والعنف، فقام كل كبير ورئيس بتعذيب من آمن من قبيلته، وذهب جمع منهم إلى أبي طالب ليكف هو رسول الله ﷺ عن الدعوة إلى الله.

تعذيب المسلمين: فأما تعذيبهم المسلمين فقد أتوا فيه بأنواع تقشعر لها الجلود، وتتفطر منها القلوب. كان بلال بن رباح ﷺ مملوكاً لأمية بن خلف الجمحي، فكان أمية يجعل في عنقه حبلاً، ويدفعه إلى الصبيان، يلعبون به، وهو يقول: أحد أحد. وكان يخرج به في وقت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في الرمضاء، وهي الرمل أو الحجر الشديد الحرارة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا يزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فيقول أحد، أحد.

ومر به أبو بكر ﷺ يوماً وهو يعذب فاشتراه وأعتقه لله. وكان عامر بن فهيرة يعذب حتى يفقد وعيه، ولا يدري ما يقول. وعذب أبو فكيهة، واسمه أفلح، قيل: كان من الأزر، وكان مولى لبني عبد الدار،

فكانوا يخرجونه في نصف النهار في حر شديد، وفي رجليه قيد من حديد، فيجردونه من الثياب، ويبطحونه في الرمضاء، ثم يضعون على ظهره صخرة حتى لا يتحرك، فكان يبقى كذلك حتى لا يعقل، فلم يزل يعذب كذلك حتى هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وكانوا مرة قد ربطوا رجليه بحبل، ثم جروه، وألقوه في الرمضاء، وخنقوه حتى ظنوا أنه قد مات، فمر به أبو بكر فاشتراه وأعتقه لله. وكان خباب بن الأرت ممن سبي في الجاهلية، فاشترته أم أنمار بنت سباع الخزاعية، وكان حداداً، فلما أسلم عذبته مولاته بالنار، كانت تأتي بالحديدة المحماة فتجعلها على ظهره ليكفر بمحمد ﷺ فلم يكن يزيده ذلك إلا إيماناً وتسليماً، وكان المشركون أيضاً يعذبونه، فيلوون عنقه، ويجذبون شعره، وقد ألقوه مراراً على فحم النار. ثم وضعوا على صدره حجراً ثقيلاً حتى لا يقوم. وكانت زنيرة أمة رومية، أسلمت، فعذبت في الله، وأصيب في بصرها حتى عميت، فقيل لها: أصابتك اللات والعزى، فقالت: لا والله ما أصابتني، وهذا من الله، وإن شاء كشفه، فأصبحت من الغد، وقد رد الله بصرها، فقالت قريش: هذا بعض سحر محمد. وأسلمت أم عبيس: جارية لبني زهرة، فكان يعذبها مولاها الأسود بن عبد يغوث، وكان من أشد أعداء رسول الله ﷺ ومن المستهزئين به. وأسلمت جارية عمرو بنن مؤمل من بني عدي، فكان عمر بن الخطاب يعذبها، هو يومئذ على الشرك، فكان يضربها حتى يفتر، ثم يدعها، ويقول: الله ما أدعك إلا سآمة، فتقول: كذلك يفعل بك ربك. وتذكر فيمن أسلمن وعذبن من الجواري: النهدية، وابنتها وكانتا لا مرأة من بني عبد الدار. واشترى أبوبكر ﷺ هؤلاء الجواري، وأعتقهن كما أعتق بلالاً وعامر بن فهيرة، وأبا فكيهة. وقد عاتبه أبوه أبو قحافة، وقال: أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أعتقت رجالاً جلداً لمنعوك. فقال:(فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى) وهو أمية بن خلف، ومن كان على شاكلته(وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى) وهو أبوبكر الصديق ﷺ وعمن أعتقهم، وعن الصحابة أجمعين.

وعذب عمار بن ياسر وأمه وأبوه ﷺ وكانوا حلفاء بني مخزوم، فكان بنو مخزوم –وعلى رأسهم أبو جهل– يخرجونهم إلى الأبطح، إذا حميت الرمضاء، فيعذبونهم بحرها، ويمر بهم رسول الله ﷺ فيقول:" صبراً آل ياسر موعدكم الجنة، اللهم اغفر لآل ياسر". أما ياسر والد عمار –وهو ياسر بن عامر بن مالك العنسي المذحجي– فقد مات تحت العذاب. وأما –أم عمار– وهي سمية بنت خياط مولاة أبي حذيفة المخزومي، وكانت عجوزاً كبيرة ضعيفة، فطعنها أبو جهل في قبلها بحربة، فماتت، وهي أول شهيدة في الإسلام.

وأما عمار فثقل عليه لعذاب، فإن المشركين تارة كانوا يلبسونه درعاً من حديد في يوم صائف، وتارة كانوا يضعون على صدره صخراً أحمر ثقيلاً، وتارة كانوا يغطونه في الماء، حتى قال

بلسانه بعض ما يوافقهم ، وقلبه ملئ بالإيمان ، فأنزل الله:(مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ). وعذب في الله مصعب بن عمير، كان من أنعم الناس عيشاً، فلما دخل في الإسلام منعته أمه الطعام والشراب، وأخرجته من البيت، فتخشف جلده تخشف الحية. وعذب صهيب بن سنان الرومي، حتى فقد وعيه، ولا يدري ما يقول. وعذب عثمان بن عفان، كان عمه يلفه في حصير من ورق النخيل، ثم يدخنه من تحته. وأوذي أبو بكر الصديق، وطلحة بن عبيد الله، أخذهما نوفل بن خويلد العدوي وقيل: عثمان بن عبيد الله، أخو طلحة بن عبيد الله، فشدهما في حبل واحد، ليمنعها عن الصلاة وعن الدين، فلم يجيباه، فلم يروعاه إلا وهما مطلقان يصليان، وسميا بالقرينين لكونهما قد شدا في حبل واحد.

وكان أبو جهل إذا سمع برجل قد أسلم وله شرف ومنعة، أنبه، وأخزاه، وأوعده بإلحاق الخسارة الفادحة في المال والجاه، وإذا كان الرجل ضعيفاً ضربه وأغرى به. والحاصل أنهم لم يعلموا بأحد دخل في الإسلام إلا وتصدوا له بالأذى والنكال.

كانت هذه الاعتداءات ضد الضعفاء المسلمين وعامتهم. أما من أسلم من الكبار والأشراف فإنهم كانوا يحسبون له حساباً، ولم يكن يجترئ عليهم إلا أمثالهم من رؤساء القبائل وأشرافها، وذلك مع قدر كبير من الحيطة والحذر.

وقف المشركين من رسول الله ﷺ: أما رسول الله ﷺ فكان له من الشهامة والشرف والوقار ما وقاه الله به كثيراً من اعتداءات الناس. وقد كان يحوطه ويمنعه أبو طالب، وكان سيداً مطاعاً معظماً في قريش، ولا يستهان بذمته ولا تخفر، كان من ذروة بني عبد مناف، ولم تعرف لها قريش بل العرب إلا الإجلال والتكريم، فاضطر المشركون بالنسبة للنبي ﷺ إلى اتخاذ خطوات سليمة، واختاروا سبيل المفاوضات مع عمه أبي طالب، ولكن مع نوع من أسلوب القسوة والتحدي.

بين قريش وأبي طالب: فقد مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب، وقالوا له: إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه. فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً، وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه، يظهر دين الله ويدعو إليه.

إنذار قريش وتحديهم لأبي طالب: ولم تصبر قريش طويلاً حين رأوا النبي ﷺ ماضياً في عمله ودعوته إلى الله، فقد أكثروا ذكره وتذامروا فيه، ثم مشوا إلى أبي طالب، وقالوا: يا أبا طالب إن

لك سنا، وشرفاً، ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين، ثم انصرفوا. وعظم على أبي طالب هذا التحدي والإنذار، فدعا رسول الله ﷺ وذكر له ما قالوه، وقال له: أبق علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر مالا أطيق، فلما رأى رسول الله ﷺ ضعفه قال: يا عم! والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر، حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته. ثم استعبر وبكى. وعادت إلى أبي طالب الرقة والثقة، فقال: اذهب يا ابن أخي! فقل ما أحببت، فو الله لا أسلمك لشيء أبداً.

اقتراح غريب من قريش، ورد طريف من أبي طالب: ورأت قريش أن إنذارهم لم يجد نفعاً، فالرسول ﷺ ماض في عمله، وأبو طالب قائم بنصرته. وهذا يعني أنه مستعد لفراقهم وعداوتهم ومنازلتهم في نصرة ابن أخيه محمد ﷺ فلبثوا ملياً يفكرون ويتشاورون، حتى وصلوا إلى اقتراح غريب، فقد جاءوا إلى أبي طالب، ومعهم عمارة بن الوليد سيد شبابهم وأنهد فتى في قريش وأجمله، فقالوا: يا أبا طالب خذ هذا الفتى، فلك عقله ونصره، واتخذه ولداً، فهو لك، وأسلم إلينا أبن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم، فنقتله، فإنما هو رجل برجل. قال أبو طالب: والله لبئس ما تسومونني، أتعطوني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه؟ هذا والله مالا يكون أبداً.

اعتداءات على رسول الله ﷺ: ولما فشلت قريش ويئسوا، ورأوا أن الإنذار والتحدي والمساومة لم تجد نفعاً، بدأوا بالاعتداءات على ذات الرسول ﷺ وزادوا في تعذيب المسلمين والتنكيل بهم. وحيث إن الرسول ﷺ كان معززاً محتشماً محترماً، فقد تولى إيذاءه كبراء قريش ورؤساؤهم، ولم يجترئ على ذلك أذنابهم وعامتهم.

وكان النفر الذين يؤذونه في بيته أبا لهب، والحكم بن أبي العاص بن أمية، وعقبة بن أبي معيط، وعدي بن حمراء الثقفي، وابن الأصداء الهذلي وكانوا جيرانه ﷺ فكان أحدهم يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي، وكان يطرحها في برمته إذا نصبت، وكانوا إذا طرحوا عليه ذلك يخرج به على العود فيقف به على بابه ويقول: يا بني عبد مناف! أي جوار هذا؟! ثم يلقيه في الطريق.

وكان أمية بن خلف إذا رآه همزه ولمزه. والهمز: الطعن والشتم علانية، أو كسر العينين والغمز بهما. واللمز: العيب والإغراء. وكان أخوه أبي بن خلف يتوعد النبي ﷺ يقول: يا محمد إن عندي العود، فرساً أعلفه كل يوم فرقاً من ذرة أقتلك عليه. حتى قال له رسول الله ﷺ: بل أنا أقتلك إن

شاء الله –وقد قتله يوم أحد– وجاء أبي بن خلف هذا يوماً بعظم بال رميم، ونفخه في وجه رسول الله ﷺ. وجلس عقبة بن أبي معيط إلى النبي ﷺ وسمع منه، فبلغ أبيا –وكان صديقه– فعاتبه، وطلب منه أن يتفل في وجه رسول الله ﷺ ففعل. أما أبو لهب فقد عاداه وآذاه من أول يوم ظهرت فيه الدعوة إلى الله. وكانت في عقد ابنيه عتبة وعتيبة ابنتا رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم، فقال لهما: رأسي من رأسكما حرام إن لم تطلقا بنتي محمد، وقالت زوجته أيضاً: طلقاهما فإنهما قد صبأتا، فطلقاهما.

وكانت زوجته هذه –وهي أم جميل أروى بنت حرب– أيضاً عدوة لدودة لرسول الله ﷺ ودعوته، فكانت تأتي بالأغصان وفيها الشوك، فتطرحها في سبيل رسول الله ﷺ بالليل، حتى يعقر هو وأصحابه. وسمعت بنزول (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) فجاءت وفي يدها فهر –أي مل الكف من الحجارة– وهي تبحث عن رسول الله ﷺ وهو جالس مع أبي بكر عند الكعبة فأخذ الله ببصرها، فلم تكن ترى إلا أبا بكر، فقالت: أين صاحبك ؟ قد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما الله أني لشاعرة ثم قالت:

مذمماً عصينا وأمرَه أبينا ودينَه قلَينا

ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تراها رأتك، فقال: ما رأتني لقد أخذ الله ببصرها. وكان مما تؤذي به قريش أنهم كانوا يسمون رسول الله ﷺ مذمماً بدل محمد، يشتمون بذلك ويسبون، ولكن صرف الله ذلك عنه، حيث إنهم كانوا يشتمون مذمما، وهو محمد، وكان الأخنس بن شريق الثقفي أيضاً ينال من رسول الله ﷺ وأما أبو جهل فكأنه كان قد تحمل عبء الصد عن سبيل الله. وقد كان يؤذي النبي ﷺ بقوله، وينهاه عن الصلاة، ويفخر ويختال بما فعل، حتى شدد على رسول الله ﷺ وتوعده في يوم رآه يصلي، فانتهره رسول الله ﷺ وأخذه بخناقه، وهزه قال:(أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) فقال: أتوعدني يا محمد! والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئاً. وإني لأعز من مشى بين جبليها.

وقال لرفقته يوماً: يعفر محمد وجه بين أيديكم، قالوا: نعم. فقال: واللات والعزى لئن رأيته لأطأن على رقبته، ولأعفِّرن وجهه. فأتى رسول الله ﷺ، وهو يصلي، زعم ليطأ رقبته فما فجأهم إلا، وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه، فقالوا: مالك يا أبا الحكم؟ قال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً. وحاز مثل هذه الشقاوة عقبة بن أبي معيط، فقد كان رسول الله ﷺ يصلي يوماً عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجئ بسلا جزور بني فلان. فيضعه على ظهر محمد إذا سجد.

فانبعث أشقى القوم عقبة بن أبي معيط، فجاء به وانتظر، فلما سجد وضعه بين كتفيه، فجعلوا يضحكون، ويحيل (أي يميل) بعضهم على بعض، وهو ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة وطرحته عن ظهره، فرفع رأسه، ثم قال:" اللهم عليك بقريش". فشق ذلك عليهم إذ دعا عليهم، وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سماهم رجلاً رجلاً:" اللهم عليك بفلان وفلان". وقد قتلوا كلهم يوم بدر. وكان عظماء المستهزئين برسول الله ﷺ خمسة: الوليد بن المغيرة المخزومي، والأسود بن عبد يغوث الزهري، وأبو زمعة الأسود بن عبد المطلب الأسدي، والحارث بن قيس الخزاعي، والعاص بن وائل السهمي، وقد أخبر الله رسوله ﷺ أنه سيكفي شرهم فقال:(إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) ثم أنزل على كل منهم ما فيه عبرة وعظة.

فأما الوليد فكان قد أصابه قبل سنين خدش من سهم، ولم يكن شيئاً، فأشار جبريل إلى أثر ذلك الخدش فانتفض، فلم يزل يؤلمه ويؤذيه حتى مات بعد سنين. وأما الأسود بن عبد يغوث فأشار جبريل إلى رأسه، فخرج فيه قروح، فمات منها، وقيل: أصابه سموم، قيل: أشار جبريل إلى بطنه، فاستسقى بطنه، وانتفخ، حتى مات. وأما الأسود بن عبد المطلب فلما تضايق رسول الله ﷺ من أذاه دعا عليه، وقال:" اللهم أعم بصره، وأثكله ولده". فرماه جبريل بشوك في وجهه حتى ذهب بصره. رومي ولده زمعة حتى مات. وأما العاص بن وائل، فجلس على شبرقة، فدخلت شوكة لها من أخمص قدمه، وجرى سمها إلى رأسه حتى مات. هذه صورة مصغرة لما كان يعانيه رسول الله ﷺ والمسلمون من قريش بعد إعلان الدعوة والجهر بها.

وقد اتخذ رسول الله خطوتين إزاء هذا الموقف المتأزم:

الأولى: أنه جعل دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي مركز الدعوة والعبادة ومقر التربية، لأنها كانت في أصل الصفا، بعيدة عن أعين الطغاة، فكان يجتمع فيها مع صاحبته سراً، فيتلو عليهم آيات الله، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة: وبهذا التدبير وقى أصحابه كثيراً من الإحداث التي كان يخشى وقوعها لو اجتمع بهم جهراً وعلانية، أما هو ﷺ فكان يدعو الله ويدعو إليه جهراً بين ظهراني المشركين، لا يصرفه عن ذلك ظلم، ولا عدوان، ولا سخرية، ولا استهزاء، وكان ذلك من حكمة الله حتى تبلغ، ولئلا يقول قائل يوم القيامة: ما جاءنا من بشير ولا نذير.

الخطوة الثانية: أنه ﷺ أشار على المسلمين أن يهاجروا إلى الحبشة، بعد أن تأكد أن النجاشي ملك عادل لا يظلم عنده أحد. وفي رجب سنة ٥ من النبوة هاجر أول دفعة من المسلمين ، وكانوا اثني عشر

رجلاً وأربع نسوة، رئيسهم عثمان بن عفان الأموي ﷺ ومعه زوجه رقية بنت رسول الله ﷺ وهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام. خرج هؤلاء الصحابة سراً في ظلام الليل قاصدين ميناء شعيبة جنوب جدة، وكان من قدر الله أنهم وجدوا سفينتين تجاريتين فركبوهما حتى وصلوا إلى الحبشة. أما قريش فلما علموا بخروجهم هاجوا وغضبوا، وأسرعوا في آثارهم حتى يلقوا عليهم القبض، ويردوهم إلى مكة، ليواصلوا التنكيل والتعذيب، ويصرفوهم عن دين الله، ولكن المسلمين فاتوهم إلى البحر، فرجعوا خائبين بعدما وصلوا إلى الساحل.

موافقة المشركين للمسلمين وسجودهم في سورة النجم: وفي رمضان سنة خمس من النبوة أي بعد الهجرة المسلمين بحوالي شهرين خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام، وحول الكعبة جمع كبير من قريش، فيهم ساداتهم وكبراؤهم، وكانت قد نزلت عليه سورة النجم، فقام فيهم، وأخذ يتلوها فجاءة، وكان أروع كلام سمعوه قط، فاندهشوا لروعة هذا الكلام، وأخذ منهم كل مأخذ، فبقوا يستمعون إليه مبهوتين ساكتين، حتى إذا تلا في خواتم السورة زواجر وقوارع طارت لها القلوب، وتلا في الأخير(فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا). وخر ساجداً سجد الجميع، ولم يملكوا أنفسهم. روى البخاري عن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم، فسجد بها، فما بقي أحد من القوم إلا سجد، فأخذ رجل من القوم كفا من حصى أو تراب، فرفعه إلى وجهه، قال: يكفيني هذا. فلقد رأيته بعد قتل كافراً -وهو أمية بن خلف قتل يوم بدر -.

عودة المهاجرين إلى مكة: وصل هذا الخبر إلى الحبشة، ولكن في صورة تختلف عن الواقع، فقد بلغهم أن قريشاً أسلموا، فرجعوا فرحين مستبشرين إلى مكة، فلما كانوا دون مكة ساعة من نهار عرفوا جلية الأمر، فمنهم من رجع إلى الحبشة، ومنهم من دخل مكة سراً أو في جوار أحد من قريش.

الهجرة الثانية إلى الحبشة: واشتد البلاء والعذاب على المسلمين من قريش ندماً على ما فرط منهم من السجود مع المسلمين، وانتقاماً لما بلغهم عن النجاشي من حسن جواره للمهاجرين، ونظراً إلى هذه الظروف القاسية أشار رسول الله ﷺ على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرة أخرى. فهاجر اثنان أو ثلاثة وثمانون رجلاً وثمان عشرة امرأة، وكانت هذه الهجرة الثانية أشق من الأولى، لأن قريشاً كانوا متيقظين يتابعون حركات المسلمين، إلا أن المسلمين كانوا أكثر منهم تيقظاً، وأحسن منهم حكمة، وأحكم منهم خطوة، فقد فاتوهم إلى الحبشة رغم كل الجهود.

مكيدة قريش بمهاجري الحبشة: شق على المشركون أن أفلت منهم المسلمون، ووصلوا إلى مأمن يأمنون فيه على أنفسهم وإيمانهم، فأرسلوا رجلين من دهاتهم ليستردهم إلى مكة، وهما: عمرو بن العاص، وعبد الله بن ربيعة، وكانا إذ ذاك على الشرك. ونزل الرجلان بالحبشة تحت خطة مدبرة، فاتصلا أولاً بالبطارقة، وساقا إليهم الهدايا، وذكرا لهم الهدف، ولقناهم الحجة، حتى وافقوهما، ثم حضرا إلى النجاشي، فقدما إليه الهدايا، ثم كلماه، فقالا: أيها الملك: إنه قد ضوى إلى بلدك غلمان سفهاء فارقوا دينهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، وعاتبوهم فيه. وأيدهما البطارقة فيما قالاه حسب الخطة.

ولكن النجاشي احتاط في الأمر. ورأى أن يسمع القضية من الطرفين حتى يتضح له الحق. فدعا المسلمين، وسألهم: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني ولا دين أحد من هذه الملل؟ فتكلم جعفر بن أبي طالب عن المسلمين، وقال: أيها الملك: كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، ويأكل منا قوي الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه. فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان: وأمرنا بصدق لحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام —فعدد عليه أمور الإسلام— فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به دين الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم الله علينا، وأحللنا ما أحل لنا. فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان عن عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا، وظلمونا، وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك، أيها الملك!

فلما سمع النجاشي هذا، الطلب من جعفر قراءة شيء من القرآن، فقرأ عليه صدراً من كهعيص (سورة مريم) فبكى النجاشي حتى اخضلت (ابتلت) لحيته، وبكى الأساقفة حتى أخضلوا (بلوا) مصاحفهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة. ثم خاطب مندوبي قريش وقال: انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يُكادون، فخرجا. وفي اليوم الثاني احتال عمرو بن العاص حلية أخرى، فقال للنجاشي: إنهم —أي المسلمين— يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً. فدعاهم النجاشي وسألهم عن ذلك، فقال جعفر: نقول فيه الذي جاءنا به النبي ﷺ: هو عبدالله ورسوله، وروحه، وكلمته، ألقاها إلى مريم العذراء البتول. فأخذ النجاشي عوداً من الأرض،

ثم قال: والله ماعدا -أي ما جاوز - عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود. اذهبوا فأنتم شيوم -أي آمنون - بأرضي، من سبكم غرم، من سبكم غرم، من سبكم غرم. ما أحب أن لي دبراً -أي جبلاً - من ذهب، وأني آذيت رجلاً منكم. ثم أمر برد الهدايا على مندوبي قريش فخرجا مقبوحين، وأقام المسلمون بخير دار مع خير جار.

حيرة المشركين: لما منى المشركون بالخيبة والفشل في استرداد المسلمين من الحبشة استشاطوا غضباً، وكادوا يتميزون غيظاً، وينقضون على بقية المسلمين بطشاً، ولا سيما وقد كانوا يرون أن النبي ﷺ ماض في دعوته، ولكنهم رأوا أن أبا طالب قائم بنصرته رغم التهديد والوعيد الشديد، فاحتاروا في أمرهم، ولم يدروا ماذا يفعلون؟ فربما غلبت عليهم الضراوة، فعادوا إلى التعذيب والتنكيل بالنبي ﷺ وبمن بقي معه من المسلمين، وربما فتحوا باب النقاش والجدال، وربما عرضوا الرغائب والمغريات، وربما حاولوا المساومة واللقاء في منتصف الطريق، وربما فكروا في قتل النبي ﷺ والقضاء على دعوة الإسلام. إلا أن شيئاً من ذلك لم يجد لهم نفعاً، ولم يوصلهم إلى المراد، بل كانت نتيجة جهودهم الخيبة والخسران، وفيما يلي نقدم صورة مصغرة لكل من ذلك.

التعذيب ومحاولة القتل: كان من الطبيعي أن يعود المشركون إلى ضراوتهم بعد الفشل، وفعلاً عادوا إلى الشدة والبطش بالبقية الباقية من المسلمين، بل مدوا أيديهم إلى رسول الله ﷺ فمن ذلك أن عتيبة بن أبي لهب أتى النبي ﷺ وقال: هو يكفر بالذي(ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) ثم تسلط عليه بالأذى، وشق قميصه، وتفل في وجهه ﷺ إلا أن البزاق رجع على عتيبة فقال رسول الله ﷺ: اللهم أرسل كلباً من كلابك ، فخرج عتيبة في ركب إلى الشام، فلما نزلوا في الطريق طاف بهم الأسد، فقال: هو آكلي الله، كم دعى محمد علي، قتلني وهو بمكة وأنا بالشام، فلما ناموا جعلوه في وسطهم، ولكن جاء الأسد وأخذه برأسه من بين الإبل والناس، وقتله. ومن ذلك أن عقبة بن أبي معيط وطئ برجله على رقبة النبي ﷺ وهو ساجد حتى كادت عيناه تبرزان.
ويؤخذ في سياق الحوادث أن المشركين بعد فشلهم في شتى محاولاتهم لكف الدعوة أخذوا يفكرون بجد في قتل النبي ﷺ ولو أدى ذلك إلى سفك الدماء. ومما يدل على ذلك أن أبا جهل قال يوما لقريش: أن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وشتم آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له بحجر ما أطيق حمله، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم، قالوا: والله لا نسلمك لشي أبداً، فامض لما تريد. فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف، وجاء رسول الله ﷺ فقام يصلي،

وغدت قريش في أنديتهم ينتظرون ما يفعله أبو جهل، وأقبل أبو جهل حتى دنا، ثم رجع منهزماً، منتقعاً لونه، مرعوباً، قد يبست يداه على حجره، حتى قذفه من يده. فقالت له قريش: مالك يا أبا الحكم؟ قال: قمت لأفعل ما قلت البارحة، فعرض لي فحل من الإبل ما رأيت مثل هامته وقصرته وأنيابه لفحل قط ، فهم بي أن يأكلني.

قال رسول الله ﷺ:" ذاك جبريل لو دنا لأخذه". ثم حدث ما هو أشد من ذلك وأنكى، وذلك أن قريشاً اجتمعوا يوماً في الحطيم، وتكلموا في رسول الله ﷺ فبينا هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ وبدأ يطوف بالبيت، فلما مر بهم غمزوه، فعرف ذلك وجهه، ثم مر بهم الثانية، فغمزوه بمثلها، فعرف ذلك في وجهه، ثم مر بهم الثالثة، فغمزوه بمثلها، فوقف، ثم قال: أتسمعون يا معشر قريش: أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح، فأخذت القوم كلمته، كأن على رؤوسهم طائراً وقع، حتى إن أشدهم فيه ليرفؤه بأحسن ما يجد. فلما كان الغد اجتمعوا كذلك يذكرون أمره، إذ طلع عليهم، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأخذوا بمجامع ردائه، وقالوا: أنت الذي تنهانا عما كان يعبد آباءنا ؟ قال: أنا ذاك ، فانقضوا عليه، هذا يحثه، وهذا يبلبله، وأقبل عقبة بن أبي معيط فلوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، وأتى الصريخ إلى أبي بكر: أدرك صاحبك، فجاء وأخذ بمكنبي عقبة ودفعة عن النبي ﷺ وأخذ يضرب هذا، ويجاهد هذا، وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، فانصرفوا عن رسول الله ﷺ إلى أبي بكر، وضربوه ضرباً لا يعرف وجهه من أنفه، وكانت له أربع غدائر فما يمسون منها شيئاً إلا رجع، فحملته بنو تيم في ثوب وأدخلوه منزله، ولا يشكون في موته، فتكلم آخر النهار، فسأل عن رسول الله ﷺ فلاموه، وخرجوا من عنده، وعرض عليه الطعام والشراب فأبى أن يأكل أو يشرب حتى يرى رسول الله ﷺ فلما هدأ الليل وسكن الناس أوصلوه إلى رسول الله ﷺ وهو في دار الأرقم، فلما وجده بخير ساغ له الطعام والشراب.

وقد خرج أبوبكر رضي الله عنه يريد الهجرة إلى الحبشة بعدما اشتد عليه الأذى تضايقت عليه سبل الحياة، ولما بلغ برك الغماد لكيه مالك بن الدغنة سيد القارة والأحابيش فسأله عن قصده، فأخبره، فقال: مثلك يا أبا بكر لا يخرج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، فارجع واعبد ربك ببلدك، ثم رجعا إلى مكة، وأعلن ابن الدغنة في قريش عن جواره لأبي بكر، فلم ينكروا عليه، ولكن قالوا له: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره ولا يستعلن، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا وضعفتنا، فلبث أبو بكر بذلك فترة، ثم بنى مسجداً بفناء داره، واستعلن بصلاته وقراءته، فذكره ابن الدغنة بجواره. فرد عليه أبو بكر جواره، وقال: أرضى بجوار الله.

وكان رجلاً بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، وهم يعجبون منه، وينظرون إليه، فكان المشركون يؤذونه لأجل ذلك.

وأثناء هذه الظروف القاسية التي كان يمر بها رسول الله ﷺ والمسلمون حدث ما أفضى إلى إسلام بطلين جليلين من أبطال قريش طالما استراح المسلمون تحت ظل قوتهما، وهما: حمزة بن عبد المطلب عم الرسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

إسلام حمزة ﷺ: أما إسلام حمزة فسببه أن أبا جهل مر يوماً برسول الله ﷺ، وهو عند الصفا، فنال منه وآذاه، ويقال إنه ضرب بحجر في رأسه، فشجه، ونزف منه الدم، ثم انصرف إلى نادي قريش عند الكعبة، وجلس معهم، وكانت مولاة لعبد الله بن جدعان تنظر ما حدث من مسكن لها على الصفا، وبعد قليل أقبل حمزة من الصيد متوحشاً قوسه، فأخبرته الخبر، فخرج حمزة يسعى حتى قام على أبي جهل، وقال: يا مصفر استه! تشتم ابن أخي، وأنا على دينه، ثم ضربه بالقوس، فشجه شجه منكرة، وثار لحيان: بنو مخزوم وبنو هاشم، فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة -أي حمزة - فإني سببت ابن أخيه سباً قبيحاً. وكان إسلام حمزة أنفة، كأن اللسان قد سبق إليه دون قصد، ثم شرح الله صدره للإسلام، وكان أعز فتى في قريش، وأقواهم شكيمة، حتى سمي أسد الله، أسلم في ذي الحجة سنة ست من النبوة.

إسلام عمر ﷺ: بعد ثلاثة أيام من إسلام حمزة أسلم عمر بن لخطاب ﷺ وكان من أشد الناس قسوة على المسلمين قبل إسلامه، وفي ليلة سمع سراً بعض آيات القرآن، ورسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة، فوقع في قلبه أنه حق، ولكنه بقي على عناده، حتى خرج يوماً متوشحاً سيفه يريد أن يقتل النبي ﷺ فلقيه رجل، فقال: أين تعمد يا عمر! قال: أريد أن أقتل محمداً. قال : كيف تأمن من بني هاشم ومن بني زهرة، وقد قتلت محمداً؟ قال عمر: ما أراك إلا قد صبوت؟ قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر؟ إن أختك وختنك قد صبوا، فمشى مغضباً حتى أتاهما، وعندهما خباب بن الأرت يقرئهما صحيفة فيها طه، فلما سمع حس عمر توارى في البيت، وسترت أخت عمر الصحيفة، فلما دخل، قال: ما هذه صبوتما؟ فقال له ختنه: يا عمر! أرأيت إن كان الحق في غير دينك؟ فوثب عمر على ختنه، فوطئه وطأ شديداً، فجاءت أخته فرفعته عن زوجها، فنفحها نفحة بيده فدمى وجهها، فقالت وهي غضبى: يا عمر إن كان الحق في غير دينك. أشهد أن لا إله الله وأن محمداً رسول الله. ويئس عمر وندم واستحي، قال: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم أقرؤه. فقالت أخته: إنك رجس، ولا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل، فقام فاغتسل، فقام فاغتسل ثم أخذ الكتاب فقرأه:(بسم الله

الرحمن الرحيم). فقال: أسماء طيبة طاهرة، ثم قرأ طه حتى انتهى إلى قوله تعالى:(إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) فقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه؟ دلوني على محمد. وخرج خباب فقال: أبشر يا عمر! فإني أرجو أن تكون دعوة الرسول ﷺ لك يوم الخميس -وكان قد دعا النبي ﷺ تلك الليلة: اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك، بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام - ثم ذكر له خباب أن رسول الله ﷺ في دار الأرقم التي في أصل الصفا. فخرج عمر حتى أتى الدار وضرب الباب، فأطل رجل من صرير الباب فرآه متوحشاً السيف، فأخبر رسول الله ﷺ واستجمع القوم، فقال حمزة: مالكم؟ قالوا: عمر. فقال: وعمر، افتحوا له الباب، فإن يريد الخير بذلناه له، وإن كان جاء يريد شراً قتلناه سيفه. ورسول الله ﷺ داخل يوحى إليه، ثم خرج فأخذ بمجامع ثوب عمر وحمائل سيفه -وهو في الحجرة- فجبذه بشدة، وقال: أما تنتهي يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما نزل بالوليد بن المغيرة؟ ثم قال: اللهم هذا عمر بن الخطاب، اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب. فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد.

ردة فعل المشركين على إسلام عمر: كان عمر رضي الله عنه ذا شكيمة لا يرام، فلما أسلم ذهب إلى أشد قريش عداوة لرسول الله ﷺ وإيذاء للمسلمين، وهو أبو جهل، فدق بابه، فخرج، وقال: أهلاً وسهلاً ما جاء بك؟ قال: جئتك لأخبرك أني آمنت بالله ورسوله محمد، فأغلق الباب في وجهه ، وقال: قبحك الله، وقبح ما جئت به. وذهب عمر إلى خاله العاصي بن هشام فأعلمه فدخل البيت. وذهب إلى جميل بن معمر الجمحي -وكان أنقل قريش لحدي - فأخبره أنه أسلم، فنادى جميل بأعلى صوته أن ابن الخطاب قد صبأ، فقال عمر: كذب، ولكني قد أسلمت، فثاروا إليه، فلما زال يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم. ولما رجع إلى بيته اجتمعوا وزحفوا إليه، يريدون قتله، حتى سال بهم الوادي كثرة، وجاء العاص بن وائل السهمي -من بني سهم، وكانوا حلفاء بني عدي قوم عمر - وعليه حلة حبرة، وقميص مكفوف بحرير، فقال: مالك؟ قال: زعم قومك أنهم سيقتلونني أن أسلمت، قال: لا سبيل إليك، ثم خرج فوجد الناس قد سال بهم الوادي، فقال: أين تريدون؟ قالوا هذا ابن الخطاب قد صبأ، قال: لا سبيل إليه فرجعوا.

عزة الإسلام والمسلمين بإسلام عمر: أما المسلمون فقد وجدوا عزة وقوة كبيرة بإسلام عمر، فقد كانوا قبل ذلك يصلون سراً، فلما أسلم عمر قال: يا رسول الله ألسنا على الحق وإن متنا وإن حيينا؟ قال: بلى. قال: فيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن، فخرجوا به في صفين، حمزة

في أحدهما وعمر في الآخر، لهم كديد ككديد الطحين، حتى دخلوا المسجد الحرام، فلما نظرت إليهما قريش أصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها، ولذلك سمى الفاروق. قال بن مسعود: ما ذلنا أعزة منذ أسلم عمر، وقال ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر. وقال صهيب: لما أسلم عمر ظهر الإسلام، ودعي إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقاً، وطفنا بالبيت، وانتصفنا ممن غلظ علينا، ورددنا عليه بعض ما يأتي به.

عرض الرغائب والمغريات: ولما رأى المشركون قوة المسلمين وشوكتهم بعد إسلام حمزة وعمر ﵄ اجتمعوا لشورى بينهم. وليفكروا في أنسب خطوة يقومون بها في أمر رسول الله ﷺ والمسلمين. فقال لهم عتبة بن ربيعة العبشمي -من بني عبد شمس بن عبد مناف، وكان سيداً مطاعاً في قومه - يا معشر قريش! ألا أقوم لمحمد فأكلمه، وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكف عنا؟ فقالوا: بلى يا أبا الوليد! فقم إليه فكلمه. فذهب إلى رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد وحده. فقال يا ابن أخي! إنك من حيث قد علمت، من خيارنا حسباً ونسباً، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت أحلامهم، وعبت آلهتهم ودينهم، وكفرت من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. فقال عليه الصلاة والسلام:" قل يا أبا الوليد أسمع". فقال: يا ابن أخي! إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك. وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً. وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً من الجن لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا، حتى نبرئك منه. فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه. فقال عليه الصلاة السلام:" أو قد فرغت يا أبا الوليد"! قال: نعم. قال:" فاسمع مني". قال: أفعل. فقرأ رسول الله ﷺ:(بسم الله الرحمن الرحيم حم * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ). ومضى رسول الله ﷺ يقرؤها عليه، وهو يستمع منه، وقد ألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما، فلما بلغ رسول الله ﷺ إلى قوله تعالى:(فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ). وضع عتبة يده على فم رسول الله ﷺ وناشد الله والرحم مخافة أن يقع في ذلك، وقال: حسبك. ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة سجد، ثم قال:" سمعت يا أبا الوليد"؟ قال: سمعت. قال: " فأنت وذاك". فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو

الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط. والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة. يا معشر قريش! أطيعوني واجعلوا لي. وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه. فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد. قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم.

مساومات وتنازلات: ولما فشل المشركون في هذا الإغراء والترغيب، فكروا في المساومة في الدين، فقالوا له: ﷺ نعرض عليك خصلة واحدة لك فيها صلاح. قال:" وما هي"؟ قالوا: تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة، فإن كنا على الحق أخذت حظاً، وإن كنت على الحق أخذنا منه حظاً، فأنزل الله تعالى:(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) إلى آخر السورة، وأنزل:(قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ). وأنزل أيضاً:(قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ). وكان المشركون حريصين على حسم الخلاف، آملين ما رجاه عتبة بن ربيعة، فأبدوا مزيداً من التنازل، ومالوا إلى قبول ما يعرضه رسول الله ﷺ ولكن اشترطوا بعض التعديل والتبديل فيما أوحي إليه، فقالوا:(ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ) فأمره الله تعالى:(قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)، ونبهه الله على عظم هذا، فقال وهو يذكر بعض ما دار في الخلد النبي ﷺ من الخواطر حول ذلك:(وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً * وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً * إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً). وبهذه المواقف الصارمة تبين للمشركين أن النبي ﷺ قائم بالدعوة إلى الدين، وليس بتاجر حتى يقبل المساومة أو التنازل في الثمن، فأرادوا التأكد من ذلك عن طريق أخرى. فأرسلوا إلى يهود يسألونهم عن أمر النبي ﷺ فقالت لهم أحبار اليهود: سلوه عن ثلاث، فإن أخبر فهو نبي مرسل، وإلا فهو متقول. سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان أمرهم؟ فإن لهم حدثياً عجبا، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هي؟ فسألت عظماء قريش رسول الله ﷺ عن ذلك. فنزلت سورة الكهف فيها قصة أولئك الفتية، وهم أصحاب الكهف. وقصة ذلك الرجل الطواف، وهو ذو القرنين. ونزل في سورة الإسراء الرد على سؤالهم عن الروح، وهو قوله تعالى:(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً). وكان هذا الاختبار يكتفي لاقتناع قريش بأن محمداً ﷺ رسول حقاً، لو أرادوا الح، ولكن أبي الظالمون إلا كفوراً.

وكأنهم لما اتضحت لهم الحقائق، وتبين لهم الحق، أبدوا بعض المرونة، فقد أبدوا استعدادهم لاستماع ما يقوله النبي ﷺ علهم يستجيبون ويقبلون، ولكن اشترطوا أن يخصص لهم مجلس لا يحضره ضعفاء المسلمين. وهم العبيد والمساكين الذين سبقوا إلى الإسلام، وذلك لأن هؤلاء الكفار الذين طالبوا بذلك كانوا سادات مكة وأشرافها، فأبوا واستنكفوا أن يجلسوا مع هؤلاء المساكين الذين كانوا أصحاب الإيمان والتقوى. وكأن النبي ﷺ رغب في استجابة مطلبهم هذا بعض الرغبة رجاء أن يؤمنوا به، فنهاه الله عن ذلك، وأنزل قوله:(وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ).

الاستعجال بالعذاب: ربما كان النبي ﷺ أوعد المشركين بعذاب الله إن استمروا على مخالفته كما سبق، فلما أبطأ العذاب طفقوا يستعجلون به على سبيل السخرية والعناد، وتظاهروا بأن هذا الوعيد لم يؤثر فيهم، ولن يتحقق أبداً، فأنزل الله في ذلك آيات، منها قوله تعالى:(وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ). ومنها قوله تعالى:(يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ)، ومنها قوله تعالى:(أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ* أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ* أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)، وغير ذلك من الآيات. وكان من جملة مجادلة المشركين أنهم كانوا يطالبون بالآيات من المعجزات خوارق العادات عناداً وتعجيزاً، فأنزل الله في ذلك ما بين به سنته، وقطع به حجتهم. وسنمر على شيء من ذلك في الفصول القادمة إن شاء الله. تلكم هي المحاولات التي واجه بها المشركون رسالة محمد ﷺ ودعوته، وقد مارسوها كلها جنباً إلى جنب متنقلين من طور إلى طور، ومن دور إلى دور. فمن شدة إلى لين، ومن لين إلى شدة، ومن جدال إلى مساومة، ومن مساومة إلى جدال، ومن هجوم إلى ترغيب، ومن ترغيب إلى هجوم، كانوا يثيرون ثم يخورون، يجادلون ثم يجاملون، ينازلون ثم يتنازلون، يوعدون ثم يرغبون، كأنهم يتقدمون ويتأخرون، لا يقر لهم قرار، ولا يعجبهم الفرار. وكان عرضهم من كل ذلك كف دعوة الإسلام ولم شعث الكفر، لكنهم بعد ذلك بذل مل الجهود عادوا خائبين خاسرين، ولم يبق أمامهم إلا خيار واحد، وهو السيف، والسيف لا يزيد الفرقة إلا شدة، ولا يفضي إلا إلى تناحر لعله يستأصل شأفتهم، فاحتاروا ماذا يفعلون. أما أبو طالب فانه لما واجه مطالبتهم بتسليم النبي ﷺ إليهم ليقتلوه، ثم رأي في تحركاتهم وتصرفاتهم ما يؤكد أنهم يريدون قتله -مثل ما فعله أبو جهل، وعقبة بن أبي معيط، وعمر بن الخطاب - جمع بني هاشم وبني المطلب ودعاهم إلى

القيام بحفظ النبي ﷺ فأجابوه إلى ذلك كلهم مسلمهم وكافرهم، وتعاقدوا وتعاهدوا عليه عند الكعبة. إلا أبو لهب، فإنه فراقهم، وكان مع قريش.

المقاطعة العامة وفرض الحصار: زادت حيرة المشركين إذ نفدت بهم الحيل، ووجدوا بني هاشم وبني المطلب مصممين على حفظ النبي ﷺ والقيام دونه كائناً ما كان ، فاجتمعوا في خيف بني كنانة ليدرسوا الموقف الراهن، ويقضوا فيه، فاستشاروا ثم استشاروا حتى وصلوا إلى حل غاشم تحالفوا عليه. وهو أنهم لا يناكحون بني هاشم وبني المطلب، ولا يبايعونهم، ولا يجالسونهم، ولا يخالطونهم، ولا يدخلون في بيوتهم، ولا يكلمونهم، ولا يقبلون منهم صلحاً أبداً، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل. تحالفوا على هذا القرار، وكتبوا بذلك صحيفة علقوها في جوف الكعبة وكان الذي كتبها بغيض بن عامر بن هاشم، فدعا عليه رسول الله ﷺ فشلت يده أو بعض أصابعه. وانحاز بعد ذلك بنو هاشم وبنو المطلب في شعب أبي طالب، سواء في ذلك مسلمهم وكافرهم -إلا أبا لهب - وقطعت عنهم الميرة والمادة. ومنع التجار من مبايعتهم، فجهد القوم حتى أكلوا أوراق الشجر، والجلود، وواصلوا الضر والفاقة، حتى سمعت أصوات النساء والصبيان يتضاغون جوعاً. ولم يكن يصل إليهم شيء إلا سراً، فكان حكيم بن حازم ربما يحمل قمحاً إلى عمته خديجة -رضي الله عنها - أما هم فكانوا لا يخرجون من الشعب إلا في الأشهر الحرم، فكانوا يشترون من العير التي تأتي من الخارج، إلا أن أهل مكة كانوا يزيدون عليهم في الثمن حتى لا يستطيعوا الشراء. وكان رسول الله ﷺ على رغم كل ذلك مستمراً في دعوته إلى الله ولا سيما في أيام الحج حينما كانت القبائل العربية تفد إلى مكة من كل صوب.

نقض الصحيفة وفك الحصار: وبعد نحو ثلاث سنوات قدر الله أن ينتهي هذا العدوان، فألقى في قلوب خمسة من أشراف قريش أن يقوموا بنقض الصحيفة وفك الحصار، وأرسل الأرضة، فأكلت كل ما في الصحيفة من القطيعة والجوار، ولم تترك إلا ذكر الله ﷻ.

فأما أشراف قريش الخمسة فأولهم: هشام بن عمرو بن الحارث من بني عامر بن لؤي، ذهب هذا الرجل إلى زهير أبن أبي أمية المخزومي وهو ابن عاتكة عمة النبي ﷺ ثم إلى المطعم بن عدي. ثم إلى أبي البختري بن هشام ثم إلى زمعة بن الأسود. فذكر كل واحد منهم بالقرابة والرحم، ولا مهم على قبول الجور، وحضهم على نقد الصحيفة. فاجتمعوا عند خطم الحجون، واتفقوا على خطة يقومون بها لنقض الصحيفة. وصباحاً حين قامت أندية قريش في المسجد الحرام جاء زهير وعليه حلة، فطاف بالبيت، ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة! نحن نأكل الطعام، ونلبس الثياب، وبنو

هاشم وبنو المطلب هلكي، لا يبيعون ولا يبتاعون، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة. فقال أبو جهل: كذبت، والله لا تشق. فقال زمعة: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتها حين كتبت. فقال أبو البختري: صدق زمعة، لا نرضى ما كتب فيها، ولا نقربه. وقال المطعم بن عدي: صدقتما، وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها. وصدقه أيضاً هشام بن عمرو. فقال أبو جهل: ذا أمر قضي بليل. وتشوور فيه بغير هذا المكان. وكان أبو طالب جالساً في ناحية المسجد، جاء ليخبرهم أن النبي ﷺ أخبره أن الله سلط على صحيفتهم الأرضة، فأكلت ما فيها من جور وقطيعة وظلم، ولم تترك إلا ذكر الله. وقال بعد ما أخبرهم بذلك: فإن كان كاذباً خلينا بينكم وبينه، وإن كان صادقاً رجعتم عن قطيعتنا وظلمنا. قالوا: أنصفت. وقام المطعم على إثر رده على أبي جهل ليشق الصحيفة، فوجدها قد أكلتها الأرضة، إلا "باسمك اللهم" وما فيها من اسم الله. فكان ما أخبر به النبي ﷺ آية من آيات الله رآها المشركون بأعينهم، لكنهم لم يزالوا مسترسلين في الغي. أما الحصار فقد انتهى بعد ذلك، وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من الشعب.

وفد قريش بين يدي أبي طالب: عادت الأمور بعد فك الحصار إلى ما كانت عليه من قبل. ولكن ما هي إلا أشهر حتى لحق أبا طالب المرض. وأخذ يشتد ويزداد، وكان قد جاور الثمانين، فشعرت قريش أنه لا قيام له من هذا المرض، فاستشاروا فيما بينهم وقالوا: انطلقوا بنا إلى أبي طالب، فليأخذ عن ابن أخيه وليعطه منا، فإنا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون إليه شيء فتعيرنا به العرب. يقولون: تركوه حتى إذا مات عمه تنالوه، فانطلقوا ودخلوا عليه وطلبوا منه أن يكف هو رسول الله ﷺ عن آلهتكم، وهم يدعونه وإلهه. فدعاه أبو طالب وعرض عليه ما قاله القوم. فقال رسول الله ﷺ: يا عم إني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم العجم الجزية، ففزعوا وقالوا: كلمة واحدة؟ نعم! وأبيك عشراً. فما هي؟ قال: لا إله إلا الله ، فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم، ويقولون:(أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ).

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

....

....

عــام الحــزن

وفاة أبي طالب: أما مرض أبي طالب فلم يزل يشتد به حتى حضرته الوفاة. ودخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية فقال رسول الله ﷺ:" أي عم! قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله". فقالا: يا أبا طالب! أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر ما قال: على ملة عبد المطلب. فقال النبي ﷺ:" لأستغفرن لك ما لم أنه عنك" فنزلت:(مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ). وكانت وفاته في شهر رجب أو رمضان سنة عشر من النبوة، وذلك بعد الخروج من الشعب بستة أشهر، وقد كان عضداً وحرزاً لرسول الله ﷺ وحصناً احتمت به الدعوة الإسلامية من هجمات الكبراء والسفهاء، ولكنه بقي على ملة الأجداد فلم يفلح كل الفلاح. قال العباس للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك؟ فإنه كان يحوطك ويغضب لك. قال:" هو في ضحضاح من النار، ولو لا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار".

خديجة إلى رحمة الله: ولم يندمل جرح رسول الله ﷺ على وفاة أبي طالب حتى توفيت أم المؤمنين خديجة –رضي الله عنها– وذلك في رمضان من نفس السنة العاشرة بعد وفاة أبي طالب بنحو شهرين أو بثلاثة أيام فقط. وكانت وزير صدق لرسول الله ﷺ على الإسلام ، آزرته على إبلاغ الرسالة، وآسته بنفسها ومالها، وقاسمته الأذى والهموم. قال ﷺ:" آمنت بي حين كفر بي الناس، وصدقتني حين كذبني الناس، وأشركتني في مالها حين حرمني الناس، ورزقني الله ولدها وحرم ولد غيرها".

وورد في فضائلها أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! هذه خديجة قد آتت، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب. وكان النبي ﷺ يذكرها دائماً، ويترحم عليها، وتأخذ به الرأفة والرقة لها كلما ذكرها، وكان يذبح الشاة فيبعث في أصدقائها. لها مناقب جمة وفضائل كثيرة.

تراكم الأحزان: واشتد البلاء على رسول الله ﷺ من قومه بعد موت عمه أبي طالب وزوجة خديجة -رضي الله عنها - فقد تجرؤوا عليه، وكاشفوه بالأذى، وطفق النبي ﷺ يتأثر بشدة بكل ما يحدث، ولو كان أصغر وأهون مما سبق. حتى إن سفيها من سفهاء قريش نثر التراب على رأسه،

فجعلت إحدى بناته تغسله وتبكي، وهو يقول لها: لا تبكي يا بنية! فإن الله مانع أباك، ويقول بين ذلك: ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب.

زواجه ﷺ بسودة ثم بعائشة رضي الله عنهما: وفي شوال -بعد الشهر الذي توفيت فيه خديجة - تزوج رسول الله ﷺ بسودة بنت زمعة -رضي الله عنها - وكانت تحت ابن عمها: السكران بن عمرو رضي الله عنه وكانا من السابقين الأولين إلى الإسلام وقد هاجرا إلى الحبشة، ثم رجعا إلى مكة، فتوفي بها السكران بن عمرو، فلما حلت تزوجها النبي ﷺ وبعد أعوام وهبت نوبتها لعائشة. أما زواجه بعائشة -رضي الله عنها - فكان أيضاً في شهر شوال ولكن بعد سودة بسنة، تزوجها بمكة وهي بنت ست سنين، ودخل بها في المدينة في شهر شوال في سنة الأولى من الهجرة وهي بنت تسع سنين، وكانت أحب أزواجه ﷺ إليه، وأفقه نساء الأمة. لها مناقب جمة وفضائل وافرة.

الرسول ﷺ في الطائف: وفي هذه الظروف قصد رسول الله ﷺ الطائف رجاء أن يستجيبوا لدعوته، أو وينصروه، فخرج إليها ماشياً على قدميه، ومعه مولاه زيد بن حارثة ، وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام حتى بلغ الطائف. ونزل على ثلاثة إخوة من رؤساء ثقيف، فدعاهم إلى الإسلام وإلى نصرته ﷺ على تبليغه ، فلم يستجيبوا له، بل ردوا عليه أسوء رد، فتركهم وقصد الآخرين، ودعاهم إلى قبول الإسلام ونصرته، ولم يزل ينتقل من رئيس إلى رئيس، فلم يترك أحداً من أشرافهم إلا وكلمه، وقضى في ذلك عشرة أيام، لكن لم يجب له أحد، بل قالوا له: اخرج من بلدنا، وأغروا به صبيانهم وسفهاءهم وعبيدهم، فلما تهيأ وخرج وقفوا له في صفين، وأخذوا يسبونه ويشتمونه ويرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبيه وقدميه ﷺ وحتى اختضب نعلاه بالدم. وكان زيد بن الحارثة رضي الله عنه يقيه بنفسه، ويدافع عنه، فأصابه شجاج في رأسه، واستمرت هذه السفاهة حتى وصل رسول الله ﷺ إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة على بعد ثلاثة أميال من الطائف فدخل فيه، فلما دخل فيه انصرفوا عنه. وجلس النبي ﷺ في الحائط تحت ظل حبلة من عنب، متعمداً إلى جدار، وقد أثر في نفسه ما لاقاه، فدعا بالدعاء المشهور: "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس. يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني. أم إلى عدو ملكته أمري. إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك. أو يحل عليَّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك". ورآه ابنا ربيعة في هذا الحال فأخذتهما رقة. وأرسلا إليه بقطف من عنب مع مولى لهم نصراني اسمه عداس، فلما مد

النبي ﷺ يده ليتناوله قال:" بسم الله" ثم أكل. فقال عداس، هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد. فقال له النبي ﷺ:" من أي البلاد أنت؟ وما دينك؟" فقال: نصراني، من أهل نينوى. فقال:" من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ "فقال: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال النبي ﷺ:" ذاك أخي كان نبياً وأنا نبي". وقرأ عليه قصة يونس -عليه السلام— من القرآن، فأسلم عداس على ما يقال. ثم خرج رسول الله ﷺ من الحائط، وتقدم في طريقه إلى مكة، وهو كئيب حزين مهموم، حتى إذا بلغ قرن المنازل، أظلته سحابة فيها جبريل ومعه ملك الجبال، فرفع ﷺ رأسه ، فناداه جبريل، قال: أن الله بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت. ثم سلم ملك الجبال وقال: يا محمد! ذلك، فما شئت، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين -وهما جبلا مكة: أبو قبيس والذي يقابله- فقال ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً. وأفاق رسول الله ﷺ من همه بمجيء هذا النصر، وتقدم في طريقه إلى مكة حتى نزل بنخلة، وأقام بها أياماً، وأثناء إقامته بها صرف الله إليه نفراً من الجن يستمعون القرآن، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين، وقد آمنوا به، ولم يشعر بهم رسول الله ﷺ حتى نزل بذلك القرآن: آيات من سورة الأحقاف، وآيات من رسول الجن. وبعد أيام خرج رسول الله ﷺ من نخلة يريد مكة، وهو يرجو من الله الفرج والمخرج، ويخشى من قريش الشر والبطش، فأحب أن يحتاط لنفسه، فلما دنا من مكة مكث بحراء، وبعث رجلاً إلى بن شريق ليجيره، فأعتذر بأنه حليف، والحليف لا يجير، فأرسل إلى سهيل بن عمرو، فاعتذر بأنه من بني عامر بن لؤي، وهم لا يجيرون على بني كعب بن لؤي، فأرسل إلى المطعم بن عدي، وهو من بني نوفل بن عبد مناف أخي هاشم بنم عبد مناف جد النبي ﷺ وعبد مناف أعز بطن في قريش، فقال المطعم: نعم. وتسلح هو وبنوه، ثم أرسل إلى رسول الله ﷺ فجاء ودخل المسجد الحرام، وطاف بالبيت، وصلى ركعتين، ثم انصرف إلى بيته، والمطعم بن عدي وأولاده محدقون برسول الله ﷺ بالسلاح. وكان المطعم قد أعلن في قريش أنه أجار محمداً، فقبلوا ذلك منه.

جدال المشركين وطلبهم الآيات: وكان من جملة جدال المشركين أنهم كانوا يطلبون من رسول الله ﷺ الآيات تعجيزاً وعناداً، وقد تكرر ذلك منهم مراراً في أوقات مختلفة، فمن ذلك أنهم اجتمعوا مرة في المسجد الحرام، واستشاروا بينهم، ثم أرسلوا إلى النبي ﷺ أن أشراف قومك قد اجتمعوا ليكلموك. وحيث إن النبي ﷺ كان حريصاً على رشدهم غاية الحرص، كما قال الله تعالى:(فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا). فقد جاءهم سريعاً يرجو إسلامهم، فقالوا: إنك تخبرنا أن الرسل كانت لهم آيات، كانت لموسى عصا، ولثمود الناقة، وكان

عيسى يحيي الموتى، فأتنا بآية كما أرسل الأولون. وكانوا يظنون أن من خواص الرسل أنهم يقدرون على إحداث مثل هذه الخوارق والمعجزات متى شاءوا، كما يقدر عامة الناس على أعمالهم الطبيعية. فاقترحوا عليه ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، أو يسير عنهم الجبال، ويبسط لهم البلاد، ويجري فيها الأنهار، أو يبعث من مضى من آبائهم حتى يشهدوا بأنه رسول:(وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ والملائكة قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ). وقد أبدوا رغبتهم في الإسلام إذا أتى النبي ﷺ بما اقترحوه (وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا)، فدعا الله أن يريهم ما طلبوه، ورجا إسلامهم، فجاء جبريل وخيره بين أن يريهم الله ما طلبوه فمن كفر بعد ذلك منهم عذبه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين، وبين أن يفتح لهم باب التوبة والرحمة، فقال: بل باب التوبة والرحمة، فلما اختار النبي ﷺ هذا أنزل الله عليه جواب مقترحات المشركين فقال له:(قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً). والمعنى قل لست أقدر على إحداث الخوارق والإتيان بالمعجزات، لأن القدرة على ذلك أمر يختص بالله سبحانه وتعالى، وهو منزه من أن يكون له شريك في قدرته، وإنما أنا بشر، كما أنكم بشر، فلست أقدر عليه كما أنكم لا يقدرون عليه. وإنما الذي امتزت به فيما بينكم هو أنني رسول، ويوحي إلي، وأنتم لستم برسل، وليس يوحى إليكم، فالذي طلبتموه من الآيات ليس في يدي ولا تحت تصرفي، وإنما هو إلى الله ﷻ إن شاء أظهرها لكم، ويؤيدني بها عليكم، وإن شاء أخرها عنكم، وفي ذلك مصلحتكم. وقد أكد الله هذا المعنى في سورة الأنعام فقال:(قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ). أي إن الأنبياء والرسل ليسوا بالذين يأتون بالخوارق والمعجزات، وإنما الله ﷻ هو الذي يأتي بها. وهو إنما يظهرها على أيدي الأنبياء والمرسلين تكريماً لهم، وتأييداً وإثباتاً نبوتهم ورسالتهم. ثم بين الله ﷻ أنه لو أراهم وأظهر لهم ما طلبوه من الآيات لا يؤمنون به. مع كونهم قد أقسموا بالله جهد أيمانهم ليؤمنن به، فقال:(وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) وقال:(وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً) [١٣: ٣١] وفي ثنايا مثل هذه الآيات أشار الله تعالى إلى سنة من سننه، وهي أن القوم إذا طلبوا آية معينة، ثم لم يؤمنوا بها إذا جاءتهم فإنهم يهلكون ولا يمهلون. وسنة الله لا تتغير ولا تتبدل، وقد علم الله أن معظم قريش يؤمنون فيما بعد. فلذلك لم يأت لهم بما اقترحوه من الآيات الخاصة التي مضى ذكرها قريباً.

شق القمر: كأن قريشاً لما رأوا أن رسول الله ﷺ لم يجبهم إلى ما اقترحوه من الآيات الخاصة ظنوا أن طلب الآيات أحسن وسيلة لتعجيزه وإسكاته. ولإقناع عامة الناس بأنه متقول، وليس برسول، فتقدموا خطوة أخرى، وقرروا أن يطلبوا منه آية بغير تعيين، ليتبين للناس عجزه، فلا يؤمنوا به، فجاءوا إليه، وقالوا له: هل من آية نعرف بها أنك رسول الله؟ فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يريهم آية. فأراهم القمر قد انشق فرقتين: فرقة فوق الجبل -أي جبل أبي قبيس - وفرقه دونه، حتى رأوا حراء بينهما، فقال رسول الله ﷺ:" اشهدوا". ورأت قريش هذه الآية جهاراً، بوضوح، ولوقت طويل، فسقط في أيديهم وبهتوا، ولكنهم لم يؤمنوا، بل قالوا: هذا سحر ابن أبي كبشة، لقد سحرنا محمد، فقال رجل: إن كان قد سحركم فإنه لا تستطيع أن يسحر الناس كلهم، فانتظروا ما يأتيكم به السفار، فجاء السفار فسألوهم، فقالوا: نعم قد رأيناه. ولكن قريشاً مع ذلك أصروا على كفرهم واتبعوا أهواءهم. وكأن انشقاق القمر كان كالتمهيد لما هو أكبر وأهم حدثاً من ذلك، وهو الإسراء والمعراج، فإن رؤية القمر هكذا منشقاً بعين اليقين تسهل على الذهن قبول إمكان الإسراء والمعراج والله أعلم.

الإسراء والمعراج: المراد بالإسراء توجه النبي ﷺ ليلاً من مكة المكرمة إلى بيت المقدس، والمراد بالمعراج صعوده ﷺ إلى العالم العلوي، وكان ذلك بجسده الشريف وروحه الأطهر. والإسراء مذكور في القرآن في قوله تعالى:(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ). أما المعراج فقيل: هو مذكور في سورة النجم من آياتها السابعة إلى الثامنة عشرة. وقيل: المذكور في هذه الآيات غير المعراج.
واختلف في وقت الإسراء والمعراج، فقيل: هو السنة التي بعث فيها النبي ﷺ وقيل: سنة خمس من النبوة. وقيل: في ٢٧ رجب سنة عشر من النبوة. وقيل: في ١٧ رمضان سنة اثنتي عشرة من النبوة. وقيل: في المحرم، وقيل: في ١٧ ربيع الأول سنة ١٣ من النبوة. أما تفصيل القصة فملخص الروايات الصحيحة: أن جبريل عليه السلام جاء بالبراق، وهو دابة فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، والنبي ﷺ بالمسجد الحرام، فركبه حتى أتى بيت المقدس ومعه جبريل، فربطه بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخل المسجد، فصلى فيه ركعتين. أم فيهما الأنبياء. ثم أتاه جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن. فاختار اللبن، فقال جبريل: أصبت الفطرة، هديت وهديت أمتك. أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك. ثم عرج به من بيت المقدس إلى السماء الدنيا، فاستفتح له جبريل ففتح له، فرأى هنالك آدم أبا البشر فسلم عليه، فرد عليه السلام، ورحب به، وأقر بنبوته، وعن يمينه أسودة إذا نظر إليهم ضحك -وهي أرواح السعداء - وعن يساره أسودة إذا نظر إليهم بكى. -وهي أرواح

الأشقياء -. ثم عرج على السماء الثانية فاستفتح له جبريل ففتح. فرأى فيها أبني الخالة يحيى بن زكريا، وعيسى ابن مريم عليه السلام فسلم عليهما، فردا عليه ورحبا به وأقرا بنبوته. ثم عرج إلى السماء الثالثة، فرأى فيها يوسف عليه السلام. وكان قد أعطى شطر الحسن. فسلم عليه، فرد عليه، ورحب به، وأقر بنبوته. ثم عرج به إلى السماء الرابعة فرأى فيها إدريس عليه السلام فسلم عليه، فرد عليه، ورحب به، وأقر بنوبته. ثم عرج به إلى السماء الخامسة فرأى فيها هارون بن عمران عليه السلام فسلم عليه فرد عليه، ورحب به، وأقر بنبوته. ثم عرج به إلى السماء السادسة فلقي فيها موسى بن عمران عليه السلام فسلم عليه فرد عليه، ورحب به، وأقر بنبوته. فلما جاوزه بكى. فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أبكي لأن غلاماً بعث من بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي. ثم عرج به إلى السماء السابعة فلقي فيها إبراهيم عليه السلام فسلم عليه، فرد عليه، ورحب به، وأقر بنبوته. وكان مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وهو بيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه. ثم رفع إلى سدرة المنتهى، فإذا أوراقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال -أي الجرار الكبيرة - ثم غشيها فراش من ذهب، وغشيها من أمر الله ما غشيها، فتغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها. ثم عرج به إلى الجبار جل جلاله، فدنا منه، حتى كان قاب قوسين أو أدنى. فأوحى إلى عبده ما أوحى. وفرض عليه وعلى أمته خمسين صلاة في كل يوم وليلة. فرجع حتى مر على موسى فقال: بم أمرك ربك؟ قال: بخمسين صلاة، قال: أمتك لا تطيق ذلك، ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. فالتفت إلى جبريل. فأشار أن نعم إن شئت. فرجع فوضع عنه عشراً. ثم مر بموسى فسأله فأخبره فأشار عليه بسؤال التخفيف. فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله عز وجل حتى جعلها خمساً . ثم مر بموسى فأشار بالرجوع وسؤال التخفيف. وقال: الله لقد راودت بني إسرائيل على أدنى من هذا فضعفوا عنه وتركوه، فقال صلى الله عليه وسلم: قد استحييت من ربي، ولكني أرضى وأسلم. فلما بعد نودي أن قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي، هي خمس وهن خمسون، لا يبدل القول لدي. ثم رجع عليه السلام من ليلته إلى مكة المكرمة، فلما أصبح في قومه أخبرهم بما أراه الله عز وجل من آياته الكبرى، فاشتد تكذيبهم له وأذاهم واستضرارهم عليه، فمنهم من صفق. ومنهم من وضع يده على رأسه تعجباً وإنكاراً. وسعى رجال إلى أبي بكر الصديق، وأخبروه الخبر . فقال: إن كان قال ذلك فقد صدق. قالوا: أتصدقه على ذلك؟ قال: إني لأصدقه على أبعد من ذلك. أصدقه على خبر السماء في غدوة أو روحة، فسمي الصديق. وقام الكفار يمتحنونه فسألوه أن يصف لهم بيت المقدس. ولم يكن رآه قبل ذلك. فجلاه الله له حتى عاينه، فطفق يخبرهم عن آياته، يصفه لهم باباً باباً وموضعاً موضعاً، فلم يستطيعوا أن يردوا عليه، بل قالوا: أما النعت فو الله لقد أصاب. وسألوه عن عير لهم قادمة من الشام. فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها ووقت قدومها، وعن البعير الذي يقدمها، وكان

الأمر كما قال، ولكن أبى الظالمون إلا كفورا. وصبيحة يوم الإسراء جاء جبريل وعلم رسول الله ﷺ كيفية الصلوات الخمس وأوقاتها، وكانت الصلاة قبل ذلك ركعتين في الصباح. وركعتين في السماء.

عرض الإسلام على القبائل والأفراد: كان من دأب رسول الله ﷺ منذ أمره الله بالجهر بالدعوة أنه كان يخرج في موسم الحج أيام أسواق العرب إلى منازل القبائل فيدعوهم إلى الإسلام. وأشهر أسواق العرب في الجاهلية وأقربها إلى مكة ثلاثة: عكاظ ومجنة وذو المجاز، وعكاظ قرية بين نخلة والطائف. كانوا يقيمون بها السوق من أول شهر ذي القعدة إلى عشرين منه. ثم ينتقلون منها إلى مجنة، فيقيمون بها السوق إلى نهاية شهر ذي القعدة، وهي موضع في وادي مر الظهران أسفل مكة. وأما ذو المجاز فهو خلف جبل عرفه أي خلف جبل الرحمة، وكانوا يقيمون هناك السوق من أول ذي الحجة إلى الثامن منه، ثم يتفرغون لأداء مناسك الحج. وممن أتاهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام، وعرض عليهم نفسه ليؤوه وينصروه: بنو عامر بن صعصعة. وبنو محارب بن خصفة، وبنو فزارة، وغسان، ومرة، وبنو حنيفة، وبنو سليم، وبنو عبس، وبنو نصر، وبنو البكاء، وكندة، وكلب. وبنو الحارث بن كعب. وعذرة، والحضارمة. فلم يستجب له منهم أحد. ولكنهم اختلفوا في أساليب ردودهم. فنهم من رد عليه رداً جميلاً، ومنهم من اشترط لنفسه أن تكون له الرئاسة بعده. ومنهم من قال: أسرتك وعشيرتك أعلم بك، حيث لم يتبعوك. ومنهم من رد عليه رداً قبيحاً. وكان بنو حنيفة رهط مسيلمة الكذاب أقبحهم رداً.

المؤمنون غير أهل مكة: وقدر الله أن يؤمن رجال من غير أهل مكة في الزمن الذي كانت الدعوة تمر فيه بأصعب مراحلها في مكة، فكانوا كجذوة أمل أضاءت في الظلام اليأس. فمنهم:

= سويد بن الصامت، كان شاعراً لبيباً، من سكان يثرب، يسمى بالكامل، لشرفه وشعره. أتى مكة حاجاً أو معتمراً. فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فعرض هو على رسول الله ﷺ حكمة لقمان، فعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن فأسلم، وقال: إن هذا قول حسن. قتل في وقعة بين الأوس والخزرج قبل يوم بعاث.

= إياس بن معاذ، كان غلاماً حدثاً من سكان يثرب، قدم مكة في أوائل سنة ١١ من النبوة، في وفد من الأوس كانوا يلتمسون الحلف من قريش على الخزرج، فجاءهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فقال إياس: هذا والله خير مما جئتم له. فرمى أبو الحيسر –أحد أعضاء الوفد– تراب البطحاء في وجه إياس، وقال: دعنا عنك، لقد جئنا لغير هذا، فسكت، ولم يلبث بعد

رجوعهم إلى يثرب أن هلك، وكان يهلل ويكبر ويحمد ويسبح عند موته. ولا يشك قومه أنه مات مسلماً.

= أبو ذر الغفاري، بلغ إليه خبر مبعث النبي ﷺ بسبب إسلام سويد بن الصامت وإياس بن معاذ. فأرسل أخاه إلى مكة ليأتي بالخبر. فذهب ورجع، ولم يشفه، فخرج بنفسه حتى نزل بمكة في المسجد الحرام. وبقي فيه نحو شهر، يشرب ماء زمزم، وهو طعامه وشرابه، ولا يسأل عن النبي ﷺ أحداً خوفاً على نفسه، ثم استتبعه علي رضي الله عنه حتى دخل به على النبي ﷺ فطلب منه أبو ذر أن يعرض عليه الإسلام، فعرضه عليه فاسلم مكانه، ثم جاء إلى المسجد الحرام وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فانقض عليه قريش، وضربوه مثل ما ضربوه بالأمس. وأنقذه العباس كما أنقذه بالأمس. ورجع أبو ذر إلى مساكن قومه بني غفار. فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة هاجر إليها.

= طفيل بن عمرو الدوسي، كان شاعراً لبيباً، رئيس قبيلته دوس في ناحية اليمن. قدم مكة سنة ١١ من النبوة. فاستقبله أهل مكة. وحذروه من النبي ﷺ حتى حشا أذنه الكرسف حين جاء إلى المسجد الحرام، كي لا يسمع منه ﷺ شيئاً. وكان ﷺ قائماً يصلى عند الكعبة، فوقع في أذنه منه شيء، فاستحسنه، فقال في نفسه: إني لبيب وشاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان حسناً قبلته، وان كان قبيحاً تركته. فلما انصرف النبي ﷺ إلى بيته تبعه حتى دخل بيته، وذكر قصته، وطلب منه ﷺ أن يعرض عليه أمره، فعرض عليه الإسلام، وتلا عليه القرآن فأسلم وشهد شهادة الحق، وقل: إني مطاع في قومي، وراجع إليهم، وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية، فدعا له. فلما قرب من قومه استنار وجهه كالمصباح. فدعا الله أن يجعله في غير وجهه، فتحول النور إلى سوطه. فلما دخل على قومه دعاهم إلى الإسلام، فأسلم أبوه وزوجته، وأبطأ القوم، لكنه لما هاجر إلى المدينة بعد الحديبية كان معه سبعون أو ثمانون بيتاً من قومه.

= ضماد الأزدي من أزد شنوءة من اليمن، كان يرقي من الجنون والجن والشياطين. فجاء مكة فسمع سفهاء يقولون: إن محمداً مجنون، فجاء ليرقيه. فقال النبي –صلى الله عليه وسلم –: أن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ومن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد: فاستعاد ضماد هذه الكلمات ثلاث مرات، ثم قال: سمعت قول الكهنة والسحرة والشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، لقد بلغن قاموس البحر، هات يدك أبايعك على الإسلام، فبايعه.

الإسلام في المدينة: ستة شباب من أهل يثرب كلهم من الخزرج وهم: أسعد بن زرارة. عوف بن الحارث بن رفاعة (عوف بن عفراء) رافع بن مالك بن العجلان. قطبة بن عامر بن حديدة. عقبة بن عامر بن نابي. جابر بن عبدالله بن رئاب. جاء هؤلاء للحج في جملة من جاء سنة ١١ من النبوة، وكان أهل يثرب يسمعون من اليهود حينما ينالون منهم في الحرب ونحوها، أن نبياً سيبعث الآن، قد أظل زمان بعثته، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما كانوا بعقبة منى مر بهم رسول الله ﷺ ليلاً، وهم يتكلمون، فلما سمع الصوت عمدهم حتى لحقهم، وقال: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج. قال: موالي اليهود؟ -أي حلفاؤهم- قالوا: نعم، قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى! فجلسوا معه، فشرح لهم حقيقة الإسلام، وتلا عليهم القرآن، ودعاهم إلى الله ﷻ فقال بعضهم لبعض: تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به اليهود، فلا تسبقنكم إليه، فأسرعوا إلى الإسلام. وقالوا: إنا قد تركنا قومنا وبينهم من العداوة والشر ما بينهم، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك. ووعده القيام بالدعوة إلى دينه، والمقابلة في الحج القادم.

بيعة العقبة الأولى

فلما كان حج العام المقبل -سنة ١٢ من النبوة- قدم اثنا عشر رجلاً، منهم عشرة من الخزرج، واثنان من الأوس، فأما العشرة من الخزرج فخمسة منهم هم الذين جاءوا في الماضي غير جابر بن عبدالله بن رئاب وخمسة آخرون هم: معاذ بن الحارث (معاذ بن عفراء). ذكوان بن عبد القيس. عبادة بن الصامت. يزيد بن ثعلبة. العباس بن عبادة بن نضلة. وأما الاثنان من الأوس فهما: أبو الهيثم بن التيهان. عويم بن ساعدة. اجتمع هؤلاء برسول الله ﷺ بعقبة منى، فعلمهم الإسلام، وقال لهم: تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف. فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً، فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً، فستره الله، فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه، فبايعوه على ذلك.

دعوة الإسلام في يثرب: فلما رجعوا إلى يثرب بعث معهم مصعب بن عمير رضي الله عنه ليقرئهم القرآن ويفقههم في الدين، ونزل مصعب بن عمير على أبي أمامة أسعد بن زرارة. ونشطا في نشر الإسلام. وبينما هما بستان إذ رئيس الأوس سعد بن معاذ لا بن عمه أسيد بن خضير: ألا تقوم إلى هذين الرجلين الذين أتيا يسفهان ضعفاءنا، فتزجرهما، فأخذ أسيد حربته، وأقبل إليهما، فلما رآه أسعد

قال لمصعب: هذا سيد قومه، قد جاءك فاصدق الله فيه. وجاء أسيد فوقف عليهما وقال: ما جاء بكما إلينا؟ تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة. فقال مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كففنا عنك ما تكرهه، فقال: أنصفت. وركز حربته وجلس، فكلمه مصعب بالإسلام، وتلا عليه القرآن، فاستحسن أسيد دين الإسلام واعتنقه، وشهد شهادة الحق. ثم رجع أسيد، واحتال ليرسل إليهما سعد بن معاذ، فقال له: كلمت الرجلين فو الله ما رأيت بهما بأساً. وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، ثم قال: وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، لأنه ابن خالتك، فيريدون أن يخفروك.

فغضب سعد، وقام إليهما متغيظاً، ففعل معه مصعب مثل ما فعل مع أسيد، فهداه الله للإسلام، فأسلم وشهد شهادة الحق، ثم رجع إلى قومه، فقال: يا بني عبد الأشهل! كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً. قال. فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، فما أمسى فيهم رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة، إلا رجل واحد اسمه الأصيرم، وتأخر إسلامه إلى يوم أحد، ثم أسلم وقتل شهيداً في سبيل الله قبل أن يسجد لله سجدة. وعاد مصعب بن عمير إلى مكة قبل حلول موعد الحج يحمل بشائر مثل هذا الفوز.

بيعة العقبة الثانية

وفي موسم الحج سنة ١٣ من النبوة قدم كثير من أخل يثرب من المسلمين والمشركين. وقد قرر المسلمون أن لا يتركوا رسول الله ﷺ بمكة يطوف في جبالها، ويطرد ويخاف، فاتصلوا به سراً. واتفقوا على عقد اجتماع سري في أوسط أيام التشريق ليلاً في الشعب الذي عند جمرة العقبة.

فلما جاء الموعد ناموا في رحالهم مع قومهم، حتى إذا مضى ثلث الليل الأول أخذوا يتسللون، فيخرج الرجل والرجلان حتى اجتمعوا عند العقبة، وهم ثلاثة وسبعون رجلاً، اثنان وستون من الخزرج، وأحد عشر من الأوس، ومعهم امرأتان: نسيبة بنت كعب من بني نجار، وأسماء بنت عمرو من بني سلمة. وجاءهم رسول الله ﷺ ومعه عمه عباس بن عبد المطلب. كان على دين قومه، ولكن أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له. وكان العباس أول من تكلم، فقال لهم: أن رسول الله ﷺ لا يزال في عز من قومه. ومنعة في بلده، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإلا فمن الآن فدعوه. فأجاب المتكلم عنهم -وهو البراء بن معرور- وقال: نريد الوفاء والصدق وبذل الأرواح دون رسول الله ﷺ فتكلم يا رسول الله! فخذ لنفسك ولربك ما أحببت. فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام واشترط لربه:

١ -أن يعبدوه وحده ، ولا يشركوا به شيئاً. واشترط لنفسه ولربه أيضاً أنهم قالوا له على ما نبايعك؟ فقال:

٢ -على السمع والطاعة في النشاط والكسل.

٣ -وعلى النفقة في العسر واليسر.

٤ -وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنك.

٥ -وعلى أن تقوموا في الله، لا تأخذكم في الله لومة لائم.

٦ -وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم. ولكم الجنة.

٧ -وفي رواية عن عبادة (بايعناه) على أن لا ننازع المر أهله. فأخذ بيده ﷺ البراء بن معرور وقال: نعم. والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع عنه أزرنا. فنحن والله أبناء الحرب وأهل الحلقة -أي السلاح - ورثناها كابراً عن كابر. فقاطعه أبو الهيثم بن التيهان قائلاً: يا رسول الله! إن بيننا وبين الرجال حبالاً -أي عهوداً وروابط - وإنا قاطعوها، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسم رسول الله ﷺ وقال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم. وفي هذه اللحظة الحاسمة تقدم العباس بن عبادة بن نضلة وقال: هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن، فإنه خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة. قالوا: فإنا نأخذه، على مصيبة الأموال، وقتل الأشراف، فمالنا بذلك يا رسول الله! قال: الجنة. قالوا: ابسط يدك. فبسط يده. فقاموا ليبايعوه. فأخذ بيده أسعد بن زرارة، وقال: رويداً يا أهل يثرب! إنا نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه، وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه، فهو أعذر لكم عند الله. قالوا: يا أسعد! أمط عنا يدك، فو الله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها، فقاموا إليه رجلاً رجلاً وبايعوه. وكان أسعد بن زرارة هو أول المبايعين على أرجح الأقوال. وقيل: بل أبو الهيثم بن التيهان. وقيل: بل البراء بن معرور. أما بيعة المرأتين فكانت قولاً بدون مصافحة.

اثنا عشر نقيبا: بعد البيعة طلب منهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا اثني عشر نقيباً يكونون عليهم. ويكفلون المسئولية عنهم، فاخرجوا تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس. أما من الخزرج فهم:

سعد بن عبادة بن دليم. وأسعد بن زرارة بن عدس. وسعد بن الربيع بن عمرو. وعبدالله بن رواحة بن ثعلبة. ورافع بن مالك بن العجلان. والبراء بن معرور بن صخر. وعبدالله بن عمرو بن حرام. وعبادة بن الصامت بن قيس. والمنذر بن عمرو بن خنيس.

وأما من الأوس فهم: أسيد بن حضير بن سماك. وسعد بن خيثمة بن الحارث. ورفاعة بن عبد المنذر بن زبير، وقيل: أبو الهيثم بن التيهان. فلما تم اختيارهم قال لهم رسول الله ﷺ: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، وأنا كفيل على قومي، قالوا: نعم. هذه هي بيعة العقبة الثانية، وكانت حقاً أعظم بيعة وأهمها في حياة الرسول ﷺ تغير بها مجرى الأحداث وتحول خط التاريخ. ولما تمت البيعة وكاد الناس ينفضون اكتشفها أحد لشياطين، وصاح بأنفذ صوت سمع قط: يا أهل الأخاشب -المنازل- هل لكم في محمد، والصباة معه. قد اجتمعوا على حربكم. فقال رسول الله ﷺ أما والله يا عدو الله لأتفرغنَّ لك. وأمرهم أن ينفضوا إلى رحالهم فرجعوا وناموا حتى أصبحوا. وصباحاً جاءت قريش إلى خيام أهل يثرب ليقدموا الاحتجاج إليهم، فقال المشركون: هذا خبر باطل، ما كان من شيء. وسكت المسلمون، فصدقت قريش المشركون ورجعوا خائبين. وأخيراً تأكد لدى قريش أن الخبر صحيح، فأسرع فرسانهم في طلب أهل يثرب، فأدركوا سعد فأخذوه وربطوه وضربوه وجروا شعره حتى أدخلوه مكة، فخلصه المطعم بن عدي والحارث بن حرب. إذ كان يجير لهما قوافلهما بالمدينة، وأراد الأنصار أن يكروا إلى مكة إذ طلع عليهم سعد قادماً، فرحلوا إلى المدينة سالمين.

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

هجرة المسلمين إلى المدينة

بعد هذه البيعة -بيعة العقبة الثانية - بدأت هجرة عامة المسلمين إلى المدينة، بينما كان بعض الصحابة قد هجر قبلها. وقد أري رسول الله ﷺ دار هجرة المسلمين وأخبرهم بها. قال: رأيت أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وَهَلى (أي ظني) إلى اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب، وفي رواية: أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهراني حرتين، فإما أن يكون هجر أو يثرب. وأول من هاجر أبو سلمة المخزومي زوج أم سلمة. خرج مع زوجته وابنه. فمنعها قومها منه، وانتزع آل أبي سلمة ولده منها. فانطلق أبو سلمة وحده إلى المدينة، وذلك قبل بيعة العقبة بنحو سنة ثم أطلقوا زوجته بعد نحو سنة فلحقت به. وهاجر بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة وزوجته ليلى بنت أبي حثمة، وعبدالله بن أم مكتوم، فلما تمت لبيعة تتابع المسلمون في الهجرة، وكانوا يتسللون خفية، وخشية قريش، حتى هاجر عمر بن الخطاب، فخرج علنا، وتحدى قريشاً فلم يجترئ أحد على الوقوف في وجهه. وقدم المدينة في عشرين من الصحابة.

وهاجر المسلمون كلهم إلى المدينة، ورجع إليها عامة من كان بأرض الحبشة. ولم يبق بمكة منهم إلا أبو بكر وعلي وصهيب وزيد بن حارثة وقليل من المستضعفين الذين لم يقدروا على الهجرة، وتجهز أبو بكر للهجرة: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: نعم. فحبس أبو بكر نفسه عليه ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر، استعداداً لذلك. قريش في دار الندوة وقرارهم بقتل النبي ﷺ وجن جنون قريش لما رأوا أن المسلمين وجدوا دار حفظ ومنعة، ورأوا في هجرتهم واجتماعهم بالمدينة خطراً على دينهم وكيانهم وتجارتهم، فاجتمعوا في دار الندوة صباح يوم الخميس ٢٦ من شهر صفر سنة ١٤ من النبوة، وليدرسوا خطة تفيد التخلص من هذا الخطر. خاصة وأن صاحب الدعوة ﷺ لا يزال في مكة، ويخشى أن يخرج منها في عشية أو ضحاها. وقد حضر الاجتماع وجوه بارزة من سادات قريش. وحضره أيضاً إبليس في صورة شيخ جليل من أهل نجد بعد أن استأذنهم. وطرحت القضية على المجتمعين، فقال أبو الأسود نخرجه من أرضنا، ونصلح أمرنا، ولا نبالي أين ذهب. قال الشيخ النجدي: إنكم ترون حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال، فإذا خرج فلا غرو أن يحل على حي من العرب فتجتمع حوله الجموع، فيطأكم بهم في بلادكم، ثم يفعل بكم ما أراد. رُؤا فيه رأيا غير هذا(أي: انظروا فيه).

قال أبو البختري: احسبوه وأغلقوا عليه الباب، حتى يدركه ما أدركه الشعراء قبله من الموت. قال الشيخ النجدي: والله لئن حبستموه ليخرجن أمره إلى أصحابه، وهم يفضلونه على الآباء والأبناء،

فأوشكوا أن يثبوا عليكم، وينزعوه منكم، ثم يكاثروكم به، حتى يغلبوا على أمركم، فانظروا في غير هذا الرأي. قال الطاغية أبو جهل: إن لي فيه رأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد، نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسبياً وسيطاً فينا، ونعطي كلا منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إلي ويضربوه ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فيفترق دمه في القبائل، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قريش كلهم، فيرضون بالدية فنعطيها لهم. قال الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل: هذا الرأي الذي لا أري غيره. وأقر المجتمعون هذا الرأي، وانفضوا، واخذوا يستعدون ويرتبون أنفسهم لتنفيذ هذا القرار.

بين تدبير قريش وتدبير الله ﷻ

ومن طبيعة مثل هذا الاجتماع السرية للغاية، وألا يبدو على السطح الظاهر أي حركة تخالف اليوميات، وتغاير العادات المستمرة، حتى لا يشم أحد رائحة التآمر والخطر، ولا يدور في خلد أحد أن هناك غموضاً ينبئ عن الشر. وكان هذا مكراً من قريش، ولكنهم ما كروا بذلك الله سبحانه وتعالى، فخيبهم من حيث لا يشعرون، فقد نزل جبريل وأخبر النبي، ﷺ بمؤامرة قريش فقال: له في الهجرة، وحدد له وقت الخروج، وبين له خطة الرد على مكر قريش فقال " لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه". وخرج رسول الله ﷺ، في نحر الظهيرة، حين يستريح الناس في بيوتهم، وإلى بيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأبرم معه أمور الهجرة، فجهزا الراحلتين إلى بيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وابرم معه أمور الهجرة، فجهزا الراحلتين أحث الجهاز واستأجرا عبدالله بن أريقط الليثي –وكان على دين قريش – ليكون دليلاً لهما في الطريق، وكان هادياً ماهراً بالطرق. وواعداه جبل ثور بعد ثلاث ليال. ثم استمر رسول الله ﷺ في أعماله اليومية حسب المعتاد، حتى لم يشعر أحد بأنه يستعد للهجرة أو لأي أمر آخر اتقاء مما قررته قريش. وكان من عادة الرسول الله ﷺ أن ينام في أوائل الليل بعد صلاة العشاء، ويخرج في النصف الأخير من الليل إلى المسجد الحرام، ويصلي فيه صلاة التهجد –قيام الليل – فأضجع علياً رضي الله عنه على فراشه تلك الليلة، وأخبره بأنه لا يصيبه مكروه، فلما نام عامة الناس وهدأ الليل جاء المتآمرون سراً إلى بيت رسول الله ﷺ وطوقوه، ورأوا على بن أبي طالب رضي الله عنه نائماً على فراشه ﷺ متسجياً ببرده الحضرمي الأخضر، فظنوه محمداً ﷺ فأخذوا يختالون زهواً، ويرصدونه حتى إذا قام وخرج يثبوا عليه. وكان هذا جواب مكرهم من الله سبحانه وتعالى يقول تعالى:(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ).

هجــرة النبي ﷺ:

خروجه ﷺ من البيت: وخرج رسول الله ﷺ من بيته وهم مطوقون به، فذر تراب البطحاء على رؤوسهم، وهو يتلو قوله سبحانه وتعالى:(وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ). فأخذ الله بأبصارهم فلم يشعروا به ﷺ ومضى رسول الله ﷺ إلى بيت أبي بكر، ومن خوخة في داره خرجا حتى لحقا بغار ثور قبل بزوغ الفجر، على بعد نحو خمسة أميال في اتجاه اليمن.

ثلاث ليال في الغار: ولما انتهيا إلى الغار دخله أبو بكر أولاً حتى إذا كان فيه شئ يصيبه هو دونه رسول الله ﷺ فكسحه ووجد فيه ثقوباً فسدها بشق إزاره، وبقى جحر أو جحران ألقمهما رجليه، ثم دخل رسول الله ﷺ فنام في حجره، ولدغ أبو بكر في رجله، ولكنه لم يتحرك لمكان رسول الله ﷺ فذهب الألم. وكمنا في الغار ثلاث ليال، وكان عبدالله بن أبي بكر يبيت عندهما، وكان شاباً فطناً ذكياً، فيخرج من عندهما حتى يصبح في قريش كأنه بات بمكة، وكان يسمع مكائد قريش وأخبارهم فكان يأتيهما بها حين يختلط الظلام. وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يرعى الغنم، فكان يأتيهما بها حين تذهب ساعة من الليل. فيبيتان في لبنها، ثم ينعق بها في غلس، ويتبع بها أثر عبدالله بن أبي بكر ليعفي عليه. أما قريش فبقيت فتيانها منتظرين قيام رسول الله ﷺ وخروجه حتى أصبحوا، فلما أصبحوا قام علي من فراش رسول الله ﷺ فسقط في أيديهم وسألوه عن رسول الله ﷺ فقال: لا علم لي به، فضربوه وسحبوه إلى الكعبة، وحبسوه ساعة، ولكن بدون جدوى. ثم جاءوا إلى البيت أبي بكر وسألوا ابنته أسماء عنه فقالت: لا أدري، فلطمها الخبيث أبو جهل لطمة طرح منها قرطها. ثم أرسلوا الطلب في كل جهة، وجعلوا مائة ناقة عن كل واحد منهما لمن يأتي بهما حيين أو ميتين. وقد وصلوا في الطلب إلى باب الغار بحيث لو طأطأ أحدهم رأسه ونظر إلى قدميه لرآهما. حتى اشتد حزن أبي بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ فقال:" ما ظنك يا أبا بكر باثنين، الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا".

في الطريق إلى المدينة: في ليلة الاثنين غرة ربيع الأول سنة ١هـ جاء الدليل عبدالله بن أريقط الليثي بالراحلتين إلى جبل ثور حسب الموعد، فارتحل رسول الله ﷺ وأبو بكر، وصحبهما عامر بن فهيرة، وسلك بهما الدليل في اتجاه الجنوب نحو اليمن حتى أبعد، ثم اتجه إلى الغرب نحو ساحل البحر الأحمر، ثم اتجه إلى الشمال على مقربة من الساحل، وسلك طريقاً لا يسلكه الناس إلا

نادراً. وواصلوا السير تلك الليلة، ثم النهار إلى نصفه، حتى خلا الطريق، فاستراح النبي ﷺ تحت ظل صخرة، واستكشف أبو بكر ما حوله، وجاء راع فاستحلب منه أبو بكر، فلما استيقظ النبي ﷺ سقاه حتى رضي، ثم ارتحلوا. وفي اليوم الثاني مرا بخيمتي أم معبد وكانت بالمشلل في ناحية قديد على بعد نحو ١٣٠كيلو متراً من مكة، فسألاها هل عندها شيء؟ فاعتذرت عن القرى وأخبرت أن الشاء عازب -أي بعيدة المرعى والكلأ - وكانت في جانب الخيمة شاة خلفها الجهد عن قطيع الغنم، ولم تكن فيها قطرة من لبن، فاستأذن رسول الله ﷺ ليحلبها، فلما حلبها درت باللبن حتى امتلأ منه إناء كبير يحمله الرهط بمشقة، فسقاه أم معبد حتى رويت، ثم سقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب، ثم حلب فيه ثانياً، حتى ملأ الإناء، وتركه عندها وارتحلوا. وجاء زوجها فتعجب حين رأى اللبن، وسألها عنه، فأخبرته الخبر، ووصفت النبي ﷺ من مفرقه إلى قدمه ومن كلامه إلى أطواره وصفاً دقيقاً جداً، فقال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش، ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا. وفي اليوم الثالث سمع أهل مكة صوتاً بدأ من أسفلها ومر حتى خرج من أعلاها، وتبعوه فلم يروا شخصه يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه..رفيقين حلا خيمتي أم معبد

هما نزلا بالبر وارتحلا به..وأفلح مع أمسى رفيق محمد

فيا لقصي ما زوى الله عنكم....به من فعال لا تجارى وسودد

ليهن بني كعب مكان فتاتهم.....ومقعدها للمؤمنين بمرصد

ثم لما جاوزا قديداً تبعهما سراقة بن مالك بن جعشم المد لجي، على فرس له، طمعًا في جائزة قريش، فلما دنا منهم عثرت به فرسه حتى خر عنها، ثم قام واستقسم بالأزلام: يضرهم أم لا؟ فخرج الذي يكره، ولكنه عصى الأزلام وركب حتى إذا دنا منهم بحيث يسمع قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت، وأبوبكر يكثر الالتفاف، ساخت يدا فرسه في الأرض حتى بلغتا الركبتين وخر عنها، ثم زجرها فنهضت فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة صار لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسم بالأزلام فخرج الذي يكره، وداخله رعب عظيم، وعلم أن أمر رسول الله ﷺ سيظهر، فناداهم بالأمان، فوقفوا حتى جاءهم، فأخبر النبي ﷺ بما قررته قريش، وما يريد بهما الناس، وعرض عليه الزاد والمتاع فلم يأخذ منه شيئاً، وطلب منه أن يخفي أمره عن الناس. واستكتبه سراقة كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتبه في أديم. ورجع سراقة فقال لمن وجده في الطلب: قد استبرأت لكم الخبر، قد كفيتم ما ههنا حتى أرجعهم. وفي الطريق لقيه بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه في سبعين راكبا فأسلم هو ومن معه، وصلوا خلفه صلاة العشاء الآخرة. ولقيهما في بطن ريم (اسم واد) الزبير بن العوام في ركب من المسلمين كانوا قافلين من الشام، فكساهما الزبير ثياباً بياضاً.

النزول بقباء: وفي يوم الاثنين، الثامن من شهر ربيع الأول سنة (١٤) من النبوة، وهي السنة الأولى من الهجرة، نزل رسول الله ﷺ بقباء. وكان أهل المدينة حينما سمعوا بخروج رسول الله ﷺ يخرجون كل غداة إلى الحرة، حتى يردهم حر الظهيرة . فانقلبوا يوماً بعد طول الانتظار، فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب! هذا جدكم -أي حظكم - الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح، وسمعت فيهم الوجبة والتكبير فرحاً بقدوم رسول الله ﷺ وخرجوا للقائه بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف بقباء.

ولما نزل بقباء جلس صامتاً، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيي أبا بكر رضي الله عنه ظنا منه أنه هو الرسول ﷺ لظهور الشيب في شعره، حتى أصابت رسول الله ﷺ الشمس، فظلل عليه أبو بكر بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ. ونزل رسول الله ﷺ بقباء على كلثوم بن الهدم، وقيل: على سعد بن خيثمة، ومكث بها أربعة أيام ، أسس أثناءها مسجد قباء، وصلى فيه، فلما كان اليوم الخامس -يوم الجمعة - ركب بأمر الله، أبو بكر ردفه، وأرسل إلى أخواله بني النجار، فجاءوا متقلدين السيوف، فسار نحو المدينة، وهم حوله وأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فجمع بهم في بطن الوادي، وهم مائة رجل.

الدخول في المدينة: ثم اتجه نحو المدينة، وقد زحف الناس للاستقبال، وارتجت البيوت والسكك بالتحميد والتقديس، وخرج النساء والصبيان والولائد يقلن:

طلع البدر علينا ....من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ....ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا ...جئت بالأمر المطاع

وكان رسول الله ﷺ لا يمر بدار من دور الأنصار إلا أخذوا خطام ناقته يقولون: هلم إلى العدد والعدة والسلاح والمنعة، فكان يقول لهم: خلوا سبيلها فإنها مأمورة. فلما وصلت الناقة إلى موضوع المسجد النبوي بركت، فلم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلاً، ثم التفتت ورجعت فبركت في موضعها الأول فنزل عنها. فجعل الناس يكلمونه في النزول عليهم، وبادر أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه فأدخل رحله في بيته. فجعل رسول الله ﷺ يقول: المرء مع رحله، وأخذ أسعد بن زرارة بزمام راحلته فكانت عنده.

وسابق سراة الأنصار في استضافة رسول الله ﷺ فكانت الجفان تأتيه منهم كل ليلة، فما من ليلة إلا وعلى بابه الثلاث أو الأربع منها.

هجرة علي ولحوقه برسول الله ﷺ: ومكث علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمكة بعد النبي ﷺ ثلاثاً، وأدى ودائع كانت عند رسول الله ﷺ لأهل مكة، ثم خرج ماشياً على قدميه حتى لحق رسول الله ﷺ بقباء، ونزل على كلثوم بن الهدم.

هجرة أهل البيت: ولما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة أرسل زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة، فقدما بفاطمة وأم كلثوم بنتي النبي ﷺ وبأم المؤمنين سودة، وأم أيمن، وأسامة بن زيد. وخرج معهم عبدالله بن أبي بكر بعيال أبي بكر: أم رومان وأسماء وعائشة رضي الله عنهن وعنهن أجمعين، وذلك بعد ستة أشهر من هجرة رسول الله ﷺ.

هجرة صهيب: هاجر صهيب بعد رسول الله ﷺ، ولما أراد الهجرة حجزه المشركون، فتخلى عن أمواله لهم، وكانت كثيرة، فخلوا سبيله، فلما وصل المدينة، وقص على النبي ﷺ قصته قال: ربح البيع أبا يحيى! وأبو يحيى كنية صهيب رضي الله عنه.

المستضعفون: حبس المشركون بعض المسلمين عن الهجرة، وعذبوهم وفتنوهم عن دينهم. منهم الوليد بن الوليد، وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص، فكان رسول الله ﷺ يدعو على من حبسهم من لكفار قريش، وهذا أصل القنوت، وبعد حين قام بعض المسلمين بعمل بطولي جرئ، أخرجهم بذلك من قيد الكفار، فهاجروا إلى المدينة.

مناخ المدينة: ولما نزل المهاجرون بالمدينة أصابهم هم وحزن، لفراقهم أرضهم وديارهم التي نشأوا وترعرعوا فيها، فأخذوا يذكرون تلك الأرض ويحنون إليها، وزاد ذلك شدة أن المدينة كانت من أوبأ أرض الله، فلما نزلوا بها أصابتهم حمى وأنواع من المرض، فدعا النبي ﷺ ربه عز وجل وقال: "اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصححها، وبارك في صاعها ومدها، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة". وأجاب الله دعاه ﷺ فاستراح المسلمون من الأمراض، وأحبوا المدينة.

الفوائد:

....

....

أعمال رسول الله ﷺ في المدينة المنورة:

ولما استقر النبي ﷺ بالمدينة المنورة بدأ ينسق الأمور دينياً ودنيوياً بجانب استمراره في الدعوة إلى الله.

المسجد النبوي: وأول خطوة اتخذها في هذا السبيل هو بناء المسجد النبوي. واشترى لذلك الأرض التي بركت بها ناقته، وكانت لغلامين يتيمين، وكانت مائة ذراع في مائة ذراع تقريباً، وفيها قبور المشركين، وخرب ونخل وشجرة من غرقد فنبشت القبور، وسويت الخرب، وقطعت الشجرة والنخل، وصفت في قبلة المسجد، وجعل الأساس قريباً من ثلاثة أذرع، وأقيمت الحيطان من اللبن والطين، وجعلت عضادتا الباب من الحجارة. والسقف من الجريد، والعمد من الجذوع، وفرشت الأرض بالرمال والحصباء، وجعلت له ثلاثة أبواب، وكانت القبلة في الشمال إلى بيت المقدس. وكان الرسول ﷺ ينقل الحجارة واللبن مع المهاجرين والأنصار، ويرتجز ويرتجزون، فيزيدهم ذلك نشاطاً. وبنى بجانب المسجد حجرتين بالحجارة واللبن، وسقفهما بالجريد والجذوع، إحداهما لسودة بنت زمعة، والثانية لعائشة -رضي الله عنها- بعد قدومها قريباً في شوال سنة ١هـ.

الأذان: وبدأ المسلمون يحضرون للصلوات الخمس في جماعة، ويتحينون أوقاتها. فيتعجل بعضهم ويتأخر البعض، فاستشار النبي ﷺ والمسلمون في علامة يعرفون بها حضور الصلاة، فأشار بعضهم برفع النار، وبعضهم بالنفخ في البوق. وبعضهم بضرب الناقوس، فقال عمر ﷺ: أولا تبعثون رجلاً ينادي ب" الصلاة جامعة" فقبل رسول الله ﷺ هذا الرأي وعمل به، ثم أن عبدالله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري ﷺ رأى الأذان في المنام فجاء وأخبر النبي ﷺ فقال: إنها لرؤيا حق، وأمره أن يلقي على بلال حتى ينادي بها، لأنه أندى صوتاً منه، فأذن بلال، وسمع صوته عمر بن الخطاب ﷺ فجاء يجرر رداءه وقال: وقال: والله لقد رأيت مثله. فتأكد بذلك الرؤيا، وصار الأذان أحد شعار الإسلام منذ ذلك اليوم.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار: كان من سجايا الأنصار وكرمهم أنهم كانوا يتنافسون في إنزال المهاجرين واستضافتهم في بيوتهم، وكانوا كما قال الله تعالى عنهم:(وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ). ثم زاد النبي ﷺ هذا الحب والإيثار قوة بعقد المؤاخاة بينهم وبين المهاجرين، فجعل كل أنصاري ونزيله أخوين، وكانوا تسعين رجلاً، نصفهم من المهاجرين ونصفهم

من الأنصار، فآخى بينهم على المؤاساة، وأنهم يتوارثون فيما بينهم بعد الموت، دون ذوي الأرحام، ثم نسخ التوارث وبقيت المؤاخاة، وكانت قد عقدت في دار أنس بن مالك ﷺ وعنهم أجمعين -. وكان من حب الأنصار لإخوانهم المهاجرين أنهم عرضوا نخيلهم ﷺ ليقسم بينهم وبين إخوانهم المهاجرين، فأبى فقالوا: إذن تكفونا المؤنة ونشرككم في الثمرة فقبل ذلك. وكان سعد بن الربيع أكثر الناس مالاً، فقال لأخيه المهاجر عبد الرحمن بن عوف: اقسم مالي نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك، فسمها لي، أطلقها. فإذا انقضت عدتها فتزوجها. قال عبدالرحمن: بارك الله في أهلك ومالك. أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، وما هي إلا أيام حتى اكتسب مالاً، وتزوج امرأة من الأنصار.

الفوائد:

....

....

....

تأسيس المجتمع الإسلامي والأمة الإسلامية:

أ -كانت هذه المؤاخاة ربطاً بين قرد من المهاجرين وبين فرد من الأنصار، وحيث إن المسلمين صاروا -بعد اجتماعهم بالمدينة - أمة مستقلة فقد كانوا في حاجة إلى تنظيم اجتماعي، وإلى تعريف بالواجبات والحقوق الاجتماعية، وإلى إبراز النقاط التي تجعلهم أمة واحدة مستقلة عن الآخرين. وكانت في المدينة طائفتان أخريان سوى المسلمين، تختلفان عنهم في العقيدة والدين، والمصالح والحاجات، والعواطف والميول. وهم المشركون واليهود، فعقد النبي ﷺ فيما بين المسلمين ميثاقاً، وفيما بينهم وبين المشركون وفيما بينهم وبين اليهود ميثاقاً آخر، وكتب بذلك كتاباً قرر فيه:

١ -أن المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس.

٢ -وأن أداء ديتهم وفداء أسيرهم بين المؤمنين يكون حسب العرف السابق. وأنهم ينصرون المؤمنين في الفداء والدية.

٣ -وأنهم يقومون ضد المفسد والباغي والظالم كيد واحدة، ولو كان ولد أحدهم.

٤ -وأنه لا يقتل مؤمن مؤمناً بكافر، ولا ينصر كافرا على مؤمن.

٥ -وأن ذمة الله واحدة، فيجير عليهم أدناهم.

٦ -وأن من تبع المسلمين من اليهود فله النصر والأسوة.

٧ -وأن سلم المسلمين واحدة.

٨ -وأن من قتل مؤمناً قصداً يقتص منه، إلا أن يرضى ولي المقتول، ويجب على المؤمنين أن يقوموا ضد القاتل.

٩ -وأنه لا يحل لمؤمن أن ينصر محدثاً أو يؤويه.

١٠ -وأنهم إذا اختلفوا في شئ فإن مرده إلى الله ورسوله.

ب -زيادة على هذا الميثاق بين النبي ﷺ للمسلمين حق الأخوة الإسلامية في أوقات ومناسبات شتى، وحضهم على التعاون والتناصر، والتعاضد والتكاتف، والمؤاساة وإسداء الخير. حتى سمت هذه الأخوة إلى أعلى قمة عرفها التاريخ. وأما المشركون فكانوا على وشك الانهيار، حيث أسلمت أغلبيتهم مع ساداتهم وكبرائهم، فلم يكن في استطاعتهم الوقوف في وجه المسلمين، فأخذ النبي ﷺ عليهم:" أنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن" وبذلك انتهى ما كان يخشى منهم.

ت -وأما اليهود فقد تم الاتفاق بينهم وبين النبي ﷺ على الأمور الآتية:

١ -أنهم أمة مع المؤمنين، ولهم دينهم وللمسلمين دينهم، وعليهم نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.

٢ -وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وعلى من دهم يثرب، كل يدافع عن جهته.

٣ -وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

٤ -وأن المرء لا يؤخذ بإثم حليفه.

٥ -وأن النصر للمظلوم.

٦ -وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين.

٧ -وأن يثرب حرام لأهل هذه الصحيفة.

٨ -وأن ما يكون بينهم من حدث أو اشتجار فإن مرده إلى الله ورسوله.

٩ -وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها.

١٠ -وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم.

وبهذا الميثاق انتظم المسلمون والمشركون واليهود من سكان يثرب في كيان واحد، وأصبحت المدينة وضواحيها دولة ذات استقلال وسيادة، والكلمة النافذة فيها للمسلمين. ورئيسها رسول الله ﷺ.

ونشط رسول الله ﷺ وتبعه المسلمون في الدعوة إلى الله، فكان يحضر مجالس المسلمين وغير المسلمين، يتلو عليهم آيات الله، ويدعوهم إلى الله، ويزكي من آمن منهم بالله، ويعلمهم الكتاب والحكمة.

الفوائد:

....

....

....

....

استفزازات قريش

مكائد قريش: وبينما كان النبي ﷺ يرتب أمور المدينة وينظم جوانب الحياة فيها، ويرجو أن يجد فيها هو والمسلمون مكاناً آمناً يعلمون فيه بدينهم بغير معارضة أو استفزاز إذ فوجئوا بمكائد قريش تريد القضاء عليهم.

فمنها أنهم كتبوا إلى مشركي يثرب يحرضونهم على قتال المسلمين وإخراجهم عن المدينة، ويهددونهم بقتل مقاتلتهم واستباحة نسائهم إن لم يفعلوا ذلك. فعلاً قام مشركو يثرب لينفذوا ذلك. ولكن أتاهم رسول الله ﷺ فوعظهم ونصحهم فكفوا عما أرادوا من القتال وتفرقوا. ومنها أن سعد بن معاذ رضي الله عنه رئيس الأوس، ذهب إلى مكة معتمراً، فطاف بالبيت، ومعه أبو صفوان أمية بن خلف، فلقيهما أبو جهل، فلما عرف سعداً هدده وتوعده وقال: تطوف بمكة آمنًا وقد آويتم الصُّباة، وأما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً، وكان هذا إعلاناً عن صد المسلمين عن المسجد الحرام. وعن قتلهم إذا وجدوا في حدود قريش. وكانت لقريش صلة بيهود يثرب، وكانت اليهود - كما أثر في الإنجيل عن المسيح عليه السلام - حيات، أولاد الأفاعي، فكانوا يقومون بنبش الأحقاد والضغائن القديمة بين الأوس والخزرج ويحرشونهم ويحاولون إثارة القلق والاضطراب فيما بينهم. وهكذا أحاط الخطر بالمسلمين في المدينة من الداخل والخارج، ووصل الأمر إلى أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يبيتون إلا ومعهم السلاح، ولم يكونوا يصبحون إلا فيه، وكانوا يحرسون رسول الله ﷺ حتى نزل قوله تعالى:(وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) فقال ﷺ: يا أيها الناس انصرفوا عني فقد عصمني الله عز وجل.

مشروعية القتال: وفي هذه الظروف الخطيرة أنزل الله تعالى الإذن بقتال قريش، ثم تطور هذا الإذن مع تغير الظروف حتى وصل إلى مرحلة الوجوب، وجاوز قريشاً إلى غيرهم. ولا بأس أن نبين تلك المراحل بإيجاز قبل أن ندخل في ذكر الأحداث.

١ -المرحلة الأولى: اعتبار مشركي قريش محاربين؛ لأنهم بدؤوا بالعدوان، فحق للمسلمين أن يقاتلوهم، ويصادروا أموالهم، دون غيرهم من بقية مشركي العرب.

٢ -قتال كل من تمالأ من مشركي العرب مع قريش، واتحد معهم. وكذلك كل من تفرد بالاعتداء على المسلمين من غير قريش.

٣ -قتال من خان أو تحيز للمشركين من اليهود الذين كان لهم عقد وميثاق مع رسول الله ﷺ، ونبذ ميثاقهم إليهم على سواء.

٤ -قتال من بدأ بعداوة المسلمين من أهل الكتاب، كالنصارى، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

٥ -الكف عمن دخل في الإسلام مشركاً كان أو يهودياً أو نصرانياً أو غير ذلك، فلا يتعرض لنفسه وماله إلا بحق الإسلام وحسابه على الله.

السرايا والغزوات: تقدم أن رسول الله ﷺ والمسلمين كانوا آخذين بالحيطة والحذر من البداية أمرهم، وذلك بالحراسة والبيات مع السلاح ، فلما نزل الإذن بالقتال أخذ رسول الله ﷺ يرتب البعوث والدوريات لعسكرية. ويؤمر عليها أحداً من أصحابه. وهي المسماة بالسرية، وربما خرج فيها بنفسه، وهي المسماة بالغزوة، وكان المقصود منها:

١ -استكشاف حركات العدو، وتأمين أطراف المدينة، حتى لا يؤخذ المسلمون على غرة.

٢ -الضغط على قريش بالتعرض لقوافلهم حتى يشعروا بالخطر على تجارتهم وأموالهم وأنفسهم، فإما أن يفيقوا عن غيهم، ويسالموا المسلمين ويتركوهم على حريتهم في نشر الإسلام والعمل به - وهذا غاية ما كان يتمناه المسلمون - أو يختاروا طريق الحرب والقتال فيخسروا أولاً طريق تجارتهم، لأنها كانت تمر بأطراف المدينة، ويلقوا ثانياً جزاء شرهم وعدوانهم بإذن الله ونصره لعباده المؤمنين، وهذا الذي وقعت الإشارة إلية في كلام الله سبحانه وتعالى مراراً.

٣ -عقد مواثيق التحالف، أو عدم الاعتداء، مع قبائل أخرى.

٤ -إبلاغ رسالة الله، ونشر دعوة الإسلام قولاً وعملاً.

وأول سرية بعثها رسول الله ﷺ سرية تسمى بسيف البحر بعثها في رمضان في السنة الأولى من الهجرة، وأمَّر عليها عمه حمزة بن عبد المطلب، وكان قوامها ثلاثين رجلاً من المهاجرين، وقد واصلوا سيرهم حتى بلغوا إلى سيف البحر (أي ساحل البحر الأحمر) من ناحية العيص، واعترضوا عيراً لقريش، قادمة من الشام، عليها أبو جهل، في ثلاثمائة رجل، فاصطف الفريقان، وكاد يقع القتال، لكن توسط مجدي بن عمرو الجهني، فانصرف الفريقان. كانت هذه السرية أول عمل عسكري في تاريخ الإسلام، وكان لواؤها أبيض، وهو أول لواء عقد في تاريخ الإسلام: وحمل اللواء أبو مرثد كناز بن حصين الغنوي. ثم تتابعت البعوث والسرايا فأرسل في شوال عبيدة بن الحارث في ستين رجلاً من

المهاجرين إلى بطن رابغ، فلقي أبا سفيان وهو في مائتي رجل، فوقع الترامي دون القتال. ثم أرسل في ذي القعدة سعد بن أبي وقاص في عشرين رجلاً من المهاجرين إلى الخرار قريباً من رابغ فلم يلق كيداً. ثم خرج رسول الله ﷺ بنفسه إلى الأبواء أو ودان في صفر سنة ٢هـ في سبعين رجلاً من المهاجرين. فلم يلق أحداً وعقد ميثاق الأمان والتناصر مع عمرو بن مخشى الضمري. وكانت أول غزوة خرج لها رسول الله ﷺ. ثم خرج إلى بواط من ناحية رضوى، في ربيع الأول سنة ٢هـ في مائتين من المهاجرين، فلم يلق أحداً. وفي نفس الشهر أغار كرز بن جابر الفهري على مراعي المدينة وساق بعض المواشي، فخرج ﷺ في طلبه إلى سفوان من ناحية بدر، في سبعين رجلاً من المهاجرين، ولكن كرزا أفلت ونجح في الفرار، وهذه الغزوة تسمى بغزوة بدر الأولى. ثم خرج في جمادى الأولى أو الآخرة سنة ٢هـ إلى ذي العشيرة في مائة وخمسين، أو في مائتين من المهاجرين، يعرض عيراً لقريش ذاهبة إلى الشام، ولكنها فاتته قبل أيام. وعقد ميثاق عدم العدوان مع بني مدلج. ثم بعث في شهر رجب سنة ٢هـ عبدالله بن جحش الأسدي إلى نخلة، بين مكة والطائف، في اثني عشر رجلاً، وأسروا اثنين، وساقوا العير، وغضب رسول الله ﷺ على ذلك، ولم يرض به، فأطلق الأسيرين وأدى دية المقتول.

وكان الحادث في آخر يوم من رجب، فأثار المشركون ضجة بأن المسلمين انتهكوا حرمة الشهر الحرام. فأنزل الله:(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ). وفي شعبان سنة ٢هـ حول الله القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، وكان ذلك مما يحبه رسول الله ﷺ وينتظره، وقد انكشف بذلك بعض المخادعين من المنافقين واليهود الذين في الإسلام زوراً. فارتدوا وتطهرت صفوف المسلمين منهم. تلك هي التحركات العسكرية التي قام بها رسول الله ﷺ والمسلمون لحفظ أمن المدينة وأطرافها. ولإشعار قريش بسوء عاقبتها إن لم تكف عن شرها، ولكنها ازدادت في العلو والاستكبار، فلاقت جزاء أمرها في بدر، وكان عاقبة أمرها خسراً.

الفوائد:

....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....

....

....

....

غزوة بدر الكبرى

وهي أول معركة فاصلة بين قريش والمسلمين، وسببها أن رسول الله ﷺ كان بالمرصاد للعير التي فاتته إلى الشام حينما خرج إلى ذي العشيرة. وأرسل لها رجلين إلى الحوراء من أرض الشام ليأتيا بخبرها، فلما مرت بهما العير أسرعا إلى المدينة، فندب لها رسول الله ﷺ المسلمين، ولم يعزم عليها الخروج، فانتدب ٣١٣ رجلاً، وقيل ٣١٧ رجلاً، ٨٢ أو ٨٣ أو ٨٦ من المهاجرين و٦١ من الأوس، و١٧٠ من الخزرج. ولم يتخذ هؤلاء أُهبتم الكاملة. فلم يكن معهم إلا فرسان وسبعون بعيراً فقط.

وعقد رسول الله ﷺ لواء أبيض دفعه لمصعب بن عمير، وكان للمهاجرين علم يحمله علي بن أبي طالب، وللأنصار علم يحمله سعد بن معاذ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، ثم أرسل مكانه من الروحاء أبا لبابة بن عبد المنذر. وخرج رسول الله ﷺ من المدينة يريد بدراً، وهو موضع على بعد ١٥٥ كيلومتراً جنوب غربي المدينة، تحيط به جبال شواهق من كل جانب، وليس فيه إلا ثلاثة منافذ، منفذ في الجنوب، وهو العدوة القصوى، ومنفذ في الشمال وهو العدوة الدنيا، ومنفذ في الشرق قريباً من منفذ الشمال يدخل منه أهل المدينة، وكان فيه المساكن والآبار والنخيل فكانت تنزل القوافل، وتقيم فيه ساعات وأياماً. فكان من السهل جداً أن يسد المسلمون هذه المنافذ بعد ما تنزل العير في هذا المحيط، فتضطر إلى الاستسلام، ولكن من لوازم هذا التدبير أن لا يشعر أهل العير بخروج المسلمين إطلاقاً، حتى ينزلوا ببدر على غرة، ولذلك سلك رسول الله ﷺ أول ما سلك طريقاً آخر غير طريق بدر ثم تأتي في التقدم إلى جهة بدر. أما العير فكان قوامها ألف بعير موقرة بأموال لا تقل عن خمسين ألف دينار، وكان رئيسها أبا سفيان، ومعه نحو أربعين رجلاً فقط، وكان أبو سفيان في غاية التيقظ والحذر، يسأل كان غاد ورائح عن تحركات المسلمين، حتى علم بخروج المسلمين من المدينة، وهو على بعد غير قليل من بدر، فحول اتجاه العير إلى الغرب ليسلك طريق الساحل، ويترك طريق بدر إطلاقاً، واستأجر رجلاً يخبر أهل مكة بخروج المسلمين بأسرع ما يمكن، فلما بلغهم النذير استعدوا سراعاً وأوعبوا في الخروج. فلم يتخلف من كبرائهم إلا أبو لهب. وحشدوا من حولهم من القبائل ولم يتخلف من بطون قريش إلا بنو عدي.

ولما وصل هذا الجيش إلى الجحفة بلغتهم رسالة أبي سفيان يخبرهم بنجاته ويطلب منهم العودة إلى مكة، وهم الناس بالرجوع ولكن أبي ذلك أبو جهل استكباراً ونخوة، فلم يرجع إلا بنو زهرة. أشار عليهم بذلك حليفهم ورئيسهم الأخنس بن شريق الثقفي، وكانوا ثلاثمائة. أما البقية. وهم ألف،

فواصلوا سيرهم حتى نزلوا قريباً من العودة القصوى، خارج بدر، في ميدان فسيح، وراء الجبال المحيطة ببدر. أما رسول الله ﷺ فقد علم بخروج أهل مكة، وهو في الطريق، فاستشار المسلمين، فقام أبو بكر فتكلم وأحسن، ثم قام عمر فتكلم وأحسن، ثم قام المقداد فقال: والله يا رسول الله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى:(اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) ولكن نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك، فأشرق وجه رسول الله ﷺ وسر بذلك. ثم قال: أشيروا على أيها المسلمون، فقام سعد بن معاذ رئيس الأنصار وقال: كأنك تعرض بنا يا رسول الله فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد. وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً. إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، ولعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، وقال فيما قال: والذي بعثك بالحق لو ضربت أكبادها إلى برك الغماد لا تبعناك. فسر رسول الله ﷺ ثم قال: سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين. والله لكأني أنظر الآن إلى مصارع القوم.

ثم تقدم إلى بدر فوصلها في نفس الليلة التي وصل فيها المشركون فنزل في داخل ميدان بدر قريباً من العدوة الدنيا، فأشار عليه الحباب بن المنذر أن يتقدم فينزل على أقرب ماء من العدو حتى يصنع المسلمون حياضاً يجمعون فيها الماء لأنفسهم، ويغورون الآبار فيبقى العدو ولا ماء له، ففعل وبنى المسلمون عريشاً يكون مقر قيادته ﷺ وعينوا له حراساً من شباب الأنصار تحت قيادة سعد بن معاذ. ثم عبأ رسول الله ﷺ الجيش وتجول في ميدان القتال وهو يشير بيده ويقول: هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان، وغداً إن شاء الله". ثم بات يصلي إلى جذع شجرة، وبات المسلمون مستريحين تغمرهم الثقة، وكان الله قد أنزل المطر كما قال:(إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ). وفي الصباح وهو صباح يوم الجمعة ١٧ من شهر رمضان سنة ٢هـ تراءى الجمعان، فدعا رسول الله ﷺ:" اللهم هذه قريش، قد أقبلت بخيلائها وفخرها، تحادك وتكذب رسولك. اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم احنهم الغداة". ثم عدل الصفوف، وأمرهم أن لا يبدؤوا بالقتال حتى يأتيهم أمره. وقال: إذا اكثبوكم -أي اقتربوا منكم - فارموهم، واستبقوا نبلكم، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم. ثم رجع إلى العريش، ومعه أبو بكر رضي الله عنه فابتهل إلى الله تعالى ودعاه، وناشده حتى قال:" اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد أبداً. اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً". وبالغ في التضرع والابتهال حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فرده عليه الصديق وقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك. أما المشركون فاستفتح منهم أبو جهل فقال: اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا نعرفه فاحنه الغداة، اللهم أينا كان أحب إليك وأرضى عندك فانصره اليوم.

المبارزة والقتال: ثم تقدم ثلاثة من خيرة فرسان المشركين: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، وبارزوا المسلمين، فخرج ثلاثة من شباب الأنصار، فقال المشركون: نريد بني عمنا، فخرج عبيدة بن الحارث، وحمزة، وعلي، فقتل حمزة شيبة وقتل علي الوليد واختلفت ضربتان بين عبيدة وعتبة وأثخن كل واحد منهما الآخر، ثم كر عليٌّ وحمزة على عتبة فقتلاه، واحتملا عبيدة وقد قطعت رجله، فمات بعد أربعة أو خمسة أيام بالصفراء راجعاً إلى المدينة. واستاء المشركون بنتيجة المبارزة، واستشاطوا غضباً، فهجموا على صفوف المسلمين بعنف، وشدوا عليهم شدة رجا واحد. والمسلمون ثابتون في أماكنهم يدافعون عن أنفسهم، ويقولون: أحد. أحد.

وأغفى رسول الله ﷺ إغفاءة، ثم رفع رأسه وقال: أبشر أبا بكر. أتاك نصر الله. هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده، على ثناياه النقع -أي على أطرافه الغبار - وكان الله قد أمد المسلمين يومئذ بألف من الملائكة مردفين. ثم تقدم رسول الله ﷺ يثب في الدروع ويتلو قوله تعالى:(سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) وأخذ حفنة من الحصباء، ورمى بها وجوه المشركين، وهو يقول: شاهت الوجوه. فما من مشرك إلا وأصاب عينية ومنخريه من تلك الحفنة، وعن ذلك يقول الله تعالى:(وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى).

ثم أمر رسول الله ﷺ المسلمين بالهجوم على المشركين، وقال: شدوا وحرضهم على القتال. فشد المسلمون وهم على نشاطهم. وقد زادهم تحمساً وجود رسول الله ﷺ فيما بين أظهرهم يقاتل قدامهم، فأخذوا يقلبون الصفوف، ويقطعون الأعناق. ونصرهم الملائكة فكانوا يضربون فوق أعناق المشركين، ويضربون منهم كل بنان. فكان يندر رأس الرجل لا يدرى من ضربه، وتندر يد الرجل لا يدرى من قطعها، حتى نزلت الهزيمة بالمشركين فَلاذُوا بالفرار. وأخذ المسلمون يطاردونهم فيقتلون فريقاً ويأسرون فريقاً. وكان إبليس قد حضر في صورة سراقة بن مالك بن جعشم تأييداً للمشركين، وتحريضاً لهم على قتال المسلمين، فلما رأى الملائكة وما يفعلون نكص على عقبيه وفر إلى البحر الأحمر وألقى نفسه فيه.

مقتل أبي جهل: وكان أبو جهل في عصابة جعلت سيوفها ورماحها حوله مثل السياج، وكان في صفوف المسلمين حول عبد الرحمن بن عوف شابان من الأنصار لم يأمن عبدالرحمن مكانهما، إذ قال له أحدهما سراً من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل قال: وما تصنع به؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ فو الذي نفسه بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا. وقال الآخر: مثل ذلك. فلما تصدعت الصفوف رآه عبدالرحمن يتجول فأراهما فابتدراه بالسيف حتى قتلاه.

ضرب أحدهما ساقه فطاحت رجله كما تطير النوى حين تدق، وأثخنه الأخر حتى تركه وبه رمق ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ وقال كل منها: فنظر إلى السيفين وقال: كلاكما قتله. وهما معاذ ومعوذ ابنا عفراء، وقد استشهد معوذ في نفس الغزوة، وبقى معاذ إلى زمن عثمان. وأعطاه رسول الله ﷺ سلب أبي جهل.

وبعد انتهاء المعركة خرج الناس في طلبه ، فوجده عبدالله بن مسعود وبه رمق، فوضع رجله على عنقه وأخذ لحيته ليحتز رأسه وقال: هل أخزاك الله يا عدو الله؟ قال: وبماذا أخزاني؟ هل فوق رجل قتلتموه؟ وقال :فلو غير أكار قتلني. ثم قال: أخبرني لمن الدائرة اليوم؟ قال الله ولرسوله. قال أبو جهل: لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا رويعي الغنم! وقطع عبدالله بم مسعود رأسه ثم جاء به إلى رسول الله ﷺ فقال ﷺ: الله أكبر، والحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده. قال: هذا فرعون هذه الأمة.

يوم الفرقان: كانت هذه المعركة معركة بين الكفر والإيمان، قاتل فيها الرجل عمه وأباه، وابنه وأخاه، وخاله وأدناه، قتل فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه خاله العاص بن هشام، وواجه فيها أبو بكر ابنه عبد الرحمن، وأسر فيها المسلمون العباس، وهو عم رسول الله ﷺ وهكذا انقطعت فيها صلة القرابة، وأعلى الله فيها كلمة الإيمان على كلمة الكفر، وفرق بين الحق والباطل، فسمى ذلك اليوم بيوم الفرقان، وهو يوم بدر، اليوم السابع عشر من شهر رمضان.

قتلى الفريقين: قتل في هذه المعركة أربعة عشر رجلاً من المسلمين، ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، ودفنوا في ساحة بدر ومقابرهم لا تزال معروفة. أما المشركون فقتل منهم سبعون، وأسر سبعون، ومعظمهم كانوا من الصناديد، وقد سحبت أربع وعشرين من صناديدهم وقذفت في قليب (بئر) خبيث في بدر. وأقام رسول الله ﷺ في بدر ثلاثة أيام، فلما استعد للرجوع جاء القليب وقام على شفته، وناداهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان بن فلان! ويا فلان بن فلان! أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فقال له عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها. قال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم. ولكن لا يجيبون.

خبر المعكرة في مكة والمدينة: وصل نبأ الهزيمة إلى مكة بفلول المشركين، فكبتهم الله وأخزاهم، حتى نهوا عن النياحة على القتلى، كيلا يشمت بهم المسلمون. وكان الأسود بن المطلب قتل له

ثلاثة بنين. فكان يحب أن ينوح، فسمع ليلاً صوت نائحة، فظن الإذن، وبعث غلامه، فجاء وأخبر أنها تبكي بعير أضلته، فلم يتمالك أن قال:

أتبكي أن يضلَّ لها بعيرٌ   ويمنعها من النوم السُّهودُ
فلا تبكي على بكرٍ ولكن   على بدر تقاصرت الجُدودُ

وذلك في أبيات ندب فيها أبناءه: أما أهل المدينة فقد أرسل أليهم رسول الله ﷺ بشيرين: عبدالله بن رواحة إلى العالية، وزيد بن حارثة إلى السافلة. وكان اليهود قد أرجفوا في المدينة بدعيات كاذبة، فلما وصل نبأ الفتح عمت الفرحة والسرور، واهتزت المدينة تهليلاً وتكبيراً، وتقدم رؤوس المسلمين إلى طريق بدر يهنئون رسول الله ﷺ.

الرسول ﷺ إلى المدينة: وتقدم الرسول ﷺ إلى المدينة متوجاً بنصر الله، ومعه الغنائم والساري، فلما وصل قريباً من الصفراء نزل حكم الغنيمة، فأخذ منها الخمس، وقسمها سوياً بين الغزاة. فلما حل بالصفراء أمر بقتل النضر بن الحارث، فضرب عنقه على بن أبي طالب. ولما حل بعرق الظبية أمر بقتل عقبة بن أبي معيط، فقتله عاصم بن ثابت الأنصاري، وقيل: علي بن أبي طالب. أما رؤوس المسلمين الذين خرجوا لتهنئيه فلقوه ﷺ بالروحاء ثم رافقوه يشيعونه إلى المدينة، فدخل فيها مظفراً منصوراً قد خافه كل عدو. وأسلم بشر كثير وتظاهر عبد الله بن أبي وزملاؤه بالإسلام .

قضية الأسارى: ولما استقر رسول الله ﷺ استشار في الأسارى. فأشار أبو بكر بأخذ الفدية منهم، وأشار عمر بقتلهم، فقرر رسول الله ﷺ أخذ الفدية، وكانت من أربعة آلاف إلى ثلاث آلاف درهم. ومن كان منهم يقرأ ويكتب فجعل فديته أن يعلم عشرة غلمان من المسلمين. وأحسن إلى بعض الأسارى فأطلقهم بغير فدية. وبعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء زوجها أبي العاص بمال فيه قلادة لها ، كانت عند خديجة فأدخلتها بها على أبي العاص، فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة، فاستأذن الصحابة في إطلاقه بغير فدية، ففعلوا . فأطلقه بعد ان اشترط عليه أن يخلي سبيل زينب، فخلاها فهاجرت إلى المدينة.

وفاة ابنته ﷺ رقية ابنته أم كلثوم بعثمان: وكانت رقية بنت النبي ﷺ مريضة حين خرج لغزوة بدر. وكانت تحت عثمان بن عفان ؓ فأمره أن يتخلف عليها ليمرضها، وله أجر من حضر بدراً

ونصيبه، وخلف عليها أيضاً أسامة بن زيد، فتوفيت قبل رجوعه ﷺ قال أسامة: - أتانا الخبر - أي بشارة الفتح سوينا التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ ولما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة واطمأن بها زوج عثمان بن عفان رضي الله عنه ابنته الأخرى: أم كلثوم. فلذلك سمى عثمان رضي الله عنه بذي النورين، وقد بقيت معه حتى توفيت في شعبان سنة تسع من الهجرة، ودفنت بالبقيع.

ساء المشركين ومن معهم ما أكرم الله به المسلمين من النصر والفتح، فأخذوا يدبرون مكائد يضرون بها المسلمين، وينتقمون منهم، ولكن الله رد كيدهم في نحورهم وأيد المؤمنين بفضله. تحشد بنو سليم لغزو المدينة بعد أسبوع من رجوع المسلمين من غزوة بدر، أو في المحرم سنة ٣هـ. فداهمهم المسلمون في منازلهم، وأصابوا غنائم، ورجعوا إلى المدينة سالمين. ثم تآمر عمير بن وهب الجمحي وصفوان بن أمية على اغتيال النبي ﷺ وجاء عمير لذلك إلى المدينة، فألقى عليه القبض وأخبره النبي ﷺ بما تآمر عليه فأسلم.

غزوة بني قينقاع: ثم كاشف يهود بني قينقاع بالشر والعداوة، فنصحهم رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال. إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس. وصبر رسول الله ﷺ على هذا الجواب، فازدادت جرأتهم، حتى أثاروا في سوقهم فتنه قتل فيها رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فحاصرهم رسول الله ﷺ يوم السبت للنصف من شوال سنة ٢هـ. واستسلموا بعد خمسة عشر يوماً لهلال ذي القعدة، فأجلاهم إلى أذرعات الشام، حيث مات أكثرهم بعد قليل.

غزوة السويق: ونذر أبو سفيان بعد غزوة بدر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً ﷺ فخرج في مائتي راكب، وأغار بالعريض في ناحية المدينة، فقطعوا أسواراً من النخيل، وأحرقوها، وقتلوا رجلين وفروا. وأتى الخبر رسول الله ﷺ فطاردهم، ولكنهم أفلتوا، وطرحوا أثناء فرارهم كثيراً من السويق والأزواد ليتخففوا، وبلغ المسلمون في مطاردتهم إلى قرقرة الكدر، ولكنهم فاتوا، وحمل المسلمون السويق. فسميت بغزوة السويق وبغزوة قرقرة الكدر.

قتل كعب بن الأشرف: كان كعب من أثرياء اليهود وشعرائهم ومن أشد أعداء المسلمين فكان يهجو رسول الله ﷺ وأصحابه، ويشبب بنسائهم. ويمدح أعداءهم ويحرضهم عليهم. ونزل بعد بدر على قريش، فأغراهم على حرب المسلمين. وأنشد لهم في ذلك أبياتاً، وقال: وأنتم أهدى منهم سبيلاً، ولم يعتبر بما حل ببني قينقاع. فقال رسول الله ﷺ من لكعب بن الأشراف؟ فانتدب له محمد بن

مسلمة وعباد بن بشر وأبو نائلة والحارث بن أوس وأبو عبس بن جبر . وأميرهم محمد بن مسلمة. وقد استأذن النبي ﷺ أن يقول شيئاً. ثم أتى كعباً وقال: إن هذا الرجل (إشارة إلى النبي ﷺ) قد سألنا صدقة، وإنه قد عنانا، أي أوقعنا في المشقة والعناء.

فاستبشر كعب وقال: والله لتملنه. فاستقرضه محمد بن مسلمة طعاماً أو تمراً، واتفق معه على أنه يرهنه السلاح. وجاءه أبو نائلة فتحاور معه بمثل حوار محمد بن مسلمة، وقال: إن معي أصحاباً على مثل رأيي أريد أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن إليهم فقبل ذلك منه. وفي الليلة الرابعة عشرة من شهر ربيع الأول سنة ٣هـ جاءه المذكورون ومعهم السلاح، فنادوه فقام لينزل، وكان في حصنه، وكان حديث عهد بعرس، فقالت له زوجته: أين تخرج هذه الساعة؟ أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم. فلم يبال بقولها، ولما نزل ورأى السلاح لم يستنكر، لما سبق بينهم وبينه من العهد. وأخذوا يمشون ليتنزهوا، ومدح أبو نائلة رائحة عطره، واستأذنه ليشم رأسه. فأذن له في زهو وخيلاء، فشمه وأدخل فيه يده وأشم أصحابه، ثم استأذنه ثانياً وفعل مثل ما فعل، ثم ثالثاً أيضاً، فلما استمكن من رأسه في المرة الثالثة قال: دونكم عدو الله فاختلفت عليه الأسياف دون جدوى. فوضع ابن مسلمة معولاً في ثنته، وتحامل عليه حتى بلغ العانة، فصاح صيحة أفزعت من حوله، وسقط قتيلاً. وأوقدت النيران على الحصون، لكن رجع المسلمون بسلام. وقد خمدت نار الفتنة التي طالما أقلقت المسلمين، وكمنت أفاعي اليهود في أجحارهم لفترة من الزمان.

سرية القردة: وفي جمادى الآخرة سنة ٣هـ أرسلت قريش عيراً لهم إلى الشام عن طريق العراق، لتخترق نجداً إلى الشام، ولا تمر بقرب المدينة، وكان يقودها صفوان بن أمية، وعلم بذلك رسول الله ﷺ فأرسل زيد بن حارثة في مائة راكب، فدهمها زيد وهي تنزل على ماء في نجد يسمى بقردة، فاستولى على العير بكل ما فيها، وفر رجال العير بأجمعهم، وأسر الدليل فرات بن حيان فأسلم وقدرت الغنيمة بمائة ألف، وكانت أوجع ضربة تلقتها قريش بعد غزوة بدر.

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

غـــزوة أحـــد

بينما كانت قريش تستعد للانتقام من المسلمين بما أصيبت به في غزوة بدر إذا بهم يتلقون ضربة أخرى في القردة، فازدادوا بها غضباً على غضب، فأسرعوا في الاستعداد وفتحوا باب التطوع، وحشدوا الأحابيش وخصصوا الشعراء للإغراء والتحريض، حتى تجهز جيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، في ثلاثة آلاف بعير ومائتي فرس، وسبعمائة درع، ومعه عدد من النسوة للتحريض وبث روح البسالة والحماس، وكان قائده العام أبا سفيان، وحامل لوائه أبطال بني عبد الدار.

تحرك هذا الجيش في غيظه وغضبه حتى بلغ إلى ضواحي المدينة، وألقى رحله في ميدان فسيح على شفير وادي قناة قريباً من جبل عينين وأحد، وذلك يوم الجمعة السادس من شهر شوال سنة ٣هـ ونقل الخبر إلى رسول الله ﷺ قبل نزول الجيش بنحو أسبوع، فشكل دوريات عسكرية تحسباً للطوارئ، وحفظاً للمدينة، فلما وصل الجيش استشار المسلمين حول خطة الدفاع. وكان رأيه ﷺ أن يتحصن المسلمون بالمدينة، فيقاتل الرجال على أفواه الأزقة، والنساء من فوق البيوت، ووافقه رأس المنافقين عبدالله بن أبي، وكأنه قصد الجلوس في البيت دون أن يتهم بالتخلف. ولكن تحمس الشباب، وألحوا على المجالدة بالسيوف في مكان مكشوف، فقبل رأيهم، وقسم الجيش إلى ثلاث كتائب. كتيبة للمهاجرين، وحمل لواءها مصعب بن عمير، وأخرى للأوس، وحمل لواءها أسيد بن حضير، وثالثة للخزرج، وحمل لواءها الحباب بن المنذر. واتجه بعد صلاة العصر إلى جبل أحد فلما بلغ موضع الشيخين استعرض الجيش فرد الصغار، وأجاز رافع بن خديج على صغره، لأنه كان ماهراً في رمي السهام. فقال سمرة بن جندب أنا أقوى منه. أنا أصرعه، فأمرهما بالمصارعة، فصرع سمرة رافعاً فأجازه أيضاً. وفي موضع الشيخين صلى المغرب والعشاء، ثم بات هناك. وعين خمسين رجلاً لحراسة المعسكر، فلما كان آخر الليل ارتحل قبل الفجر فصلاها بالشوط، وهناك تمرد عبدالله بن أبي فرجع مع ثلاثمائة من أصحابه، وسرى لأجل ذلك الضعف والاضطراب في بني سلمة وبني حارثة، وكادتا ترجعان، ولكن ثبتهما الله. وكان أولاً مجموع عدد المسلمين ألفاً فبقي سبعمائة. وتقدم رسول الله ﷺ نحو جبل أحد من طريق قصير يترك العدو في جانب الغرب، حتى نزل بالشعب عند منفذ الوادي، جاعلاً ظهره إلى هضاب أحد، وبذلك صار العدو حائلاً بين المسلمين وبين المدينة. وهناك عبأ الجيش، وعين خمسين رجلاً من الرماة على جبل عينين -وهو الذي يعرف بجبل الرماة- بقيادة عبدالله بن جبير الأنصاري، وأمرهم أن يدفعوا الخيل، ويحموا ظهور المسلمين. وأكد لهم أن لا يتركوا مكانهم حتى يأتي أمره، سواء انتصر المسلمون أو انهزموا. وعبأ المشركون جيشهم،

وتقدموا إلى ساحة القتال، تحرضهم نسوتهم، وهن يتجولون في الصفوف، ويضربن بالدفوف ويثرن الأبطال، وينشدن الأبيات:

إن تُقبِلوا نُعانق...ونفرش النَّمارِق

أو تُدبِروا نُفارِق...فِراق غيرِ وامِق

ويذكرن أصحاب اللواء بواجبهم قائلات:

ويها بني عبد الدار

ويها حماة الأدبار

ضرباً بكل بتار

المبارزة والقتال: وتقارب الجيشان فطلع طلحة بن أبي طلحة العبدري حامل لواء المشركين وأشجع فرسان قريش، ودعا إلى المبارزة وهو على بعير، فتقدم إليه الزبير بن العوام ﷺ ووثب وثبة الليث حتى صار معه على جمله، ثم أخذه واقتحم به الأرض، وذبحه بسيفه، فكبر النبي ﷺ وكبر المسلمون. ثم انفجر القتال في كل نقطة وحاول خالد بن الوليد -وهو على فرسان المشركين- ثلاث مرات ليبلغ إلى ظهور المسلمين، ولكن رشقه الرماة بسهامهم حتى ردوه. وركز المسلمون هجومهم على حملة لواء المشركين حتى قتلوهم عن آخرهم وكانوا أحد عشر مقاتلاً، فبقى اللواء ساقطاً، وشدد المسلمون هجومهم على بقية النقاط حتى هدوا الصفوف هدا وحسوا المشركين حساً، وأبلى أبو دجانة وحمزة ﷺ في ذلك بلاءً حسناً. وأثناء هذا التقدم والانتصار قتل حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله ﷺ قتله وحشي بن حرب، وكان عبداً حبشياً ماهراً في قذف الحربة، وقد وعده مولاه جبير بن مطعم بالعتق إذا قتل حمزة، لأن حمزة هو الذي قتل عمه طعيمة بن عدي في بدر، فاختبأ وحشي وراء صخرة يرصد حمزة، وبينما حمزة يضرب رأس سباع بن عرفطة –رجل من المشركين– صوب وحشي إليه الحربة، وقذفها، وهو على غرة، فوقعت في أحشائه، وخرجت من بين رجليه فسقط ولم يستطع النهوض حتى قضى نحبه ﷺ ووقعت الهزيمة بالمشركين حتى لاذوا بالفرار، وفرت النسوة المحرضات، وتبعهم المسلمون يضعون فيهم السلاح، ويأخذون الغنائم، وحينئذ أخطأ الرماة، فنزل منهم أربعون رجلاً ليصيبوا من الغنيمة، على رغم ما كان لهم من الأمر المؤكد بالبقاء في أماكنهم. وانتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة، فانقض على العشرة الباقية بجبل الرماة حتى قتلهم، واستدار هذا الجبل حتى وصل إلى ظهور المسلمين وبدأ بتطويقهم، وصاح فرسانه صحية عرفها المشركون فانقلبوا، ورفعت لواءها إحدى نسائهم فالتفوا حوله وثبتوا، وبذلك وقع المسلمون بين شقي الرحى.

هجوم المشركين على رسول الله ﷺ وإشاعة مقتله: وكان رسول الله ﷺ في مؤخرة المسلمين، ومعه سبعة من الأنصار واثنان من المهاجرين، فلما رأى فرسان خالد تطلع من وراء الجبل نادى أصحابه بأعلى صوت: إلى عباد الله! وسمع صوته المشركون -ولعلهم كانوا أقرب إليه من المسلمين - فأسرعت مجموعة منهم نحو الصوت، وهاجمت رسول الله ﷺ هجوماً شديداً، وحاولت القضاء عليه قبل أن يصل إلية المسلمون، فقال ﷺ: من يردهم عنا وله الجنة؟ أو هو رفيقي في الجنة فتقدم رجل من الأنصار فدفعهم، وقاتلهم حتى قتل، ثم رهقوه فأعاد قوله، فتقدم رجل آخر فدفعهم وقاتلهم حتى قتل، ثم الثالث، ثم الرابع وهكذا حتى قتل السبعة. ولما سقط السابع لم يبق حول رسول الله ﷺ إلا القرشيان طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص، فركز المشركون حملتهم على رسول الله ﷺ حتى أصابته حجارة وقع لأجلها على شقه، وأصيب رباعيته اليمنى السفلى وجرحت شفته السفلى وهشمت البيضة على رأسه. فشجت جبهته ورأسه. وضرب بالسيف على وجنته فدخلت فيها حلقتان من حلق المغفر، وضرب أيضاً بالسيف على عاتقه ضربة عنيفة اشتكى لأجلها أكثر من شهر. وكان قد لبس درعين فلم يتهتكا. وقع كل هذا على رغم دفاع القرشيين الدفاع المستميت، فقد رمى سعد بن أبي وقاص حتى نثل له رسول الله ﷺ كنانته وقال: ارم فداك أبي وأمي. وقاتل طلحة بن عبيد الله وحده قتال مجموع من سبق، حتى أصابه خمسة وثلاثون أو تسعة وثلاثون جرحاً، ووقى النبي ﷺ فأصيبت أصابعه حتى شلت. ولما أصيب أصابعه قال: حس. فقال النبي ﷺ لو قلت: بسم الله، لرفعتك الملائكة والناس ينظرون. وخلال هذه الساعة الحرجة نزل جبريل وميكائيل فقاتلا عنه أشد القتال، وفاء إليه ﷺ عدد من المسلمين فدافعوا عنه أشد الدفاع، وكان أولهم أبا بكر الصديق، ومعه أبو عبيدة بن الجراح -رضي الله عنهما - وتقدم أبو بكر لينزع حلقة المغفر عن وجه رسول الله ﷺ فألح عليه أبو عبيدة حتى نزعها هو، فسقطت إحدى ثنيتيه، ثم نزع الحلقة الأخرى فسقطت الثنية الأخرى، ثم أقبلا على طلحة بن عبيد الله فعالجاه وهو جريح. وأثناء ذلك وصل إلى رسول الله ﷺ أبو دجانة ومصعب بن عمير وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وغيرهم، وتضاعف عدد المشركين أيضاً، واشتدت هجماتهم، وقام المسلمون ببطولات نادرة، فمنهم من يرمي، ومنهم من يدافع، ومنهم من يقاتل، ومنهم من يقي السهام على جسده.

وكان اللواء بيد مصعب بن عمير، فضربوا على يده اليمنى حتى قطعت، فأخذه بيده اليسرى، فضربوا عليها حتى قطعت، فبرك عليه بصدره وعنقه حتى قتل، وكان الذي قتله هو عبدالله بن قمئة، فلما قتله ظن أنه قتل رسول الله ﷺ، لأن مصعباً كان يشبهه ﷺ فانصرف ابن قمئة وصاح: إن

محمداً قد قتل. وشاع الخبر بسرعة. وبإشاعته تخفف هجوم المشركين، إذ ظنوا أنهم أصابوا الهدف، وبلغوا ما أرادوا.

موقف عامة المسلمين بعد التطويق: ولما رأى المسلمون بداية عملية التطويق تشتتوا وارتبكوا، ولم يصلوا إلى موقف موحد. فمنهم من فر إلى الجنوب حتى بلغ المدينة المنورة، ومنهم من فر إلى شعب أحد ولاذ بالمعسكر. ومنهم من قصد رسول الله ﷺ وأسرع إليه، فدافع عنه كما تقدم. وبقي معظم المسلمين في دائرة التطويق، ثابتين في أمكانهم، يدفعون المطوقين ويقاتلونهم، وحيث لم يكن بينهم من يقودهم بنظام فقد حصل في صفوفهم خبط وإرباك: رجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم، حتى قتل اليمان والد حذيفة بأيدي المسلمين أنفسهم. فلما سمعوا خبر مقتل النبي ﷺ طار صواب طائفة منهم، وخارت عزائمهم ، واستكانوا، حتى تركوا القتال. وتشجع آخرون وقالوا: موتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ. وبينما هم كذلك إذ رأى كعب بن مالك رسول الله ﷺ وهو يشق الطريق إليهم، فعرفة بعينيه، إذ كان وجهه تحت حلق المغفر والبيضة، فنادى كعب بصوت عال: يا معشر المسلمين! أبشروا، هذا رسول الله ﷺ فبدأ المسلمون يرجعون إليه، حتى تجمع حوله ثلاثون رجلاً من أصحابه، فشق بهم الطريق بين قريش، ونجح في إنقاذ جيشه المطوق، وسحبه إلى شعب الجبل. وقد حاول المشركون عرقلة هذا الانسحاب، ولكنهم فشلوا تماماً، وقتل منهم اثنان أثناء هذه المحاولة. وبهذه الخطة الحكيمة نجا المسلمون، ولكن بعد دفعوا الثمن غالياً لما ارتكبه الرماة من الخطأ ومخالفة أمر رسول الله ﷺ.

في الشعب: وبعدما خرج المسلمون من دائرة التطويق، ونجحوا في التمكن من الشعب حصل بينهم وبين المشركين بعض المناوشات الخفيفة الفردية، ولم يجترئ المشركون على التقدم والمواجهة العامة، وإنما بقوا في الساحة قليلاً، مثلوا خلاله القتلى فقطعوا آذانهم وأنوفهم وفروجهم، وبقروا بطونهم، وبقرت هند بنت عتبه عن بطن حمزة حتى أخرجت كبده، ولاكتها، فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها، واتخذت من الآذان والأنوف قلائد وخلاخيل. وجاء أبي بن خلف متغطرساً إلى الشعب يزعم أنه يقتل رسول الله ﷺ، فطعنه رسول الله ﷺ بحربة في ترقوته، في فرجة بين الدرع والبيضة، فتدحرج عن فرسه مراراً، ورجع إلى قريش وهو يخور خوار الثور، فلما بلغ سرف -قريباً من مكة - مات لأجله. ثم جاء رجال من المشركين يقودهم أبو سفيان وخالد بن الوليد، وعلوا في بعض جوانب الجبل، فقاتلهم عمر بن الخطاب ورهط من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل، وتفيد بعض الروايات أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قتل ثلاثة منهم.

وبلغ عدد قتلى المشركين اثنين وعشرين وقيل: سبعة وثلاثين، أما المسلمون فقد قتل منهم سبعون: ٤١ من الخزرج، و٢٤ من الأوس، و ٤ من المهاجرين، وواحد من اليهود، وقيل غير ذلك، وبعد المحاولة الأخيرة الفاشلة من أبي سفيان وخالد بن الوليد أخذ المشركون يستعدون للعودة إلى مكة.

أما رسول الله ﷺ فإنه لما تمكن من الشعب واطمأن فيه، جاءه علي رضي الله عنه بماء من المهراس -ما هو ماء بأحد - ليشرب منه النبي ﷺ، فوجد له ريحاً فلم يشرب منه، بل غسل به الوجه، وصبه على الرأس، فأخذ الدم ينزف من الجرح، ولا ينقطع، فأحرقت فاطمة رضي الله عنها قطعة من حصير، وألصقته، فاستمسك الدم، وجاء محمد بن مسلمة بماء سائغ فشرب منه، ودعا له بخير، وصلى الظهر قاعداً، وصلى المسلمون معه قعوداً. وجاءت نسوة من المهاجرين والأنصار، فيهن عائشة، وأم أيمن، وأم سليم، وأم سليط، فكن يملأن القرب بالماء، ويسقين الجرحى رضي الله عنهن.

حوار وقرار: ولما استعد المشركون للرجوع تماماً أشرف أبو سفيان على الجبل، ونادى: أفيكم محمد؟ فلم يجيبوه، فقال: أفيكم ابن أبي قحافة؟ فلم يجيبوه، فقال: أفيكم عمر بن الخطاب؟ فلم يجيبوه، وكان النبي ﷺ هو الذي نهاهم عن الإجابة، فقال أبو سفيان: أما هؤلاء فقد كفيتموهم، فلم يملك عمر نفسه أن قال: يا عدو الله! إن الذين ذكرتهم أحياء، وقد أبقى الله ما يسوؤك. فقال؟ أبو سفيان: قد كان فيكم مثله، لم آمر بها ولم تسؤني، ثم قال: اعل هبل، فعلمهم النبي ﷺ الجواب، فأجابوه: الله أعلى وأجل. ثم قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم. فعلمهم النبي ﷺ الجواب فأجابوه: الله مولانا ولا مولى لكم. ثم قال أبو سفيان: أنعمت فعال، يوم بيوم بدر، والحرب سجال. فقال عمر رضي الله عنه :لا سواء. قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار. قال أبو سفيان: إنكم لتزعمون ذلك، لقد خبنا إذن وخسرنا. ثم دعاه أبو سفيان وقال: أنشدك الله يا عمر! أقتلنا محمداً؟ قال عمر رضي الله عنه : لا. وإنه ليستمع كلامك الآن. قال: أنت أصدق عندي من ابن قمئة، وأبر. ثم نادى أبو سفيان: إن موعدكم بدر العام القابل. فأمر رسول الله ﷺ أحد أصحابه أن يقول: نعم هو بيننا وبينك موعد.

رجوع المشركين وقيام المسلمين بتفقد الجرحى ودفن الشهداء: ثم رجع أبو سفيان إلى جيشه، وأخذ الجيش في الارتحال، وقد ركب الإبل وجعل الخيل بالجنب، وكان هذا دليل قصدهم لمكة، وكان من فضل الله على المسلمين، إذ لم يكن بين المشركين وبين المدينة من يمنعهم عن الدخول فيها، ولكن صرفهم الله الذي يحول بين المرء وقلبه. فنزل المسلمون إلى ساحة القتال يتفقدون الجرحى والقتلى، وقد نقل بعضهم بعض الشهداء إلى المدينة، فأمر رسول الله ﷺ بردهم إلى مضاجعهم، ودفنهم في ثيابهم، بغير غسل ولا صلاة، وقد دفن الاثنين والثلاثة في قبر واحد، وربما جمع بين الرجلين في ثوب واحد، وجعل بينهما الإذخر، وقدم في اللحد من كان أكثر حفظاً

للقرآن، وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة. ووجدوا نعش حنظلة بن أبي عامر في ناحية فوق الأرض، يقطر منه الماء، فقال النبي ﷺ: إن الملائكة تغسله، وكان من قصته أنه كان حديث عهد بعرس، وكان معها إذ سمع المنادي ينادي للحرب، فتركها، وخرج إلى ساحة القتال، وقاتل حتى قتل، وهو جنب، فغسلته الملائكة، فسمى غسيل الملائكة. وكفن حمزة في برد إن غطى رأسه بدت رجلاه، وإن غطى رجلاه بدا رأسه، فجعلوا على رجليه الإذخر، وكذلك مصعب بن عمير.

إلى المدينة وفي المدينة: ولما فرغ رسول الله ﷺ والمسلمون من دفن الشهداء، والدعاء لهم، رجعوا إلى المدينة، وقد خرجت نسوة قتل أقاربهن ، فلقين رسول الله ﷺ في الطريق، فعزاهن ودعا لهن، وجاءت امرأة من بني دينار قتل زوجها وأخوها وأبوها، فلما نعوا لها سألت عن رسول الله ﷺ فقالوا لها: إنه بحمد الله كما تحبين، فقالت: أرونيه، فأشاروا لها، فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل: أي صغيرة. وبات المسلمون في حالة الطوارئ، يحرسون المدينة، ويحرسون رسول الله ﷺ ،وهم منهكون من الجرح والتعب، والحزن والألم، ورأى رسول الله ﷺ أنه لابد من متابعة حركات العدو حتى يناجزه في الميدان لو حاول العودة إلى المدينة.

غزوة حمراء الأسد: فلما أصبح نادى في المسلمين أن يخرجوا للقاء العدو، ولا يخرج إلا من شهد القتال بأحد، فقالوا: سمعاً وطاعة، وساروا حتى بلغوا حمراء الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة، وعسكروا هناك. أما المشركون فكانوا نازلين بالروحاء، على بعد ستة وثلاثين ميلاً من المدينة، يفكرون ويتشاورون في العودة إليها، ويأسفون على ما فاتهم من الفرصة الصالحة. وكان معبد بن أبي معبد الخزاعي من المناصحين لرسول الله ﷺ، فجاءه بحمراء الأسد، وعزاه على ما أصابه في أحد، فأمره رسول الله أن يلحق أبا سفيان ويخذله، فلحقهم بالروحاء، وقد أجمعوا ليعودوا إلى المدينة، فخوفهم أشد التخويف، قال: إن محمداً خرج في جمع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم تحرقاً، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط، ولا أرى أن ترتحلوا حتى يطلع أول الجيش من وراء هذه الأكمة. فلما سمعوا هذا خارت عزائمهم، وانهارت معنوياتهم، واكتفى أبو سفيان بحرب أعصاب دعائية، إذ كلف من يقول للمسلمين:(إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ)، حتى لا يطارده المسلمون، وعجل الارتحال إلى مكة. أما المسلمون فلم يؤثر فيهم هذا الإنذار، بل:(... زَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) وبقوا في حمراء الأسد إلى يوم الأربعاء، ثم رجعوا إلى المدينة:(فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ).

الفوائد:

....

....

أحداث وغزوات

كان لما أصاب المسلمين بأحد أثر سيء على سمعتهم، إذ تجرأ الأعداء، وكاشفوهم بالنزال، ووقعت عدة أحداث لم يكن بعضها في صالح المسلمين، ونكتفي هنا بذكر الأهم منها فقط.

حادث الرجيع: قدم رجال من عضل وقارة إلى رسول الله ﷺ ،وذكروا له أن فيهم إسلاماً، وطلبوا منه يبعث إليهم من يعلمهم الدين، ويقرئهم القرآن، فبعث عشرة من أصحابه أمر عليهم عاصم بن ثابت، فلما كانوا بالرجيع غدروا بهم، واستصرخوا عليهم بني لحيان من هذيل، فلحقهم قريب من مائة رام، وأحاطوا بهم وهم في مكان مرتفع، فأعطوهم العهد إن نزلوا أن لا يقتلوهم، فأبى عاصم النزول، وقاتل مع أصحابه، فقتل منهم سبعة، وبقي ثلاثة، فأعطاهم الكفار العهد مرة أخرى، فنزلوا، فغدروا بهم، وربطوهم، فقال أحد الثلاثة، هذا أول الغدر، وأبى يصحبهم فقتلوه، وانطلقوا بالاثنين الآخرين إلى مكة، وهما خبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة، فباعوهما، وكان خبيب قد قتل الحارث بن عامر بن نوفل يوم بدر، فاشترته بنته أو أخوه، وسجنوه فترة ثم خرجوا به إلى التنعيم ليقتلوه، فصلى ركعتين، ثم دعا عليهم، ثم قال فيما قال:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً...على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ...... يبارك على أوصال شلو ممزع

فقال له أبو سفيان: أيسرك أن محمداً عندنا نضرب عنقه، وإنك لفي أهلك؟ فقال: والله ما يسرني أني في أهلي، وأن محمداً في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكه تؤذيه، ثم قتله عقبة بن الحارث بن عامر بأبيه.

وأما زيد بن الدثنة فكان قتل أمية بن محرث يوم بدر، فابتاعه ابنه صفوان بن أمية، وقتله بأبيه، وقد نسب إليه ما تقدم من قول أبي سفيان ورد خبيب عليه. وبعثت قريش ليؤتى بجزء من جسد عاصم، فبعث الله الزنابير فحمته منهم، وكان عاصم قد عهد الله أن لا يمسه مشرك، ولا يمس هو مشركاً في حياته، فحفظه الله بعد وفاته.

مأساة بئر معونة: وفي نفس أيام حادثة الرجيع حدثت مأساة أخرى أشد منها، وملخصها أن أبا براء عامر بن مالك، المدعو بملاعب الأسنة، قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فلم يسلم، ولم يبعد، ولكنه أبدى رجاءه أن أهل نجد يجيبونه إلى الإسلام إذا بعث إليهم الدعاة، وقال: أنا جار لهم، فبعث إليهم رسول الله ﷺ سبعين داعياً من قراء الصحابة، فنزلوا على بئر

معونة، وذهب حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل، فلم ينظر فيه، وأمر رجلاً فطعنه من خلفه حتى أنفذ الرمح، فقال حرام: الله أكبر، فزت ورب الكعبة. واستنفر عدو الله بني عامر فلم يجيبوه، لجوار أبي براء، فاستنفر بني سليم، فأجابته بطون منها: رعل وذكوان وعصية، فأحاطوا بالصحابة، وقتلوهم عن آخرهم، ولم ينج إلا كعب بن زيد، وعمرو بن أمية الضمري، فأما كعب بن زيد فكان جريحاً، وظنوه قتيلاً، فارتث من بين القتلى، فعاش حتى قتل يوم الخندق، وأما عمرو بن أمية الضمري، فكان من المنذر بن عقبة في المسرح، فلما رأيا الطير تحوم على الموقعة عرفا الحادث، فنزل بن عقبة في المسرح، فلما رأيا الطير تحوم على الموقعة عرفا الحادث، فنزل المنذر، وقاتل حتى قتل، وأسر عمرو بن أمية، فأخبر عنه عامر بن الطفيل أنه من مضر، فجز ناصيته، وأعتقه عن رقبة كانت على أمه. ورجع عمرو بن أمية إلى المدينة، فلما كان بالقرقرة من الطريق وجد رجلين من بني كلاب، ظنهما من العدو فقتلهما، وكان لهما عهد من رسول الله ﷺ فلما قدم المدينة وأخبر رسول الله ﷺ قال: قتلت قتيلين لأدينهما. وقد حزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً على ما حدث بالرجيع وببئر معونة، وكان الحادثان في شهر واحد -شهر صفر سنة ٤هـ-

ويقال: إن خبر الحادثين وصل إليه ﷺ في ليلة واحدة، فدعا على هؤلاء القتلة ثلاثين صباحاً في صلاة الفجر، حتى أنزل الله عنهم: أبلغوا عنا قومنا: أنا لقينا ربنا، فرضي عنا، ورضينا عنه. فترك القنوت.

الفوائد:

....

....

....

....

غزوة بني النضير

تآمر بنو النضير مؤامرة أخبث من عضل وقارة، ومن الغادرين بأصحاب بئر معونة. فقد طلبوا من رسول الله ﷺ أن يجتمع بهم في موضع يسمعون منه القرآن والإسلام، ويناقشونه، ويؤمنون به إن اقتنعوا، فتم الاتفاق على ذلك، وقرر هؤلاء الأشرار فيما بينهم أن يأتي كل رجل منهم بخنجر تحت ثيابه، فيغتالون النبي ﷺ بغتة وعلى غرة. فوصل الخبر إلى رسول الله ﷺ فقرر إجلاءهم. وقيل: لما رجع عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه، وأخبر بقتل رجلين من بني كلاب، ذهب النبي ﷺ إلى بني النضير في نفر من الصحابة، ليعينوه في ديتها حسب الميثاق، فقالوا: نفعل يا أبا القاسم، اجلس ههنا، حتى نقضى حاجتك، فجلس على جنب جدار ينتظر، وخلا بعضهم ببعض، وركبهم

الشيطان، فقالوا: أيكم يأخذ هذه الرحى ويصعد فيلقها على رأسه؟ فانبعث أشقاهم عمرو بن جحش، ونزل جبريل يخبر النبي ﷺ بما أرادوا، فقام مسرعاً وتوجه إلى المدينة، ثم لحقه أصحابه، فأخبرهم بالمؤامرة وقرر إجلاءهم.

ثم بعث إليهم محمد بن مسلمة يقول لهم: اخرجوا من المدينة، ولا تساكنوني بها، وقد أجلتكم عشراً، فمن وجد بعده يضرب عنقه، فتجهزوا أياماً للرحيل، ثم أرسل رئيس المنافقين عبدالله بن أبي: أن اثبتوا ولا تخرجوا، فأن معي ألفين يدخلون معكم حصونكم، ويموتون دونكم:(لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ)، وينصركم قريظة وغطفان، فشعروا بالقوة وامتنعوا، وقالوا لرسول الله ﷺ: إنا لا نخرج، فاصنع ما بدا لك. فكبر رسول ﷺ وكبر أصحابه، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وأعطى اللواء عليا، وسار إليهم، حتى فرض عليهم الحصار، فالتجأوا إلى حصونهم، وأخذوا يرمون المسلمين بالنبل والحجارة، وكانت نخيلهم وبساتينهم عوناً لهم، فأمر النبي ﷺ بقطعها وتحريقها، فانهارت عزائمهم، وألقى الله الرعب في قلوبهم ، فاستسلموا بعد ست ليال، وقيل: بعد خمس عشرة ليلة، على أنهم يخرجون من المدينة، واعتزلتهم قريظة، وخانهم رأس المنافقين وحلفاؤهم:(كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ)، وسمح لهم رسول الله ﷺ بأن يحملوا معهم ما يشاؤون من الأمتعة والأموال إلا السلاح، فحملوا ما استطاعوا، حتى قلعوا من بيوتهم الأبواب والشبابيك، والأوتاد وجذوع السقف، وحملوها فيما حملوا، وهذا الذي قال الله عنه:(يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ) ونزل أكثرهم وأكابرهم بخيبر، ونزلت طائفة منهم بالشام. وقسم رسول الله ﷺ أرضهم وديارهم بين المهاجرين الأولين خاصة، وأعطى أبا دجانة وسهل بن حنيف من الأنصار لفقرهما، وكان ينفق منها على أهله نفقة سنة، ويجعل ما بقي في سلاح والخيول عدة في سبيل الله، وقد وجد عندهم من السلاح خمسين درعاً، وخمسين بيضة، وثلاثمائة وأربعين سيفاً.

غزوة بدر الموعد: ذكرنا أن أبا سفيان كان قد تواعد في أحد على حرب في العام القادم، فلما دخل شهر شعبان سنة ٤هـ، خرج رسول الله ﷺ إلى بدر حسب الموعد، وأقام بها ثمانية أيام ينتظر أبا سفيان، وكان معه ألف وخمسمائة مقاتل، وعشرة أفراس، وأعطى اللواء على بن أبي طالب، واستخلف على المدينة عبدالله بن رواحة. أما أبا سفيان فإنه خرج في ألفي مقاتل، وخمسين فرساً، حتى انتهى إلى مر الظهران، ونزل على مجنة -ماء مشهور في تلك الناحية - وكان قد أخذه الرعب منذ خروجه، فقال لأصحابه: لا يصلحكم إلا عام خصب ترعون فيه الشجر، وتشربون فيه

اللبن، وهذا عام جدب، وإني راجع فارجعوا، فرجعوا ولم يبدوا أي معارضة. وقد باع المسلمون أيام إقامتهم ببدر ما كان معهم من أموال التجارة، وربحوا درهمين بدرهم، ثم رجعوا وقد هابهم كل عدو، وساد الأمن في كل جانب، حتى مضى أكثر من سنة ولم يجترئ الأعداء على أن يحركوا ساكناً، واستطاع رسول الله ﷺ بفضل هذا الأمن أن يتفرغ لتأمن أقصى الحدود، حتى خرج لتأديب قطاع الطرق إلى دومة الجندل في ربيع الأول سنة ٥هـ فبسط الأمن والسلام في كل جانب.

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

غزوة الأحزاب

كاد رسول الله ﷺ والمسلمون يتفرغون لنشر دينهم، وإصلاح أحوالهم، بعد أن ساد الهدوء بفضل ما اتخذه رسول الله ﷺ من الخطط الحكيمة، فلم يحصل بعد غزوة بني النضير أي مواجهة تذكر، لفترة تجاوز سنة ونصف سنة، ولكن تلك هي اليهود -الذين سماهم المسيح عليه السلام: حيات وأولاد الأفاعي- لم يرقهم أن يستريح المسلمون، فهم بعد ما استقروا بخيب، واطمأنوا بها أخذوا يدبرون المؤامرات، ويتحركون وراء الستار، حتى نجحوا في جلب جيش عرمرم من قبائل العرب ضد أهل المدينة. يقول أهل السير: إن عشرين رجلاً من سادتهم وزعمائهم خرجوا إلى قريش، يحرضونهم على غزو المدينة، ووعدوهم بالنصر، فأجابت لهم قريش، ثم ذهبوا إلى غطفان، فأجابوا، ثم طافوا في القبائل فأجاب عدد منها، ثم حركوا هؤلاء القوم جميعاً تحت خطة منسقة حتى يصل الجميع إلى أطراف المدينة في زمن واحد.

الشورى وحفر الخندق: وبلغ خبر تجمعهم وتحركهم إلى المدينة، فاستشار رسول الله ﷺ أصحابه، فأشار سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق، فاستحسنوه واتفقوا عليه. وحيث إن المدينة تحيط به اللابات (أي الحرَّات، وهي الحجارة السود) من الشرق والغرب والجنوب، ولا تصلح لدخول العساكر إلا جهة الشمال فإن رسول الله ﷺ اختار في تلك الجهة أضيق مكان بين الحرة الغربية والشرقية -وهو نحو ميل - فوصل الحرتين بحفر الخندق في هذا المكان، وبدأ هذا الخندق في جهة المغرب من شمال جبل سلع، ووصله في الشرق برأس ممتد من حجارة الحرة الشرقية عند أطم الشيخين. وقد وكل إلى كل عشرة رجال أن يحفروا أربعين ذراعاً، واشترك معهم رسول الله ﷺ في حفر الخندق ونقل التراب، وكانوا يرتجزون فيجيب، ويرتجز فيجيبون، وقد كابدوا أثناء حفره أنواعاً من المشقة، ولا سيما شدة البرد، وشدة الجوع، وكان يؤتي لهم بملء كف من الشعير، فيصنع بدسم يفوح منها الريح، فيأكلونه، وهو يصعب مروره على الحلق، وشكوا إلى رسول الله ﷺ الجوع، وأروه على بطونهم حجراً حجراً كانوا قد ربطوه، فأراهم على بطنه حجرين. وقد وقعت أثناء الحفر بعض الآيات، رأى جابر شدة الجوع في رسول الله ﷺ فلم يصبر، فذبح بهيمة له، وطحنت امرأته صاعاً من شعير، ثم دعا رسول الله ﷺ سراً، في نفر من أصحابه، فقام رسول الله ﷺ بجميع أهل الخندق، وهم ألف، فأكلوا وشبعوا وما زالت البرمة تغط، والعجين يخبز، وذهبت أخت النعمان بن بشير بحفنة من تمر لأبية وخاله فبدده رسول الله ﷺ فوق ثوب، ودعا أهل الخندق، فأكلوا ورجعوا، والتمر يسقط من أطراف الثوب. وعرضت لجابر وأصحابه أثناء الحفر كدية شديدة، فنزل رسول الله ﷺ وضربها بالمعول، فعادت كثيباً أهيل، أي رملاً لا يتمسك، وعرضت لبراء وأصحابه صخرة، فنزل رسول الله ﷺ فقال: بسم الله. ثم ضرب ضربة بالمعول فقطع قطعة، وخرج منها ضوء، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، وإني لأنظر إلى قصورها الحمراء الساعة، ثم ضرب الثانية وبشر بفتح فارس، ثم الثالثة وبشر بفتح اليمن، وانقطعت الصخرة.

بين طرفي الخندق: وأقبلت قريش ومن تبعهم في أربعة آلاف، ومعهم ثلاثمائة فرس، وألف بعير، يرأسهم أبو سفيان، ويحمل لواءهم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري، فنزلوا بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة. وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد في ستة آلاف، فنزلوا بذنب نقمي إلى جانب أحد، وكان قدوم هذا الجيش العرمرم إلى أسوار المدينة بلاء شديداً ومخيفاً جداً، كما قال الله تعالى:(إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً) فثبت الله المؤمنين، كما قال:(وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا

زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً) [٣٣: ٢٢]، أما المنافقون والذين في قلوبهم مرض فقالوا:(مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً)، واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم، وجعل النساء والذرارى في الآطام، ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين، فجعلوا ظهورهم إلى جبل سلع وتحصنوا به، والخندق بينهم وبين الكفار. وبعد أن استقر المشركون وتهيأوا تقدموا نحو المدينة، فلما اقتربوا من المسلمين فوجئوا بخندق عريض يحول بينهم وبين المسلمين، فبهتوا، وقال أبو سفيان: تلك مكيدة ما عرفتها العرب، فأخذوا يدورون حوله في طيش وغضب، يطلبون نقطة يعبرون منها، والمسلمون يرشقونهم بالنبل، حتى لا يقتربوا منه، فيتمكنوا من الاقتحام، أو من إهالة التراب وبناء الطريق عليه. واضطر المشركون إلى فرض الحصار على المدينة، بينما لم يكونوا مستعدين له، إذ لم يكن ذلك في حسابهم عند الخروج، فأخذوا يخرجون في النهار يحاولون عبور الخندق، والمسلمون يجابهون لهم على طول الخط، يناضلون ويرامون بالحجارة، وقد كثف المشركون جهودهم مراراً، وأداموها طول النهار، واضطر المسلمون إلى الاستمرار في الدفاع، حتى فاتت منهم ومن رسول الله ﷺ الصلوات، ولم يتمكنوا من أدائها إلا بعد غروب الشمس، أو قريباً من ذلك، ولم تكن صلاة الخوف قد شرعت حينذاك. وفي أحد الأيام خرج نفر من فوارس المشركين فيهم عمرو بن عبد ود، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب، وغيرهم، فقصدوا مكاناً ضيقاً من الخندق، واقتحموه، وجالت بهم خيلهم في الساحة التي بين الخندق وجبل سلع، فخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين، فحال بينهم وبين المكان الذي اقتحموا منه الخندق، فدعا عمرو بن عبد ود إلى المبارزة، وكان جريئاً فاتكا، فأغضبه علي حتى نزل من الفرس، فتجاولا و تصاولا حتى قتله علي، وانهزم الباقون وقد ملأهم الرعب، حتى ترك عكرمة رمحه، وسقط نوفل بن عبدالله في الخندق فقتله المسلمون. وأصيب أثناء المراماة عدد قليل من الطرفين، وبلغ عدد قتلى المشركين عشرة، وقتلى المسلمين ستة.

وأصيب سعد بن معاذ بسهم قطع أكحله، فدعا الله أن يبقيه إن كان قد بقي من حرب قريش شيء، وإلا فيجعل موته في هذا الجرح، ثم قال: في دعائه:" ولا تمتني حتى تقر عيني من قريظة".

غدر بني قريظة وأثره على سير الغزوة: وكانت قريظة في عهد رسول الله ﷺ وقد سبق ذكره، فجاء حيي بن أخطب سيد بني النضير، أثناء هذه الغزوة، إلى كعب بن أسد سيد بني قريظة فحسن له الغدر، وأغراه على نقض العه ، فنقض كعب العهد، وقام إلى جانب قريش والمشركين.

وكانت قريظة في جنوب المدينة، والمسلمون في شمالها، ولم يكن من يحول بين قريظة وبين نساء المسلمين وذراريهم، فكان الخطر عليهم شديداً، وبلغ الخبر رسول الله ﷺ فأرسل مسلمة بن أسلم في مائتين وزيد بن حارثة في ثلاثمائة لحراسة ذراري المسلمين، وأرسل سعد بن معاذ وسعد بن عبادة في

رجال من الأنصار يستجلون له الخبر، فوجدوا اليهود على أخبث ما يكونون، فقد جاهروا بالسب والعداوة، ونالوا من رسول الله ﷺ، وقالوا: من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد، فرجعوا وقالوا لرسول الله ﷺ عضل وقارة:" يعني أن قريظة على غدر كغدر عضل وقارة بأصحاب الرجيع". وتفطن الناس، فاشتد خوفهم كما قال الله تعالى:(إِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً). ونجم النفاق حتى قال بعضهم: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمل على نفسه أن يذهب إلى الغائط، وقال آخرون:(يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا)، وأراد فريق منهم الفرار فاستأذنوا النبي ﷺ وقالوا محتالين:(إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ)، وما هي بعورة. قلق رسول الله ﷺ حين بلغه غدرهم، فتقنع بالثوب واضطجع، ومكث هكذا طويلاً، ثم نهض وقال: الله أكبر، وبشر المسلمين بالفتح والنصر. وأراد أن يرسل إلى عيينة بن حصن ليصالحه على ثلث ثمار المدينة، وينسحب هو بغطفان، فأبى ذلك سيدا الأنصار: سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، وقالا: كنا نحن وهؤلاء على الشرك، ولم يطمعوا أن يأكلوا منها ثمرة، فحين أكرمنا الله بالإسلام، وأعزنا بك نعطيهم أموالنا؟ والله لا نعطيهم إلا السيف، فصوب رأيهما.

تخاذل الأطراف ونهاية الغزوة: ولله في خلقه شئون، فقد جاء أثناء هذه الظروف القاسية نعيم بن مسعود الأشجعي، وهو من غطفان، وكان صديقاً لقريش واليهود، فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال: أنت رجل واحد، وماذا عسى أن تفعل، ولكن خذل عنا ما استطعت، فإن الحرب خدعة. فذهب نعيم إلى قريظة، فلما رأوه أكرموه، فقال: تعرفون ودي لكم، وخاصة ما بيني وبينكم، وإني محدثكم حديثاً فاكتموه عني، قالوا: نعم، قال: قد رأيتم ما وقع لبني قينقاع، والنضير، وقد ظاهرتم قريشاً وغطفان، وهم ليسوا مثلكم، فالبلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون أن تتحولوا منه إلى غيره، وأما بلدهم وأموالهم ونساؤهم فبعيدة، فهم إن أصابوا فرصة انتهزوها وإلا لحقوا ببلادهم، وتركوكم ومحمداً ينتقم منكم كيف يشاء، قالوا: فما العمل؟ قال: لا تقاتلوا معهم حتى يعطوكم رهائن. قالوا: لقد أشرت بالرأي. ثم توجه نعيم إلى قريش واجتمع برؤسائهم، وقال: تعلمون ودي لكم ونصحي إليكم، قالوا: نعم. قال: فإني محدثكم حديثاً فاكتموه عني، قالوا: نفعل، قال: فإن يهود قد ندموا على نقضهم عهد محمد، وخافوا أن ترجعوا وتتركوهم معه، فراسلوه أنهم يأخذون منكم رهائن، ويدفعونها إليه، ثم يوالونه عليكم، فرضي بذلك، فاحذروهم، وإن سألوكم رهائن فلا تعطوهم، ثم ذهب إلى غطفان فقال لهم مثل ذلك. وبهذا التدبير الحكيم تشككت النفوس وتشققت، وأرسل أبو سفيان وفداً إلى

قريظة يدعوهم إلى القتال غداً، فقالوا، إن اليوم يوم السبت، ولم يصبنا ما أصابنا إلا من التعدي فيه، ثم إنا لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهائن منكم، لكي لا تتركونا وتذهبوا إلى بلادكم، فقالت قريش وغطفان: صدقكم والله نعيم، وأرسلت قريش إلى اليهود تقول لهم: لا نرهنكم أحداً، واخرجوا للقتال. فقالوا صدقكم والله نعيم. فخارت عزائم الفريقين وتخاذلوا. أما المسلمون فكانوا يدعون:" اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا"، وابتهل رسول الله ﷺ إلى ربه ﷻ:" اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم".. فأرسل الله عليهم ريحا وجنوداً من الملائكة، فزلزلوهم وقذفوا في قلوبهم الرعب، وكفأت الريح قدورهم، وقلعت خيامهم، وضربهم البرد القارس حتى لم يقر لهم قرار، وبدؤوا يتهيؤون للرحيل. وأرسل رسول الله ﷺ حذيفة رضي الله عنه إليهم، ليأتي بخبرهم، فذهب ودخل بينهم، ثم رجع، ولم يجد مس البرد، بل كأنه كان في حمام –الذي يغتسلون فيه الماء الحميم أي الحار – فلما رجع أخبر برحيل القوم ونام. فلما أصبح المسلمون رأوا ساحة القتال من جهة الكفار ليس فيها داع ولا مجيب:(وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً). فقد كانت بداية هذه الغزوة في شوال سنة ٥هـ، ونهايتها بعد نحو شهر في ذي القعدة، وكانت أكبر محاولة قام بها أعداء الإسلام لضرب المدينة، وللقضاء عليها، وعلى الإسلام والمسلمين، ولكن الله خيبهم، ورد كيدهم في نحورهم، وكان فشلهم بمجموع هذه القوات يعني أن الطوائف الصغيرة والمتفرقة أولى أن لا تجترئ على التوجه إلى المدينة، وقد أخبر بذلك النبي ﷺ فقال: الآن نغزوهم، لا يغزونا ، نحن نسير إليهم.

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

غزوة بني قريظة

ورجع رسول الله ﷺ من الخندق ونزع السلاح والثياب، وبينما هو يغتسل في بيت أم سلمة جاءه جبريل عليه السلام وأمره بالنهوض إلى بني قريظة، وقال: إني سائر أمامك أزلزل بهم حصونهم، وأقذف في قلوبهم الرعب، ثم سار في موكبه من الملائكة.

أما رسول الله ﷺ فأعلن في الناس: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وأعطى الراية لعلي بن أبي طالب، وقدمه في جماعة إليهم، فلما رأوه سبوا الرسول ﷺ وقالوا قبيحاً، وبادر المسلمون في الخروج، وأدركت بعضهم العصر في الطريق فمنهم من صلى، ومنهم من أخر حتى وصل إلى بني قريظة، وخرج رسول الله ﷺ في موكب المهاجرين والأنصار حتى نزل على بئر من آبارهم اسمها: "أنا". وألقى الله في قلوبهم الرعب، فتحصنوا في حصونهم، ولم يجترؤوا على القتال، وحاصرهم المسلمون بشدة، فلما طال عليهم الحصار أرادوا أن يستشيروا بعض حلفائهم من المسلمين، فطلبوا من رسول الله ﷺ أن يرسل إليهم أبا لبابة ليستشروه، فأرسله، فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرق لهم، وقالوا: أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم. وأشار بيده إلى حلقه، يريد أنه الذبح، ثم تنبه أنه بإشارته هذه خان الله ورسوله، فمضى على وجهه حتى أتى المسجد النبوي، وربط نفسه بسارية من سواريه، وحلف أن لا يحله إلا رسول الله ﷺ بيده، فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره قال: أما إنه لو جاءني لاستغفرت له. أما إذا فعل ما فعل فنتركه حتى يقضي الله فيه. ومع طول الحصار انهارت معنويات بني قريظة، حتى نزلوا بعد خمس وعشرين ليلة على حكم رسول الله ﷺ، فاعتقل الرجال، وجعل النساء والذراري بمعزل عنهم في ناحية، وطلب حلفاؤهم الأوس أن يحسن إليهم، كما فعل ببني قينقاع حلفاء الخزرج، فقال: ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى. قال: فذاك إلى سعد بن معاذ. قالوا: قد رضينا. وكان سعد في المدينة للجرح الذي أصابه أثناء غزوة الخندق، فجاءوا به راكباً على حمار، فلما قرب من رسول الله ﷺ قال: قوموا إلى سيدكم، فقالوا إليه، وأحاطوا به من جانبيه، يقولون: يا سعد! أحسن في مواليك، وهو ساكت لا يجيب، فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم. فلما سمعوا ذلك رجع بعضهم إلى المدينة ونعى

إليهم القوم. ولما نزل سعد، وأخبر بنزول قريظة على حكمه، حكم فيهم أن يقتل الرجال، وتسبى الذرية، وتقسم الأموال، فقال رسول الله ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات. وقد كان هذا الحكم أيضاً طبقاً لشريعة اليهود، بل أرف ق وأرحم من حكم شريعتهم، وعلى إثر هذا القضاء الذي قضى به سعد بن معاذ أتى ببني قريظة إلى المدينة، فحبسوا في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار، وحفرت لهم خنادق في سوق المدينة، ثم ذهب بهم إلى هذه الخنادق أرسالاً أرسالاً، وضربت أعناقهم فيها، وكانوا أربعمائة، وقيل: ما بين الستمائة إلى السبعمائة. وقتل معهم حيى بن أخطب سيد بني النضير، وكان من زعماء اليهود العشرين الذين حرضوا قريشاً وغطفان على غزوة الأحزاب، ثم كان قد جاء إلى قريظة، وأغراهم على نقض العهد، حتى غدروا بالمسلمين في أحرج ساعة من حياتهم، وكانوا قد اشترطوا عليه أن يكون معه، يصيبه ما يصيبهم، فكان معهم في حصونهم أثناء الحصار والاستسلام حتى القتل. وقد أسلم نفر من بني قريظة قبل النزول فلم يتعرض لهم، واستوهب بعضهم فتركوا وأسلموا. وقتلت امرأة من نسائهم، لأنها كانت قد طرحت الرحى على خلاد بن سويد فقتلته، وجمع السلاح والأموال فكانت ألفاً وخمسمائة سيف، وثلاثمائة درع، وألفى رمح، وخمسمائة ترس وحجفة، وأثاثاً كثيراً، وآنية وجمالاً وشياهاً، فخمس كل ذلك مع النخل والسبي، فأعطى للراجل سهماً وللفارس ثلاثة أسهم، سهماً لنفسه وسهمين لفرسه.

وأرسلت السبايا إلى نجد فابتيع بها السلاح، واصطفى النبي ﷺ منها ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خناقة، فيقال: إنه تسرى بها، ويقال: أعتقها وتزوجها، فتوفيت بعد حجة الوداع. ولما تم أمر قريظة أجيبت دعوة سعد بن معاذ، وكان في خيمة في المسجد النبوي، ليعوده النبي ﷺ من قريب، فمرت عليه شاة فانتقض جرحه، وانفجر من لبته، فسال الدم الغزير حتى توفي لأجله، وحملت جنازته الملائكة مع المسلمين، واهتز لموته عرش الرحمن. ومضى على أبي لبابة ست ليال تأتيه امرأته فتحله للصلاة، ثم يعود فيربط نفسه بالجذع، ثم نزلت توبته في بيت أم سلمة رضي الله عنها فبشرته بها، فثار الناس ليطلقوه فأبى حتى يطلقه رسول الله ﷺ ففعل حين مر به لصلاة الصبح. وقد قام المسلمون بعد غزوة بني قريظة بعدة أعمال عسكرية أهمها ما يأتي:

مقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق: هو تاجر أهل الحجاز، ورئيس يهود خيبر، وأحد كبار المحركين والمؤلبين للأحزاب على أهل المدينة، فلما تفرغ المسلمون من الأحزاب وقريظة انتدب لقتله خمسة من رجال الخزرج، ليحوزوا شرفاً مثل شرف الأوس حين قتلوا كعب ابن الأشراف. ووصل هؤلاء إلى حصنه في جهة خيبر حين غربت الشمس، فقال قائدهم عبدالله بن عتيك: مكانكم، فإني منطلق ومتلطف للبواب، لعلي أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته،

فهتف به البواب: يا عبدالله! إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب. فدخل عبد الله بن عتيك، وكمن حتى نام الناس، فأخذ المفاتيح، وفتح الباب ليسهل له الهروب عند الحاجة، ثم توجه إلى بيت أبي رافع، فكان كلما فتح باباً أغلقه من داخل حتى لو علم به الناس لا يصلون إليه حتى يقتل أبا رافع، فلما انتهى إلى بيته فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا يدري أين هو، فناداه: يا أبا رافع! قال: من هذا؟ فأهوى نحو الصوت وضربه ضربة بالسيف، وهو دهش، فما أغنت شيئا، فخرج ثم جاء مغيراً صوته، كأنه يغيثه، وقال: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال لأمك الويل، إن رجلاً في البيت ضربني بالسيف، فعمد إليه وضربه ضربة أثخنته، ولم يقتله، فوضع السيف في بطنه وتحامل عليه حتى أخذ في ظهره، ثم خرج يفتح الأبواب بابًا بابًا، والليل مقمر، وبصره ضعيف، فظن أنه وصل إلى الأرض، فقدم رجله فوقع من السلم، فأصيبت رجله فعصبها بعمامته، واختفى عند الباب، فلما صاح الديك قام رجل على سور الحصن وقال: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فعرف أنه مات، فأتى أصحابه، ورجعوا، فلما انتهوا إلى رسول الله ﷺ، ومسح رسول الله ﷺ رجله فكأنه لم يشتكها قط.

أسر ثمامة بن أثال سيد اليمامة: كان ثمامة من أشد الناس كراهية لرسول الله ﷺ ولدينه الإسلام، حتى خرج متنكراً في المحرم سنة ٦هـ يريد اغتيال النبي ﷺ بأمر مسيلمة الكذاب، وكان النبي ﷺ قد أرسل محمد بن مسلمة في ثلاثين راكباً لتأديب بني بكر بن كلاب في ناحية ضَرِيَّةَ، على بعد سبع ليال من المدينة في طريق البصرة، فلما كانوا راجعين وجدوا ثمامة في الطريق فأسروه، وجاءوا به إلى المدينة، وربطوه بسارية من سواري المسجد، فمر به النبي ﷺ فقال: ماذا عندك يا ثمامة؟ قال عندي خير يا محمد! إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل، تعط منه ما شئت فتركه، ثم مر به اليوم الثاني، ودار نفس الحديث، ثم اليوم الثالث كذلك، فقال: أطلقوا ثمامة، فأطلقوه، فاغتسل وأسلم، وقال: والله ما كان على ظهر الأرض من وجه أبغض إلى من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلى، ووالله ما كان على وجه الأرض من دين أبغض إلى من دينك، فقد أصبح دينك أحب الأديان إلى. وفي العودة ذهب ثمامة إلى مكة معتمراً فلامته قريش على إسلامه، فقال: والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ فلما انصرف منع بيع الحنطة لأهل مكة فجهدوا حتى كتبوا إلى النبي ﷺ يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى يسمح ببيع الطعام لهم، ففعل ﷺ.

غزوة بني لحيان: بنو لحيان هم الذين كانوا قتلوا المسلمين بالرجيع، وكانوا متوغلين في الحجاز إلى حدود عسفان. فأخر رسول الله ﷺ أمرهم، حتى إذا تخاذلت الأحزاب واطمأن من الأعداء استعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وخرج إليهم في الربيع الأول سنة ٦هـ، في مائتين من الصحابة ومعهم عشرون فرساً، وأسرع السير إليهم حتى بلغ بطن غران، واد بين أمج وعسفان، حيث كان مصاب أصحابه، فترحم عليهم، ودعا لهم، وأقام في ذلك المكان يومين، أما بنو لحيان ففروا في رءوس الجبال، فلم يجد منهم أحداً، وأرسل عشرة فوارس إلى عسفان لتسمع بهم قريش فيداخلهم الرعب، فذهبوا إلى كراع الغميم، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد أن غاب عنها أربع عشرة ليلة.

سرية العيص وإسلام أبي العاص زوج زينب بنت رسول الله ﷺ: في جمادي الأولى سنة ٦هـ أرسل رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى العيص، في مائة وسبعين راكباً، يعترضون عيراً لقريش قادمة من الشام، كان يرأسها أبو عاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ ،فأخذها المسلمون، وأخذوا ما فيها، وأسروا رجالها، وأفلت أبو العاص فجاء على المدينة، واستجار بزينب، وسألها أن تطلب من رسول الله ﷺ أن يرد عليه أموال العير ففعلت، ورد عليه كل شئ، الصغير والكبير والقليل والكثير. وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين تجارة ومالاً وأمانة، فرجع إلى مكة، وأدى الأمانات إلى أهلها، ثم أسلم وهاجر، فرد عليه رسول الله ﷺ زينب بالنكاح الأول، وذلك بعد ثلاث سنوات ونيف، ولم تكن آية تحريم المسلمات على الكفار نزلت إلى ذلك الوقت، فكان النكاح باقياً على حاله. هذا، وقد أرسل رسول الله ﷺ عدة سرايا خلال هذه الفترة، وكان لها أثر بالغ في كبح جماح العدو، وإخماد شره، واستتباب الأمن وبسط السلام إلى أماكن بعيدة، ثم نقل إليه ﷺ ما أدى إلى قيامه بغزوة بني المصطلق.

غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع: بنو المصطلق فرع من قبيلة خزاعة، وكانت عامة بطون خزاعة ممالئين لرسول الله ﷺ ناصحين له، ولكن كان هذا الفرع منها ممالئاً لقريش، وقد نقل إلى رسول الله ﷺ أنهم يستعدون لقتاله، فبعث بريدة بن الحصيب لتحقيق هذا الخبر، فتأكد لديه صحته، فاستعمل على المدينة زيد بن حارثة، وقيل: غيره، وأسرع في الخروج إليهم، ليباغتهم بالهجوم، ومعه سبعمائة من الصحابة، وكان بنو المصطلق نازلين على ماء يسمى بالمريسيع من ناحية قديد إلى الساحل، فأغار عليهم وهم غارون، فقتل بعضهم، وسبى ذراريهم، وأخذ أموالهم، وذلك لليلتين من شعبان سنة ٦هـ، وقيل: ٥هـ، وكان في السبي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار رئيس بني المصطلق، فلما قدم ﷺ المدينة أعتقها وتزوجها بعد أن أسلمت، فأعتق المسلمون مائة أهل بيت من بني

المصطلق قد أسلموا، وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ فكانت أعظم النساء بركة على قومها. تلك هي غزوة بني المصطلق بإيجاز، ليس فيها ما يستغرب، لكن وقعت خلالها حادثتان مؤلمتان استغلهما المنافقون لإثارة الفتن والاضطراب في المجتمع الإسلامي، وحتى في البيت النبوي:

الأولى: قول رأس المنافقين: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل: وسبب ذلك أن رجلاً من خلفاء المهاجرين وآخر من خلفاء الأنصار ازدحما على ماء المريسيع، فضرب المهاجري الأنصاري، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، واجتمع ناس من الطرفين، فبادرهم رسول الله ﷺ وقال:" أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ دعوها فإنها منتنة" فعاد الناس إلى رشدهم ورجعوا. وكانت جماعة من المنافقين قد خرجت في هذه الغزوة، ولم تخرج من قبل، ومعهم رئيسهم عبدالله لن أبي، فلما بلغه الخبر استشاط غضباً، وقال: أو قد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما عُدنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، أراد بالأعز نفسه، وبالأذل رسول الله ﷺ العياذ بالله وأخذ يدبر لذلك الفتن، حتى قال لرفقائه: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم لتحولوا إلى غير داركم. وكان معهم حينما قال ما قال شاب مؤمن قوي الإيمان: زيد بن أرقم لم يصبر على هذا الهراء حتى أبلغ الخبر رسول الله ﷺ، فدعا ﷺ ابن أبي، وسأله عن ذلك، فحلف أنه لم يقل شيئاً مما بلغه، فأنزل الله سورة المنافقين، وفضحه إلى يوم الدين. وكان ابن هذا المنافق –واسمه أيضاً عبدالله – مؤمناً خالصاً، فوقف على نقب المدينة مستلاً سيفه، وقال لأبيه رأس المنافقين: والله لا يجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ، فإنه العزيز وأنت الذليل، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأرسل إليه أن يأذن له، فخلى سبيله وبهذه الحكمة انتهت هذه الفتنة.

الحادثة الثانية: قول المنافقين بالإفك: وحديث ذلك أن النبي ﷺ نزل في عودته من تلك الغزوة منزلاً حين دنا من المدينة، ثم آذن بالرحيل ليلاً، وكانت معه عائشة رضي الله عنها، فخرجت لحاجتها، فلما رجعت التمست صدرها فرأت أنها فقدت عقدها، فرجعت تلتمسه في الموضع الذي فقدته فيه حتى وجدته، وارتحل الجيش، وحملوا هودجها على بعيرها ظناً منهم أنها فيه، ولم ينكروا خفة الهودج لكونهم جماعة، ولكونها خفيفة، ورجعت عائشة إلى منازلهم فلم تجد أحداً، فقعدت هناك على أنهم سيفقدونها فيرجعون في طلبها إلى هذا المكان، فغلبت عيناها حتى نامت. وكان أحد الصحابة، وهو صفوان بن المعطل السلمي رضي الله عنه، قد بات من وراء الجيش، وكان كثير

النوم فلم يستيقظ إلا مؤخراً، فسلك سبيل الجيش، فلما رأى سواد إنسان نائم، فلما قرب منه عرف أنها عائشة، لأنه كان رآها قبل الحجاب، فقال: أنا لله وإنا إليه راجعون، زوجة رسول الله ﷺ؟ لم يقل كلمة غير ذلك، واستيقظت عائشة -رضى الله عنها- بسماع صوته، فخمرت وجهها بجلبابها، وقرب صفوان راحلته، وأناخها فركبت، وأمسك هو زمام الناقة يمشي أمامها، حتى وصل إلى الجيش، وهم نازلون في نحر الظهيرة. ولما رأى ذلك عدو الله ابن أبي وجد متنفساً من كرب النفاق والحقد، فاتهمها بالفجور إفكاً وزوراً، وأخذ يستحكي ذلك، ويستوشيه، ويجمعه ويفرقه، ويشيعه ويذيعه، وكان أصحابه يتقربون به إليه، فلما قدموا المدينة أفاضوا فيه، حتى انخدع عدد من المؤمنين. ومرضت عائشة -رضى الله عنها- حين قدمت المدينة، وطال مرضها نحو شهر، فكانت المدينة تموج بقول أهل الإفك، وهي لا تعلم شيئاً، وإنما كان يريبها أنها لم تكن ترى اللطف الذي كانت تراه من رسول الله ﷺ حين تشكتي، فكان ﷺ يدخل عليها فيسلم ويقول: كيف تيكم؟ ثم يرجع ولا يجلس عندها. وكان ﷺ طوال هذه الفترة ساكتاً لا يتكلم، فلما استلبث الوحي طويلاً استشار أصحابه، فأشار علي بن أبي طالب بفراقها تلويحاً، وأشار أسامه وغيره بإمساكها، وأنها كالتبر الخالص، فقام ﷺ على المنبر واستعذر من رجل بلغ أذاه في أهله -وكانت الإشارة إلى عبدالله ابن أبي فأظهر سيد الأوس رغبته في قتله، فأخذت الحمية سيد الخزرج، لأن ابن أبي كان منهم، فتثاور الحيان حتى خفضهم رسول الله ﷺ. وخرجت عائشة -رضى الله عنها- ذلك اليوم لحاجتها ليلاً، وقد نقهت من المرض، ومعها أم مسطح، فعثرت في مرطها، فدعت على ابنها مسطح، فاستنكرت ذلك عائشة، فأخبرتها الخبر، وأن ابنها ممن يقول بقولهم، فرجعت عائشة فاستأذنت رسول الله ﷺ وأتت أبويها، فلما تأكد لديها الخبر جعلت تبكي وتبكي حتى بكت ليلتين ويوماً، لم تكتحل أثناءها بنوم، ولم يرقأ لها دمع، حتى ظنت وظن أبواها أن البكاء فالق كبدها. وجاءها رسول الله ﷺ صباح الليلة الثانية فجلس وتشهد وقال: أما بعد يا عائشة! فإنه بلغني عنك كذا كذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه. وحينئذ قلص دمعها، وقالت لكل من أبويها أن يجيبا، فلم يدريا ما يقولان، فقالت: والله لقد علمت لقد سمعت بهذا الحديث حتى استقر في أنفسكم، وصدقتم به، فلئن قلت لكم أني بريئة -والله يعلم أني بريئة- لا تصدقونني، ولئن اعترفت لكم بأمر -والله يعلم أني منه بريئة- لتصدقوني، فو الله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف:(فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ). ثم تحولت واضطجعت، ونزل الوحي ساعته، فسرى عن رسول الله ﷺ، وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال:" يا عائشة! أما الله فقد برأك".

فقالت لها أمها: قومي إليه، فقالت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله. والذي أنزله الله -تعالى-

في براءتها عشر آيات في سورة النور بداية من قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) . إلى آخر الآية العشرين: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فخطبهم، وتلا عليهم ما أنزل الله من براءتها، فلما نزل أمر برجلين وامرأة من المؤمنين الخالصين فجلدوا، كل واحد ثمانين جلدة، وهم: حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثه، وحمنة بنت جحش، زلت أقدامهم فأفاضوا في الإفك، وأما رأس المنافقين الذي تولى كبره، ورفقته، فلم يعاقبوا في هذه الحياة الدنيا، ولكنهم سيقفون بين يدي الله يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

الفوائد:

....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....

عمرة الحديبية

الخروج للعمرة والنزول بالحديبية: أري رسول الله ﷺ في المنام، وهو في المدينة، أنه دخل هو وأصحابه المسجد ا

لحرام آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين، فأخبر بذلك المسلمين، وأخبر أنه يريد العمرة، واستنفر الأعراب الذين حوله، فأبطأوا، وظنوا أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً، وتخلصوا قائلين: شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا. وخرج رسول الله ﷺ يوم الاثنين غرة ذي القعدة سنة ٦هـ، في ألف وأربعمائة من المهاجرين والأنصار، وساق معه الهدي، ليعلم الناس أنه لم يخرج محارباً بل

معتمراً. فلما بلغ ذا الحليفة قلد الهدي وأشعره وأحرم بالعمرة. ثم سار حتى بلغ عسفان، فجاءه عينه، وأخبره أن قريشاً مجمعون على القتال، وصد المسلمين عن البيت الحرام، وكانت قريش قد نزلوا بذي طوى، وأرسلوا خالد بن الوليد في مائتي فارس إلى كراع الغميم، قريباً من عسفان، وليسد الطريق النافذ إلى مكة، وجمعوا الأحابيش ليعينوهم، فاستشار رسول الله ﷺ هل يهاجم على أهالي المجتمعين من الأحابيش ليعينوهم، فاستشار رسول الله ﷺ هل يهاجم على أهالي المجتمعين من الأحابيش، أو يقصد البيت، فمن صده يقاتله؟ فقال أبو بكر ﷺ: جئنا معتمرين، ولا مقاتلين، فمن حال بيننا وبين البيت قاتلناه، فقبل النبي ﷺ هذا الرأي. ورأى خالد المسلمين في الصلاة الظهر، وهم يركعون ويسجدون فقال: لقد كانوا على غرة، لو كنا حملنا عليهم، ثم قرر أن يهجم أثناء صلاة العصر، فأنزل الله صلاة الخوف بين الظهر والعصر، ففاتته الفرصة. وأخذ رسول الله ﷺطريقاً آخر غير طريقهم، فسلك ذات اليمين من أسفل مكة، حتى بلغ ثنية المرار مهبط الحديبية، فلما بلغها بركت ناقته، فزجروها فلم تقم فقالوا: خلأت القصواء، فقال: ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل، ثم قال: والله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها، ثم زجرها فوثبت، فتقدم حتى نزل بالحديبية. وجاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة – وكانوا ناصحين لرسول الله ﷺ فأخبره أن قريشاً مستعدون لقتاله وصده عن البيت الحرام، فأخبره رسول الله ﷺ أنه ما جاء إلا للعمرة، وما جاء للقتال، وأنه مستعد للهدنة والصلح، ولكن إن أبت قريش إلا القتال فإنه يقاتلهم حتى تقطع عنقه، أو ينفذ الله أمره.

بين رسول الله ﷺ وقريش: ولما رجع بديل أبلغ ذلك قريشاً، فأرسلوا مكرز بن حفص، فقال له رسول الله ﷺ مثل ما قال لبديل، فأرسلوا سيد الأحابيش: الحليس بن عكرمة، فلما أشرف على المسلمين قال لهم رسول الله ﷺ: هذا من قوم يعظمون الهدي فابعثوه، ففعلوا واستقبلوه يلبون، فلما رأى الحليس ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، أتحج لخم وجذام وحمير، ويمنع عن البيت ابن عبد المطلب؟ هلكت قريش ورب البيت، إن القوم أتوا معتمرين، فلما سمعت قريش منه ذلك قالوا: اجلس إنما أنت أعرابي، ولا علم لك بالمكايد.

ثم أرسلوا عروة بن مسعود الثقفي، فجاء وكلم، فقال له رسول الله ﷺ مثل ما قال لبديل. فقال: أي محمد! أرأيت لو استأصلت قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى، أي الهزيمة بك، فإني أرى حولك أوباشاً من الناس جديرون أن يتركوك ويفروا، فقال له ابو بكر: امصص بظر اللات. أنحن نفر عنه! فلم يستطع أن يرد على أبي بكر، لإحسان أبي بكر إليه من قبل. وكان عروة يأخذ لحية النبي ﷺ حين يكلم، فكان المغيرة بن شعبة يضرب يده بنعل السيف ويقول:

أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ فقال له عروة: أي غدر! ألست أسعى في غدرتك. وكان المغيرة ابن أخي عروة، وكان قتل قوماً وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم. فلم يقبل منه رسول الله ﷺ إلا الإسلام، وكان عروة يسعى في ذلك. فأشار بغدرته إلى هذه القضية. ورأى عروة تعظيم الصحابة للنبي ﷺ، فلما رجع قال لقريش: أي قوم! لقد وفدت على الملوك: على كسرى وقيصر والنجاشي، والله ما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهة وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه. وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له، وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها. وخلال المفاوضات تسلل في الليل طائفة من شباب قريش الطائشين: سبعون أو ثمانون، فهبطوا من جبل التنعيم إلى معسكر المسلمين، وأرادوا بذلك القضاء على محاولات الصلح، ولكن المسلمين ألقوا عليهم القبض، ثم أطلقهم النبي ﷺ وعفا عنهم، فكان له أثره على إلقاء الرعب في قلوبهم قريش، وميلهم إلى الصلح، وفي ذلك أنزل الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾.

عثمان بن عفان رسولا إلى قريش، وبيعة الرضوان: وحينئذ قرر رسول الله ﷺ إرسال رسول إلى قريش يؤكد لهم أنه ما جاء إلا للعمرة، فأرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأمره أيضاً أن يأتي المستضعفين من المؤمنين والمؤمنات بمكة، فيبشرهم بقرب الفتح، وأن الله مظهر دينه، حتى لا يستخفي في مكة أحد بالإيمان. ودخل عثمان رضي الله عنه في مكة في جوار أبان بن سعيد الأموي، فبلغ الرسالة وعرضوا عليه أن يطوف بالبيت، فأبى أن يطوف ورسول الله ﷺ ممنوع. وحبست قريش عثمان رضي الله عنه ولعلهم أرادوا أن يتشاوروا فيما بينهم، ثم يرسلوه مع الجواب وشاع بين المسلمين أنه قتل. وقتل الرسول يعني الإعلان عن الحرب، فلما سمع رسول الله ﷺ ذلك قال: لا نبرح حتى نناجز القوم، ودعا الناس وهو تحت شجرة، أن يبايعوه على القتال، فثار الناس إليه، وبايعوه —بحماس – على الموت، وعلى أن لا يفروا، وأخذ رسول الله ﷺ إحدى يديه بالأخرى، وقال: هذه عن عثمان، ولما انتهت البيعة جاء عثمان رضي الله عنه. وأنزل الله في فضل هذه البيعة ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾. ومن هنا سميت هذه البيعة ببيعة الرضوان.

عقد الصلح: وسمعت قريش بهذه البيعة فداخلهم رعب عظيم، وأسرعوا بإرسال سهيل بن عمرو لعقد الصلح، فجاء وتكلم طويلاً حتى قبل منه رسول الله ﷺ الشروط الآتية:

١ - أن رسول قريش ﷺ يرجع مع المسلمين هذا العام، ولا يدخل مكة ويدخلها العام القابل. فيقيم بها ثلاثة أيام، ولا يكون معه من السلاح إلا بالسيف في القراب.

٢ - توضع الحرب بين الفريقين عشر سنين.

٣ - من أراد أن يدخل في عهد محمد ﷺ دخل فيه، ومن أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه.

٤ - من التجأ من قريش على المسلمين يرده المسلمون إلى قريش، ومن التجأ من المسلمين إلى قريش لا ترده قريش إلى المسلمين. ثم دعا علياً وأملى عليه أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل: ما ندري ما الرحمن. اكتب: باسمك اللهم. فأمره رسول الله ﷺ أن يكتب ذلك، ثم أملى: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله. فقال سهيل: لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبدالله. فقال: أني رسول الله وإن كذبتموني. وأمر علياً أن يمحو ذلك، ويكتب محمد بن عبدالله، فامتنع علي عن المحو، فمحاه ﷺ بيده الشريفة، وكتبت نسختان، نسخة لقريش، ونسخة للمسلمين.

قضية أبي جندل: وبينما الكتاب يكتب جاء أبو جندل -وهو ابن سهيل بن عمرو ممثل قريش في هذا الصلح - وهو يحجل في قيوده، فطلب سهيل رده، فقال النبي ﷺ إنا لم نقض الكتاب بعد، فقال: إذن لا أقاضيك، فقال ﷺ:" فأجزه لي" قال: لا. وضرب سهيل أبا جندل، وصاح أبو جندل: يا معشر المسلمين! أرد إلى المشركين يفتنوني في ديني؟ فقال ﷺ اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً"، وأغرى عمر بن الخطاب أبا جندل ليقتل أباه سهيلاً فلم يفعل.

حل المسلمين من العمرة وحزنهم على قضية الصلح: ولما فرغ رسول الله ﷺ من قضية الكتاب قال للمسلمين: قوموا فانحروا، فما قام أحد. حتى قالها ثلاث مرات فما قام أحد، فدخل على أم سلمة وذكر لها ذلك، فأشارت أن يقوم هو فينحر بدنه ويحلق رأسه، ولا يكلم أحداً، ففعل، وقد نحر جملاً لأبي جهل كان في أنفه برة من فضة، ليغيظ به المشركين، فلما رأى الناس قاموا فنحروا وحلقوا، وكاد بعضهم يقتل بعضاً غماً، وقد نحروا الإبل عن سبعة والبقرة عن سبعة. وكان حزن المسلمين لسببين: الأول رجوعهم بغير عمرة، والثاني عدم المساواة بين الطرفين. فالمسلمون يردون من جاء إليهم، وقريش لا يردون، فطمأنهم رسول الله ﷺ عن الأول بأنهم سوف يعتمرون العام القادم، فالرؤيا صادقة، وفي هذا الجزء من الصلح مراعاة لمشاعر الفريقين، وطمأنهم عن الثاني بأن من ذهب منا إليهم فقد أبعده الله، ومن جاءنا منهم فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً. وكان قوله ﷺ هذا مبنياً

على نظره البعيد، فإن جماعة من المسلمين لما تزل في الحبشة، ولم يكن ينطبق عليهم هذا العهد، فكان يمكن اللجوء إليهم للمحبوسين في مكة ، ولكن ظاهر العهد كان في صالح قريش، فلما يزل له أثر شديد في أعماق مشاعر المسلمين، حتى جاء عمر بن الخطاب، وقال: يا رسول الله! ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: بلى. قال. أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى. قال: ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ قال: يا ابن الخطاب! إني رسول الله ﷺ. ولست أعصيه. وهو ناصري ولن يضيعني أبداً. ثم انطلق عمر متغيظاً إلى أبي بكر فقال له ما قال لرسول الله ﷺ، وأجابه أبو بكر بما أجاب به رسول الله ﷺ. ثم قال لعمر: فاستمسك بغرزه حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق. ثم أنزل الله تعالى:(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِينا) الآيات. فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمر، فأقرأه إياها فقال: يا رسول الله! أو فتح هو؟ قال: نعم فطابت نفسه، ورجع. ثم ندم عمر على ما فرط منه، فعمل لأجله أعمالاً: لم يزل يتصدق ويصوم ويصلي ويعتق حتى رجا الخير.

قضية النساء المهاجرات: وبعد إبرام الصلح، والحل من العمرة، جاءت نسوة مؤمنات، فطلب أولياؤهن الكفار من رسول الله ﷺ أن يردهن، فامتنع عن ذلك، بدليل أنهن لم يدخلن في العهد، وأنزل الله:(يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر...). فحرم المؤمنات على الكفار، والكافرات على المؤمنين. فكان رسول الله ﷺ يمتحن هؤلاء المهاجرات بما أمر في قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ). فحرم المؤمنات على الكفار، والكافرات على المؤمنين. فكان رسول الله ﷺ يمتحن هؤلاء المهاجرات بما أمر في قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ). فمن أقرت بهذه الشروط قال لها: قد بايعتك -كلاماً دون مصافحة - ولم يكن يردهن، وطلق المسلمون أزواجهم الكافرات، وفرقوا بين المسلمات وأزواجهن الكفار.

دخول خزاعة في عهد المسلمين: واختارت خزاعة أن يكونوا مع رسول الله ﷺ في هذا الميثاق، فدخلوا في عهده -وقد كانوا خلفاء بني هاشم من زمن الجاهلي - ودخلت بنو بكر في عهد قريش، فكانوا هم السبب في فتح مكة، وسيأتي.

حل قضية المستضعفين: أما المسلمين المعذبون في مكة، فانفلت منهم رجل اسمه أبو بصير، وجاء إلى المدينة، فأرسلت قريش رجلين إلى النبيﷺ ليرده، فرده، فلما نزل بذي الحليفة قتل أبو بصير أحدهما، وفر الآخر حتى انتهى إلى النبي ﷺ، وقال: قتل صاحبي وإني لمقتول. وجاء أبو بصير فزجره النبي ﷺ، فعرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر، أي ساحله، وانفلت أبو جندل فلحق به، فجعل لا يخرج رجل من قريش قد أسلم إلا لحق به، حتى اجتمعت منهم جماعة، وأخذت تعترض كل عير لقريش تخرج إلى الشام، فتهجم عليها وتأخذ أموالها، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم أن يستقدمهم إلى المدينة، فمن أتاه فهو آمن، فأرسل إليهم فقدموا، وانحلت المشكلة.

أثر الصلح: كان لهذا الصلح أثر كبير في تسيير الدعوة الإسلامية، فقد وجد المسلمين فرصه اللقاء بعامة العرب، ودعوتهم إلى الله، فدخل الناس في الإسلام بكثرة، وبلغ عددهم في عامين ما لم يبلغ خلال تسعة عشر عاماً، وقد جاء كبار قريش وخلاصتها: عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة إلى رسول الله ﷺ، طائعين راغبين، يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويبايعونه على الإسلام، ويبذلون له كل ما يملكون من غال ورخيص، ويفدونه بالنفوس والأرواح، والمواهب والقدرات، وقد قال رسول الله ﷺ، حينما جاؤوا:" إن مكة قد ألقت إلينا أفلاذ كبدها".

مكاتبة الملوك والأمراء

ولما عاد رسول الله ﷺ من عمرة الحديبية، وقد أبرم الصلح مع قريش، وأمن جانبهم، بدأ بإرسال الكتب إلى الملوك والأمراء، يدعوهم فيها إلى الإسلام، ويذكرهم بمضاعفة مسئولياتهم، وهذه هي تلك الكتب بإيجاز:

١ -**كتابه ﷺ إلى النجاشي:** أصحمة بن الأبجر ملك الحبشة، كتب فيه: " بسم الله الرحمن الرحيم". هذا كتاب من محمد النبي إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة. سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الإسلام، فإني أنا رسوله، فأسلم تسلم:(يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من

دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون). فإن أبيت فإن عليك إثم النصارى من قومك". وبعث الكتاب مع عمرو بن أمية الضمري، فلما أخذه النجاشي وضعه على عينيه، ونزل عن سرير، وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب، وكتب إلى النبي ﷺ بإسلامه وبيعه، وزوج أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان بالنبي ﷺ وأصدقها من عنده أربعمائة دينار، وأرسلها والمهاجرين في سفينتين مع عمرو بن أمية الضمري، فقدم بهم والنبي ﷺ بخيبر. مات النجاشي هذا في رجب سنة ٩هـ فنعاه النبي ﷺ يوم وفاته، وصلى عليه صلاه الغائب. وخلفه على الحبشة نجاشي آخر، فكتب إليه يدعوه إلى الإسلام. ولا يدري هل أسلم هذا الثاني أو لم يسلم؟

٢ - **كتابه ﷺ إلى المقوقس ملك الإسكندرية:** وكتب النبي ﷺ كتاباً إلى المقوقس ملك مصر والإسكندرية وهو:" بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبدالله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط،(يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون). وبعث الكتاب مع حاطب بن أبي بلتعة، فكلمه حاطب وأبلغه الكتاب، فأكرمه المقوقس، ووضع الكتاب في حق من عاج، وختم عليه، واحتفظ به، وكتب إلى النبي ﷺ يقر فيه بأن نبياً قد بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، ولكنه لم يسلم، وأهدى جاريتين: مارية وسيرين، وكان لهما في القبط مكان عظيم. وأهدى كسوة، وبغلة اسمها دلدل، فاختار النبي ﷺ مارية لنفسه، والبغلة لركوبه، ووهب سيرين لحسان بن ثابت رضي الله عنه.

٣ - **كتابه ﷺ إلى كسرى أبرويز ملك فارس:** كتب إليه" بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة:(لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين) فأسلم تسلم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك". وبعث الكتاب مع عبدالله بن حذافة السهمي، وأمره أن يدفعه على عظيم البحرين، ليدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرئ عليه الكتاب مزقه، وقال: عبد حقير من رعيتي يكتب اسمه قبلي. فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال:" مزق الله ملكه" ووقع كما قال. فقد انهزم جيشه أمام الروم هزيمة منكرة، ثم انقلب عليه ابنه شيرويه، فقتله وأخذ ملكه، ثم استمر فيه التمزق والفساد أن استولى عليه الجيش الإسلامي في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم لم تقم لهم قائمة.

٤ - **كتابه ﷺ إلى قيصر ملك الروم:**" بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، وأسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت

فإن عليك إثم الأريسيين:" يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك بع شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون". وبعث الكتاب مع دحية بن خليفة الكلبي، وأمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى، ليدفعه إلى قيصر، وكان قيصر قد جاء من حمص إلى بيت المقدس ماشياً على قدميه، شكراً لله تعالى على ما حصل له من الفتح والانتصار على الفرس، فلما جاءه الكتاب أرسل رجاله ليأتوا برجل من العرب يعرف النبي ﷺ فوجدوا أبا سفيان في ركب من قريش، فأتوا بهم إلى هرقل، فدعاهم هرقل في مجلسه، وحوله عظماء الروم، فسألهم أيهم أقرب إليه ﷺ نسباً، فأخبروه بأنه أبو سفيان، فأدناه منه وأجلس بقية الناس وراءه، وقال لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل أي النبي ﷺ فإن كذبني فكذبوه. فاستحيى أبو سفيان أن يكذب. وسأله هرقل: كيف نسبه فيكم؟ فقال: هو فينا ذو نسب. فقال: فهل قال هذا القول منكم أحد قبله؟ قال: لا. قال: فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ قال: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قال: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قال: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا. قال: فهل يغدر؟ قال: لا. وهنا تمكن أبو سفيان من إدخال كلمة مريبة فقال: ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال: فهل قاتلتموه؟ قال: نعم. قال: الحرب بيننا وبينه سجال. ينال منا وننال منه. قال: وماذا يأمركم؟ قال: يقول: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، يأمر بالصلاة والصدق والعفاف والصلة. قال هرقل معلقاً على هذا الحوار: ذكرت أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وذكرت أنه لم يقل أحد منكم هذا القول قبله. قلت: فلو كان كذلك لقلت: رجل يأتم بقول قيل قبله. وذكرت أنه لم يكن من آبائه من ملك، قلت: فلو كان من آبائه من ملك قلت: رجل يطلب ملك أبيه. ذكرت أنكم لم تكونوا تتهمونه بالكذب، فعرفت أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس. ويكذب على الله. وذكرت أن ضعفاء الناس اتبعوه، وهم أتباع الرسل. وذكرت أنهم يزيدون. وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وذكرت أنه لا يرتد منهم أحد، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب. وذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً، ونهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم. فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه. ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه. ثم دعا الكتاب فقرأه، فارتفعت الأصوات وكثر اللغط. فأخرج أبا سيفان ومن معه، فلما خرج أبو سفيان قال لأصحابه: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، إنه ليخافه ملك بني الأصفر، ولم يزل أبو سفيان موقناً بعده بظهور أمر رسول الله ﷺ حتى وفقه الله للإسلام. وأجاز هرقل دحية بن خليفة الكلبي بمال وكسوة. ثم رجع إلى حمص، فأذن لعظماء الروم

في دسكرة له، وأمر بأبوابها فأغلقت. ثم قال: يا معشر الروم! هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم؟ فتتابعوا هذا النبي، فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها مغلقة، فلما رأى قيصر نفرتهم قال: ردوهم علي، فقال لهم: إني قلت مقالتي أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت. فسجدوا له ورضوا عنه. ويتبين من هذا أن قيصر عرف النبي ﷺ وصدق نبوته تمام المعرفة، ولكن غلب عليه حب ملكه فلم يسلم، وباء بإثمه وإثم رعيته كما قال النبي ﷺ، أما دحية بن خليفة الكلبي فإنه لما كان بحسمي في طريقه راجعاً إلى المدينة قطع عليه الطريق رجال من بني جذام، وانتهبوه، حتى لم يتركوا معه شيئاً، فلما بلغ المدينة، وأخبر رسول الله ﷺ، وبعث إليهم زيد بن حارثة في خمسمائة مقاتل، فأغاروا وقتلوا وغنموا ألف بعير، وخمسة آلاف شاة، وسبوا مائة من النساء والصبيان، وأسرع زيد بن رفاعة الجذامي، وأحد رؤسائهم، إلى المدينة -وكان أسلم هو ورجال من قومه، ونصروا دحية حين قطع الطريق عليه - فرد عليه رسول الله ﷺ الغنائم والسبي.

٥ -**وكتب رسول الله ﷺ كتابا إلى الحارث** بن أبي شمر الغساني أمير دمشق من قبل قيصر. وهاك نص الكتاب: " بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر: سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله وصدق، وإني أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك". وبعث الكتاب مع شجاع بن وهب الأسدي -من أسد بن خزيمة - فلما قرأ الكتاب رمى به، وقال: من ينزع ملكي مني؟ واستعد ليرسل جيشاً يغزو المسلمين، وقال لشجاع بن وهب: أخبر صاحبك بما ترى، واستأذن قيصر في حرب رسول الله ﷺ فثناه قيصر عن عزمه، فأجاز الحارث شجاع بن وهب بالكسوة والنفقة، ورده بالحسنى.

٦ -**وكتب ﷺ كتابا إلى أمير بصرى**: يدعوه إلى الإسلام، وبعث الكتاب مع الحارث بن عمير الأزدي رضي الله عنه، فلما بلغ مؤتة -من عمل البلقاء في جنوب الأردن- تعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فضرب عنقه. وكان هذا أشد عمل عدواني تجاه الرسل، فلم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره، وقد وجد ﷺ على ذلك وجداً شديداً، حتى أفضى ذلك إلى معركة مؤته، وسنأتي على ذكرها.

٧ - وكتب ﷺ كتابا إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة. وهو:" بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي. سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يديك". وبعث الكتاب مع سليط بن عمرو العامري. فأكرمه وأجازه، وكساه من نسيج هجر، وكتب في الجواب:" ما أحسن ما تدعوا إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهابني، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك". فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: لو سألني قطعة من الأرض ما فعلت. باد وباد ما في يديه، فمات منصرف رسول الله ﷺ من فتح مكة.

٨ -**وكتب رسول الله ﷺ كتابا إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين**، دعاه فيه إلى الإسلام، وبعث هذا الكتاب مع العلاء بن الحضرمي، فأسلم المنذر، وأسلم بعض أهل البحرين، وبقى الآخرون على دينهم من اليهودية أو المجوسية، فكتب المنذر يخبر بذلك رسول الله ﷺ ويستفتيه، فكتب إليه يأمره أن يترك للمسلمين ما أسلموا عليه، ويأخذ من اليهود والمجوس الجزية، وأنك مهما تصلح فلم نعزلك عن عملك.

٩ -**وكتب رسول الله ﷺ كتابا إلى ملكي عمان** جيفر وأخيه وهو:" بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي. سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوكم بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله ﷺ إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين. فإنكما إن أقرر بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل، وخيل تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما". وبعث الكتاب مع عمرو بن العاص ﷺ، فلما قدم عمان لقي عبد بن الجلندي، فسأله عبد عما يدعو إليه، فقال: إلى الله وحده لا شريك له، وتخلع ما عبد من دونه، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله. وبعد حوار جرى بينهما سأله عبد عما يأمر به. فقال: يأمر بطاعة الله وينهى عن معصيه، ويأمر بالبر وصلة الرحم. وينهى عن الظلم والعدوان والزنا وشرب الخمر، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب. قال عبد: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه، لو كان أخي يتابعني عليه لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به، لكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنباً -تابعاً -. قال عمرو: إن أسلم أخوك ملكه رسول الله ﷺ على قومه، فأخذ الصدقة من غنيهم فيردها على فقيرهم، فقال: إن هذا لخلق حسن، ثم سأله عن الصدقة فأخبره بتفاصيلها، فلما ذكر المواشي قال: ما أرى قومي يرضون بهذا. ثم إن عبداً أوصل عمراً إلى أخيه جيفر، فأعطاه الكتاب فقرأه، ثم أعطاه لأخيه، وسأل عمراً عما فعلته قريش. فأخبره أنهم أسلموا، وأنه إن أسلم يسلم، وإلا وطئته الخيل وتبيد خضراءه. وأرجأ جيفر أمره إلى غد، فلما كان الغد أبدى القوة والصمود، ولكنه خلا بأخيه واستشاره، فلما كان بعد الغد أسلم هو وأخوه، وخليا بين عمرو وبين أخذه الصدقة، وكانا عوناً على من خالفه. أرسل هذا الكتاب إلى عبد وجيفر بعد فتح مكة. وأما بقية الكتب فقد أرسلت بعد عودته ﷺ من الحديبية.

الفوائد:

....

....

....

بين المسلمين وبقية الأطراف

كان عهد الحديبية ميثاقاً ينص على وضع الحرب عشر سنين، وبفضل هذا العهد أمن رسول الله ﷺ من أكبر عدو له في جزيرة العرب، وهم قريش، وتفرغ لتصفية الحساب مع أخبث عدو له مكراً وكيداً وغدراً وإغراء للأحزاب. وهم اليهود. وكانوا متمركزين في خيبر وما وراءها في جهة الشمال. وبينما هو يستعد للخروج إليهم حدثت حادثة أخرى خفيفة، وهي غزوة الغابة.

غزوة الغابة: وبيان ذلك ان رسول الله ﷺ كان قد أرسل لقاحة لترعى في جهة الغابة بناحية أحد، وكان معها غلامه رباح والراعي وسلمة بن الأكوع، وكانت مع سلمة فرس لأبي طلحة، فأغار عبدالرحمن بن عيينة الفزاري على الإبل، فقتل الراعي، واستاق الإبل أجمع، فأعطى سلمة فرسه رباحاً ليسرع إلى المدينة، ويخبر بالحادث، وقام هو على أكمة، فاستقبل المدينة، وصاح بأعلى صوته: يا صباحاه، ثلاث مرات. ثم خرج في آثار القوم يرميهم بالنبل ويرتجز:

خذها، أنا ابن الأكوع   واليوم يوم الرضع

فلم يزل يرميهم ويعقر بهم، وإذا رجع إليه منهم فارس جلس في أصل شجرة ورماه، ودخلوا في مضيق جبل فعلاه، وأخذ يرديهم بالحجارة، فلم يزل كذلك حتى تركوا الإبل كلها، ولكنه لم يزل يتبعهم ويرميهم بالحجارة، فلم يزل كذلك حتى تركوا الإبل كلها، لكنه لم يزل يتبعهم ويرميهم حتى ألقوا ثلاثين برداً وثلاثين رمحاً يستخفون، فكان يجعل عليها أكواماً من الحجارة ليعرف بها. وجلسوا في متضايق ثنية، فجلس ابن الأكوع على رأس قرن، فصعد إليه أربعة، فقال: هل تعرفونني؟ أنا سلمة بن الأكوع، لا أطلب منكم رجلاً إلا أدركته، ولا يطلبني فيدركني، فرجعوا. وبعد حين رأى سلمة فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر، أولهم أخرم، ثم قتادة، ثم المقداد، فجاؤوا، والتقى أخرم وعبد الرحمن، فعقر أخرم فرس عبدالرحمن، وطعنه عبدالرحمن فقتله، وتحول على فرسه، فلحقه أبو قتادة، وقتله طعناً وفر الباقون، فطاردهم هؤلاء الفوارس، ومعهم سلمة يعدو على رجليه، ووصلوا قبل غرو بالشمس إلى شعب فيه ماء يسمى بذي قرد، وكان قد نزل به العدو ليشرب منه، وهم عطاش، فأجلاهم عنه سلمة برميه، ولحق به رسول الله ﷺ والفوارس عشاء، فقال: يا رسول الله، والقوم عطاش، فلو بعثتني في مائة رجل أخذت بأعناقهم وسرحهم فقال: يا ابن الأكوع! ملكت فأسجع -أي تلطف- ثم قال: إنهم ليقرون الآن في بني غطفان. وأعطاه سهم الراجل والفارس، وأردفه على العضباء. وقال: خير فرساننا اليوم أبو قتادة، وخير رجالتنا أبو سلمة. وقعت هذه الغزوة قبل خروجه ﷺ إلى خيبر بثلاثة أيام. وقد استعمل فيها على المدينة ابن مكتوم. وأعطى اللواء للمقداد.

الفوائد:

....
....
....

غزوة خيبر

وفي المحرم سنة سبع من الهجرة خرج رسول الله ﷺ إلى خيبر، وجاء من تخلف عن الحديبية ليؤذن له فنادى في الناس أن لا يخرجوا معه إلا رغبة في الجهاد، أما الغنيمة فلا يعطى لهم منه شيء. فلم يخرج معه إلا أصحاب الشجرة، وكانوا ألفاً وأربعمائة، واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري. ثم سلك الجادة المعروفة الموصلة إلى خيبر، حتى إذا كان في منتصف الطريق تقريباً اختار طريقاً آخر يوصله إلى خيبر، حتى إذا كان في منتصف الطريق تقريباً اختار طريقاً آخر يوصله إلى خيبر من جهة الشام، ليحول بينهم وبين فرارهم إلى الشام. وبات الليلة الأخيرة قريباً من خيبر، ولم تشعر به اليهود، فلما أصبح صلى الفجر بغلس، ثم ركب هو والمسلمون متجهين إلى مساكن خيبر، أما اليهود فقد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم ليعلموا في أرضهم وهم لا يعلمون، فلما رأوا الجيش رجعوا هاربين يقولون: محمد، والله محمد والخميس. فقال النبي ﷺ:" الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين". وخيبر على بعد ١٧١ كيلومتراً شمالي المدينة وكانت مساكنها منقسمة إلى ثلاثة أشطر: النطاة، والكتيبة، والشق. فالنطاة ثلاثة حصون: حصن ناعم، وحصن الصعب بن معاذ، وحصن قلعة الزبير. والشق حصنان: حصن أبي، وحصن النزار. والكتيبة ثلاثة حصون: حصن القموص، وحصن الوطيح، وحصن السلالم. وكانت في خيبر حصون وقلاع أخرى صغيرة لم تكن تبلغ مبلغ هذه الحصون في القوة والمناعة.

فتح النطاة: عسكر رسول الله ﷺ شرقي حصون النطاة بعيداً عن مدى النبل، وبدأ القتال بفرض الحصار على حصن ناعم، وكان حصناً منيعاً، رفيعاً صعب المرتقى وكان خط الدفاع الأول لليهود، وفيه بطلهم مرحب الذي كان يعد بألف رجل، فوقعت المراماة بين الفريقين أياماً. ثم بشرهم رسول الله ﷺ بالفتح. قال:" لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله"، فبات المهاجرون والأنصار كلهم يتمنى أن يعطاها، فلما أصبح قال: أين علي؟ قالوا: هو يشتكي عينيه، فأرسل إليه فأتى به، فبصق في عينيه، ودعا له، فبرئ، كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم. وكان اليهود قد نقلوا نساءهم وذراريهم إلى حصن الشق ليلاً، وقرروا البروز

للقتال في ذلك الصباح، فلما ذهب إليهم علي رضي الله عنه وجدهم متجهزين للقتال، فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورفضوا، ودعا مرحب إلى المبارزة، وهو يخطر بسيفه ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب   شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

فبرز له عامر بن الأكوع، وهو يقول:

قد علمت خيبر أني عامر   شاكي السلاح بطل مغامر

فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مرحب في ترس عامر، فذهب عامر ليتناول بسيفه ساق اليهودي، وكان سيفه قصيراً، فلما يصل إليه، بل رجع إلى عامر فأصاب ركبته، فمات بسببه فيما بعد، فقال النبي ﷺ فيه: إن له لأجرين، إنه لجاهد مجاهد، قل عربي مشى بها –أي بالأرض– مثله. أما مرحب فبرز له علي وهو يرتجز:

أنا الذي سمتني أمي حيدره   كليث غابات كريه المنظره

أوفيهم بالصاع كيل السندره

وضرب رأس مرحب فقتله، ثم خرج أخوه ياسر يدعو إلى المبارزة، فبرز له الزبير بن العوام، وألحقه بأخيه، ثم دار القتال المرير، قتل فيه عدد من سراة اليهود، وانهارت معنوياتهم، فانكشفوا عن مواقفهم، وتبعهم المسلمون حتى دخلوا الحصن بالقوة، وانهزم اليهود إلى الحصن الذي يليه، وهو حصن الصعب وقد غنم المسلمون من حصن ناعم كثيراً من الطعام والتمر والسلاح. ثم حاصر المسلمون حصن الصعب تحت قيادة الحباب بن المنذر، ودام الحصار ثلاثة أيام، وفي اليوم الثالث دعا رسول الله ﷺ بالفتح والغنيمة، ثم ندب المسلمين بالهجوم فهاجموا بشدة، ووقع البراز والقتال، ودارت معركة عنيفة انتهت بهزيمة اليهود، وافتتح المسلمون الحصن قبل أن تغرب الشمس، فوجدوا فيه غنائم كثيرة من الطعام، وكان أكثر الحصون طعاماً وودكاً، وأعظمها غناء للمسلمين، وكان المسلمون قبل ذلك في جماعة شديدة حتى ذبح ناس الحمر، فنهى رسول الله ﷺ عن لحومها، وأمر بالقدور فأكفئت، وهي منصوبة على النيران تطبخ فيها تلك اللحوم. ولاذ اليهود بقلعة الزبير وتحصنوا فيها، وهي ثالث الحصون وآخرها في شطر النطاة، أما المسلمين ففرضوا عليهم الحصار، وفي اليوم الرابع دل يهودي على جداول ماء كان يستقي منها اليهود فقطعها المسلمون عنهم، فخرجوا وقاتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزموا إلى شطر الشق وتحصنوا بحصن أبى.

فتح الشق: وتبعهم المسلمون حتى حاصروهم، فخرجوا مستعدين لأشد القتال، وبرز أحد أبطالهم يطلب المبارزة فقتل. ثم برز آخر فقتل، قتله أبو دجانة سماك بن خرشة الأنصاري، فلما قتله أسرع

إلى اقتحام القلعة، واقتحم معه المسلمون، فجرى القتال داخل القلعة ساعة، ثم فر اليهود إلى الحصن الثاني: حصن النزار، وهو آخر الحصنين في هذا الشطر، وغنم المسلمون في حصن أبي أثاثاً كثيراً ومتاعاً وغنماً وطعاماً. ثم تقدموا وحاصروا حصن النزار، وكان على رأس جبل لا سبيل إليه، وقد تمنع أهله أشد التمنع، وكانوا على شبه اليقين بأن المسلمين لا يستطيعون اقتحامه، ولذلك أقاموا فيه مع الذراري والنساء، وقاموا أشد المقاومة، رمياً بالنبل والحجارة، فنصب المسلمون المنجنيق، فوقع في قلوبهم الرعب، وهربوا إلى شطر الكتيبة دون أن يعانوا شدة تذكر، ووجد المسلمون غنائم فيها أواني من نحاس وفخار، فقال ﷺ اغسلوها واطبخوا فيها.

فتح الكتيبة: وتقدم المسلمون إلى حصن القموص، أول حصون الكتيبة، فحاصروه أربعة عشر يوماً أو عشرين يوماً. ثم يقال: إن اليهود طلبوا الأمان. ويقال: إن المسلمين فتحوا الحصن عنوة، وفر اليهود إلى الحصنين الباقيين: الوطيح والسلالم، فلما سار إليهما المسلمون ليحاصروهما طلب اليهود الأمان على أن يخرجوا من خيبر وأراضيها بنسائهم وذراريهم، فعاهدهم على ذلك، وسمح لهم بأن يأخذوا من الأموال ما حملت ركابهم، إلا الصفراء والبيضاء -أي الذهب والفضة - والكراع والحلقة -أي الخيل والسلاح -، وتبرؤ منهم الذمة إن كتموا شيئاً، ثم سلموا الحصون الثلاثة أو الحصنين، فغنم المسلمون مائة درع، وأربعمائة سيف، وألف رمح، وخمسمائة قوس عربية، وصحفاً من التوراة أعطوها لمن طلبها. وغدر بالعهد كنانة بن أبي الحقيق وأخوه، فغيبا كثيراً من الذهب والفضة والجواهر، فبرئت منهما الذمة، وقتلا لغدرتهما، وكانت صفية بنت حيي بن أخطب تحت كنانة، فجُعلت في السبى.

قتلى الفريقين: وبلغ عدد القتلى من اليهود ثلاثة وتسعين قتيلاً، أما المسلمون فقيل: ١٥، وقيل: ١٦، وقيل: ١٨.

قدوم مهاجري الحبشة وأبي هريرة وأبان بن سعيد: ولما رجع مهاجرو الحبشة مع عمرو بن أمية الضمري، حامل كتاب رسول الله ﷺ إلى النجاشي، اتجه طائفة منهم على خيبر، وهو ستة عشر رجلاً فيهم جعفر بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري ﵁ فوافوا رسول الله ﷺ حين فتح خيبر، وقبل أن يقسمها، فقبل ﷺ جعفراً وقال: " والله ما أدري بأيهما أفرح، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟"، ولما قسم خيبر أعطاهم من الغنيمة، وأما بقية مهاجري الحبشة فذهبوا مع نسائهم وذراريهم إلى المدينة رأساً. ووافاه أيضاً بخيبر بعد أن تم الفتح أبو هريرة ﵁ وكان قد جاء إلى المدينة بعد خروجه ﷺ إلى

خيبر، فأسلم، ثم استأذن وخرج إلى خيبر، فأعطاه رسول الله ﷺ من غنيمة خيبر. ووافاه بعد الفتح أيضاً أبان بن سعيد، وكان قد خرج بسرية إلى نجد، فلما قضى مهمته جاء إلى خيبر، ولم يعط له ولأصحابه من غنيمة خيبر.

الفوائد:

....

....

....

قسمة خيبر

ولما حصل اليهود على الأمان جاؤوا باقتراح جديد قبل أن يتم جلاؤهم. قالوا: يا محمد! دعنا في هذه الأرض، نصلحها ونقوم عليها، فنحن أعلم بها منكم، وتعطينا نصف ما يخرج منها من الثمر والزرع، فرضي بذلك على أن يجليهم منها متى شاء. فبقوا على ذلك حتى أجلاهم عمرو بن الخطاب ﵁ حين سلكوا طريق الشر والخبث. وقسم رسول الله ﷺ خيبر على ستة وثلاثين سهماً، وكل سهم مجموع مائة سهم، فعزل منها النصف، وهو ثمانية عشر سهماً لنوائب المسلمين، وقسم النصف الباقي، وهو أيضاً ثمانية عشر سهماً، على الغزاة، فأعطى للراجل سهماً، وللفارس ثلاثة أسهم، سهماً له وسهمين لفرسه، وكان الفوارس مائتين، فصارت لهم ستة أسهم، والرجالة ألفاً ومائتين فصار لهم اثنا عشر سهماً. وكانت خيبر غنيمة بالتمر والطعام، قالت عائشة -رضي الله عنها-: لما فتحت خيبر قلنا: الآن نشبع من التمر ورد المهاجرون إلى الأنصار منائحهم من النخيل بعدما رجعوا من خيبر إلى المدينة.

شاة مسمومة: وبعدما عاد الهدوء، وذهب الخوف عاد اليهود إلى خبثهم، وتآمروا على قتل النبي ﷺ فأهدوا إلى رسول الله ﷺ شاة مسمومة بواسطة امرأة سلام بن مشكم: أحد كبرائهم، وقد علمت أن رسول الله ﷺ يعجبه الذراع، فأكثرت السم فيه، وتناول منه رسول الله ﷺ ولاكها، ثم لفظها وقال: إنها شاة مسمومة، وسأل المرأة واليهود فاعترفوا بجريمتهم، قالوا: قلنا: إن كان ملكاً نستريح منه، وإن كان نبياً لا يضره، فعفا عنهم وعن المرأة، ثم إن بشر بن البراء بن معرور مات من أجل هذا السم فأمر بقتل المرأة قصاصاً.

استسلام أهل فدك: فدك قرية في شرق خيبر على بعد يومين، تعرف اليوم ب" حائط" وكان رسول الله ﷺ قد أرسل محيصة بن مسعود إلى يهود فدك بعد وصوله على خيبر، ليدعوهم إلى الإسلام، فأبطأوا عليه، فلما سمعوا بفتح خيبر داخلهم الرعب، وطلبوا أن يعامل بهم معاملة أهل خيبر، فقبل ذلك منهم، فكانت أرض فدك خالصة لرسول الله ﷺ ينفق منها على نفسه، ويعول صغير بني هاشم ويزوج أيمهم.

وادي القرى: وسار رسول الله ﷺ بعد خيبر إلى وادي القرى، ودعا أهلها -وهم يهود - إلى الإسلام، فلم يسلموا ولم يستسلموا، وخرجوا للقتال، وبرز منهم رجل فقتله الزبير بن العوام، ثم آخر فقتله، ثم ثالث فقتله علي، حتى قتل منهم أحد عشر رجلاً، كلما قتل منهم رجل، دعا البقية إلى الإسلام، وكلما صلى صلاة دعاهم إلى الإسلام حتى أمسوا، ثم غدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى انهزموا، وغنم المسلمون مغانم كثيرة. ثم طلبوا أن يعامل بهم معاملة أهل خيبر، فقبل ذلك منهم.

مصالحة أهل تيماء: ووصل إلى يهود تيماء أخبار خيبر وفدك ووادي القرى، فصالحوا على دفع الجزية، ومكثوا في بلادهم آمنين. زواجه ﷺ وبناؤه بصفية: ولما جعلت صفية بنت حيي بن أخطب في السبى أخذها دحية بن خليفة الكلبي بإذن رسول الله ﷺ فقال الصحابة لرسول الله ﷺ:" إنها لا تصلح إلا لك، إنها سيدة قريظة والنضير، فدعا بها رسول الله ﷺ، وعرض عليها الإسلام فأسلمت، فأعتقها وتزوجها، وجعل عتقها صداقها، وأسلمها إلى بعض النساء. فلما تم له فتح خيبر ووادي القرى، وأطاع له أهل فدك وتيماء، أخذ في عودته إلى المدينة. حتى إذا كان بسد الصبهاء حلت صفية فزفت إليه ﷺ، فأصبح عروساً بها، وأولم عليها بحيس من التمر والأقط والسمن، وأقام ثلاثة أيام يبني بها. ثم سار حتى قدم المدينة في أواخر شهر صفر أو في شهر ربيع الأول من سنة ٧هـ.

الفوائد:

....

....

....

غزوة ذات الرقاع

ولما رجع رسول الله ﷺ من خيبر، واطمأن بالمدينة سمع بتجمع البدو من بني أنمار وثعلبة ومحارب، فاستعمل على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقصد في نحو سبعمائة من الصحابة موضعاً يقال له

نخل، على بعد يومين من المدينة، فلقي جمعاً من غطفان، فتقارب الفريقان، وأخاف بعضهم بعضاً، ولم يدر القتال، وأقيمت الصلاة، فصلى رسول الله ﷺ بطائفة ركعتين، ثم تأخروا، وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين، فكانت له أربع وللقوم ركعتان، وهي صلاة الخوف، ولها صور أخرى مروية في الأحاديث. ثم ألقى الله الرعب في قلب العدو فتفرق جمعه، وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة. وسميت هذه الغزوة بذات الرقاع، لأن أقدام المسلمين نقبت لأجل المشي، فلفوا عليها الخرق، وهي الرقاع، وقيل: لأن أراضيها وجبالها ذات ألوان مختلفة كأنها رقاع، قيل: بل هي اسم لمكان الغزوة.

من يمنعك مني؟ ومن أروع ما وقع في هذه الغزوة أن رسول الله ﷺ نزل ذات يوم تحت شجرة ظليلة، فعلق بها سيفه ونام، وتفرق الناس تحت الأشجار وناموا، فجاء رجل من المشركين، فاخترط سيف رسول الله ﷺ وهو نائم، فاستيقظ وهو في يده صلتا. فقال: أتخافني؟ قال: لا. قال: فمن يمنعك مني؟ قل: الله. فسقط السيف من يده. فأخذه رسول الله ﷺ وقال: من يمنعك مني؟ قال: كن خير آخذ. فدعاه إلى الإسلام فلم يسلم. ولكنه أعطى العهد أنه لا يقاتله، ولا يكون مع قوم يقاتلونه، فخلى سبيله، فذهب إلى قومه، وقال: جئتكم من عند خير الناس. وعامة أهل المغازي يقولون: إن هذه الغزوة وقعت في السنة الرابعة من الهجرة، والصحيح أنها في السنة السابعة بعد خيبر. لأن أبا هريرة وأبا موسى الأشعري -رضي الله عنهما- كانا في هذه الغزوة، وهما إنما جاءا إلى النبي ﷺ أول مرة بعد فتح خيبر. كما تقدم، وقد أرسلت قبل هذه الغزوة وبعدها عدة سرايا لتأمين الطرق وتأديب المعتدين وتفريق المجتمعين، نطوى ذكرها حتى لا يطول الكلام.

عمـــرة القضاء

وفي ذي القعدة سنة ٧هـ خرج رسول الله ﷺ للعمرة التي تم الاتفاق عليها في صلح الحديبية، واستخلف على المدينة أبارهم الغفاري، وساق معه ستين بدنة، وجعل عليها ناجية بن جندب الأسلمي، وحمل معه السلاح حذراً من غدر قريش، واستعمل عليه بشير بن سعد، وكان معه مائة فرس عليها محمد بن مسلمة. وأحرم من ذي الحليفة ولبى. ولبى معه المسلمون، وواصل سيرة حتى إذا بلغ وادي يأجج وضع السلاح، وخلف عليها أوس بن خولي الأنصاري، في مائتين من الصحابة، وتقدم بسلاح الراكب: السيوف في القرب. فدخل مكة من ثنية كداء التي تطلعه على الحجون. وهو على ناقته القصواء، والمسلمون متوشحون السيوف، محدقون به، يلبى ويلبون، حتى دخل المسجد الحرام، فاستلم الحجر الأسود بمحجنه، ثم طاف -وهو على راحلته- وطاف معه

المسلمون، ويرملون حول البيت، كاشفين مناكبهم اليمنى، شأن الفتوه والقوة، وعبدالله بن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ متوحشاً بالسيف، يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا، فكل الخير في رسوله
اليوم نضربكم على تأويله كما ضربناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

وكان المشركون جالسين على جبل قعيقعان -شمالي الكعبة - وقد قالوا فيما بينهم: إنه يقدم عليكم وفد قد وهنتهم حمى يثرب، فلما رأوا المسلمين يرملون قالوا: هؤلاء أجلد من كذا كذا، وكان رسول الله ﷺ أمرهم أن يرملوا في الأشواط الثلاثة الأولى ليرى المشركين قوتهم. إلا ما بين الركن اليماني والحجر الأسود، فإنه في الجنوب، في جهة لم يكن يراها المشركون. فلما فزع من الطواف سعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط، ثم نحر هديه عند المروة، وحلق رأسه، وكذلك فعل المسلمون، ثم بعث رجالاً من الصحابة إلى بطن يأجج ليكونوا على السلاح، ويأتي من بقى هناك من الصحابة فيؤدوا نسكهم. وأقام بمكة ثلاثة أيام تزوج خلالها ميمونة بنت الحارث الهلالية -وكانت زوجة سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب وخالة ابن العباس - فلما بلغتها الخطبة وكل أمرها إلى العباس، فزوجها العباس بالنبي ﷺ، وهو حلال، فإنه اعتمر أول ما دخل مكة، ثم حل فبقى حلالاً. وفي صبيحة اليوم الرابع غادر رسول الله ﷺ مكة راجعاً إلى المدينة، فلما بلغ سرف على بعد تسعة أميال من مكة نزل بها وأقام، وهناك زفت إليه ميمونة -رضي الله عنها - فبنى بها. ثم عاد إلى المدينة فرحاً مسروراً بما حباه الله من تصديق رؤياه، وشرفه بطواف بيته. ومن عجيب قدر الله أن ميمونة - رضي الله عنها - لما توفيت كانت بسرف فدفنت هناك. وبعد رجوعه ﷺمن عمرة القضاء أرسل عدة سرايا إلى جهات متعددة أهمها سرية مؤتة، ثم سرية ذات السلاسل.

الفوائد:

....

....

....

معركة مؤتة

[جمادي الأولى سنة ٨ هـ] سبق في ذكر كتب رسول الله ﷺ إلى الملوك والأمراء أن شرحبيل بن عمرو الغساني كان قد قتل الحارث بن عمير رضي الله عنه، حامل كتاب رسول الله ﷺ إلى عظيم بصرى، وكان ذلك بمثابة إعلان الحرب، فلما بلغ ذلك زيد بن الحارثة، وقال: إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر

فعبد الله بن رواحة، وعقد لواءًا أبيض حمله زيد بن حارثة. وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير فيدعوهم على الإسلام، فإن أبوا قاتلوهم، وقال: اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليداً، ولا امرأة، ولا كبيراً فانياً، ولا منعزلاً بصومعة، ولا تقطعوا نخلاً، ولا شجرة ن ولا تهدموا بناء. وشيع الجيش إلى ثنية الوداع، ثم ودعه، فسار الجيش حتى نزل معان –بجنوب الأردن– فبلغهم أن هرقل نازل بمآب في مائة ألف من الروم. انضم إليهم من متنصرة العرب مائة ألف، فتشاوروا ليلتين هل يكتبون ذلك إلى رسول الله ﷺ ويطلبون منه المدد إنما يقدمون على الحرب؟ فشجعهم ابن رواحة بأن الذي تكرهونه –وهي الشهادة - إنما خرجتم تطلبونه. ونحن ما نقاتل بعدد ولا قوة ولا كثرة، وإنما نقاتل بهذا الدين الذي أكرمنا الله به. وما هي إلا إحدى الحسنيين، إما الظهور وإما الشهادة، فقالوا: صدق والله ابن رواحة، فتقدموا ونزلوا بمؤتة، وتعبؤوا وتهيؤوا للقتال. ودارت معركة عنيفة ورهيبة، وعجيبة في تاريخ البشر: ثلاثة آلاف مقاتل يواجهون جيشاً عرمرماً –مائتي ألف - ويصمدون في وجهه. وهذا الكم الهائل من المدججين بالسلاح يهجم عليهم طول النهار، ويفقد كثيراً من أبنائه وأبطاله، ولا ينجح في دحرهم. أخذ راية المسلمين زيد بن حارثة رضي الله عنه فقاتل وقاتل، ثم قاتل وقاتل حتى شاط في رماح القوم، وخر شهيداً في سبيل ربه، ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فقاتل وقاتل، حتى إذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه الشقراء وعقرها، ثم قاتل حتى قطعت يمينه، فأخذ الراية بشماله، فلم يزل رافعاً لها حتى قطعت شماله، فاحتضنها بعضديه حتى أبقاها تخفق في جو السماء، إلى أن قتل بعد أن أصابته بضع وتسعون من طعنة ورمية، كل ذلك فيما أقبل من جسده، وجاءت نوبة عبدالله بن رواحة رضي الله عنه فأخذ الراية وتقدم، واقتحم عن فرسه المعمعة، ثم لم يزل يقاتل حتى قتل رضي الله عنه.

وحتى لا تسقط الراية أخذها ثابت بن أرقم وقال للمسلمين: اصطلحوا على رجل، فاصطلحوا على خالد بن الوليد، وبذلك انتقلت الراية إلى سيف من سيوف الله، وتقدم خالد بن الوليد فقاتل قتالاً منقطع النظير حتى انقطعت في يده تسعة أسياف، وأخبر رسول الله ﷺ أصحابه بالمدينة في نفس اليوم بمقتل القواد الثلاثة، وبانتقال القيادة إلى خالد بن الوليد، وسماه سيفاً من سيوف الله. وبانتهاء النهار رجع الفريقان إلى مقرهما، فلما أصبحوا غير خالد رضي الله عنه ترتيب العسكر، فجعل الساقة مقدمة، والمقدمة ساقة، والميسرة ميمنة، والميمنة ميسرة، فظن العدو أن المدد قد وصل للمسلمين فداخله الرعب، وبعد مناوشة خفيفة بدأ خالد يتأخر بالمسلمين، فلم يجترئ العدو على التقدم، خوفاً من أن تكون خدعة، فانحاز المسلمون إلى مؤتة، ومكثوا سبعة أيام يناوشون العدو، ثم تحاجز الفريقان وانقطع القتال، لأن الروم ظنوا أن الإمدادات تتوالى على المسلمين، وأنهم يكيدون بهم ليجروهم إلى الصحراء حيث لا يمكنهم التخلص، وبذلك كانت كفة المسلمين راجحة في

هذه الغزوة. وقتل في هذه الغزوة اثنا عشر رجلاً من المسلمين، أما عدد قتلى العدو فلم يعرف، إلا أنهم قتلوا بكثرة.

سرية ذات السلاسل: ونظراً لموقف عرب الشام في معركة مؤتة رأي رسول الله ﷺ القيام بعمل حكيم يكيفهم عن نصرة الرومان والقيام بجانبهم، فأرسل إليهم عمرو بن العاص رضي الله عنه في ثلاثمائة من الصحابة، ومعهم ثلاثون فرساً، ليستأنفهم، لأن أم أبيه كانت من قبيلة بلى: إحدى قبائلهم ، فإن أبوا فليلقنهم درساً على قيامهم بجانب الروم، فلما قرب منهم بلغه أن لهم جمعاً كبيراً، فاستمد من رسول الله ﷺ، فأمده بمائتين من سراة المهاجرين والأنصار، وعليهم أبو عبيدة بن الجراح، وكان عمرو بن العاص هو الأمير العام وإمام الصلاة، فدوخ بلاد قضاعة حتى لقي جمعاً، فلما هجم عليهم فروا وتفرقوا. والسلاسل بقعة وماء وراء وادي القرى، إليها نسبت هذه السرية، لأن المسلمين نزلوا بها، وكان ذلك في جمادي الآخرة سنة ٨هـ. أي بعد الشهر الذي وقعت فيه معركة مؤتة.

الفوائد:

....

....

....

الفتح الأعظم: فتح مكة المكرمة

السبب والاستعداد والإخفاء: وفي رمضان سنة ٨ من الهجرة فتح الله تعالى لرسوله ﷺ مكة المكرمة، وهو الفتح الأعظم، وأعز الله به دينه ورسوله، وأنقذ به بيته وبلده، واستبشر به أهل السماء، ودخل به الناس في دين الله أفواجاً. وسببه أن بني بكر دخلوا مع قريش في عهد الحديبية، وكانت بينهم وبين خزاعة دماء وثارات في الجاهلية اختفت نارها بظهور الإسلام، فلما وقعت هدنة الحديبية اغتنمها بنو بكر، وأغاروا في شهر شعبان سنة ٨ هـ على خزاعة ليلاً، وهم على ماء يقال له: الوتير، فقتلوا منهم ما يربو على عشرين، وطاردوهم إلى مكة حتى قاتلوهم فيها، وأعانتهم قريش سراً برجال وسلاح وكانت خزاعة قد دخلت مع المسلمين في عهد الحديبية، وكان قد أسلم عدد منهم، فأبلغوا رسول الله ﷺ الخبر، فقال: والله لأمنعنكم مما أمنع نفسي منه. وأحست قريش بسوء فعلتها، وخافت نتائجها، فأسرعت بإرسال أبي سفيان إلى المدينة ليشد العقد ويزيد في المدة، فلما جاء المدينة نزل على ابنته أم المؤمنين أم حبيبة -رضي الله عنها -، وأراد أن يجلس على فراش أم رغبت به عني؟ قالت: هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت مشرك نجس. قال: والله لقد أصابك بعدي شر. ثم جاء رسول

الله ﷺ فكلمه فلم يرد شيئاً، فذهب إلى أبي بكر ليكلم رسول الله ﷺ فقال: ما أنا بفاعل. فأتى عمر فأبى، وشدد في الكلام، فأتى عليا فاعتذر، وأشار عليه أن يجير بين الناس ويرجع، ففعل. أما رسول الله ﷺ فتجهز للغزو، وأمر أصحابه بذلك، واستنفر الأعراب الذين حول المدينة، وكتم الخبر، ودعا الله:" اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش، حتى نبغتها في بلادها". وزيادة في الكتمان أرسل أبا قتادة ﷺ في أوائل رمضان إلى بطن إضم، وعلى بعد ستة وثلاثين ميلاً من المدينة، ليظن الظان أنه يريد هذه الناحية.

وكتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم فيه بمسير رسول الله ﷺ إليهم، وأعطاه امرأة على جعل، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء، فأرسل عليا والمقداد والزبير ومرثداً الغنوي، وقال: انطلقوا إلى روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها، فأتوها وطلبوا فأتوا به رسول الله ﷺ، فقال: ما هذا يا حاطب؟ فأعتذر بأن في مكة أهلاً وعشيرة وولداً، وليست له فيهم قرابة يحمونهم لأجلها، فأراد أن يتخذ عندهم يداً يحمون بها أهله، ولكم يفعله ارتداداً عن الإسلام، ورضىً بالكفر، فقال عمر، دعني يا رسول الله ﷺ أضرب عنقه، فإنه قد خان الله ورسوله، وقد نافق. فقال ﷺ:" إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم"، فذرفت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم.

في الطريق إلى مكة: ولعشر من رمضان سنة ٨هـ غادر رسول الله ﷺ المدينة، متجهاً إلى مكة، ومعه عشرة آلاف من المسلمين، واستعمل على المدينة أبا رهم الغفاري. ولما بلغ الجحفة لقيه عمه العباس من أهله مسلماً مهاجراً، وبالأبواء لقيه ابن عمه أبو سفيان بن الحارث، وابن عمته عبدالله بن أبي أمية فأعرض عنهما، لأنه كان يلقى منهما شدة الأذى والهجو، فقالت له أم سلمة: لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك، وقال علي لأبي سفيان: ائته من قبل وجهه، وقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف:(قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ). ففعل، فقال ﷺ:(قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ). فأنشده أبو سفيان أبياتاً مدحه فيها واعتذر عما فعل به سابقاً. ولما بلغ كديداً ورأى أن الصوم شق على الناس أفطر، وأمر الناس بالإفطار، ثم واصل سيره حتى نزل بمر الظهران عشاء، فأمر الجيش فأوقدوا عشرة آلاف نار، كل على حدته، وجعل على الحرس عمر بن الخطاب ﷺ. وخرج أبو سفيان خائفاً يترقب، ولا يعلم شيئاً، ومعه حكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء، فلما رأى النيران قال: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً، قال بديل خزاعة، قال أبو سفيان: خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها.

أبو سفيان بين يدي رسول الله ﷺ: وكان العباس رضي الله عنه على بغلة رسول الله ﷺ يتجول، فلما سمع الصوت عرفه فقال: أبا حنظلة؟ فقال: أبا الفضل؟ قال: نعم. قال: مالك؟ فداك أبي وأمي. قال: هذا رسول الله ﷺ في الناس، واصباح قريش والله. قال: فما الحيلة؟ فداك أبي وأمي. قال: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك. فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فركب، فلما مر بعمر بن الخطاب رآه فقال: أبو سفيان؟ عدو الله؟ الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد، واشتد إلى رسول الله ﷺ، وركض العباس البغلة فسبق إلى رسول الله ﷺ، ثم دخل عمر واستأذنه في ضرب عنق أبي سفيان، فقال العباس: إني أجرته، وأخذ برأس رسول الله ﷺ وقال: لا يناجيه الليلة أحد دوني. وأكثر عمر، ورسول الله ﷺ ساكت. ثم قال للعباس: اذهب به إلى بيتك. فإذا أصبحت فأتني به. فلما جاء به الصبح قال رسول الله ﷺ:" ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله". قال أبو سفيان: ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، ولو كان معه إله غيره لأغنى عني شيئاً بعد. قال:" ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله". قال: أما هذه فإن في النفس حتى الآن منها شيء. فقال العباس: أسلم قبل أن تضرب عنقك، فأسلم وشهد شهادة الحق. فقال العباس: يا رسول الله! إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً. قال:" نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن".

دخول رسول الله ﷺ في مكة المكرمة: وفي الصباح تقدم رسول الله ﷺ إلى مكة، وأمر العباس أن يحبس أبا سفيان بمضيق الوادي عند خطم الجبل، حتى تمر به جنود الله فيراها، ففعل، فمرت القبائل على راياتها، كلما مرت به قبيلة قال: يا عباس! من هذه؟ فيقول: بنو فلان. (مثلاً بنو سليم) فيقول: ما لي ولبني فلان. حتى مرت كتيبة الأنصار، يحمل رايتها سعد بن عبادة فقال: يا أبا سفيان! اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة. فقال: يا عباس! حبذا يوم الذمار. ثم مر رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء، فيها المهاجرين والأنصار، ولا يرى منهم إلا الحديد، فقال: سبحان الله! يا عباس! من هؤلاء؟ قال: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة. لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً. قال العباس: يا أبا سفيان! إنها النبوة. قال: نعم إذن ثم أخبر رسول الله ﷺ بمقالة سعد، فقال ﷺ:" كذب سعد. هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة". وأخذ الراية من سعد، ودفعها لابنه قيس. وبعد مروره ﷺ أسرع أبو سفيان حتى دخل مكة، وصرخ لأعلى صوته: يا معشر قريش! هذا محمد، قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: قاتلك الله. وما تغني عنا دارك؟ قال: ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن، فأسرع الناس إلى بيوتهم وإلى المسجد الحرام. ولما وصل رسول الله ﷺ إلى ذي طوى أمر

خالد بن الوليد قائد الميسرة أن يدخل مكة من أسفلها من طريق كدى، وإن عرض له أحد يحصده حصداً حتى يوافيه على الصفا. وأمر الزبير قائد الميمنة وحامل راية رسول الله ﷺ أن يدخل مكة من أعلاها من كداء، ويغرز رايته بالحجون، ولا يبرح حتى يأتيه رسول الله ﷺ، وأمر أبا عبيدة قائد الرجالة ومن لا سلاح له أن يأخذ بطن الوادي حتى ينزل بين يدي رسول الله ﷺ. ووبشت قريش أوباشا بالخندمة، قالوا: إن كان لهم شيء كنا معهم، وإلا أعطينا الذي سئلنا. فلما مر بهم خالد حصد اثني عشر منهم في مناوشة خفيفة. وفر الباقون. ثم تقدم خالد يجوس مكة حتى وافى رسول الله ﷺ على الصفا، وقتل من رجاله اثنان ضلا الطريق وشذا عنه. أما الزبير فنصب الراية بالحجون عند مسجد الفتح، وضرب قبة فيها أم سلمة وميمونة رضي الله عنهما، ولم يبرح حتى جاء رسول الله ﷺ، فاستراح قليلاً، ثم سار، وبجانبه أبو بكر رضي الله عنه يحادثه، وهو يقرأ سورة الفتح، حتى دخل المسجد الحرام، وحوله المهاجرون والأنصار، فاستلم الحجر الأسود وطاف بالبيت وهو على الراحلة، ولم يكن محرماً، وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول:(وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً)، (قُلْ جَاء الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ)، والأصنام تتساقط على وجوهها.

تطهير الكعبة والصلاة فيها: فلما فرغ من الطواف دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة، وأمر بفتحها، ثم أمر بما فيها من الأصنام فأخرجت وكسرت، وأمر بما فيها من الصور فمحيت، ثم دخلها هو وأسامة بن زيد وبلال، فأغلق الباب، واستقبل الجدار الذي يقابله، وهو على بعد ثلاثة أذرع، وعن يساره عمود وعن يمينه عمودان، ووراءه ثلاثة أعمدة، فصلى ركعتين، ثم دار في البيت، وكبر في نواحيه، ووحد الله.

لا تثريب عليكم: ثم فتح الباب، وكانت قريش قد ملأت المسجد الحرام صفوفاً، فأخذ بعضادتي الباب فخطب خطبة بليغة بين فيها كثيراً من أحكام الإسلام، وأسقط أمور الجاهلية، وأعلن عن ذهاب نخوتها، ثم قال:" يا معشر قريش! ما ترون أني فاعل بكم". قالوا: خيراً. أخ كريم، وابن أخ كريم. قال:" لا تثريب عليكم اليوم. اذهبوا فأنتم الطلقاء". ثم نزل وجلس في المسجد الحرام، ورد المفتاح إلى عثمان بن طلحة، وقال: خذوها خالدة تالدة، ولا ينزعها منكم إلا ظالم.

البيعة: ثم أتى الصفا فعلا عليه حيث ينظر على البيت، فرفع يديه يدعو، ثم بايع الناس على الإسلام. وممن أسلم يومئذ أبو قحافة والد أبي بكر الصديق ففرح رسول الله ﷺ بإسلامه، ثم بايع

النساء بعد الرجال على:(أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ). وممن بايع يومئذ من النساء هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان، جاءت متنقبة متنكرة، خوفاً على نفسها مما كانت قد فعلت بنعش حمزة، فلما تمت لها البيعة قالت: يا رسول الله! ما كان على وجه الأرض أهل خباء أحب إلى أن يذلوا من أهل خبائك، ثم ما أصبح اليوم على وجه الأرض أهل خباء أحب إلى أن يعزوا من أهل خبائك، فقال رسول الله ﷺ:" وأيضاً والذي نفس محمد بيده". وكان عمر بن الخطاب ؓ قد جلس أسفل من مجلس رسول الله ﷺ يبلغ الناس ويبايعهم عنه، وكانت بيعة النساء كلاماً بغير مصافحة. وقد جاء بعض الناس ليبايعوا رسول الله ﷺ على الهجرة فقال:" ذهب أهل الهجرة بما فيهم، ولا هجرة بعد فتح مكة، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا".

أناس أهدرت دماؤهم: وكان رسول الله ﷺ قد أهدر يومئذ دماء أناس عظمت ذنوبهم، وكبرت جرائمهم، فأمر بقتلهم حتى ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فمنهم من حقت عليه كلمة العذاب وقتل، ومنهم من أدركته عناية الله فأسلم، فأما الذين قتلوا فهم: ابن خطل، ومقيس بن صبابة، والحارث بن نفيل، وقينة لابن خطل، أربعة نفر، يقال: أيضاً الحارث ابن طلاطل الخزاعي، وأم سعد، مع احتمال أن تكون أم سعد هي مولاة ابن خطل، فإذن خمسة أو ستة نفر. وأما الذين أسلموا -وكانوا قد هربوا أو اختفوا، ثم استؤمن لهم فجاؤوا وأسلموا - فهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وعكرمة بن أبي جهل، وهبر بن الأسود، وقينة أخرى لابن خطل، أربعة نفر، قيل: وأيضاً كعب بن زهير، ووحشي بن حرب، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان. سبعة نفر. واختفى آخرون خوفاً على أنفسهم دون أن يكون قد أهدرت دماؤهم، منهم صفوان بن أمية، وزهير بن أبي أمية، وسهيل بن عمرو، ثم أسلم هؤلاء كلهم، ولله الحمد.

صلاة الفتح: ودخل رسول الله ﷺ ضحى في بيت أم هانئ بنت أبي طالب ؓ، فاغتسل وصلى ثمان ركعات صلاة الفتح، يسلم في كل ركعتين، وكانت أم هانئ قد أجارت حموين لها، وأراد علي بن أبي طالب ؓ أن يقتلهما، فسألت رسول الله ﷺ، فقال: قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ.

بلال يؤذن على ظهر الكعبة: وحان وقت صلاة الظهر، فأمر رسول الله ﷺ بلالاً، فأذن على ظهر الكعبة، وكان ذلك بمثابة إعلان عن ظهور الإسلام، وقد راع ذلك المسلمين بقدر ما أغلظ المشركين، والحمد لله رب العالمين.

إقامة رسول الله ﷺ بمكة: ولما تم فتح مكة تخوف الأنصار أن يقيم بها رسول الله ﷺ، لأنها بلده وبلد عشيرته وقومه -وذلك حين كان رسول الله ﷺ على الصفا، رافعاً يديه يدعو - فلما فرغ من الدعاء قال لهم:" معاذ الله، المحيا محياكم والممات مماتكم"، فاطمأن الأنصار وذهب خوفهم وفرحوا. نعم. بقي رسول الله ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً يجدد معالم الإسلام، ويطهرها من آثار الجاهلية، وقد جدد أنصاب الحرم، ونادى مناديه: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً إلا كسره.

هدم عُزَّى وسُوَاع ومَنَاة: ولخمس وعشرين من رمضان بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في ثلاثين فارساً إلى نخلة، ليهدم العزى وهيكلها، فتوجه إليها، وهدمها، وكانت أكبر أصنامهم. ثم أرسل عمرو بن العاص في رمضان نفسه لهدم سواع، وهو أعظم صنم لهذيل، كان هيكله برهاط على قرابة ١٥٠ كيلو متراً شمال شرقي مكة فذهب إليه وهدمه، وأسلم سادنه لما رأى من عجزه. ثم بعث سيد بن زيد الأشهلي رضي الله عنه في رمضان نفسه إلى مناة في عشرين فارساً، وكانت بالمشلل عند قديد، وهي صنم كلب وخزاعة وغسان والأوس والخزرج، فأتاها وكسرها، وهدم هيكلها بعث خالد إلى بني جذيمة: ثم بعث خالد بن الوليد في شهر شوال إلى بني جذيمة ليدعوهم إلى الإسلام، ومعه ثلاثمائة وخمسون رجلاً من المهاجرين والأنصار وبني سليم، فلما دعاهم إلى الإسلام قالوا: صبأنا، صبأنا. فقتلهم وأسرهم. ثم أمر يوماً أن يقتل كل رجل أسيره، فأبى ابن عمرو أصحابه ذلك، ولما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فرفع يديه وقال مرتين: اللهم أبرأ إليك مما صنع خالد، ثم بعث علياً رضي الله عنه بمال، فودى قتلاهم، وأعطى بدل ما ضاع من أموالهم، وفضلَ فضلٌ فتركه لهم. وكان بين خالد وعبدالرحمن بن عوف كلام وشر لأجل ما فعله خالد، فلما رجعوا وأخبروا رسول الله ﷺ بذلك قال:" مهلاً يا خالد، دع عنك أصحابي، فوالله لو كان أُحُدٌ ذهباً ثم أنفقتَه في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحته".

الفوائد:

....

....

....

غزوة حنين

ولما تم فتح مكة اجتمعت أشراف قبائل قيس عيلان للشورى، وفي مقدمتها هوازن وثقيف، فقالوا: قد فرغ محمد من قتال قومه. ولا ناهية له عنا، فلنغزوه قبل أن يغزونا، فأجمعوا أمرهم للحرب، واختاروا لقيادتها مالك بن عوف النصري، فتحشد جمع كبير، ونزل بأوطاس، ومعهم نساءهم وذراريهم وأموالهم، وكان فيهم دريد بن الصمة المشهور بأصالة الرأي، فلما سمع أصوات الصبيان والحيوان سأل مالكاً عن ذلك، فقال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم. فقال: راعي ضأن والله، وهل يرد المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك، وأشار أن يردهم إلى بلادهم، فلم يقبل مالك رأيه، وجمعهم في وادي أوطاس، وانتقل بالمقاتلين إلى وادي حنين، بجانب وادي أوطاس، ونصب فيه كمائن، وعلم رسول الله ﷺ بتجمعهم فخرج من مكة يوم السبت السادس من شهر شوال، ومعه اثنا عشر ألف مقاتل، واستعار من صفوان بن أمية مائة درع بأداتها، واستعمل على مكة عتاب بن أسيد.

وفي الطريق رأى المسلمون سدرة عظيمة كانت تعلق عليها العرب أسلحتهم، ويذبحون ويعكفون عندها، يقال لها: ذات أنواط. فقال بعضهم لرسول الله ﷺ: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال:" الله أكبر. قلتم كما قال قوم موسى لموسى: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة. قال: إنكم قوم تجهلون. إنها السنن. لتركبن سنن من كان قبلكم".

وقال بعضهم نظراً لكثرة الجيش: لن نغلب اليوم. فشق ذلك على رسول الله ﷺ ولما كان عشية جاء فارس وأخبره بخروج هوزان بظعنهم ونعمهم وشائهم، فتبسم وقال: تلك غنيمة المسلمون غداً إن شاء الله، وفي الليلة العاشرة من شهر شوال سنة ٨هـ وصل رسول الله ﷺ إلى وادي حنين. فعبأ جيشه سحراً قبل يدخل، فأعطى لواء المهاجرين لعلي بن أبي طالب، ولواء الأوس لأسيد بن حضير، ولواء الخزرج للحباب بن المنذر، وأعطي ألوية لقبائل أخرى. ولبس درعين والبيضة والمغفر، ثم بدأت مقدمة الجيش تنحدر بالوادي، وهي لا تعلم بوجود كمائن العدو فيه، فبينما هي تنحط فيه إذ العدو يمطر عليهم النبال كأنها جراد منتشر، وشد عليها شدة رجل واحد، فاضطربت مقدمة الجيش بهذه المفاجأة، وانكشف عامة من كان فيها من المسلمين، وتبعهم من كان خلفهم، فصارت هزيمة عامة. وسر ذلك بعض المشركين وبعض حديثي العهد بالإسلام، فقال أبو سفيان: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وقال أخ لصفوان: ألا بطل السحر اليوم. وقال له آخر: أبشر بهزيمة محمد وأصحابه، فوالله لا يجبرونها أبدا. فغضب عليهما صفوان -وهو مشرك - وعكرمة بن أبي جهل وهو حديث العهد بالإسلام. وانتهراهما. أما رسول الله ﷺ فثبت في قليل من المهاجرين والأنصار، وطفق يركض بغلته ليتقدم نحو العدو، وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وأخذ أبو سفيان بن الحارث بلجام بغلته، والعباس بركابه لئلا يسرع نحو العدو، فنزل رسول الله ﷺ عن البغلة ودعا ربه واستنصره وأمره العباس، وكان جهوري الصوت، أن ينادي أصحابه، فنادى - وملأ الوادي بصوته - ألا أين أصحاب السمرة؟ فعطفوا نحو الصوت عطفة البقر على أولادها، يقولون لبيك، لبيك، حتى إذا اجتمع منهم مائة استقبلوا العدو، واقتتلوا.

وصرفت الدعوة إلى الأنصار، ثم إلى بني الحارث بن الخزرج، وتلاحقت كتائب المسلمين، واحدة تلو الأخرى، حتى اجتمع حوله ﷺ جمع عظيم، وأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين، وأنزل جنوداً لم تروها، فكر المسلمون واحتدم القتال، فقال ﷺ: " الآن حمي الوطيس" وأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوه القوم، وقال: شاهت الوجوه، فملأ أعينهم تراباً، فلم يزل حدهم كليلاً وأمرهم مدبراً، حتى تفرقوا وهربوا، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، حتى أخذوا النساء والذراري، وأسروا كثيراً من المحاربين، وجرح يومئذ خالد بن الوليد جراحات بالغة. وأسلم كثير من مشركي مكة لما رأوا من عناية الله برسوله.

مطاردة المشركين: ولما هرب المشركون تفرقوا ثلاث فرق. فرقة لحقت بالطائف، وهم الأكثر، فرقة لحقت بنخلة. وفرقة عسكرت بأوطاس، فأرسل رسول الله ﷺ إلى أوطاس أبا عامر الأشعري، عم أبي موسى الأشعري، في جماعة من المسلمين، فبددهم، وظفر بما كان معهم من الغنائم، وقد استشهد أبو عامر الأشعري في هذه المعركة، وخلفه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه فرجع مظفراً منصوراً. وطاردت طائفة من فرسان المسلمين فلول المشركين المنهزمين إلى نخلة، فأدركت دريد بن الصمة، وقتلته. وأمر ﷺ بجمع الغنائم والسبي، وكانت نحو أربعة وعشرين ألف بعير، وأكثر من أربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية من الفضة، وستة آلاف سبي، فجمع ذلك كله بالجعرانة، وجعل عليها مسعود بن عمرو الغفاري.

غزوة الطائف: ثم تقدم إلى الطائف، ومر في الطريق بحصن لمالك بن عوف النصري فأمر بهدمه، ولما وصل إلى الطائف وجد العدو قد تحصن به، ومعه قوت سنة، ففرض عليه الحصار، وكان المسلمون نازلين قريباً من العدو، فرشقهم بالنبال حتى أصيب عدد من المسلمين بجراحات، فارتفعوا إلى محل مسجد الطائف اليوم. واختار المسلمون عدة تدابير لإرغام العدو على النزول، ولكنها لم تنجح، وكان خالد بن الوليد يخرج كل يوم يدعوهم إلى المبارزة، فلم يخرج منهم أحد، ونصب عليهم المنجنيق فلم يؤثر. ودخل جمع من أبطال المسلمين تحت دبابتين لينقبوا في جدار الحصن، فرمى العدو عليهم قطعات من حديد محماة بالنار، فاضطروا إلى الرجوع، ولم يتمكنوا من نقب

الجدار، وقطعت أعنابهم ونخيلهم فناشدوا الله والرحم فتركت، ونادى منادي رسول الله ﷺ: أيما عبد نزل إليها من الحصن فهو حر. فنزل ثلاثة وعشرون عبداً فيهم أبو بكرة، تسور حصن الطائف، وتدلى منه ببكرة يستقي عليها، فكناه رسول الله ﷺ بأبي بكرة، فشق فرار هؤلاء العبيد عليهم. وطال الحصار دون جدوى، فقد دام حوالي عشرين يوماً، وقيل شهراً كاملاً، فاستشار رسول الله ﷺ نوفل بن معاوية الديلي، فقال: هم ثعلب في جحر، إن أقمت عليه أخذته، وإن تركته لم يضرك فأمر بالرحيل. وطلب بعض المسلمين أن يدعو عليهم فقال: اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم مسلمين.

تقسيم الغنائم والسبي: وعاد رسول الله ﷺ من الطائف إلى الجعرانة. فمكث بها بضعة عشر يوماً لا يقسم الغنائم، يبتغي أن يقدم هوازن تائبين، فيحرزوا أموالهم وسباياهم، فما جاء أحد، فأخرج الخمس من الغنيمة، وأعطاها لأناس ضعفاء الإسلام، يتألفهم، ولأناس لم يسلموا بعد، ليحبب إليهم الإسلام، فأعطى أبا سفيان أربعين أوقية من الفضة ومائة من الإبل، وأعطى مثل ذلك لابنه يزيد، ثم لابنه الآخر معاوية، وأعطى صفوان بن أمية مائة ثم مائة ثم مائة -أي ثلاثمائة - من الإبل، وأعطى كلا من حكيم بن حزام، والحارث بن الحارث بن كلدة، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، والعباس بن مرداس، وعلقمة بن علاثة، ومالك بن عوف، والعلاء بن الحارثة، والحارث بن هشام، وجبير بن مطعم، وسهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى وغيرهم مائة مائة من الإبل، وأعطى آخرين خمسين خمسين، وأربعين وأربعين حتى شاع بين الناس أن محمداً يعطي عطاء ما يخاف الفقر، فازدحم الأعراب يطلبون منه، حتى ألجأوه إلى شجرة، فتعلق بها رداؤه، فقال: ردوا علي ردائي، فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم. ثم ما ألفيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً. ثم أخذ وبرة من سنام بعير وقال: والله ما لي من فيئكم، ولا هذه الوبرة، إلا الخمس، والخمس مردود عليكم، فأدوا الخياط والمخيط، فإن الغلول يكون على أهله عاراً وشناراً وناراً يوم القيامة، فرد الناس ما كانوا أخذوه من الغنيمة، ولو كان شيئاً زهيداً. ثم أمر زيد بن ثابت بتقسيم الغنيمة، والذي يصيب الرجل الواحد بعد إخراج الخمس هو حوالي بعير ونصف بعير، وشاتين ونصف شاة، وعشرة دراهم، وثلث السبى الواحد، فإذا صرف نصيب الرجل إلى أحد هذه الأشياء، بعد إعطائه عشرة دراهم، يصير له إما أربعة من الإبل فقط، وإما أربعون شاة فقط، وإما ثلثا السبي والواحد فقط.

شكوى الأنصار وخطبة النبي ﷺ: واستغرب الأنصار ما فعله رسول الله ﷺ، حيث أعطى المؤلفة قلوبهم عطايا جزيلة لا تقاس، ولم يعط الأنصار شيئاً، فقال بعضهم: إن هذا لهو العجب، يعطى

قريشاً ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم، فأبلغه ذلك سعد بن عبادة رئيس الأنصار، فجمعهم وحدهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر ما تفضل الله به عليهم، ثم ذكرهم ما تفضلوا به عليه ﷺ ثم قال:" أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله ﷺ، إلى رحالكم؟ فو الذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار". فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قسماً وحظاً، ثم انصرف رسول الله ﷺ وانصرفوا.

وفد هوازن: وبعد أن تم توزيع الغنائم قدم وفد هوازن، يرأسه زهير بن صرد، فأسلموا وبايعوا، ثم قالوا: يا رسول الله! إن فيمن أصبتم، والأمهات والأخوات والعمات والخالات، وهن مخازي الأقوام: فامنن علينا رسول الله في كرم فإنك المرء نرجوه وننتظر، امنن على نسوة قد كنت ترضعها، إذ فوك تملؤه من محضها الدرر وذلك في جملة أبيات: فقال: أن معي من ترون، وإن أحب الحديث إلى أصدقه، فاختاروا إما السبى وإما المال، فقالوا: ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً، وَارْدُدْ إلينا نساءنا وأبناءنا، ولا نتكلم في شاة ولا بعير، فقال: إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المسلمين، وبالمسلمين على رسول الله ﷺ أن يرد إلينا سبيبا، ففعلوا، فقال ﷺ: أما ما كان لي ولبني عبدالمطلب فهو لكم، وسأسأل الناس، فقال المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، وامتنع بعض الأعراب، كالأقرع بن حابس وعيينة بن حصن والعباس بن مرداس. فقال ﷺ:" من طابت نفسه أن يرد فسبيل ذلك، وإلا فليرد، وله بكل فريضة ست فرائض من أول ما يفئ الله إلينا"، فرد الناس كلهم بطيب أنفسهم إلا عيينة بن حصر، وكسا النبي ﷺ السبايا قبطية قبطية. وبعد رد السبايا لم يبق في نصيب الرجل الواحد إلا بعيران فقط أو عشرون شاة فقط.

عمرة الجعرانة: لما فرغ ﷺ من قسمة الغنائم أحرم للعمرة (عمرة الجعرانة)، فاعتمر، ثم قفل راجعاً إلى المدينة، فبلغها لست أو ثلاث بقين من ذي القعدة.

تأديب بني تميم ودخولهم في الإسلام: وفي المحرم سنة ٩هـ نقلت الأخبار إلى المدينة بأن بني تميم يحرضون القبائل على منع الجزية، فأرسل إليهم رسول الله ﷺ خمسين فارساً بقيادة عيينة بن حصن الفزاري، فهجم عليهم في الصحراء، فأسر منهم أحد عشر رجلاً وإحدى وعشرين امرأة وثلاثين

صبياً، وجاء بهم على المدينة، فجاء عشرة من رؤسائهم، ورغبوا في المباهاة ، فخطب خطيبهم عطارد بن حاجب فأجابه ثابت بن قيس، ثم أنشد شاعرهم الزبرقان بن بدر فأجابه حسان بن ثابت، فاعترفوا بفضل خطيب الإسلام وشاعره فأسلموا. فرد عليهم رسول الله ﷺ سباياهم، وأحسن جائزتهم.

هدم فلس بني طيء وإسلام عدي بن حاتم: وفي شهر ربيع الآخر سنة ٩هـ أرسل رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في مائة وخمسين رجلاً على مائة بعير وخمسين فرساً ليهدم صنم بني طيء المعروف بالفلس، وكان مع علي رضي الله عنه راية سوداء ولواء أبيض، فشن الغارة على محلة حاتم الطائي المعروف بالجود والكرم، فأصاب نعماً وشاء وسبيًا، وفيها سفانة بنت حاتم الطائي، فلما جاؤوا بها إلى المدينة من عليها رسول الله ﷺ فأطلقها بغير فدية، وأكرمها وأعطاها الراحلة، فذهبت إلى الشام، وكان أخوها عدي بن حاتم قد هرب إليها، فقالت له عن رسول الله ﷺ: لقد فعل فعلة ما كان أبوك يفعلها، ائته راغباً أو راهباً، فجاء عدي بغير أمان ولا كتاب، فلما كلم رسول الله ﷺ أسلم مكانه.

وبينا هو عند رسول الله ﷺ جاء رجل يشكو إليه الفاقة، ثم جاء آخر يشكو قطع السبيل، فقال: ياعدي! هل رأيت الحيرة؟ فلئن طالت بك حياة فلترين الظعينة ترتحل من الحيرة، حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف أحداً إلا الله، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله، فلا يجد أحداً يقبله منه، وقد رأى عدي خروج الظعينة، وحضر في فتح كنوز كسرى.

هذان الحادثان (تأديب بني تميم، وهدم فلس طيء) من أهم ما وقع بعد فتح مكة وغزوة حنين، وقد وقع أثناء ذلك بعض الأحداث الطفيفة الأخرى، ولكن الصراع القائم بين المسلمين والوثنيين كان قد انتهى بعد فتح بصفة عامة، وكاد المسلمون يستريحون من تعب الحروب وعنائها، ولكن الذي استجد قبل الفتح بقليل هو اتجاه القوات النصرانية المتمركزة في الشام نحو المسلمين، والذي كان من نتائجها معركة مؤتة، وكانت هذه القوات متغطرسة جداً لأجل انتصاراتها المتواصلة ضد الفرس، ففتحت باب اللقاء الدامي بينهما وبين المسلمين، وكان من نتائجه غزوة تبوك في حياة النبي ﷺ، ثم فتوح الشام في زمن الخلفاء الراشدين.

الفوائد:

....

....

....

غـزوة تبـوك

كانت لمعركة مؤته سمعة سيئة للرومان، وقواتهم، فقد كان لنجاح المسلمين -وهم ثلاثة آلاف فقط - في درع مائتي ألف من قوات الرومان أثر بالغ في نفوس القبائل العربية المجاورة للشام، وأخذت هذه القبائل تتطلع إلى الاستقلال، فرأى الرومان أن يقوموا بغزوة حاسمة يقضون بها على المسلمين في عقر دارهم، المدينة المنورة .

تهيؤ المسلمين للقاء الرومان: وسمع رسول الله ﷺ بتجمعهم واستعدادهم، فاستنفر المسلمين من كل مكان، وأعلن عن جهة الغزوة صراحة، وليأخذ الناس عدتهم الكاملة، إذ كان الزمان زمان حر شديد، وكانت الشقة بعيدة، وكان الناس في عسر وجدب، وقد طابت الثمار، والظلال، فكانوا يحبون المقام فيها. وحث رسول الله ﷺ الموسرين على تجهيز المعسرين، فتقدم المسلمون بما لديهم، وأول من جاء بماله أبو بكر ﷺ" جاء بكل ماله، وهو أربعة آلاف درهم، فقال ﷺ: " هل أبقيت لأهلك شيئاً؟" فقال: أبقيت لهم الله ورسوله، وجاء عمر بن الخطاب ﷺ بنصف ماله، وأنفق عثمان بن عفان ﷺ كثيراً، يقال: عشرة آلاف دينار، وأعطى ثلاثمائة بعير بإجلاسها وأقتابها، وأعطى خمسين فرساً، ويقال: أنه أعطى تسعمائة بعير ومائة فرس، وقد قال فيه النبي ﷺ: ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم. وجاء عبدالرحمن بن عوف بمائتي أوقية، وجاء العباس بمال كثير، وجاء طلحة وسعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة وغيرهم بأموال، وجاء عاصم بن عدي بتسعين وسقاً من التمر، وتتابع الناس بصدقاتهم، كل على قدره، حتى أنفق بعضهم مداً أو مدين، لم يستطع غيره، وأرسلت النساء ما قدرن عليه من الحلي. وجاءه ﷺ فقراء الصحابة يطلبون أن يحملهم، فقال:(لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ)، فجهزهم عثمان والعباس وغيرهما ﷺ. وتكلم المنافقون، فلمزوا من أنفق الكثير، وسخروا ممن أنفق القليل، وسخروا من رسول الله ﷺ على جرأته على لقاء الرومان، فلما سئلوا قالوا: إنما كنا نخوض ونلعب، وجاء المعذرون من المنافقين والأعراب واستأذنوا النبي ﷺ في التخلف، محتالين بأعذار شتى فأذن لهم. وتخلف بعض المسلمين المخلصين تكاسلاً.

الجيش الإسلامي إلى تبوك: واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة محمد بن مسلمة، وخلف علي بن أبي طالب على أهله، وأعطى لواءه الأعظم أبا بكر الصديق، وفرق الرايات على رجال، فأعطى الزبير راية المهاجرين، وأعطى أسيد بن حضير راية الأوس، والحباب بن المنذر راية الخزرج، وتحرك من

المدينة يوم الخميس، ومعه ثلاثون ألف مقاتل، يريد تبوك، وكانت قلة شديدة في الظهر والزاد، فكان ثمانية عشر رجلاً يتعقبون بعيراً واحداً، وأكل الناس أوراق الشجر حتى تورمت شفاههم، واضطروا إلى ذبح البعير ليشربوا ما في كرشه من الماء. وبينما الجيش في طريقه إلى تبوك إذ لحقه علي بن أبي طالب، سمع طعون المنافقين فلم يصبر حتى خرج، فرده رسول الله ﷺ وقل: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي.

وكان الناس قد نزلوا مع رسول الله ﷺ أرض ثمود -الحجر - فاستقوا من بئرها، واعتجنوا به، فأمرهم أن يهريقوا ما استقوا من بئرها، وأن يعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة. ولما مر بتلك الديار -ديار ثمود - قال لهم أيضاً: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا تكونوا باكين، أن يصيبكم ما أصابهم، ثم قنع رأسه، وأسرع السير، حتى جاز الوادي. وفي الطريق كان رسول الله ﷺ يجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، جمع التقديم والتأخير. ولما نزل بتبوك لحقه أبو خيثمة، وكان مؤمناً صادقاً تخلف بغير عذر، فلما دخل في بستانه -وكان يوماً شديد الحر - وجد زوجتيه قد رشت كل واحدة منها عريشتها، وهيأت طعاماً وماءً بارداً فقال: رسول الله ﷺ في الحر، وأبو خيثمة في ظل بارد، وماء مهيأ، وامرأة حسناء؟ ما هذا بالنصف، والله لا أدخل عريشة واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ، فهيئا لي زاداً، ففعلتا، ثم ركب بعيره، وأخذ سيفه ورمحه، وخرج يسير حتى صادف رسول الله ﷺ حين نزل بتبوك.

عشرون يوماً في تبوك: وعملت الروم بنزول رسول الله ﷺ في تبوك فخارت عزائمهم، ولم يجترؤا على اللقاء، فتفرقوا في داخل بلادهم، وبقى رسول الله ﷺ عشرين يوماً يرهب العدو، ويستقبل الوفود، وقد جاءه يوحنا بن رؤبة حاكم أيلة، وصحبته أهل جرباء وأذرح، وأهل ميناء، فصالحوه على إعطاء الجزية، ولم يسلموا، وكتب رسول الله ﷺ ليوحنا كتاباً فيه الأمان له، ولأهل أيلة، وفيه الذمة لسفنهم وسياراتهم في البحر والبر، وفيه حرية التنقل والنزول، وأن أحدث حدثاً فلا يحول ماله دون نفسه. وكتب لأهل جرباء وأذرح كتاباً أعطاهم فيه الأمان، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب، وصالحه أهل ميناء على ربع ثمارها.

أسر أكيدر دومة الجندل: وأرسل رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة الجندل، في أربعمائة وعشرين فارساً، وقال له: أنك ستجده يصيد البقر، فسار خالد حتى إذا كان بمنظر العين خرجت بقرة تحك بقرونها باب القصر، فخرج أكيدر ليصيدها، فتلقاه خالد في خليه، وجاء به إلى رسول الله ﷺ، فحقن دمه، وصالحه على ألفي بعير، وثمانمائة رأس، وأربعمائة درع، وأربعمائة رمح، وأقر بإعطاء الجزية على قضية أيلة وميناء.

العودة إلى المدينة: وبعد عشرين يوماً تحرك رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقد استغرق الذهاب والعودة ثلاثين يوماً، فجملة ما غاب رسول الله ﷺ عن المدينة خمسون يوماً. وفي الطريق مر الجيش بعقبة، فأخذ الناس بطن الوادي، وسلك رسول الله ﷺ طريق العقبة، ولم يكن معه إلا عمار، وآخذاً بزمام الناقة، وحذيفة بن اليمان، يسوقها، فتبعه اثنا عشر رجلاً من المنافقين يريدون اغتياله، واقتربوا منه جداً، وهم ملتثمون، فعبث رسول الله ﷺ إليهم حذيفة، ليضرب وجوه رواحلهم بمحجن كان معه، فضربها، فأرعبهم الله، وأسرعوا بالفرار حتى لحقوا بالقوم، وأخبر ﷺ حذيفة بأسمائهم، وبما أراده، فسمى بصاحب سر رسول الله ﷺ.

هدم مسجد الضرار: وكان المنافقون قد بنوا بقباء مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله، وطلبوا من رسول الله ﷺ أن يصلي لهم فيه، وذلك عندما كان يستعد للخروج إلى تبوك، فقال: إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله، فلما كان في مرجعه من تبوك، ونزل بذي أوان، وليس بينه وبين المدينة إلا يوم أو بعض يوم، نزل جبريل عليه السلام بخبر المسجد، فبعث رسول الله ﷺ من أحرقه وهدمه.

استقبال رسول الله ﷺ من قبل أهل المدينة: ولما لاحت للنبي ﷺ معالم المدينة قال:" هذه طابة، وهذا أحد، جبل يحبنا ونحبه". وتسامع الناس بمقدمه، فخرج النساء والصبيان، والولائد يستقبلونه وينشدون:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

حتى دخل ﷺ المسجد فصلى فيه ركعتين وجلس للناس.

المخلفون: وجاء المتخلفون من المنافقين يعتذرون ويحلفون، فقبل علانيتهم، ووكل سرائرهم إلى الله، وجاء ثلاثة من المؤمنين الصادقين، وكانوا قد تخلفوا عنه، وهم كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، فصدقوا، ولم يعتذروا، فأمرهم أن ينتظروا حتى يقضي الله فيهم، وأمر المسلمين أن لا يكلموهم، فتغير لهم الناس، وتنكرت لهم الأرض، وضاقت عليهم أنفسهم، وأظلمت عليهم الدنيا، فلما تم على ذلك أربعون يوماً أمرهم أيضاً أن لا يقربوا نساءهم، حتى إذا تم خمسون يوماً أنزل الله توبتهم فقال:(وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ

وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. ففرح المسلمون، واستبشر المخلفون، فبشروا وأبشروا، وأجازوا وتصدقوا، وكان أسعد يوم في حياتهم. ونزلت آيات فضحت المنافقين، وكشف سرائر الكاذبين، وبشرت المؤمنين الصادقين، فالحمد لله رب العالمين. كان رجوعه ﷺ عن تبوك في شهر رجب سنة ٩هـ، وتوفي النجاشي أصحمة بن الأبجر ملك الحبشة في شهر، فصلى عليه رسول الله ﷺ صلاة الغائب في المدينة. ثم توفيت ابنته أم كلثوم -رضي الله عنها - في شهر شعبان سنة ٩هـ فصلى عليها ودفنها بالبقيع، وحزن عليها حزناً شديداً، وقال لعثمان بن عفان ﷺ:" لو كانت عندي ثالثة لزوجتكها، وفي ذي القعدة سنة ٩هـ توفي رأس النافقين عبدالله بن أبي، فاستغفر له رسول الله ﷺ وصلى عليه، وقد حاول عمر ﷺ أن يمنعه عن الصلاة عليه فأبى، ثم نزل القرآن ينهى عن الصلاة على المنافقين.

الفوائد:

....

....

....

كلمة حول الغزوات

كانت كلمة الحرب تعني في الجاهلية القتل والفتك والإحراق والتدمير والنهب والسلب وهتك الأعراض والإفساد في الأرض، وإهلاك الحرث والنسل دون رحمة ولا هوادة، فلما جاء الإسلام غير هذا المعنى تغييراً تاماً، فجعل الحرب سبيلاً لنصرة المظلومين، وكبت الظالمين، ووسيلة لبسط الأمن والسلام على الأرض، وذريعة لإقامة العدل، وإنقاذ الضعفاء من براثن الأقوياء ولإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. ولم تكن من شيمة العرب أن يخضعوا لأحد، مهما طال القتال، ومهما غلا الثمن، فقد دام القتال بين بكر وتغلب في حرب البسوس أربعين عاماً، وكانت ضحيتها حوالي سبعين ألف مقاتل، ولم يخضع أحدهما للآخر، ودامت حروب الأوس والخزرج أكثر من مائة عام، ولم يخضع أحدهما للآخر، فهذه هي شيمة العرب قبل الإسلام: مواصلة الحروب، وعدم الخضوع للعدو. ثم جاء النبي ﷺ بالإسلام فواجهته العرب بنفس الأسلوب، وجروه إلى ساحة القتال، ولكنه واجههم بأسلوب آخر حكيم، حتى فتح قلوبهم قبل أن يفتح بلادهم، وإذا قارنت حصائد غزواته ونتائجها بنتائج حروب الجاهلية ترى عجباً، فمجموع من قتل في جميع غزواته وحروبه ﷺ من المسلمين والمشركين واليهود والنصارى هم في حدود ألف قتيل فقط، والمدة التي استغرقتها هذه الغزوات لا تزيد على ثمانية أعوام، ولكنه في هذه الفترة القليلة، وبإهراق هذا

القدر القليل من الدم أخضع الجزيرة العربية كلها تقريباً، وبسط الأمن والسلام في أقصى ربوعها وأرجائها. أترى أن هذا يمكن بقوة السيف؟ ولا سيما بالنسبة لأولئك الذين كانوا يتفانون في الحروب لأمور تافهة، ويضحون بالآلاف بعد الآلاف دون أن يتصور منهم الخضوع؟ كلا. بل إنها نبوة ورحمة، ورسالة وحكمة. ودعوة ومعجزة، وفضل من الله ونعمة.

حج أبي بكر الصديق ﷺ: كان العرب يزعمون أنهم على دين إبراهيم ﷺ ومن الشعائر التي كانوا متمسكين بها من هذا الدين حج البيت الله الحرام، فكانوا يقيمون الحج كل عام، ويهتمون به أيما اهتمام، وكانوا قد أدخلوا فيه عدداً من البدع والتغييرات، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة سنة ثمان وأمر عليها عتاب بن أسيد قام عتاب بالحج، فحج معه المسلمون والمشركون كما كانوا يحجون في الجاهلية، لم يغير منه شيء، فلما كان عام القابل -العام التاسع من الهجرة - أرسل رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق ﷺ أميراً على الحج، ليقيم بالناس المناسك، فخرج في أواخر ذي القعدة سنة ٩هـ في ثلاثمائة من أهل المدينة، ومعه عشرون بدنة لرسول الله ﷺ، وخمس لنفسه. ثم نزلت أوائل سورة براءة بنبذ العهد لجميع المشركين الذين لم يوفوا بعودهم، وأن يمهل هؤلاء ومن لا عهد له أربعة أشهر، يسيحون خلالها في الأرض كيفما يشاءون، حتى يعلموا أنهم غير معجزي الله وأن الله مجزي الكافرين، وأمر بإتمام العهود إلى مدتها للمشركين الذين ينقضوها، ولم يظاهروا على المسلمين أحداً. فأرسل بها النبي ﷺ علي بن أبي طالب ليبلغها الناس يوم الحج الأكبر، وقال: لا يبلغ عني إلا رجل مني، فلحق علي أبا بكر بضجنان أو بالعرج، فقال له أبو بكر: أمير أو مأمور؟ قال: مأمور. فكان يصلي وراء أبي بكر. وأقام أبو بكر ﷺ للناس حجهم، فلما كان يوم النحر قام علي ﷺ عند الجمرة فقرأ على الناس أوائل سورة براءة، وفيها ما سبق من نبذ العهود، والإمهال، والإتمام، وبعث أبو بكر ﷺ رجالاً ينادون: ألا لا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

الفوائد:

....

....

....

الوفـود والدعـاة والعمال

كان العرب ينتظرون نتيجة الصراع القائم بين قريش والنبي ﷺ، وكانوا يعتقدون أن الباطل لا يمكن أن يسيطر على المسجد الحرام بالقوة والفتح، ولم تكن قصة أصحاب الفيل عنهم ببعيدة، فلما

أكرم الله رسوله ﷺ بإدخاله في المسجد الحرام، وبتسليطه على كفار مكة، ولم يبق عندهم أدنى شك في كونه رسولاً حقاً، فبدأت القبائل العربية تتوافد إليه تترى. تؤمن برسالته وتقر بطاعته، وأخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً. وخلال فترة قصيرة اتسعت رقعة الدولة الإسلامية من ساحل البحر الأحمر إلى ساحل الخليج العربي، ومن مناطق جنوب الأردن ومشارف الشام إلى سواحل اليمن وعمان، وأخذ النبي ﷺ ينظم أمور هذه البلاد الشاسعة، فيرسل الدعاة وينصب الولاة، ويبعث جباة الصدقات، ويوفر ما يحتاج إليه نظام العباد والبلاد من القضاة والعمال، وسنمر بشئ من كل ذلك حسب المقام قريباً إن شاء الله. والوفود التي توافدت إلى رسول الله ﷺ يزيد عددها على سبعين وفداً، حسب ما ذكره عامة أهل السير، وقد حاول بعض أهل العلم استقصاء هذه الوفود - سواء ثبتت الرواية بها أو لم تثبت - فأبلغها قريباً من مائة وفد. وكانت الوفادة إليه ﷺ قد بدأت قبل الفتح، وقد توافد إليه البعض في أوائل سنوات الهجرة، بل قد جاءه بعض الوفود قبل الهجرة، إلا أن الوفادة العامة، وفي صورة متوالية مستمرة إنما وقعت بعد الفتح في السنة التاسعة، وقد امتدت إلى السنة العاشرة، بل وإلى ما بعدها أيضاً، ولذلك سميت السنة التاسعة بسنة الوفود. ومعظم هذه الوفود كان أعضاؤها سادات القبائل، ورؤساءها، ورجالا من أهل الحل والعقد منها، وربما توافد الرجل وحده، أو توافد ومعه رهط صغير. أما الغرض المطلوب من الوفادة فكان يختلف من وفد على وفد، فمنهم من جاء يريد رد السبايا والمأخوذين، كما تقدم في وفد هوازن، ووفد تميم، ومنهم من جاء يريد الأمان لنفسه فقط، أو لنفسه وقومه كليهما، ومنهم من جاء يفاخر ويباهي، أو يناظر ويجادل، ومنهم من جاء يطلب رد الجيش الإسلامي كيلا يهجم على قومه، ومنهم من جاء يقر بالطاعة والجزية، ومنهم من جاء يبدي رغبته في الإسلام، ويبدى رجاء ذلك من قومه، ومنهم من جاء مسلماً طائعاً ممثلاً لقومه، يرغب في معرفة تعاليم الإسلام وأحكامه. وكان رسول الله ﷺ يقابل هذه الوفود بما جبله الله عليه من البشاشة وكرم الأخلاق، فيجيزهم بما يرضيهم، ويرغبهم في الإسلام، ويعلمهم الإيمان والشرائع ليعلموا من وراءهم، وكانت هذه الوفود أعظم وصلة لإظهار الدين بين الأعراب في البوادي، فقد كانت نتائج هذه الوفادات، مع تنوعها واختلاف أغراضها، إسلام المتوافدين، ثم إسلام قومهم عاجلاً أو بعد فترة قصيرة، ولم يشذ عن ذلك إلا البعض فقط، مثل بني حنيفة ومسيلمة الكذاب، وفيما يلي تذكر بعض الوفود المهمة.

وفد عبد القيس: كانوا من سكان شرق الجزيرة العربية، ومن أول من أسلم خارج المدينة، فإن أول مسجد أقيمت فيه الجمعة بعد مسجد رسول الله ﷺ هو مسجدهم بقرية جواثي بالبحرين، وقد توافد بنو عبد القيس مرتين، مرة في السنة الخامسة من الهجرة، ومرة في سنة الوفود، والوافدون في

المرة الأولى كانوا ثلاثة عشر أو أربعة عشر رجلاً، فلما وصلوا المدينة ورأوا النبي ﷺ رموا بأنفسهم عن الركائب بباب المسجد، وتبادروا إليه يسلمون عليه، وكان فيهم عبدالله بن عوف الأشج، وكان أصغرهم سناً، فتخلف عند الركائب حتى أناخها، وجمع المتاع، وأخرج ثوبين أبيضين فلبسهما، ثم جاء هونا حتى سلم على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ:" إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة". وكان النبي ﷺ قد قال قبل وصولهم إلى المدينة: سيطلع عليكم ركب هم خير أهل المشرق، لم يكرهوا على الإسلام، وقد أنضوا الركائب، وأفنوا الزاد، اللهم اغفر لعبد القيس. فلما جاؤوه قال:" مرحبا بكم غير خزايا ولا ندامى". سألوه عن أمر فصل يعملون به، ويخبرون به من وراءهم، فأمرهم بأربع: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان.

ولم يكن قد فرض الحج إذ ذاك فلم يأمر به، وطلب منهم أن يعطوا من المغنم الخمس، ونهاهم عما يسكر من الأشربة، وكانوا يكثرون منها، ونهاهم أيضاً عن الأواني التي كانوا ينتبذون فيها. أما الوفادة الثانية فكان فيها أربعون رجلاً، فيهم الجارود بن العلاء العبدي، كان نصرانياُ فأسلم، وحسن إسلامه.

وفود ضمام بن ثعلبة من بني سعد بن بكر: كان رجلاً جافياً من أهل البادية، ذا غديرتين، وقدم المدينة فأناخ بعيره في المسجد، وعقله، ثم قال: أيكم ابن عبدالمطلب؟ فدلوه عليه ﷺ، فدنا منه وقال يا محمد! إني سائلك، فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك، فقال:" سل ما بدا لك". فقال: أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك. قال:" صدق" قال: فمن خلق السماء؟ قال:" الله". قال: فمن خلق الأرض؟ قال:" الله". قال": فمن نصب هذه الجبال، وجعل فيها ما جعل؟ قال:" الله". قال: فبالذي خلق السماء، وخلق الأرض، ونصب هذه الجبال، آلله أرسلك؟ قال:" نعم". قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا، قال: " صدق". قال: فبالذي أرسلك. آلله أمرك بهذا؟ قال:" نعم".

قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا، قال:" صدق". قال: فبالذي أرسلك. آلله أمرك بهذا؟ قال:" نعم". قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال:" نعم". قال: وزعم رسولك أن علينا صوم رمضان في سنتنا، قال:" صدق". قال: فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال:" نعم". قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً. قال:"صدق". [قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال:" نعم"]. ثم ولى. فقال: والذي بعثك بالحق، ولا أزيد عليهن، ولا أنقض منهن. فقال النبي ﷺ:" لئن صدق ليدخلن الجنة". ولما رجع إلى قومه وقد خلع الأنداد، وأخبرهم بما أمرهم به ونهاهم

عنه رسول الله ﷺ، ما أمسى من قومه رجل ولا امرأة إلا مسلماً، وبنوا المساجد، وأذنوا بالصلاة، فلم يكن وافد أفضل من ضمام بن ثعلبة.

وفد عذرة وبلى: وفي شهر صفر سنة ٩هـ قدم اثنا عشر رجلاً بني عذرة، وذكروا قرابتهم من قصي، ونصرتهم له في إخراج بني بكر وخزاعة من مكة، فرحب بهم النبي ﷺ، وبشرهم بفتح الشام، ونهاهم عن السؤال الكاهنة، وذبائح النصب، وقد أسلموا وأقاموا أياماً ثم رجعوا. وعلى إثرهم جاء وفد بلى – وفي ربيع الأول سنة ٩هـ فأسلموا وأقاموا ثلاثاً ثم رجعوا.

وفد بني أسد بن خزيمة: قدم عشرة منهم في أول سنة تسع، ورسول الله ﷺ في المسجد مع أصحابه، فسلموا، وقال متكلمهم: يا رسول الله! إنا شهدنا أن الله وحده لا شريك له، وأنك عبده ورسوله، وجئناك يا رسول الله ولم تبعث إلينا بعثاً، فأسلمنا ولم نقاتلك، كما قاتلك بنو فلان، ونحن لمن وراءنا سلم، فأنزل الله:(يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ). وسألوه عما كانوا يفعلونه في الجاهلية من العيافة، وهي زجر الطير والكهانة، وضرب الحصباء، فنهاهم عن ذلك، وسألوه عن الرمل، فقال: علمه نبي، فمن صادف مثل علمه فذاك وإلا فلا. ومعلوم أن المصادفة مستحيلة المعرفة، وكل هذه الأعمال من التخرص على الغيب، ومكث أهل الوفد أياماً يتعلمون الفرائض، ثم انصرفوا وقد أجيزوا.

وفد تجيب: تجيب فرع من قبيلة كندة. وقد جاء هؤلاء بصدقات قومهم مما فضل عن فقرائهم، فسر بهم رسول الله ﷺ، وأكرم مثواهم، وقال أبوبكر رضي الله عنه: ما قدم علينا وفد من العرب مثل هذا، فقال ﷺ:" إن الهدى بيد الله فمن أراد به خيراً شرح صدره للإيمان".

وكانوا يسألون عن القرآن والسنن يتعلمونها، ثم أرادوا الرجوع فأجازهم رسول الله ﷺ بأفضل ما كان يجيز به الوفود، وسألهم هل بقى منهم أحد، قالوا: غلام خلفناه في رحلنا، هو أحدثنا سنا، قال: أرسلوه فأقبل وقال: يا رسول الله! أنا من الرهط الذين أتوك آنفا، فقضيت حاجتهم فاقض حاجتي. قال: وما حاجتك؟ قال: تسأل الله أن يغفر لي ويرحمني ويجعل غناي في قلبي. فدعا له بذلك، وأمر له بمثل جائزة أصحابه، فكان أقنع الناس، وثبت في الردة على الإسلام، ووعظ قومه فثبتوا عليه.

وفد بني فزارة: جاء هذا الوفد بعد مرجعه ﷺ من تبوك، في بضعة عشر رجلاً، مقرين بالإسلام، وهم مسنتون، فسألهم النبي ﷺ عن بلادهم فشكوا جدبها، وقالوا: فادع الله لنا ربك يغيثنا، واشفع لنا إلى ربك، وليشفع لنا ربك إليك، فقال: سبحان الله، ويلك، أنا أشفع إلى ربي، فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه؟ لا إله إلا هو العلي العظيم، وسع كرسيه السماوات والأرض، فهي تئط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الحديث. ثم صعد المنبر، ودعا الله، حتى أغاثهم بالمطر الغزير والرحمة التامة.

وفد نجران: نجران منطقة كبيرة على حدود اليمن، طولها مسيرة يوم للراكب السريع، كانت تشمل على ثلاث وسبعين قرية، فيها عشرون ومائة ألف مقاتل، كلهم على دين النصارى، فكتب رسول الله ﷺ إلى أسقفهم يدعوهم إلى الإسلام، فلما قرأ الكتاب فزع، واستشار خاصتهم ثم عامتهم، فاستقر رأيهم على إرسال وفد يعالج القضية، فأرسلوا وفداً يتكون من ستين رجلاً، فجاؤوا النبي ﷺ وقد لبسوا حللاً من حبرة يجرونها، وأردية من حرير، وخواتيم من ذهب، فلم يكلمهم رسول الله ﷺ، فأشار عليهم بعض كبار الصحابة أن يغيروا حللهم، ويضعوا خواتيمهم، ففعلوا، فكلمهم رسول الله ﷺ، ودعاهم إلى الإسلام، فأبوا، وقالوا: كنا مسلمين قبلكم. فقال لهم رسول الله ﷺ: يمنعكم عن الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب. وأكلكم لحم الخنزير. وزعمكم أن لله ولداً. قالوا: فمن مثل عيسى؟ خلق من غير أب. فأنزل الله في ذلك:(إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ* الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ* فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ). فتلاها عليهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى المباهلة، فطلبوا منه فرصة، واستشاروا فيما بينهم، فقالوا: إن كان نبياً ولا عناه لا يبقى منا شعر ولا ظفر إلا هلك، فرضوا بإعطاء الجزية. وهي ألف حلة في صفر، وألف حلة في رجب، مع كل حلة أوقية، وجعل لهم الذمة والأمان، والحرية في الدين، ثم قالوا: أرسل معنا رجلاً أميناً، فأرسل معهم أبا عبيدة عامر بن الجراح، فسمى بأمين هذه الأمة، وفي عودتهم إلى نجران أسلم اثنان منهم، ثم بدأ الإسلام يفشو فيهم حتى أسلم جمع منهم.

وفد أهل الطائف: سبق أن النبي ﷺ حاصر أهل الطائف بعد غزوة حنين، ثم تركهم في أماكنهم، ورجع، فلما رجع تبع أثره عروة بن مسعود الثقفي حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة، فأسلم، ثم رجع ودعا قومه إلى الإسلام -وكان أحب إليهم من أبكارهم، فظن أنهم يطيعونه - فرموه بالنبل من كل جانب حتى قتلوه، ثم ائتمروا بينهم، ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب، فبعثوا عبد ياليل بن عمرو، ومعه خمسة آخرون من أشرافهم، وذلك في رمضان سنة ٩هـ فلما قدموا المدينة ضرب عليهم رسول الله ﷺ قبة في ناحية المسجد ليسمعوا القرآن، ويروا الناس إذا صلوا.

ومكثوا يختلفون إلى رسول الله ﷺ، يدعوهم إلى الإسلام، وهم لا يسلمون، حتى طلبوا منه أن يسمح لهم بالزنا وشرب الخمر وأكل الربا، وأن لا يهدم اللات، ويعفيهم عن الصلاة، وأن لا يكسروا أصنامهم بأيديهم، فأبى، وأخيراً رضخوا له، وأسلموا واشترطوا أن يتولى هو بهدم اللات، وأن ثقيفاً لا يهدمونها بأيديهم أبداً. فقبل ذلك. وكان عثمان بن أبي العاص الثقفي أصغرهم سناً، فكانوا يختلفونه في رحالهم، فكان إذا رجعوا يذهب إلى النبي ﷺ يستقرؤه القرآن، وإذا رآه نائماً استقرأ أبا بكر، حتى حفظ شيئاً كثيراً من القرآن، وهو يكتم ذلك عن أصحابه، فلما أسلموا أمره عليهم رسول الله ﷺ لحرصه على الإسلام وقراءة القرآن وتعلم الدين. ورجع الوفد إلى قومه عنهم إيمانه، وخوفهم الحرب والقتال، وقالوا: جئنا رجلاً فظاً غليظاً قد ظهر بالسيف، ودان له الناس، فعرض علينا أموراً شديدة، وذكروا ما تقدم من ترك الزنا والخمر والربا وغيرها، وإلا يقاتلهم، فأخذتهم النخوة، واستعدوا للقتال يومين أو ثلاثة أيام، ثم ألقى الله في قلوبهم الرعب فقالوا للوفد: ارجعوا فأعطوه ما سأل. فقال الوفد: قد قاضيناه وأسلمنا فأسلم ثقيف. وبعث ﷺ خالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة الثقفي في رجال إلى الطائف ليهدموا اللات، فكسروها وهدموا بنيانها.

وفد بني عامر بن صعصعة: كان في هذا الوفد عدو الله عامر بن الطفيل الذي غدر بأصحاب بئر معونة، وأربد بن قيس وجابر بن أسلم، وكانوا رؤساء القوم وشياطينهم، وقد تآمر عامر وأربد بن قيس على اغتيال النبي ﷺ، فلما قدموا المدينة دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فقال عامر -وهو المتكلم عن الوفد -: أخيرك بين خصال ثلاث: يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر. أو أكون خليفتك من بعدك، أو أغزوك بغطفان بألف أشقر، وألف شقراء. فرفض رسول الله ﷺ كل ذلك، وقال: اللهم اكفني عامراً واهد قومه. ودار أربد، وحينما كان عامر يتكلم، خلف النبي ﷺ، واخترط سيفه شبرًا، ثم حبس الله يده فلم يقدر على سله. فلما رجعوا وكانوا ببعض الطريق نزل عامر عند امرأة من قومه من بني سلول، ونام في بيتها، فبعث الله عليه الطاعون، وأخذته غدة في حلقه، فقال: أغدَّة كغدة البعير، وموت في بيت سلولية؟ ائتوني بفرسي، فركب فمات على فرسه. وأما أربد فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتها، وفي ذلك أنزل الله تعالى: ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾. وقد روى قصتهما موئلة بن جميل الصحابي - أحد رجال قبيلتهما بني عامر - وكان هو أيضاً قد أتى النبيﷺ فأسلم وهو ابن عشرين سنة، وبايعه، ومسح يمينه، وساق إبله إلى رسول الله ﷺ فصدقها بنت لبون، ثم صحب بعده أبا هريرة، وعاش في الإسلام مائة سنة، وكان يسمى ذا اللسانين لأجل فصاحته.

وفد بني حنيفة: كانت وفادتهم سنة ٩هـ وكانوا سبعة عشر رجلاً، فيهم مسيلمة الكذاب، ونزلوا في بيت رجل من الأنصار، ثم جاؤوا النبي ﷺ فأسلموا، أما مسيلمة فيقال: إنه أيضاً أسلم معهم، ويقال: إنه تخلف ولم يحضر، وقال: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته. وكان النبي ﷺ قد أري قبل ذلك في المنام أنه أتي بخزائن الأرض، فوقع في يديه سواران من ذهب، فكبروا عليه وأهماه، فأوحى إليه أن انفخهما، فنفخهما فذهبا، فأولهما كذابين يخرجان من بعده. فجاء رسول الله ﷺ مسيلمة، وفي يده ﷺ قطعة من جريد، ومعه ثابت بن قيس، فوقف عليه في أصحابه، فكلمه، فقال له مسيلمة: إن شئت خلينا بينك وبين الأمر، ثم جعلته لنا بعدك، فقال: لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكما، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله. والله إني لأراك الذي أريت فيه ما أريت. وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني، ثم انصرف. ورجع الوفد فلبث مسيلمة يسيراً ثم ادعى أنه أشرك في الأمر مع النبي ﷺ وادعى النبوة، ولفق السجعات، وأحل لقومه الخمر والزنا، وافتتن به قومه، وتفاقم أمره، حتى توفي رسول الله ﷺ وهو على ذلك، فازداد قومه افتتاناً به، فأرسل إليه أبو بكر ﵁ الجيوش بقيادة خالد بن الوليد، فجرت بينه وبين المسلمين حروب شديدة، قتل فيها مسيلمة ومعظم جنوده، وقضي على فتنته، وكان الذي قتله وحشي بن حرب قاتل حمزة ﵁. أما الكذاب الثاني الذي أريه النبي ﷺ فهو الأسود العنسي، وسنأتي على ذكره.

وفود رسول ملوك حمير، وبعث معاذ بن جبل، وأبي موسى الأشعري: وبعد مرجعه ﷺ من تبوك قدم مالك بن مرة الرهاوي، يحمل معه كتاب ملوك حمير، وهم: الحارث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد الكلال، والنعمان قيل ذي رعين ومعافر وهمدان. وكانوا قد أسلموا وأرسلوه بذلك، فكتب إليهم رسول الله ﷺ كتاباً بين لهم فيه ما لهم وما عليهم، وأعطى الذمة للمعاهدين. ثم أرسل إليهم معاذ بن جبل في رجال من أصحابه، على الكورة العلياء من جهة عدن بين السكون والسكاسك، وكان قاضياً وحاكماً في الحروب، وعاملاً على أخذ الصدقة والجزية، ويصلي بهم الصلوات الخمس، وبعث أبا موسى الأشعري ﵁ على الكورة السفلى، زبيد ومأرب وزمع والساحل، وقال: يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا. وقد مكث معاذ باليمن حتى توفي رسول الله ﷺ، أما أبو موسى الأشعري ﵁ فقدم عليه ﷺ في حجة الوداع.

وفد همدان وبعث خالد وعلي: همدان قبيلة مشهورة باليمن، وقد وفدها سنة ٩هـ بعد مرجعه ﷺ من تبوك، وفيهم مالك بن النمط، وكان شاعراً مجيداً، فقال:

حلفت برب الراقصات إلى منى..صوادر بالركبان من هضب قردد

بأن رسول الله فينا مصدق.....رسول أتى من عند ذي العرش مهتد

فما حملت من ناقة فوق رحلها........أشد على أعدائه من محمد

فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً وأقطعهم فيه ما سألوه، واستعمل مالك ابن النمط على من أسلم من قومه، ثم بعث خالد بن الوليد يدعو بقيتهم إلى الإسلام، فمكث فيهم ستة أشهر ولم يسلموا، ثم بعث إليهم علي بن أبي طالب، وأمره أن يقفل خالداً ففعل، وقرأ عليهم كتاباً لرسول الله ﷺ، ودعاهم إلى الإسلام فأسلموا، فكتب البشارة إلى رسول الله ﷺ فخر ساجدًا. ثم رفع رأسه فقال: " السلام على همدان، والسلام على همدان".

وفد بني عبد المدان: ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في ربيع الآخر سنة ١٠هـ إلى بني عبد المدان بنجران من أرض اليمن ليدعوهم إلى الإسلام ثلاثة أيام، فإن أبوا قاتلهم، فلما قدم إليهم بعث الركبان في كل وجه، يدعون إلى الإسلام، وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ، فأرسل إليه أن يقدم بوفدهم ففعل، ولما اجتمعوا به ﷺ قال لهم: بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟ قالوا: كنا نجتمع ولا نتفرق، ولا نبدأ أحداً بظلم، قال: صدقتم، وأمر عليهم قيس بن الحصين. ورجعوا إلى قومهم في بقية شوال أو صدر ذي القعدة. ثم أرسل إليهم عمرو بن حزم ليفقههم في الدين، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم وكتب له كتاباً. وهو كتاب مشهور جداً.

إسلام بني مذحج: وهي أيضاً قبيلة يمانية، أرسل إليهم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في رمضان سنة ١٠هـ ليدعوهم إلى الإسلام، وأمره أن لا يقاتلهم حتى يقاتلوه، فلما انتهى إليهم، ولقي جموعهم دعاهم إلى الإسلام، فأبوا ورموا المسلمين بالنبل، فصف على مع أصحابه، وقاتلهم حتى هزمهم، فكف عن طلبهم قليلاً، ثم لحقهم ودعاهم إلى الإسلام فأسلموا، وبايعه رؤساؤهم، وقالوا: نحن على من وراءنا من قومنا، وهذه صدقاتنا، فخذ منها حق الله، ففعل، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فوافاه بمكة في حجة الوداع.

وفد أزد شنوءة: قبيلة مشهورة في اليمن، وفدوا برئاسة صرد بن عبدالله الأزدي، فأسلموا، فأمره عليهم، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من يليه من أهل الشرك.

وفود جرير بن عبدالله البجلي وهدم ذي الخلصة: وقدم على رسول الله ﷺ جرير بن عبدالله البجلي، وهو من مشاهير الصحابة، وكان لقبيلته بجيلة وخثعم صنم ومعبد كبير يسمونه ذا الخلصة،

يضاهون به الكعبة، فكانوا يقولون للكعبة الكعبة الشامية، ولمعبدهم الكعبة اليمانية، فقال رسول الله ﷺ يوماً لجرير: ألا تريحني من ذي الخلصة؟ فشكا إليه أنه لا يثبت على الخيل، فضرب بيده الكريمة في صدره وقال: اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً، فلما يسقط بعد ذلك عن فرس. ونفر جرير إلى ذي الخلصة في خمسين ومائة راكب من قومه أحمس -فرع من بجلية - فخرب ذلك البيت، وأحرقه، وتركه مثل الجمل الأجرب، وبعث أبا أرطاة إلى رسول الله ﷺ يبشره بذلك، فدعا ﷺ بالبركة لخيل أحمس ورجالها، خمس مرات.

ظهور الأسود العنسي وقتله: وبينما استتب الأمن والإسلام في اليمن، وعمال رسول الله ﷺ متوافرون في جميع جهاته إذ ظهر الأسود العنسي من بلدة كهف حنان في سبعمائة مقاتل، يدعي لنفسه النبوة والأمر، وتقدم إلى صنعاء واحتلها، ثم تفاقم أمره، واشتدت فتنته، وقوي ملكه، حتى انحاز عمال رسول الله ﷺ إلى أرض الأشعريين، وعامله المسلمون بالتقية، واستمر ذلك ثلاثة أشهر، أو أربعة أشهر، ثم احتال عليه فيروز الديلمي وزملاؤه من الفرس، وكانوا قد أسلموا، فقتله فيروز، واحتز رأسه، ورماه خارج الحصن فانهزم أصحابه، وظهر الإسلام وأهله، وتراجع نواب رسول الله ﷺ إلى أعمالهم، وكتبوا بذلك إليه ﷺ. وكان قتله قبل وفاة النبي ﷺ بيوم وليلة، فأتاه الوحي، فأخبر به أصحابه، ثم وصل الكتاب في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

الفوائد:

....

....

....

حجة الوداع

ولما تم إبلاغ الدعوة في أنحاء الجزيرة العربية، وأوجد الله طائفة من المؤمنين تكفل بحفظها وبإبلاغها إلى أقصى أرض الله، قدر الله أن يري رسول الله ﷺ ثمار جهده المتواصل قبل أن ينتقل إلى الله ، فأكرمه الله بحج بيته المكرم في ذي الحجة سنة ١٠هـ. ولما أراد ﷺ الحج أذن به في الناس، فاجتمع بالمدينة بشر كثير ، فلما كان يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة وهو اليوم السادس والعشرون منه، ترجل وادهن، ولبس إزاره ورداءه، وانطلق من المدينة بعد صلاة الظهر، حتى بلغ ذا الحليفة قبل أن يصلي العصر، فصلاها بها ركعتين، ثم بات بها، فلما أصبح قال: أتاني الليلة آت من ربي، فقال: صل في هذا الوادي المبارك، وقل عمرة في حجة، وكان هذا إباحة للعمرة في أيام الحج،

وكان أهل الجاهلية يرونها من أفجر الفجور. ثم اغتسل رسول الله ﷺ قبل الظهر، وتطيب في رأسه وبدنه بطيب فيه مسك. ثم لبس إزاره ورداءه، ثم صلى الظهر ركعتين، وأهل بالحج والعمرة في مصلاه، وقرن بينهما، فقال: " اللهم لبيك عمرة وحجاً، ثم لبى: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك". وكان أحياناً يقول:" لبيك إله الحق". ثم خرج من المصلى فركب القصواء، وأهل مرة أخرى، فلما استوت به بالبيداء أهل أيضاً، وأشعر هديه بعد الصلاة وقلدها بذي الحليفة. ثم واصل سيره حتى دنا من مكة، فبات بذي طوى، وصلى به الفجر، ثم اغتسل ومضى حتى دخل المسجد الحرام، وذلك صباح يوم الأحد لأربع مضين من ذي الحجة، فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة، ثم أقام بأعلى مكة عند الحجون، ولم يعد إلى الطواف، وبقي في إحرامه، لأنه كان قارناً جمع بين إحرامي الحج والعمرة، لكونه قد ساق الهدي، وأمر كل من ساق معه الهدي أن يبقى في إحرامه، وأما من لم يسق معه الهدي فأمره أن يقصر رأسه بعد الطواف والسعي، ويحل حلالاً تاماً، ويجعل عمله هذا عمرة، سواء كان قد أحرم بنية الحج أو العمرة أو كليهما. وقال: لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي، ولجعلتها عمرة، ولأحللت، فحل من لم يكن معه هدي. ثم توجه ﷺ يوم التروية -وهو اليوم الثامن من ذي الحجة - إلى منى، وأحرم للحج كل من كان قد حل، فصلى بمنى خمس صلوات: الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفج، وصلى الرباعية منها ركعتين قصراً، ثم أجاز من منى بعدما طلعت الشمس حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها، فلما زالت الشمس ركب القصواء وأتى وادي عرنة وقد اجتمع الناس حوله فقام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وتشهد، وأوصى بتقوى الله، ثم قال فيما قال: " أيها الناس! اسمعوا قولي. فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً، وأن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمور الجاهلية موضوع تحت قدمي، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث [وكان مسترضعاً في بني سعد فقتله هذيل] وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع من ربنا ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، واتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله. وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس:" اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد"! وقد بين في هذه الخطبة عدة أمور أخرى، فلما فرغ منها نزل عليه قوله تعالى:(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ

دِيناً). فكان يوم نعمة وسعادة وشكر. وأذن بلال بعد الخطبة ثم أقام فصلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر ركعتين، ثم أقام فصلى العصر ركعتين، جمعهما في وقت الظهر جمعاً مقدماً. ولم يصل بينهما شيئاً. ثم أتى الموقف فجعل بطن ناقته إلى الصخرات، واستقبل القبلة، فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلاً، ثم دفع حتى أتى المزدلفة، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين، ولم يسبح بينهما شيئاً. ثم اضطجع حتى طلع الفجر، فصلى الفجر مبكراً، ثم أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة ودعا وكبر وهلل ووحد حتى أسفر جداً. ثم دفع إلى منى قبل أن تطلع الشمس حتى أتى الجمرة الكبرى، فرماها بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة منها. ولم يزل يلبي حتى رمى الجمرة، فلما رماها قطع التلبية، ووقف عند هذه الجمرة يقول:" خذوا عني مناسككم فلعلي لا أحج بعد عامي هذا". ثم أتى منزله بمنى فنحر ثلاثاً وستين بدنة بيده، ثم نحر عليٌّ بقية المائة، وهي سبع وثلاثون بدنة. ثم أمر من كل بدنة ببضعة، فجعلت في قدر وطبخت، فأكلوا من لحمها وشربوا من مرقها. وبعد فراغه من النحر دعا الحلاق، فأعطاه شقه الأيمن فحلق، فقسمه بين الناس من شعره وشعرتين، ثم حلق الأيسر فأعطاه لأبي طلحة. ثم لبس ثيابه، وتطيب قبل أن يطوف، ثم ركب حتى أتى البيت، فطاف طواف الإفاضة، ولم يطف بين الصفا والمروة، وصلى الظهر، وأتى على بني عبدالمطلب، وهم يسقون على زمزم، فقال: انزعوا بني عبد المطلب! فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم، فناولوه دلواً فشرب منه. ثم رجع ﷺ إلى منى فمكث بها ليالي التشريق -١١، ١٢، ١٣، من ذي الحجة - يرمي الجمرات الثلاث كل يوم إذا زالت الشمس، يبدأ بالجمرة الصغرى فيرميها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة، ثم الوسطى، ثم الكبرى كذلك. قد خطب رسول الله ﷺ خطبة يوم النحر، ثم خطبة في أوسط أيام التشريق. أكد فيها ما سبق في خطبة عرفة وزاد عليها، وقد نزلت عليه سورة النصر في أوسط أيام التشريق قبل الخطبة وفي اليوم الثالث عشر -وهو يوم النفر الثاني، وثالث أيام التشريق، وكان يوم الثلاثاء - نفر رسول الله ﷺ من منى وبعد رمي الجمرات، فنزل بالأبطح، وصلى هناك الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وبعث عائشة أم المؤمنين مع أخيها عبدالرحمن بن أبي بكر ليعمرها من التنعيم، فأحرمت وقضت عمرتها، ثم جاءته بالأبطح سحراً، وكان ﷺ قد رقد به رقدة. فلما جاءته آذن بالرحيل، وركب إلى البيت فطاف به طواف الوداع، وصلى صلاة الفجر، ثم انصرف متوجهاً إلى المدينة، وقد خرج من أسفل مكة، ولما قرب من المدينة ولاحت له معالمها كبر ثلاثاً ثم قال:" لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آيبون تائبون، عابدون، ساجدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده".

بعث أسامة بن زيد: واستقر رسول الله ﷺ بالمدينة يسبح ربه بحمده على ما أراه من دخول الناس في دين الله أفواجاً، ومن نجاح دعوته التي قام بها قبل نحو ثلاث وعشرين سنة، وقد استقبل بعد عودته إلى المدينة بعض الوفود. وجهز أسامة بن زيد في سبعمائة مقاتل، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، وقد تحرك جيشه ونزل بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة، ولكن نقلت إليه أخبار مقلقة عن مرض رسول الله ﷺ فتريث ينتظر النتيجة، فجاء قضاء الله بوفاة رسول الله ﷺ، وأن يكون هذا البعث أول بعث في عهد أبي بكر رضي الله عنه.

الفوائد:

....

....

....

إلى الرفيق الأعلى

معالم التوديع: وبعدما بلغ رسول الله ﷺ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة بدأت طلائع الوداع من الدنيا تتسم في أقواله وأفعاله. اعتكف في رمضان من السنة العاشرة عشرين يوماً، وعارضه جبريل القرآن مرتين. فقال لابنته فاطمة:" لا أرى ذلك إلا اقتراب أجلي". وودع معاذاً إلى اليمن فأوصاه، ثم قال:" يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري". فبكى معاذ جشعاً لفراق رسول الله ﷺ. وقال ﷺ في حجة الوداع مراراً:" لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، ولعلي لا أحج بعد عامي هذا"، وكان نزول قوله تعالى:(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...) الآية. وكذلك نزول صورة النصر إشعاراً بأنه فرغ من مهمته في الدنيا، ولذلك سميت بحجة الوداع، أي إنه ودع الناس لينتقل إلى ربه ﷻ. وفي أوائل شهر صفر سنة ١١هـ خرج ﷺ إلى أحد، فصلى على الشهداء كالمودع للأحياء والأموات، ثم انصرف إلى المنبر فقال:" أنا فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها". وفي أواخر شهر صفر خرج إلى بقيع الغرقد في جوف الليل، فاستغفر لهم وقال:" إنا بكم لا حقون".

بداية المرض: ويوم الاثنين الأخير من شهر صفر رسول الله ﷺ جنازة في البقيع. قالت عائشة:" رجعت من البقيع وأنا أجد صداعاً في رأسي، وأنا أقول: وارأساه، فقال: بل أنا والله يا عائشة وارأساه". كان

هذا بداية مرضه ﷺ وهو مع ذلك يدور على نسائه، حتى اشتد به المرض، وهو في بيت ميمونة فأخذ يسأل: أين أنا غداً؟ أين أنا غداً؟ يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء، فخرج يمشي بين الفضل بن عباس، وعليّ بن أبي طالب، وتخط قدماه بالأرض، حتى انتقل إلى بيت عائشة.

عهده ووصيته: قالت عائشة -رضي الله عنها-:" لما دخل بيتي، واشتد به وجعه قال: هريقوا عليَّ من سبع قرب، لم تحلل أوكيتهن، لعلي أعهد إلى الناس". فأجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي ﷺ، ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب، حتى طفق يشير إلينا أن قد فعلتن، ثم خرج إلى الناس، فصلى بهم وخطبهم. وقال فيما قال:" أن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك". وقال:" لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد". وقال:" لا تتخذوا قبري وثناً يعبد". وعرض نفسه للقصاص، وأوصى بالأنصار خيراً، ثم قال:" إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده، فاختار ما عنده". قال أبو سعيد الخدري: فبكى أبو بكر وقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا. فقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا. ثم أثنى رسول الله ﷺ على أبي بكر، وأمر بسد الأبواب الشارعة في المسجد، إلا باب أبي بكر. وكان ذلك يوم الأربعاء، فلما كان يوم الخميس وقد أشتد به الوجع، قال:" هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده"، فقال عمر: قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبكم كتاب الله، فاختلفوا، فلما أكثروا اللغط والاختلاف قال رسول الله ﷺ" قوموا عني". وأوصى في ذلك اليوم بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب، وبإيجاز الوفود بنحو ما كان يجيزهم، وأكد لهم أمر الصلاة، وما ملكت أيمانهم، وقال: " تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي".

الفوائد:

....

....

....

استخلاف أبي بكر ﷺ على الصلاة:

وكان النبي ﷺ مع شدة مرضه يصلي بالناس، فلما كان ذلك اليوم -يوم الخميس- وحان وقت صلاة العشاء اغتسل ﷺ في مخضب ليتخفف، ثم ذهب ليقوم فأغمي عليه، ثم أفاق فاغتسل ثانياً، ثم

ذهب ليقوم فأغمي عليه، ثم أفاق فاغتسل ثالثاً فلما ذهب ليقوم أغمي عليه، فأرسل إلى أبي بكر أن يصلي بالناس، فصلى أبو بكر تلك الأيام، وجملة الصلوات التي صلاها أبو بكر بالناس سبع عشرة صلاة. ويم السبت أو الأحد وجد رسول الله ﷺ في نفسه خفة فخرج بين رجلين لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس، فأجلساه إلى يساره، فكان أبو بكر يقتدي بصلاة رسول الله ﷺ والناس يقتدون بأبي بكر، يسمعهم التكبير.

تصدقه بما لديه: ويوم الأحد أعتق النبي ﷺ غلمانه، وتصدق بسبعة دنانير كانت عنده، ووهب المسلمين سلاحه، وجاء الليل فأرسلت عائشة -رضي الله عنها - بمصباحها إلى امرأة وقالت: أقطري لنا في مصباحنا من عكتك السمن، وكانت درعه ﷺ مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من الشعير.

آخر يومه في الدنيا: ولما أصبح يوم الاثنين -وكان يوم نوبة عائش - وقام أبو بكر يصلي بالناس صلاة الفجر كشف رسول الله ﷺ ستر حجرة عائشة فنظر إليهم، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه، وظن أنه ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة، وهم المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم، فرحاً برسول الله ﷺ، فأشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر. وفي هذا اليوم - أو في هذا الأسبوع - دعا رسول الله ﷺ فاطمة فسارها بشيء فبكت، ثم سارها بشيء فضحكت، وسألتها عائشة عن ذلك فكتمت، حتى توفي رسول الله ﷺ فأخبرتها أنه قال لها في الأولى: إنه يموت في مرضه هذا فبكيت. وقال لها في الثانية: إنها أول أهله يتبعه فضحكت، وبشرها أيضاً أنها سيدة نساء العالمين.

ورأت فاطمة ما برسول الله ﷺ من شدة الكرب، فقالت:" واكرب أباه"، فقال:" ليس على أبيك كرب بعد اليوم"، ودعا الحسن والحسين فقبلهما، ودعا أزواجه فوعظهن وذكرهن. وطفق الوجع يشتد ويزيد، وانتقض السم الذي أكله بخيبر، فأخذ يحس بشدة ألمه، وكان قد طرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك:" لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد -يحذر ما صنعوا - لا يبقين دينان بأرض العرب"، وكان هذا من آخر ما تكلم وأوصى به الناس وكرر مراراً: " الصلاة، الصلاة، وما ملكت أيمانكم".

الاحتضار والموت: وبدأ الاحتضار فأسندته عائشة -رضي الله عنها - إلى صدرها بين سحرها ونحرها. وجاء أخوها عبدالرحمن بسواك من جريدة رطبة، فأخذ رسول الله ﷺ ينظر إلى السواك،

ففهمت عائشة أنه يريده، فسألته فأشار برأسه: أن نعم، فأخذته ومضغته حتى لينته، فاستاك به رسول الله ﷺ كأحسن ما كان يستاك، وبين يديه ركوة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء، ويسمح به وجهه، ويقول: لا إله إلا الله، إن للموت سكرات. ثم رفع يديه أو إصبعه وشخص بصره نحو السقف، وتحركت شفتاه، فأصغت إليه عائشة فسمعته يقول:" مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى". وكرر الكلمة الأخيرة ثلاثاً، وفاضت روحه، ومالت يده، ولحق بالرفيق الأعلى، وذلك يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ١١هـ حين اشتد الضحى، وقد تم له ثلاث وستون سنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

الفوائد:

....

....

....

حيرة الصحابة وموقف أبي بكر:

وتسرب الخبر بين الصحابة خلال لحظات، فأظلمت عليهم الدنيا، وكادوا يفقدون وعيهم، فلم يكن يوم أحسن ولا أضوء من يوم دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة، ولم يكن يوم أظلم ولا أقبح من يوم مات فيه، وكان لهم ضجيج كضجيج الحجاج من البكاء. وقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد يقول: إن رسول الله ﷺ لم يمت ولا يموت حتى يفني الله المنافقين، وأخذ يتوعد بالقطع والقتل من يقول إنه مات، والصحابة حوله في المسجد حائرون مندهشون.

وكان أبو بكر رضي الله عنه قد خرج إلى مسكنه بالسنح حين رأى الخفة في مرضه ﷺ صباحاً، فلما توفي ﷺ أقبل أبو بكر على دابته حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلم الناس، حتى دخل على عائشة، فقصد رسول الله ﷺ، وهو مسجى ببرد حبرة، فكشف وجهه، فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، ولا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقدمتها. ثم خرج فقال: اجلس يا عمر، فأبى أن يجلس، فتركه وجاء إلى المنبر وقام بجنبه، وترك الناس عم، وأقبلوا إليه، فتشهد وقال: أما بعد، من كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى:(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ) . قال ابن عباس: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية، حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس، فما أسمع بشراً من الناس

إلا يتلوها. قال عمر: فوالله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعرفت أنه الحق، فعقرت، حتى ما تقلني رجلاي، وحتى هويت إلى الأرض، وعرفت أنه قد مات.

اختيار أبي بكر لخلافته ﷺ

وكان أهم قضية بعد وفاة رسول الله ﷺ هو اختيار أمير يقوم مقامه ﷺ في إدارة شئون العباد والبلاد، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يرى أنه أحق بالخلافة، لقرابته منه ﷺ، فاجتمع هو والزبير ورجال من بني هاشم في بيت فاطمة -رضي الله عنها- واجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليختاروا أميراً منهم، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما-.

وذهب أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما ومعهما أبو عبيدة بن الجراح والمهاجرون إلى سقيفة بني ساعدة فجرى بينهم وبين الأنصار نقاش وحوار ذكر فيه الأنصار فضلهم واستحقاقهم، فقال أبو بكر إن ما ذكرتم من خير فأنتم أهله، وما تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش -أي لا ينقادون لحكم أحد غير قري- هم أوسط العرب نسباً وداراً، ثم أخذ بيد عمر وبيد أبي عبيدة، وقال: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين. فقال رجل من الأنصار: منا أمير ومنكم أمير. فكثر اللغط والأصوات، وخشوا الاختلاف، فقال عمر لأبي بكر: ابسط يدك، فبسطها، فبايعه هو والمهاجرون والأنصار.

التجهيز وتوديع الجسد الشريف إلى الأرض:

ويوم الثلاثاء غسلوا رسول الله ﷺ ولم يجردوه من ثيابه، وقام بغسله العباس وعلي، والفضل وقثم ابنا العباس، وشقران مولى رسول الله ﷺ، وأسامة بن زيد، وأوس بن خولى، وكان العباس وابناهما يقلبونه، وأسامة وشقران يصبان الماء، وعلي يغسله، وأوس أسنده إلى صدره. وقد غسلوه ثلاث غسلات بماء وسدر، وكان الماء من بئر لسعد بن خيثمة بقباء، يقال لها الغرس، وكان ﷺ بشرب منها. وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف، وليس فيها قميص ولا عمامة، أدرج فيها إدراجاً. وحفر أبو طلحة قبره في الموضع الذي توفي فيه، وجعل القبر لحداً، ثم وضع سريره على شفير القبر، ودخل الناس ارسالاً عشرة فعشرة، ويصلون عليه أفذاذاً، لا يؤمهم أحد، وأول من صلى عليه عشرته، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم الصبيان ثم النساء، أو النساء ثم الصبيان. وانتهى في ذلك يوم الثلاثاء ومعظم ليلة الأربعاء، ثم أنزلوه ﷺ في القبر ودفنوه في أواخر الليل ﷺ.

البيت النبوي

كان له ﷺ في مختلف مراحل حياته إحدى عشرة امرأة أو اثنتا عشرة امرأة، واجتمع منهن تسع في آخر حياته، وأما الاثنتان أو الثلاث فقد وافتهن الوفاة والنبي ﷺ حي، وفيما يلي ذكر موجز لهن:

١ -أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، تزوجها ﷺ، وهي في سن الأربعين، وهو ابن خمس وعشرين سنة، وجميع أولاده ﷺ منها سوى إبراهيم، ولم يتزوج عليها امرأة أخرى مدة حياتها، توفيت بمكة في رمضان سنة عشر من النبوة، ودفنت بالحجون. ولها ٦٥ سنة.

٢ -أم المؤمنين سودة بنت زمعة، كانت تحت ابن عمها السكران بن عمرو، فأسلما وهاجرا إلى الحبشة، ثم رجعا فمات عنها، فتزوجها ﷺ في شوال سنة عشر من النبوة، بعد وفاة خديجة بنحو شهر، وتوفيت بالمدينة في شوال سنة ٥٤ هـ.

٣ -أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها: تزوجها النبي ﷺ في شوال سنة إحدى عشرة من النبوة بعد سودة بسنة، وهي بنت ست سنين، ونبي بها في شوال بعد الهجرة بسبعة أشهر وهي بنت تسع سنين، ولم يتزوج بكراً غيرها، وهي أفقه نساء الأمة، وفضلها على النساء كفضل الثريد على السائر الطعام، وتوفيت في ١٧ رمضان سنه ٥٧هـ أو ٥٨ هـ ودفنت بالبقيع.

٤ -أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب، كانت تحت خنيس بن حذافة السهمي، توفي عنها بين بدر وأحد، لجرح أصابه في بدر، تزوجها ﷺ في شعبان سنة ٣هـ، توفيت بالمدينة في شعبان سنة ٤٥هـ ولها ستون سنة، ودفنت بالبقيع.

٥ -أم المؤمنين زينب بنت خزيمة الهلالية، كانت تحت عبيدة بن الحارث، فقتل عنها يوم بدر، فتزوجها ﷺ في رمضان سنة ٣هـ. وقيل: كانت تحت عبدالله بن جحش فقتل عنها يوم أحد، فتزوجها ﷺ في سنة ٤هـ، كانت تسمى في الجاهلية بأم المساكين، لإطعامها إياهم، توفيت في آخر ربيع الآخر سنة ٤هـ بعد الزواج به ﷺ بثمانية أشهر أو بنحو ثلاثة أشهر، فصلى عليها النبي ﷺ ودفنت بالبقيع.

٦ -أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية، كانت تحت أبي سلمة، وله منها أولاد، فتوفي عنها في جمادى الآخرة سنة ٤هـ فتزوجها رسول الله ﷺ في ليال بقين من شوال سنة ٤هـ كانت من أفقه النساء وأعقلهن، توفيت سنة ٥٩هـ وقيل ٦٢هـ ودفنت بالبقيع، ولها ٨٤ سنة.

٧ -أم المؤمنين زينب بنت جحش بن رئاب، وهي ابنة أميمة بنت عبد المطلب، عمة النبي ﷺ زوجت بزيد بن حارثة، فلم يوفق بينهما، حتى طلقها زيد، وكان قد تبناه النبي ﷺ فيقال له زيد بن محمد، كما تقدم، وكان أهل الجاهلية يرون تحريم زوجة المتبني على أبيه المتنبي مثل تحريم زوجة الابن الحقيقي ، فلما انقضت عدة زينب من زيد زوجها الله -سبحانه وتعالى - بالنبي ﷺ من فوق سبع سماوات، وأبطل التبني، وذلك في ذي القعدة سنة ٥هـ وقيل: في سنة ٤هـ وكانت من أعبد النساء

وأعظمهن صدقة. توفيت سنة ٢٠هـ ولها ٥٣ سنة. وكانت أول أمهات المؤمنين وفاة بعد النبي ﷺ، صلى عليها عمر بن الخطاب ﵁ ودفنت بالبقيع.

٨ -أم المؤمنين جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق، سبيت في غزوة بني المصطلق في شعبان سنة ٦هـ وقيل: سنة ٥هـ فوقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها. فقضى رسول الله ﷺ كتابتها، فأعتقها وتزوجها، فأعتق المسلمون مائة أهل بيت من بني المصطلق، وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ فكانت أعظم النساء بركة على قومها، وتوفيت في ربيع الأول سنة ٥٦ هـ وقيل:٥٥ هـ ولها ٦٥ سنة.

٩ -أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، كانت تحت عبيد الله بن جحش فولدت له حبيبة فكنيت بها، وهاجرت معه إلى الحبشة، فتنصر عبيد الله، وتوفي مرتداً، وثبتت هي على الإسلام، فلما بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أميه الضمري بكتابه إلى النجاشي أمره أن يزوجها النبي ﷺ فزوجها به النجاشي، وأصدقها من عنده أربعمائة دينار، وبعثها مع شرحبيل بن حسنة، فابتنى بها ﷺ بعد رجوعه من خيبر في صفر أو ربيع الأول سنة ٧هـ توفيت سنة ٤٢هـ أو ٤٤هـ أو ٥٠ هـ.

١٠ -أم المؤمنين صفية بن حيي بن أخطب، هي بنت سيد بني النضير، من بني إسرائيل، من سلالة هارون عليه السلام، سبيت في خيبر، فاصطفاها ﷺ لنفسه، وعرض عليها الإسلام فأسلمت، فأعتقها وتزوجها بعد فتح خيبر سنة ٧هـ وابنتى بها بسد الصبهاء على بعد ١٢ ميلاً من خيبر في طريقه إلى المدينة. توفيت سنة ٥٠هـ وقيل: ٥٢هـ وقيل ٣٦هـ ودفنت بالبقيع.

١١ -أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية، هي أخت أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية زوج العباس ﵁، تزوجها ﷺ في ذي القعدة سنة ٧هـ في عمرة القضاء بعد أن حل منها، وابنتى بها بسرف على بعد تسعة أميال من مكة، وقد توفيت بسرف سنة ٦١هـ، وقيل: ٦٣هـ وقيل ٣٨هـ ودفنت هناك، ولا يزال موضع قبرها معروفاً. فهذه إحدى عشرة امرأة هن أمهات المؤمنين وأزواج رسول الله ﷺ بالاتفاق رضي الله عنهن جميعًا، واختلف في امرأة واحدة وهي ريحانة بنت زيد، أنها كانت من أزواجه ﷺ أو من سراريه، وهي من بني النضير، وكانت عند رجل من بني قريظة، فوقعت في غزوة بني قريظة في السبايا، فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه، فيقال: إنه أعتقها وتزوجها في المحرم سنة ٦هـ فهي من أمهات المؤمنين، ويقال: إنه ﷺ لم يعتقها، بل كان يأتيها بملك اليمين، فهي من سراريه، توفيت مرجعه ﷺ من حجة الوداع، فدفنها بالبقيع. وكانت له ﷺ سوى هؤلاء النسوة سرية واحدة، وهي مارية القبطية، وأهداها له المقوقس في جملة ما أهداه حينما رد على كتابه ﷺ، وكانت من بنات الملوك، فخصها النبي ﷺ لنفسه، وقد ولدت له إبراهيم، توفيت سنة ١٦هـ ويقال: في المحرم سنة ١٥هـ ودفنت بالبقيع.

أولاده ﷺ: تقدم أن جميع أولاده ﷺ من خديجة إلا إبراهيم، وهم:

١ -القاسم: أكبر ولده ﷺ، وبه يكنى، وعاش حتى مشى، ثم توفي وهو نحو سنتين.

٢ -زينب: أكبر بناته ﷺ، أصيبت في الله، فقال ﷺ تلك أفضل بناتي. ولدت بعد القاسم، وتزوجها أبو العاص بن الربيع، وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد، ولدت زينب ابناً اسمه علي، وبنتاً اسمها أمامة، وهي التي كان رسول الله ﷺ يحملها في الصلاة، توفيت زينب في أوائل سنة ثمان بالمدينة.

٣ -رقية: تزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه فولدت له ابناً اسمه عبدالله، وقد بلغ ست سنين، ثم نقره ديك في عينه فمات، ماتت رقية ورسول الله ﷺ في بدر، وجاء زيد بن حارثة بشيراً إلى المدينة، فوجدهم قد سووا التراب على قبرها.

٤ -أم كلثوم: زوجها رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد وفاة رقية مرجعَهُ من بدر، ولم تلد له شيئاً، توفيت في شعبان سنة ٩هـ ودفنت بالبقيع.

٥ -فاطمة: أصغر بناته ﷺ، وأحبهن إليه، وهي سيدة نساء أهل الجنة، وتزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد بدر، فولدت له ابنين: حسناً وحسيناً، وبنتين: زينب وأم كلثوم، وأم كلثوم هذه تزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فولدت له زيداً. ثم مات عنها فتزوجها عون بن عمها جعفر، وتوفي عون فتزوجها أخوه محمد، وتوفي محمد فتزوجها أخوه عبدالله، ثم ماتت وهي عنده، وتوفيت فاطمة بعد النبي ﷺ بستة أشهر. هؤلاء الخمسة المذكورين من أولاده ﷺ ولدوا قبل النبوة والرسالة.

٦ -عبدالله: يقال إنه ولد في الإسلام، ويقال: بل قبل ذلك، وتوفي وهو صغير، وكان آخر أولاد النبي ﷺ من خديجة.

٧ -إبراهيم: ولد بالمدينة من سريته ﷺ مارية القبطية، في جمادى الأولى أو جمادى الآخرة سنة ٩هـ وتوفي ٢٩ شوال سنة ١٠هـ يوم كسفت الشمس بالمدينة وهو رضيع، ابن ستة عشر أو ثمانية عشر شهراً، ودفن بالبقيع، وقد قال ﷺ:" إن له مرضعاً يتم رضاعه في الجنة".

الفوائد:

....

....

....

الصفات والأخلاق

كان سول الله ﷺ يمتاز بجمال الخلق وكمال الأخلاق، وقد ورد في هذا الباب أحاديث كثيرة وجليلة، نلخص هنا معانيها ومغزاها بالإيجاز:

وجهه ﷺ: كان وجه رسول الله ﷺ أبيض مليحاً، مستديراً، أزهر اللون، مشرباً بالحمرة، يتلألؤ تلألؤ القمر ليلة القدر، وكان إذا سر وجهه كأنه قطعة قمر، وتبرق أساريره كما يبرق السحاب المتهلل، كأن الشمس تجري فيه، بل لو رأيته رأيت الشمس طالعة، أما عرقه في وجهه فكأنه اللؤلؤ، ولريح عرقه أطيب من المسك الأذفر، وإذا غضب احمر وجهه حتى كأنما فقئ في وجنتيه حب الرمان. وكان سهل الخدين، واسع الجبين، متقوس الحاجبين، سابغهما مع الدقة، غير مقترنين، وقيل كان مقرون الحاجبين، واسع العنين، مشرباً بياضهما بحمرة، مع شدة سواد الحدقة، أهدب الأشفار، أي كثير شعر الأجفان مع طوله، إذا نظرت قلت: أكحل العينين، وليس بأكحل، وكان أقنى العرنين، له نور يعلوه، يحسه من لم يتأمله أشم، تام الأذنين، حسن الفم وكبيره، أفلج الثنيتين، منفصل الأسنان، براق الثنايا، إذا تبسم تبدو أسنانه كأنها حب الغمام، وكان فيها شنب، أي نوع من اللمعان، فإذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه، وكان من أحسن لناس ثغراً. وكانت لحيته حسنة كثة، ممتلئة من الصدغ إلى الصدغ، تملأ النحر، شديدة السواد، وكان في الصدغين والعنفقة شيء من البياض، شعرات معدودة فقط.

رأسه وعنقه وشعره ﷺ: وكان ضخم الهامة، كبير الرأس، طويل العنق، كأنه إبريق فضة، أو جيد دمية، وله وفرة تبلغ إلى أنصاف الأذنين، أو شحمتي الأذنين، وربما أسفل من ذلك، وربما تضرب المنكبين، وكان في شعر ناصيته أيضاً بعض البياض، ولكن قليلاً جداً بحيث لم يبلغ مجموع ما في رأسه ولحيته من البياض عشرين شعرة، وكان في رأسه شيء من الجعودة، أي التواء خفيف، وكان يرجل رأسه ولحيته غبًّا، ويفرق من وسط الرأس.

أطرافه ﷺ: وكان عظيم رؤوس العظام، كالمرفقين والكتفين والركبتين، طويل الزندين، عظيم الساعدين، رحب الكفين والقدمين، ليس لهما أخمص، ناعم اليدين، فقد كانتا ألين من الحرير والديباج، وأبرد من الثلج، وأطيب من رائحة المسك، وكان ضخم العضدين والذارعين والأسافل، خفيف العقبين والساقين، بعيد ما بين المنكبين، سائل الأطراف، عريض الصدر، أجرد عن الشعر، فكان من لبته إلى سرته شعر يجري كالقضيب، ولم يكن في بطنه ولا صدره شعر غيره، وكان أشعر الذراعين والمنكبين، سواء البطن والصدر، في إبطيه عفرة، أما ظهره فكأنه سبيكة فضة.

قدُّه وجسده ﷺ: وكان حسن القد، معتدل القامة، سبط القصب، ولا قصيراً متردداً، ولا طويلاً بائنا، ولكن كان أقرب إلى الطول، فلم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله هو ﷺ، وكان معتدل الجسد، متماسك البدن، لا سميناً بدناً ولا هزيلاً ناحلاً، بل غصناً بل غصنين. فهو أنظر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قداً. طيب رائحته ﷺ وكان لجسده وعرقه وأعضائه ﷺ ريح أطيب من كل طيب، قال أنس رضي الله عنه: ما شممت عنبراً قط، ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ، وقال جابر: لم يكن النبي ﷺ يمر في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه، من طيبه، وكان يصافح الرجل فيظل يومه يجد ريحها، ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها، وحفظت أم سليم عرقه في قارورة لتجعله في طيبها، لأنه أطيب الطيب.

مشيه ﷺ: وكان ﷺ سريع المشي، ليس بالعاجز ولا الكسلان، لم يكن يلحقه أحد، قال أبو هريرة: ما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله ﷺ، كأنما الأرض تطوى له، إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث. وكان إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها، ليس لها أخمص، وإذا التفت التفت جميعاً، وإذا أقبل أقبل جميعاً، وإذا أدبر أدبر جميعاً، وإذا زال زال قلعاً، فإذا مشى كأنه ينحط من صبب، أي ينحدر من مكان مرتفع، وكان يخطو تكفئاً ويمشي هوناً.

صوته ﷺ: وكان في صوته ﷺ بحة يسيرة، وكان حلو المنطق وقوراً، فإذا صمت علاه الوقار، وإذا تكلم علاه البهاء، أما نطقه فكان كخرزات نظمن يتحدرن، وكان يفتتح الكلام ويختمه بأطرافه، ويتكلم بكلام فصل، لا فضول فيه لا تقصير، يتبين كل حرف منه، وكان فصيحاً بليغاً، سلس الطبع، ناصع الكلمات، لا يجاريه أحد مهما كان فصيحاً أو بليغاً، وكان قد أوتي جوامع الكلم مع الحكمة وفصل الخطاب.

من أخلاقه ﷺ: وكان ﷺ دائم البشر سهل الخلق، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، وكان أكثر الناس تبسماً، وأبعد الناس غضباً، وأسرعهم رضاء، يختار أيسر الأمرين ما لم يكن إثماً، فإذا كان إثماً وكان أبعد الناس منه، لم ينتقم لنفسه قط، وإنما كان ينتقم لله إذا انتهكت محارمه. وكان أجود الناس وأكرمهم وأشجعهم وأجلدهم، وأصبرهم على الأذى، وأوقرهم، وأشدهم حياء، إذا كره شيئاً عرف في وجهه، ولم يكن يثبت نظره في وجه أحد، ولا يواجه أحداً بمكروه. وكان أعدل الناس، وأعفهم، وأصدقهم لهجة، وأعظمهم أمانة، سمي بالأمين قبل النبوة، وكان أشد الناس تواضعاً وأبعدهم عن الكبر، وأوفى الناس بالعهود، وأوصلهم للرحم، وأعظمهم شفقة ورحمة،

وأحسنهم عشرة وأدباً، وأبسطهم خلقاً، وأبعدهم عن الفحش والتفحش، واللعن، يشهد الجنائز، ويجالس الفقراء والمساكين، ويجيب دعوة العبيد، ولا يترفع عليهم في مأكل ولا ملبس، يخدم من خدمه، ولم يعاتب خادمه، حتى لم يقل له أف قط.

هذا، ولا يمكن إحاطة أوصافه ﷺ بالبيان، فنكتفي بهذا القدر القليل، سائلين الله ﷻ أن يتقبل منا هذه البضاعة المزجاة، ويوفقنا لا تباع سيبل سيد المرسلين وإمام الأنبياء والمتقين محمد خير الخليقة أجمعين. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه البررة المكرمين، واجعلنا تحت لوائه يوم الدين. آمين يا رب العالمين.

الفوائد:

....

....

....

المراجع :

- روضة الأنوار في سيرة النبي المختار للمبارك فوري
- الرحيق المختوم للمبارك فوري
- فقه السيرة لمحمد الغزالي

أكاديمية التأصيل العلمي
AL-TASIL ALELMY ACADEMY

tasil.ac2015@gmail.com +967774591302 أكاديمية التأصيل العلمي
@tasil_ac | @tasil.ac | WWW.taseelacademy.net